

مَجَلَّةُ
الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعَرَبِيِّ



١ كانون الثاني سنة ١٩٥٩ م
٢٠ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٨ هـ

مجلة
المجمع العلمي العربي
دمشق

انشرت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

نصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي { في جميع البلاد العربية ١٠٠٠ قرش سوري
وفي سائر الاقطار ١٢٠٠ قرش سوري

تدفع مقدماً

قصيدة

منصور النّري في الرشيد

منصور بن الزُّبرقان^(١) بن سَاحَة النّري^(٢) ، ينسب إلى قبيلة النّمر بن قاسط من ربيعة بن نزار ، من العرب العدنانية . وهو من رأس العين في الجزيرة ؛ وتليذ كاثوم بن عمرو العتّابي ورادته ، عنه أخذ ومن بجره استقى ، معدود من فحول شعراء الدولة العباسية في القرن الثاني . قرّظه العتّابي عند الفضل بن يحيى البرمكي فاستقدمه من الجزيرة إلى بغداد واستصحبه ثم وصله بهرون الرشيد ، فمدحه بالمدايح الجياد ونال كثيراً من عطاياه ، وكان يمتُّ إلى الرشيد بالخوالة من جهة مُتَقَلِّبة النّخبة أم العباس بن عبد المطلب . وتوفي بالرقّة^(٣) في خلافة الرشيد (١٧٠ - ١٩٣) .

كان علي بن الجهم يقول : « أنا أشعر من امرئ القيس ، والنّري أشعر مني^(٤) » . وأحسن شعره قصيدته العينية التي مدح بها الرشيد ، فهي من أحسن القصائد في الشعر العربي في جميع عصوره . قال ابن المعتز في طبقات الشعراء : « هذه القصيدة عجيبة ، وتشبيها في الشيب لم يقل مثله أحد » . وقال أيضاً : « قد أقام القيامة في تشبيب هذه القصيدة بالشباب » . والنقاد الذين قرظوا هذه القصيدة واستشهدوا بعدد من آياتها وجعلوها أمثلة في الإحسان كثيرون .

(١) وقيل منصور بن سلة بن الزبرقان . الأغانى ١٤٠/١٣

(٢) النسبة إلى النمر بن قاسط نّري .

(٣) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٤٤

(٤) طبقات الشعراء ص ٤٣٨

وهذه القصيدة - على حسنها - لا يعرف منها حتى الآن إلا أبيات موزعة في كتب الأدب والتراجم . ولا توجد كاملة إلا في مخطوطة « جهرة الإسلام ذات النثر والنظام » لأمين الدين أبي الفنائم مسلم بن محمود بن رسلان الشيزري^(١) . وعدد أبيات هذه القصيدة تسعة وستون بيتاً لا يعرف منها إلا نحو من عشرين بيتاً متفرقة هنا وهناك غير متسلسلة ولا مرتبة ، فلما ظفرنا بها كاملة بذلنا الجهد في تحقيقها ونشرها ، وتصحيح ما حُرّف من ألفاظها .

أما مصادر ترجمة منصور النحري التي أخذنا منها هذه النبذة المختصرة في التعريف به فهي :

طبقات الشعراء لابن المعتز ، طبعة دار المعارف بالقاهرة ص ٢٤٢ - ٢٤٨
وص ٤٣٨

الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني طبعة دار الكتب المصرية ج ١٣
ص ١٤٠ - ١٥٧

تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ١٣ ص ٦٥ - ٦٩
ونرجو أن نعود الى ترجمة هذا الشاعر وأخباره وما بقي من شعره ونستمع
بها على كتابة دراسة وافية له في وقت قريب إن شاء الله .

خليل مردم بك

(١) انظر مقالنا في التعريف بهذه المخطوطة في مجلة المجمع العلمي العربي ١٣٣٠ ص ٣٧٧

قال منصور النحري يمدح هرون الرشيد :

ما تَنْقُضِي حَسْرَةً مِنِّي وَلَا جَزَعُ إِذَا ذَكَرْتُ شَبَابًا^(١) لَيْسَ مَرْتَجِعُ^(٢)
 بَانَ^(٣) الشَّبَابُ وَفَاتَتْني بِشْرَتِهِ^(٤) صُرُوفُ دَهْرٍ وَأَيَّامُ^(٥) أَلَمَّا خُدَعُ
 مَا كُنْتُ أَوْ فِي شَبَابِي كُنْهَ عِزَّتِهِ^(٦) حَتَّى انْتَقَضَى فَإِذَا الدُّنْيَا لَهُ تَبَعُ
 تَعَجَّبْتُ أَنْ رَأَتْ أَشْرَابَ دَمْعَتِهِ فِي حَلْبَةِ الْخَدِّ أَجْرَاهَا حَشًا وَجِيعُ
 إِنْ كُنْتُ لَمْ تَطْعِمِي مُكَلَّ الشَّبَابِ وَلَمْ تَشْجِي بِبُصَّتِهِ فَأَلْعُذْرُ لَا يَقَعُ
 لَوْ قَدْ لَبِستِ قِنَاعَ الشَّيْبِ كَانَ لَنَا عُذْرٌ لَدَيْكَ وَرَاحَ اللُّؤْمُ وَاللَّوْلَعُ^(٧)
 أَنْبَكِي شَبَابًا سُلْبِنَاهُ وَكَانَ وَلَا تُوفِي بِقِيَمَتِهِ الدُّنْيَا وَمَا تَسَعُ
 مَا كُنْتُ أَوَّلَ مَسْلُوبٍ شَيْبَتَهُ مَكْسُوشَيْبٍ فَلَا يَذْهَبُ بِكَ الْجَزَعُ

(١) في الأصل : شبابًا .

(٢) في الأصل : ترتجع .

(٣) أودى الشباب طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٤٥

(٤) حُرَّةُ الشباب : نشاطه ، وفي الأغاني : بلذته .

(٥) . . . وأيامٌ لنا خُدَعُ . ديوان المعاني لأبي هلال العسكري ١٥٣/٢ .

(٦) حُرَّتِهِ ، طبقات الشعراء والأغاني والإعجاز والإيجاز للشعالي ص ١٦٦
 وديوان المعاني .

(٧) وَلَيْعُ فُلَانٍ بِفُلَانٍ يَوْلَعُ وَلَمَّا : إِذَا لَجَّ فِي أَمْرِهِ وَحَرَّصَ عَلَى إِبْدَائِهِ .

تِلْكَ الْأَسَى^(١) مِنْ لِدَائِي^(٢) فِي رُؤُوسِهِمْ
لَا تَعْذِلْنِي فَأُنِّي غَيْرُ كَاذِبِي
قَدْ كُنْتُ فَيَكُنْ ذَا جَاهٍ وَذَا مِقَّةٍ^(٥)
إِنِّي لَمُعْتَرِفٌ مَا فِيَّ مِنْ أَرْبٍ
مَا وَاجَهَ الشَّيْبَ مِنْ عَيْنٍ وَإِنْ وَمِقَّةٍ^(٧)
قَدْ كَذْتُ تَقْضِي عَلَى قَوْتِ الشَّبَابِ أَسَى
لَا بَلْ بَقَاءُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَنَا
إِنْ أَخْلَفَ الْغَيْثُ لَمْ يُخْلِفْ نَحَايِلَهُ^(٩)
إِنْ الْخَلِيفَةُ هُرُونُ الَّذِي أُمْتَلَأَتْ

عَمَائِمُ الشَّيْبِ مُنْجَابٍ^(٣) لَهَا الصَّلَمُ
عَمَكَ الْكَذُوبُ^(٤) وَلَا فِي وَدِّكُمْ طَمَعُ
أَيَّامٍ غُصْنُ شَبَابِي كَيْنَ تَرَعٍ^(٦)
لِلْفَانِيَاتِ فَمَا لِلنَّفْسِ تَنَعْدُعُ
إِلَّا لَهَا نَبْوَةٌ عَنْهُ وَمُرْتَدَعُ^(٨)
لَوْلَا تَعَزُّبُكَ أَنْ أَلْعِشَ مُنْقَطِعُ
فِيهِ الْغِنَى وَحَيَاةُ الدِّينِ وَالرَّفْعُ
أَوْ ضَاقَ أَمْرُ ذِكْرِنَاهُ فَيَتَسِعُ
مِنْهُ الْقُلُوبُ رَجَاءُ تَحْتَهُ فَزَعُ

(١) الأُسى 'والأُسى' : جمع أسوة وهي القدوة وما يتعزى به الحزين .

(٢) اللدات : جمع لدة وهو التئرب الذي وُلِدَ معك وتربى .

(٣) المنجاب : انشق وانكشف .

(٤) الكذوب : النفس لأنها تحدث الإنسان بالأمور التي لا يبلغها وسعه . وفي الأصل :

اللدوب وهو من سهو الناسخ .

(٥) المِقَّة : المحبة .

(٦) التَّرَع : الغَضْ . يقال عشب ترع إذا كان غصّاً (الناج) .

(٧) وَمِقَّة : أحببت .

(٨) في الأصل : ومرتبجع ، والتصحيح من أمالي القاضي ١١٢/١ وحامسة ابن الشعري

ص ٢٣٩ .

(٩) الخبايل من السحب : المنذرة بالمطر . أنامله : العمدة ١١٠/٢ .

مَفْرُوضَةٌ فِي رِقَابِ النَّاسِ طَاعَتُهُ
 أَيُّ أَمْرِيهِ ^(٢) بَاتَ مِنْ هَرُونَ فِي سَخَطِ
 أَنِّي عَلَى اللَّهِ إِحْسَانًا وَأَشْكُرُهُ
 أَضْفَيْتُ وَدِّي لِهَرُونَ وَشَيْعَتِهِ
 لَمَّا أَخَذْتُ بِكَفِّي حَبْلَ ^(٤) طَاعَتِهِ
 هُوَ الْإِمَامُ الَّذِي طَابَ الْجِهَادُ بِهِ
 حِصْنٌ بَنَتْهُ يَمِينُ اللَّهِ يَسْكُنُهُ آثَرُ
 يَفْرِي الْعَدُوَّ وَالْمَنَابِي وَالْعَفَاةَ نَدَى
 صَبَّ إِلَى اللَّهِ زَوَارِدُ الْكَعْبَتِيهِ
 لَا يَحْفِلُ الْبُعْدَ مِنْ دَارٍ وَلَا وَطَنٍ
 عَزَافَةٌ ^(٦) النَّفْسِ لَا يَلْوِي عَلَى دَعَا
 عَاصِيهِ مِنْ رِبْقَةِ الْإِسْلَامِ مُنْقَطِعٌ ^(١)
 فَلَيْسَ بِالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَنْتَفِعُ
 أَنْ لَيْسَ لِي عَنْ وَلِيِّ الْأَمْرِ مُنْقَطِعٌ ^(٣)
 لَمَّا تَفَرَّقَتِ الْأَحْزَابُ وَالشَّيْعُ
 أُيَقِنْتُ أَنِّي مِنَ الْأَحْدَاثِ مُنْتَفِعٌ
 وَالْحَجُّ لِلنَّاسِ وَالْأَعْيَادُ وَالْجَمْعُ
 إِسْلَامٌ صَعْبُ الْمَرَاقِي لَيْسَ يُطْلَمُ
 مِنْ كُلِّ ذَاكَ النَّدَى ^(٥) أَحْوَاضُهُ تَرَعُ
 فِي كُلِّ عَامٍ وَإِنْ زَوَّارَهَا شَعُّوا
 إِذَا سَرَى بِوُقُودِ اللَّهِ وَأَتَبَعُوا
 وَقَدْ يَرَى خَفْضَ مَنْ يَلْمُو وَيَتَدَعُ ^(٧)

(١) كذا ولعل الصواب مُتَغَلِّعٌ .

(٢) من لم يكن بأمين الله معتمداً فليس العدد ٢ / ١١٠ .

(٣) كذا ولعل الصواب مُتَمَجِّعٌ .

(٤) في الأصل : جُلُّ طَاعَتِهِ .

(٥) القِرَى . ديوان المعاني لآبي هلال العسكري ٥٩ / ١ .

(٦) في الأصل : عَرَافَهُ .

(٧) يَتَدَعُ : يسكن الى الدعة والخفض والراحة . وفي الأصل : يبتدع . وهو تحريف .

مَرَّ بِمَكَّةَ لَمْ يَجْتَمِعْ إِلَى بَلَدٍ إِلَّا تَحَرَّقَ ^(١) فِيهِ الرَّيُّ وَالشَّبَعُ
 تَرَاهِي بِهِ عَرَفَاتٍ ^(٢) حِينَ يَنْزِلُهَا وَالْمَشْعَرَانِ ^(٣) وَتَأْسَى حِينَ يَنْدَفِعُ
 تِلْكَ الْمَنَازِلُ إِنْ غَبَّتْ زِيَارَتُهُ حَذَتْ كَمَا يَسْتَحِينُ الْوَالِدُ النَّزْعُ
 يَقْظَانُ لَا يَتَعَارَا بِالْحُطُوبِ إِذَا نَابَتْ وَلَا يَمْتَرِيهِ الضَّيْقُ وَالزَّمْعُ ^(٤)
 مُسْتَحْكِمُ الرَّأْيِ مُسْتَعْنٍ بِوَحْدَتِهِ عَنْ أَرْجَالِ بَرِيْبِ الدَّهْرِ مُضْطَلَعُ
 لَا يَمْلِكُ الْبُخْلُ مِنْ هَرُونَ أَنْمَلُهُ ^(٥) وَالْجُودُ يَمْلِكُهُ وَالْمَالُ يُنْتَزَعُ
 إِذَا بَلَّغْنَا جَمَالَ ^(٦) الدِّينِ لَمْ تَرَنَا لِلْحَادِثَاتِ بِحَمْدِ اللَّهِ تَخْتَشِعُ
 أَدَى إِلَيْكَ مَطَايَانَا وَأَرْحَلُنَا ^(٧) تَقَافُ السَّيْرِ إِنْ الْخَيْرَ مُتَّبِعُ
 مِنْ كُلِّ سَنَحٍ الْخُطَى أَوْ كُلِّ يَمَلَةٍ ^(٨) خَرَطُوْهُمَا بِاللَّغَامِ الْجَمْعِ مُلْتَفِعُ

(١) تَحَرَّقَ : توسع .

(٢) عَرَفَات : موقف الحاج على اثني عشر ميلاً من مكة . وأراد بالمشعرين : المشعر

الحرام وهو مزدلفة وجمع وهو من مناسك الحج .

(٣) الزَّمْع : الدهش .

(٤) كَذَا وَلَعَلَّهَا أَنْمَلَةُ لِأَنَّ جَمْعَ أَمَلَةٍ أَفْأَمَلٌ وَأَنْمَلَاتٌ لَا أَنْمَلٌ .

(٥) إِذَا بَلَّغْنَا جَمَالَ الْأَرْضِ ديوان المعاني ١ / ٥٩ .

(٦) فِي الْأُصْل : وَأَرْجَلُنَا وَهُوَ تَجْرِيفٌ .

(٧) الْيَعْمَلَةُ : الناقة النجبية .

رَكِبُ مِنَ النَّعْرِ^(١) عَاذُوا بِأَبْنِ عَمَّتِهِمْ^(٢) مِنْ هَانِئٍ حِينَ لَجَّ الْأَزْلَمُ الْجَذْعُ^(٣)
 مَتَّوْا إِلَيْكَ بِقُرْبَى مِنْكَ تَعْرِضُهَا^(٤) لَهُمْ بِهَا فِي سَنَامِ الْمَجْدِ مُطْلَعُ
 قَوْمٌ هُمْ وَلَدُوا الْعَبَّاسَ وَالِدَكُمْ يُبْشِي^(٥) الْأَعْيُونَ إِذَا هَرُونَُ وَاجِبَهَا
 مُبَايِرُ الْأُمُورِ الْمَلِكِ مُبْتَدِلُ^(٦) فِيهَا قَرِيحَةً رَأَى مَا بِهِ طَبَعُ^(٧)
 تَهْدِيهِ فِي ظُلُمَاتِ الرَّأْيِ تَجْرِبُهُ^(٨) عَيْنٌ مِنَ الْحَزْمِ مَا فِي مَا قَهَا قَمْعُ^(٩)
 إِنَّ الْمَكَارِمَ وَالْمَعْرُوفَ أَوْدِيَهُ^(١٠) أَحَلَّكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ تَجْتَمِعُ^(١١)

- (١) النحر : قبيلة الشاعر وتسكين الميم للضرورة .
 (٢) يشير بذلك إلى أن أم العباس بن عبد المطلب جد بني العباس كانت غريبة واسمها 'تقبيلة النحرية' (طبقات الشعراء ص ٢٤٤) .
 (٣) الأزلم الجذع : الدهر الشديد الكثير البلايا .
 (٤) كذا ولعلها (تعرضها) أي توجبها وتقدرها أو (تعرفها) .
 (٥) في الأصل : يغشى .
 (٦) تلتمع : تذهب .
 (٧) كذا ولعلها مُبْتَدِلُهُ .
 (٨) الطبع : الشين والعيب والكل .
 (٩) كذا ولعلها تَحْزُبُهُ أي تشد عليه والضمير راجع إلى ظلمات الرأي .
 (١٠) القمع : فساد في موق العين وقلة النظر عمشاً .
 (١١) تنسج ، الأغاني .

إِذَا رَفَعْتَ أَمْرًا فَأَلَهُ رَفَعَهُ ^(١) وَمَنْ وَضَعْتَ مِنَ الْأَقْوَامِ يَتَضَعُ ^(٢)
 نَفْسِي فِدَاؤُكَ وَالْأَبْطَالُ مُعَلَّمَةٌ يَوْمَ الْوَعَى وَالْمَنَايَا ^(٣) بَيْنَهُمْ قُرْعُ
 كَمْ خَرَبَةٌ لَكَ تَحْكِي فَأُ ^(٤) قُرَاسِيَّةٌ ^(٥) مِنْ الْمَصَاعِبِ فِي أَشْدَاقِهَا شَمْعُ
 أَوْ طَعْنَةٌ نَقَذَتْ حَتَّى بَدَا وَضَحُ مِنْ أَلْسِنَانِ وَرَاءَ الْمَتْنِ مُدَّرَعُ ^(٦)
 يَارُبُّ قِرْنٍ تَخَطَّيْتُ الْخُتُوفَ إِلَى حَوْبَاتِهِ ^(٧) وَعَجَّاجُ الْمَوْتِ يَرْتَفِعُ
 كَمْ شِدَّةٌ لَكَ لَوْ كَانَتْ عَلَى جَبَلٍ لَأَنْهَدَ مِنْ رَزْنِهَا ^(٨) أَوْ كَاذَ بِنْقَالِمْ
 لَيْلٌ مِنَ النَّفْعِ لَا تَجْمُ وَلَا قَمَرٌ إِلَّا جَبِينُكَ وَالْمَذْرُوبَةُ الشَّرْعُ ^(٩)
 أَلْقَى بَنُو ^(١٠) الْأَصْفَرِ الْأَذْقَانِ وَأَشْتَدُّوا ذُلُّ الْخُسُوعِ وَكَانُوا قَطُّ مَا خَفُوا

(١) رافعه . العمدة .

(٢) مُتَضَعٌ ، الأغانى وتاريخ بغداد والعمدة .

(٣) في الأغانى : « والمنايا صابها فزع » ؟

(٤) أي تشبه فم قراسية .

(٥) في الأصل « قُرَاشِيَّةٌ » وهو تحريف والصواب ما أثبتناه والقراسية : الضخم الشديد

من الإبل ، والمصاعب : جمع مُصْعَب وهو الفحل .

(٦) في الأصل : مُدَّرَعُ والصواب ما أثبتناه . يقال : اذْرَعْ ذراعيه من الجبة : أخرجها .

(٧) الحوباء : النفس .

(٨) المراد بالرزن : الثقل ، يقال رَزْنَهُ رَزْنًا : رفعه لينظر ما ثقله .

(٩) في الأصل : الشَّرْعُ . وهو تحريف . والمذروبة الشرع : الأئمة المشرعة .

(١٠) بنو الأصفر : الروم .

وَأَلَيْتَ حَوْلًا^(١) مُفَارًا فِي بِلَادِهِمْ
لَمَّا أَنَاخَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِهِمْ
خَاضَتْ إِلَيْهِمْ خَابِجَ الْبَعْرِ هَيْبَتُهُ
عَادُوا بِسَبْعَةِ حِيطَانٍ فَسَوَّرَهَا
حُكْمُ الْخَلِيفَةِ هُرُونٍ يُذَكِّرُنَا
مَشَابِهَ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ تَنْزِعُهُ^(٢)
وَمِنْ إِمَامِ الْهُدَى الْمَنُصُورِ يَا حَقُّهُ
وَتُشْبِهُ الْقَائِمَ الْمَهْدِيَّ مَرْحَمَةً
وَمَا أَخْلَى وَصِيُّ الْأَوْصِيَاءِ بِهِ
ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ أَنْصَطِغَتْ
يَابِنَ الْأَنْعَمَةِ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ وَيَا بَنِي الْأَوْصِيَاءِ أَقْرَ النَّاسِ أُمَّ^(٣) دَفَعُوا

وَالْمَتَابَا مَسْحَابُ لَيْسَ يَنْقَشِعُ
وَالْحَيْلُ عَابِسَةٌ وَالْمَوْتُ مُكْتَنِعٌ^(٤)
فَأَذَعْنُوا بِأَدَاءِ الْخَرْجِ وَأَنْتَجِعُوا
جُنْدٌ مِنَ الرُّعْبِ لَمَّا نَالَهُمْ خَضَعُوا
أَحْكَامَ أَحْمَدَ بْنِ أَخْلَاقِهِ جُمِعَ
إِلَى الْمَعَايِنِ وَالْأَشْبَاهُ تُنْزَعُ
قَهْرُ الْأُمُورِ وَحَزْمٌ حِينَ يَقْتَرَعُ
مِنْهُ وَبَجَرُ نَوَالٍ حِينَ يُنْتَجِعُ
مُحَمَّدُ بْنُ^(٥) عَلِيِّ نُورِهِ الصَّدِيقُ
فَأَلْحَقُوا مَا نَطَقُوا وَأَلْحَقُوا مَا شَرَعُوا
يَابِنَ الْأَنْعَمَةِ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ وَيَا بَنِي الْأَوْصِيَاءِ أَقْرَ النَّاسِ أُمَّ^(٥) دَفَعُوا

(١) في الأصل : جولاً معاراً .

(٢) مكتنع : حاضر داف .

(٣) تَزَعُ الولد أباه وإلى أبيه : أشبهه .

(٤) محمد بن علي : هو والد السفاح والمنصور .

(٥) في الأصل : «أو» واختارنا رواية طبقات الشعراء .

إِنَّ الْخِلَافَةَ كَانَتْ إِذْثَ وَالِدِكُمْ مِنْ دُونِ تَيْمٍ ^(١) وَعَفْوُ اللَّهِ مُتَّسِعٌ ^(٢)
 لَوْلَا عَدِيٌّ ^(٣) وَتَيْمٌ لَمْ تَكُنْ وَصَلَتْ إِلَى أُمِّيَّةٍ تَمْرِيهَا ^(٤) وَتَرْتَضِعُ
 تِسْعِينَ عَامًا إِلَى عَشْرِ مُجْرَمَةٍ ^(٥) مِنْ السَّنِينَ وَأَنْفُ الْحَقِّ يُجْتَدَعُ
 وَمَا لِي أَلِ عَلِيٍّ فِي إِمَارَتِكُمْ حَقٌّ وَمَا لَهُمْ فِي إِرْثِكُمْ طَمَعُ
 يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَعْزُبْ عَقُولَكُمْ وَلَا تُضِفْكُمْ إِلَى أَكْنَافِهَا أَلْبَدَعُ
 أَلْعَمُّ أَوْلَى مِنْ أَتَيْنِ أَلْعَمَّ فَاسْتَمِعُوا قَوْلَ ^(٦) النَّصِيحِ فَإِنَّ الْحَقَّ يُسْتَمَعُ

قال أبو العباس ^(٧) : هذه القصيدة من نادر شعره ، وسيد مدحه ، وفيها
 أشياء نحن ذاكروها إن شاء الله ، ومنبهون على ما فيها ، ومفسرون ذلك أجمع .
 أما ما ذكره فيها من البكاء ، فكلام متقدم لا يعرف لحدث مثله ،
 من ذلك قوله :

ما تنقضي حسرة [مني ولا جزع] إذا ذكرت شباباً ليس يرتجع

-
- (١) بنو تيم بن 'مرّة' : من قريش منهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه .
 (٢) في الأصل : « بنسع » واخترنا رواية طبقات الشعراء وموضع هذا البيت في
 الطبقات بعد الذي يليه هنا .
 (٣) بنو عدي بن كعب : من قريش منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه .
 (٤) مَرَى الناقة : مسح ضرعها لئلا .
 (٥) في الأصل : « محرمة » والصواب ما أثبتناه . ومعنى المجرمة : التامة .
 (٦) في الأصل : « قول النصيحة إن الحق مستمع » واخترنا رواية طبقات الشعراء .
 (٧) لعنه عبد الله بن المعتز فقد كان يكني بأبي العباس .

وقوله :

ما كنت أوفي شبابي [كنه مرته حتى انقضى فإذا الدنيا له تبّع]

وقوله :

إن كنت لم تطعمي [نكل الشباب ولم تشجي بغضته فاعذر لا بقم]
معنى هذا البيت : أني وإن اعتذرت من جزعي عليه ، ووصفت الرزية فأسهبت
وأطنبت ، فغير بالغ حقيقة وصفه ، وإنما يفهم منه مثل ما فهمت ، من بلي
بمثل ما بليت ، فكأنه شيء لا يعرف حقيقته إلا من شاهده ، دون من وصف له .
ومما يستحسن من خروجه قوله :

قد كدت تقضي على فوت الشباب [أمي] لولا تعزيبك أن العيش منقطع
يقول : إن الناس ماضون ، فأما خارجون عن الشباب من السن ثم الموت ،
وإما ميتون قبل ذلك .

وقوله : لولا تعزيبك أن العيش منقطع^(١) .

وخروجه أيضاً :

لا بل بقاء أمير المؤمنين لنا فيه الغنى وحياة الدين والرفق
الرفق : جمع رفعة .

وقوله : يمين الله^(٢) : قوة الله وكذلك قيل في تفسير هذه الآية « والسماوات
مطويات بيمينه » .

انتهى من « الجمهرة »

(١) كذا ولعل هذا السطر زائد .

(٢) في قوله :

حسن به يمين الله يسكنه السلام صب المراتي ليس يطلمع

أسماء الشهور في العربية^(١)

كثيراً ما تسأل الذين يؤرخون بالتأريخ الميلادي ، عن حقيقة أسماء الشهور التي تستعمل في الأقطار العربية الشرقية ، وأسماء الشهور التي تستعمل في الأقطار العربية الإفريقية . وكثيراً ما تسألوا عن أيها أصح للبقاء . وهذا الموضوع واسع ربما ملأ كتاباً برأسه . واني أخصه بالكلمات التالية ، وأنها برأيي في جواب ما سأل السائل عنه .

أسماء الشهور العربية :

كان أجدادنا العرب الأقدمون ، سواء في جنوبي جزيرة العرب أو في شماليها ، قبل الميلاد وبعده ، يستعملون للشهور أسماء شتى منها (ذو حجتين وذو تمنع وذو برم الخ .) في الجنوب ، ومنها (المؤتمِر وناجر وخَوَات وصوان الخ) في الشمال . وقد دثرت هذه الأسماء وأشباهاها . ولم تعش إلا أسماء الشهور العربية التي كانت شائعة عند عرب الحجاز خاصة قبيل ظهور الإسلام فاستعملها المسلمون في التأريخ الهجري وهي : (المحرم وصفر وربيع الأول وربيع الآخر الخ) وكلها اليوم معروفة وشائعة في جميع البلاد العربية والإسلامية . وهي خارجة عن نطاق بحثنا هذا .

أسماء الشهور السامية الأصول :

من المعلوم أن السنة الهجرية هي سنة قمرية ، وأن الفصول لا تثبت إلا في السنة الشمسية . فعندما شملت الفتوحات الإسلامية الشام والعراق مست الحاجة ،

(١) سألت وزارة التربية والتعليم عن رأي الجمع في موضوع أسماء الشهور السامية الأصول ، وأسماء الشهور اللاتينية النجارية التي تستعمل في التأريخ الميلادي ، فوضع الأمير مصطفى الشهابي هذا البحث ووافق الجمع عليه .

في الأعمال الزراعية خاصة ، الى استعمال أسماء شهور تسير التقويم الشمسي ، فاقْتُبِسَت الأسماء التي كان يستعملها السريان والكلدان وغيرهم من الأقوام السامية وهي : كانون الثاني وشباط وآذار ونيسان وأيار وحزيران وتموز وآب وأيلول وتشرين الأول وتشرين الثاني وكانون الأول .

وعندما نُقِلَت كتب الفلك والزراعة وغيرها من اليونانية ومن السريانية الى العربية استُعْمِلَت فيها أسماء الشهور المذكورة ، ثم عَمَّ استعمالها الكتب التي ألفها القدماء فصار المرء يراها حتى في كتب الأدب وفي الآيات الشعرية . وسكان البلاد العربية الآسيوية لا يعرفون اليوم غيرها . وهي ذائعة على ألسنتهم وفي كتبهم .

وهذه الأسماء ليست عربية . وقد سميتها الأمهات من معجاناتنا أسماء رومية . والصحيح أنها أسماء سريانية ، وأنها تمت الى أصول سامية قديمة ، وأن كثيراً منها اُشْتُرِكت فيها الآرامية والسريانية والعبرية وغيرها . والبحث في أصل كل اسم من هذه الأسماء طويل . وكذلك البحث في التقويم وفي بدء السنة لدى الأقوام القديمة المذكورة وغيرها .

أسماء الشهور اللاتينية في البلاد العربية الافريقية :

ليست أسماء الشهور اللاتينية النجار مقتبسة من الفرنسية أو الانكليزية على ما ظنه صاحب الاقتراح ، بل هي قديمة اقتبسها العرب في الأندلس من أعجمية سكانها أي من اللهجة الأندلسية للغة قشتالة القديمة وهي لغة متحدرة من اللاتينية . ثم عَمَّ استعمال تلك الألفاظ الأقطار العربية الافريقية لصلات الأقطار المذكورة بالشعوب اللاتينية ، ولبعدها بومذاك عن الشرق العربي الذي ظل مقتصرأ على استعمال أسماء الشهور السامية أي كانون الثاني وشباط وآذار الخ .

وبنضع من ذلك أن العربية اقتبست من القديم في الأندلس والمغرب أسماء
الشهور اللاتينية مثلما اقتبستها الفرنسية والإسبانية والبرتغالية والإيطالية وغيرها
من اللغات . أما الأسماء اللاتينية التي تستعمل اليوم في مصر فهي أحدث
تعريبا ، وقد اختلف في نطقها عن الأسماء المغربية القديمة على ما هو واضح .
وهاكم الأصول اللاتينية للأسماء العربية التي تستعمل اليوم في الأقاليم المصري :
الاسم العرب

في مصر	الأصل اللاتيني	الملاحظات
يناير	Januārius	حرف ز (ج) الفرنسي والانكليزي حديث وهو يلفظ ياء باللاتينية .
فبراير	Februārius	وهو Februārius باللاتينية الكلاسيكية .
مارس	Martius	وهو Marzo بالاطالية والاسبانية و Mars بالفرنسية .

الاسم العرب في مصر	الأصل اللاتيني	الملاحظات
ابريل	Aprilis	وهو Aprile بالأيطالية وAbril بالإسبانية .
مايو « وكذلك مايه »	Majus	حرف ز بلفظ ياء . وهو بالإسبانية Mayo .
يونيو « وكذلك يونيه »	Junius	حرف ز بلفظ ياء . وهو بالبرتغالية Junho .
يوليو « وكذلك يوليه »	Julius	على اسم يوليوس قيصر لأنه ولد في هذا الشهر .
أغسطس	Agustus	باللاتينية الشائعة و Augustus باللاتينية الكلاسيكية .
سبتمبر	September	الشهر السابع لأن السنة الرومانية كانت تبدأ في مارس .
أكتوبر	October	الشهر الثامن Octo أي ثمانية لأن السنة الرومانية كانت تبدأ في مارس .
نوفمبر	November	الشهر التاسع لأن السنة الرومانية كانت تبدأ في مارس .
ديسمبر	December	الشهر العاشر (Decem أي عشرة) لأن السنة الرومانية كانت تبدأ في مارس .

الخلاصة :

يتضح مما مرّ ذكره أن أسماء الشهور المستعملة في الأقطار العربية في التاريخ المسيحي كلها غير عربية ، تستوي في ذلك الأسماء السامية الأصول والأسماء اللاتينية الأصل . ولكنها جميعاً معرّبات قديمة دخلت في العربية وأصبح لها حكم الكلمات العربية الصحيحة .

ومن المعلوم أن الأولى (كانون الثاني ، شباط ، آذار الخ .) هي أقدم تعريباً ، وأعم وروداً ، وألصق بترائنا العلمي والأدبي القديم من الثانية . فجميع الكتب التي ترجمها أو ألفها علماؤنا وأدباؤنا القدماء في الشرق العربي لا تذكر غير تلك الأسماء الشرقية . وقد ذكرت أيضاً إلى جانب الشهور القبطية (طوبة ، أمشير ، برمات الخ .) في كتب ألفت في مصر في زمن الفاطميين والأيوبيين ككتاب قوانين الدواوين لابن عمّار وغيره .

ومما يمكن الاضطرار في الماضي فاعالم العربي في أبنائنا هذه فريقان : فريق في جزيرة العرب والشام والعراق لا يعرف ولا يستعمل في التأريخ الميلادي إلا الشهور السامية الأصول ، وفريق في الأقطار العربية الإفريقية لا يستعمل إلا أسماء الشهور التي هي من أصل لاتيني . ومن أشق الأمور حمل أحد هذين الفريقين على إهمال ما ألف استعماله من الأسماء .

ولا أرى من الحكمة ، في الجمهورية العربية المتحدة على الأقل ، أن تنجح الحكومة في أعمالها الرسمية إلى ترجيح أحد النوعين من الأسماء على النوع الآخر فتكتفي بواحد وتهمل الثاني . بل أرى أن فكرة توحيد الثقافة في الأقطار العربية كافة تقتضينا استعمال النوعين من الأسماء المذكورة في المراسلات الرسمية والتدريس الرسمي والإذاعات والكتب والمجلات والجرائد التي للحكومة سلطة عليها . فإذا أرخت إحدى الوزارات في سورية مثلاً رسالة في بيسان تضع إلى جانبها كلمة (أبريل) بين حاصرتين . والعكس بالعكس عندما تصدر إحدى الوزارات في مصر رسالة من رسائلها ، حتى لو كانت تلك الرسالة مختصة بالإقليم الجنوبي دون الشمالي .

وأرى أنه لا يجوز في القوانين خاصة إلا ذكر الاسمين لكي لا يستغلق التأريخ على أحد من أبناء الإقليمين في الجمهورية . ولعله من المفيد إحالة

الموضوع على المراجع العليا لكي تنظر في أمر إصدار قرار جمهوري يحتم على الوزارات والمؤسسات الحكومية استعمال اسم الشهر الشرقي واسم الشهر الغربي جميعاً في التاريخ الميلادي ، بحيث يذكر في الإقليم الشمالي الاسم الشرقي مضافاً إليه الاسم الغربي بين حاصرتين ، وبذكر في الإقليم الجنوبي الاسم الغربي مضافاً إليه الاسم الشرقي بين حاصرتين وهكذا .

وربما كان من الوسائل الناجمة إصدار تعليمات الى محطات الإذاعة في الجمهورية خاصة بأن تستعمل التسميتين ، على غرار ما تفعل بعض المحطات الأجنبية للإذاعة . ومن المعلوم أن أسماء الشهور العربية في التاريخ الهجري هي مشتركة بعرفها ويستعملها أبناء جميع الأقطار العربية . وهي خارجة عن نطاق هذا البحث على ما مرّ ذكره .

مصطفى الشهابي

العلاقات الجوهرية (*)

بين اللغتين العربية والآرامية « السريانية »
في النواحي التاريخية والفنية واللغوية والأدبية

- ٢ -

وهنا يجدر بنا الإلماع إلى اللهجتين الآراميتين الكبيرتين ، واللهجات المنفرعة
عنهما ، وإليك ذلك :

١ - اللهجة الشرقية :

إن اللهجة الآرامية الشرقية هي اللهجة الفصحى النقية التي انتشرت يوماً ما
في بلاد بابل ، وما جاورها من الأمصار ، وفيها نزل جانب من سفر النبي دانيال
وغيره من أسفار العهد القديم^(١) . وهي عينها التي تعلمها اليهود في السبي أيام
نبوخذ نصر ق . م . بسبعة قرون ، واستعملوها كذلك بعد رجوعهم من الجلاء^(٢) .
إلا أن هذه اللهجة عيناها تفرعت إلى لهجتين متباينتين : الأولى ، وهي
الفصحى ، وكانت لغة الخاصة ، والثانية ، وهي لغة العامة ، وتمازجها ألفاظ
واصطلاحات غريبة كثيرة^(٣) .

ويسمي الكتاب المقدس هذه اللهجة عامة (آرامية)^(٤) . وسميها ربانيو اليهود
(سريانية)^(٥) . ودعاها العهد الجديد (العبرانية)^(٦) .

(*) انظر القسم الأول من هذا المقال في ص ٥٦٨ - ٥٨٧ من المجلد السابق
(٣٣) من هذه المجلة .

(١) القصة الشبهة ص ٥١ .

(٢) فيه أيضاً .

(٣) تاريخ شعوب الشرق القديم لمسيرو ص ٧٧٥ .

(٤) سفر الملوك الثاني ١٨ ، ٢٦ وسفر أشعيا ٣٦ ، ١١ وسفر عزرا ٤ ، ٦ و ٧ ،

وسفر دانيال ٢ ، ٤ .

(٥) القصة الشبهة ص ٥١ .

(٦) القصة الشبهة ص ٥١ .

وأهم اللهجات المتفرعة عن اللهجة الشرقية في بلاد بابل هي اللهجة المانوية ^(١) ،
واللهجة الماندية وهي لهجة الصابئة في بلاد بابل . وما زالت موجودة الى الآن
بنغيبير خثيل ^(٢) ، وبلحق علماء الساميات بها اللهجة النبطية أيضاً ^(٣) .
ومن فروع اللهجة الشرقية أيضاً اللهجة اليهودية بقسحيا ، القسم اليهودي
والقسم الجليلي ، ثم اللهجة السامرية واختص بها سكان مدينة السامرة وما جاورها ،
وقد أشبعنا هذا الموضوع درساً في مقال (الثقافة السريانية) الذي نشرناه تباعاً
في مجلتنا (المشرق) سنة ١٩٤٦ ص ٧٥٠ - ٧٥٦ .

٢ - اللهجة الغريبة :

كانت هذه اللهجة منتشرة في سورية كلها اعتباراً من مدينة الرها الشهيرة ،
ومن نهر الفرات شرقاً الى البحر المتوسط غرباً ، وتشتمل ربوع لبنان كلها ،
وكانت لغة الآداب منذ أول عهد الأدب الآرامي ، وفيها تركت المؤلفات
النفيسة ، وقد ظهرت آثار هذه اللهجة قبل العصر المسيحي بقرون عديدة ،
ونقلت عن الهياكل الوثنية والتماثيل والصخور والأسطوانات وغيرها ، ولم نجد
لها فروعاً هامة خلافاً للهجة الشرقية .

ويحدثنا العلامة ابن العبري عن تشعب اللغة الآرامية على أثر انتشار أبنائها
في الأصقاع ، واختلاطهم بالأمم المجاورة لهم ، وابتعاد اللهجات الآرامية
بعضها عن بعض ابتعاداً عظيماً ، يقول : « يجب أن نعلم أن اللغة الآرامية
انتشرت في بلاد قاصية أكثر من جميع اللغات ، وهو الذي سبب تشعبها حتى
إن الذين كانوا يتكلمونها كانوا لا يفهمون إلا بترجمان . وكانهم يسمعون

(١) شابو ص ٣٢ .

(٢) المشرق السنة الأولى ص ٦٩٥ .

(٣) المشرق السنة الأولى ص ٦٩٧ - ٧٠٠ .

بعضهم من بعض لغة غربية ، فان سكان سورية يتكلمون لهجة غربية عن لهجة فلسطين ، وكذلك المشارقة الذين ابتعدوا كثيراً عن الأصل أكثر من هؤلاء واتبعوا اللهجة السكندانية وانتسبوا اليها» ^(١) .

واذا اعتبرنا هذه الناحية حسبما يرونها هذا اللغوي الفيلسوف نجد الفروق التي نشأت بين اللهجات الآرامية أكثر تأثيراً من الفروق الناشئة بين اللهجات العربية ، ونقر أن هذه اللهجات ابتعدت بعضها عن بعض بعداً شديداً ، إلا أننا نعتقد أن الفروق نشأت بين اللهجات المحكية فقط دون لغة الكتابة والأدب ، لأن الآثار الآرامية المكتشفة تدل على أن تلك الفروق لم تكن فاصلة بين اللهجات الآرامية المختلفة بالشكل الذي شرحه الفيلسوف اللغوي . ومما يمكن فانا نجد أن جميع اللهجات تلاشت ولم يبق إلا اللهجتان المعروفتان ، وهاتان أيضاً لا تختلفان إلا باللفظ فقط ، وهما تتفقان في كل شيء سواء .

ومن مراكز الثقافة الآرامية التي أفاد منها أكثر ما يكون الفكر العربي مدينة حران الآرامية الوثنية التي ازدهرت في كثير من نواحي المعرفة الإنسانية من علم وأدب ودين ، واتصلت بالفلسفة اليونانية القديمة ، واستخدمها علماءها في البلاط العباسي في نقل القسم الكبير من الفلسفة اليونانية ، من اللغتين اليونانية والآرامية (السريانية) الى العربية ^(٢) .

ونصيبنا من بحث اللهجات العربية والآرامية في موضوعنا هذا هو النظر الى التطورات المتعاقبة التي طرأت على هاتين اللغتين الشقيقتين من جهة ، والتأثير الذي خلفته إحداهما في الأخرى ، وعلى الأخص في القسم الشمالي من الجزيرة

(١) المدخل لابن العبري في الكلام عن اختلاف الحركات السريانية - الشرح -

(٢) أخبار العلماء وأخبار الحكماء لابن القطلي ص ٧٧ - ٨٠ و ص ١٣٠ - ١٣٣ ،

والفهرست لابن النديم ص ٣٨٠ .

العربية ، وفي أنحاء فلسطين والشام وتدمر ، بتأثير مملكتي تدمر والبطراء ، وهو ما كان سبباً في حيازة اللغة العربية مفردات كثيرة ليس في الشمال فقط بل في جميع أنحاء الجزيرة العربية ، على ما أنبأنا به علماء الساميات ^(١) .

وبما تجب الإشارة إليه أن اللغة العربية الشمالية ، القريبة من المحررات والمدنية ، استطاعت ابتلاع بقية اللهجات المنتشرة في أواسط الجزيرة وفي جنوبها ، وانفردت بالسيادة المطلقة آخذة مادتها الفزيرة من جميع اللهجات القديمة البائدة ، ومستفيدة من شقيقتها القريبتين الآرامية والعبرية ، مما أغناها بالألفاظ الفزيرة ، وجعلها بالمادة اللغوية التي لا تنضب ، إلا أن الآرامية وإن تلاشت لهجاتها الفرعية ، فإن لهجتها الأساسية الشرقية والغربية لم تزال في قيد الحياة ، وفيها مادة لغوية وأدبية صالحة ، وهما تسيران جنباً إلى جنب منذ العصور الأولى للمسيحية ، لما أفادتا من غذاء أمدهما به العلماء الكبار الذين نبغوا في شتى العصور .

والشيء المهم الذي نقرره ، بعد المرور على جميع اللهجات العربية والآرامية ، هو أن هاتين اللغتين خضعتا لظروف واحدة ، وسارتا تحت تأثيرات متشابهة ، وتعاونتا في جميع عصورهما ، على ما نراه في السطور التالية ، ولذلك لا يمكن دراسة نشوء كل منهما بمفردها ما لم يُبحث في نشوء الثانية منذ مطلع وجودها إلى عصر النضج والازدهار والانتاج .

وما خلا امتزاج لهجات كل من اللغتين وتكوين لغة عربية موحدة ، ونشوء لغة آرامية واحدة أيضاً في المادة مختلفة في اللفظ ، نجد اللغتين الكبيرتين العربية والآرامية تتقاربان في قترات كثيرة من قترات تاريخهما ، وذلك بتأثير الاتصالات التجارية وغيرها ، فتؤثر إحداهما في الأخرى وتكون فيها مادة جديدة ، وقد تكون أيضاً أصاليب جديدة في اللفظ والتعبير . ولولا انتشارهما

(١) تاريخ اليهود في بلاد العرب ص ٧٩ - ٨٥ .

الواسع وتزاورهما المستمر لما رأينا هذه الوحدة الى الآن بينهما ، ولحرماننا أموراً وفوائد جنبناها من ذلك التزاور وذاك التقارب ، ولا يخفى أن كثرة لهجات كل من اللغتين ، واستمدادها مواد جديدة بفعل الزمن كل ذلك أضعفها بالقوة والحياة ، ووسع نطاقها ، وسما بها الى مستوى أرقى اللغات في العالم القديم . وبعد هذه النظرات العاجلة نتقدم الى تحري موضوعنا بأقسامه الكبرى ، واليك ذلك :

٤ - العلاقات التاريخية بين العربية والآرامية

علما سابقاً أن هاتين اللغتين أبصرنا الوجود كتائهما في نحو مطلع الألف الثاني قبل الميلاد ، ولا يمكن تقديم احدهما على الأخرى تاريخياً ، وإن كانت الآرامية تركت آثاراً نفيسة سبقت فيها الآثار العربية بعهد طويل ، وذلك لأسباب اجتماعية تخص الأمتين الساميتين العربية والآرامية ، فإن العربية بقيت وقتاً طويلاً منعزلة في فلولاتها الواسعة بعيدة عن أعين التاريخ ، ويظهر أن العرب في تلك الأيام لم يميلوا الى تدوين أخبارهم لأسباب نجهلها ، وربما كان ذلك لعدم انتشار الكتابة عندهم الى حين ظهور مدنيت عريية في أعماق الجزيرة العربية ، حيث تركت لنا آثاراً وإن كانت قليلة إلا أنها تدل على مستوى هام في الحضارة والمدنية ، وأما اللغة الآرامية فقد نبعت أهلها الآراميين ، فاحتكت بالأمم المجاورة ، ونشأت فيها حضارات باذخة في وادي الرافدين وسهول سورية ، وأصبحت لغة دولية بالمعنى الصحيح منذ منتصف الألف الثاني قبل الميلاد . وهذا هو السبب في ظهور آثارها سابقة للآثار العربية بزمان طويل . لما كانت العربية والآرامية تنحدران من أصل سامي واحد كان لا بد لهما من التعاون التاريخي في مختلف عصورهما ^(١) . وفعلاً تم الاتصال بين القبائل

(١) محاضرة الأستاذ ديون سومر في الجامعة السورية سنة ١٩٥١ .

العربية الشمالية وبين أمم سورية والعراق الناطقين بالآرامية منذ أقدم العصور التاريخية ، لأسباب كثيرة قد تكون حرية أو تجارية أو اجتماعية ، وبهذه الوسطة تبادلت اللغتان القوة والحياة من الوجهتين العلمية والأدبية ، وتوثقت بينهما العلاقات اللغوية ، وهو ما أكسب اللغة العربية على الأخص مادة غنية لا نستطيع حصرها الآن لتقدم العهد عليها ^(١) .

ونجد ، عدا ذلك ، قبائل حمة آرامية تتوغل في الجزيرة العربية ، وتمتزج بالعرب أنفسهم حاملة معها لغتها وحضارتها وصا كبة إياها في جدول اللغة العربية ، وقد وجد علماء الساميات في اللهجات العربية المنتشرة عصرئذ مادة لغوية غنية جزموا أنها ليست عربية لأنها تدل على معان دينية وعلمية وعمرانية لم تكن مألوفة عند العرب ، بل هي خاصة بالأقوام العبرية والآرامية ، وقد أفادت العربية من ذلك قوة جديدة ^(٢) .

على أن أقدم ذكر لبدء العلاقات بين القبائل العربية القديمة وسكان سورية الآراميين والعبريين ، ورد في النصوص الآشورية ، وتسميهم هذه النصوص بأمم « قدرى » كما يسميهم العهد القديم بأمم قيدر أو بني قيدر ، وهم من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل ، وكانوا رعاة يربون قطعان الضأن والإبل ويبيعونها لأهل صور خصوصاً ، ويسكنون الغمام السود المؤلفة من الشقى ، وذكر أشعيا النبي بعض مساكنهم (أش ٤٢ ، ١) وذكر أرميا النبي العبراني قبائل أخرى من بني قيدر فسماها (حاصور) مستمدة من الكلمة العبرية (حصيريم — الحضائر) وهم سكان حضائر حجرية مغطاة بالعوسج والشوك لحماية السكان والقطعان من الوحوش واللصوص .

(١) إسرائيل ولفنون ص ١٦٢ .

Die aramäischen Fremdwörter in Altarabischen : S. Fraenkel

(٢)

وتذكر النصوص الآشورية قبائل أخرى وتسميهم (بني قدم) ومعنى ذلك بالعبرية القديمة (بني المشرق) . ويطلق هذا الاسم على البدو الضاربين عصرئذ في الصحراء السورية العراقية . وأطلق عليهم فيما بعد اسم (Sarakimai) وهي مشتقة من كلمة (الشرقيين) العربية ، ومثلها كلمة *سُكُتُمَا* الآرامية ، وقد رافقوا النبطيين دهرآ طوبلاً . ويذكر بنو قيدار أيضاً في الرقم الآشورية في أخبار حروب أممرحدون (٦٨١ - ٦٦٩ ق م) ، وفي أخبار ابنه وخلفه اشور بانيبال (٦٦٨ - ٦٢٦ ق م) ويتتابع ذكر القبائل العربية في الرقم الآشورية ، وكثيراً ما سموها بالعرب (*أَربِي* Aribi) . ويتوارد ذكرهم في العصور التالية ^(١) .

ومن هذه اللمحة الوجيزة نستنتج حصول علاقات متواصلة بين القبائل العربية ، والأسم الآرامية التي كانت منتشرة في تلك العصور على ضفاف دجلة والفرات وفي سهول سورية وما جاورها من المناطق ^(٢) ، وهو ما أوجد علاقات متواصلة بين اللغتين العربية والآرامية منذ أقدم عصورهما .

هذا ما رأيناه في شمالي الجزيرة العربية ، أما في الجنوب فمن الراهن ازدهار أربع ممالك متحضرة فيه أقدمها معين ، ثم سبأ وحضرموت ، ثم قتيبان . وأقدم اتصال يذكره لهم المؤرخون بسكان وادي الرافدين - ومنهم الآراميون - كان في الألف الثاني ق م ، وقد اتصلت لغتهم بلغة أولئك الأقوام وروحيتهم بروحيتهم ، فقد رأيناهم يعبدون آلهة عبدها الآراميون وغيرهم قبلهم ، وأكبرها الآله (سين) أي القمر ، ولا نذكر أن اللغة العربية عرفت (القمر) باسم (سين) ، والمعلوم أن هذه التسمية للقمر قديمة جداً وما زالت موجودة في

(١) مثال الأستاذ M. Rodenson ، الكتابات الصفوية ، سورس المجلد الثاني سنة ١٩٤٦

ص ١٣٧ - ١٤٢ .

(٢) Barton. op. cit. P. 204.

اللغة الآرامية الحاضرة . وقد سموه أيضاً (سهر) والمعلوم أن القمر بالآرامية الحاضرة يسمى (سهرو أو سهرا) . وما عدا ذلك فقد وجد المنقبون معبداً للإله (سين) في موضع من حضرموت يدعى (حريصة) ، ووجدوا بعض النقوش الحضرموتية تشير إلى أنه معبد الإله (سين) ^(١) ، وكذلك عبد القتيانيون الإله (عم حم) ومعناه شعب وقوم في الآرامية ، وهو أيضاً من آلهتهم .

وما يؤيد علاقة العرب بالآراميين أكثر من هذا مخالفة الأمير العربي (جندب Gindibu) لهدد عزيز ملك دمشق الآرامي على الملك الآشوري شلنصر الثالث الذي حاربهم سنة ٨٥١ ق . م في موقعة (الفرقار) شمالي حماة ^(٢) . وما لا شك فيه أن مخالفة مثل هذه تخلف وحدة والفة بين المتحالفين سواء من الوجهة الحربية أو الاجتماعية أو اللغوية الأمر الذي يؤيد اتصال العربية بأختها الآرامية اتصالاً متواصلاً .

وإذا وجهنا أنظارنا إلى الرقم التاريخية التي ظهرت نتيجة تنقيبات العلماء في خرائب المدن العربية المدرسة وغيرها ، نجد ما يدهشنا من العلاقات الوثقى بين العربية والآرامية ، وهو ما يؤيد تعاون هاتين اللغتين الشقيقتين في جميع عصورهما ، ويبرهن على استمرار الاتصال اللغوي والديني والاجتماعي بين ذينك الشعبين العظيمين . هذه قبائل ثمود وداراتها في شمال الحجاز ، فهي قد تركت لنا كتابات هامة نفيدنا في بحثنا هذا ، وقد تركتها إما في مواطنها هذه أو في غيرها ، ولوحظ أن خطوطها وتمايرها كانت مستعملة عند قبائل عربية أخرى ، كبلاد نجد وهضاب طور سيناء ، ولا يعلم هل انتقل هذا الخط من الثموديين

G. Gaton Thompson : The Tompes and Temble of Horeidha

(١)

« Hadramaut » 1944

Luckenbill. op. cit 1. sec 611.

(٢)

الى تلك المناطق أو القبائل ، أو أن الثموديين أخذوه منهم . ومهما يكن الأمر فالمهم في موضوعنا وجودها لا أماكنه .

وأهم رقيم من الرقيم الثمودية ، وتأريخه سنة ١٥٦ م^(١) ، نراه مزيجاً من الكلمات العربية والآرامية . واليك ذلك حسبما حله العالم لتمان وثبته بالحروف العربية . «دنه قبور صنعه كعبو ير حرتب للقص برث عبد منوتي أمه دو هلكت في الحجر شنة ماه وشتين وترين بيرح تموز ، وامن مرى علما من يشنا القبور دا ، ومن بفتح حشى بلده ، ولعن من يغير دا على منه » .

وترجمته في العربية : « هذا القبر صنعه كعب بن حارثة للقبض بنت عبد مناة أمه التي هلكت في الحجر سنة مئة واثنين وستين من شهر تموز ، ولعن رب العالمين من غير هذا القبر ، ومن فتحه يمس بأولاده (يحس) وامن من غير الذي كتب أعلاه » .

في هذا الرقيم ثمان وثلاثون كلمة ، عشر كلمات منها آرامية صرفة ، والبقية عربية وثمودية ، وذلك يؤيد ما نحن بصدد ، فكلمات « بر و برث و شنة و شتين وترين و بيرح و شنا و حشى » كلها آرامية ، وما عدا ذلك ففي هذا النص ورد عدد السنين بالأسلوب الآرامي وهو تقديم العدد الكبير على الصغير كقوله « شتين وترين » ، وعن الآرامية أخذت العربية هذا الأسلوب في العدد واستعمله العرب القدماء كثيراً .

ولدى تأمل بسيط في هذا الرقيم نجد العربية والآرامية متحدتين فيه كأنها لغة واحدة . وقد نجد رقماً أخرى غيره جرت هذا المجرى ، وربما جرى غيرها مجرى اللغة العبرية ، فمزج بين اللغات الثلاث العربية والآرامية والعبرية^(٢) .

(١) أي سنة ٢٦٢ وفقاً لتاريخ بصرى ، وكانت بصرى تؤرخ حوادثها من تاريخ القراض مملكة النبط سنة ١٠٦ م .

(٢) Semitic Inscriptions ١١٩-١١٥ وفي كتابه ص ٢٨ Thamudenische Inschriften

ولكن مما لا شك فيه أنه في القرن الرابع الميلادي كانت اللغة الأدبية لم تنزل اللغة الآرامية^(١) .

هذا ما يلزمنا قوله في صدد الرقم التهودية . وهو كاف لبدلنا على التلاقي الممكن بين اللغتين العربية والآرامية ، ويفسر لنا تأثير العربية بأختها الآرامية . وهناك في منطقة بين جبل الدروز وتلّول أرض الصفا (تسمى الحرة) وجدت كتابات عريفة كثيرة اتفق علماء الساميات على أن يسموها (الكتابات الصفوية) نسبة إلى الصفا حيث صاح كثيرون من المستشرقين فجمعوا قسماً عظيماً من هذه الكتابات وحلّوها أبجديتها ، ولكنها بقيت غامضة إلى أن زارها العالم (ليتان) وجمع منها أكثر من ألف وأربعمائة كتابة ، وعاد إلى بلاده ودرسها ، فتوصل إلى نتائج هامة عجز عنها غيره ، فحل جميع رموزها وفك معميات أبجديتها التي تتألف من ثمانية وعشرين حرفاً ، كما هي في العربية . ويعتقد الأستاذ ليتان أن هذه الكتابات ترجع إلى القرون الثلاثة الأولى بعد الميلاد ، وعرف أن أصحابها كان لهم اتصال بالمدينتي المعاصرة لأنهم يؤرخون بحوادث مشهورة كحروب النبط ، أو حرب الفرس مع الروم ، أو تاريخ بصرى^(٢) .

ان الكتابات الصفوية هذه هي بلا شك كتابات عريفة إلا أنها تحوي كلمات آرامية كثيرة ، وتذكر آلهة آرامية واصطلاحات آرامية لا عهد للعربية بها . ففي أحد النقوش الصفوية مثلاً كلمة (داد) معناها (عم)^(٣) وهذه مادة آرامية قديمة وإن كان لها نفس المعنى بالعربية .

(١) اللغات السامية ص ١٧٨ .

Littman (1) Zur Enturiferung der Sufa Inschriften
(2) Semitic inscriptions.

(٢)

Dussaud : Les Arabes en Syrie avant l'Islam

(٣) ص ١٣٨

وكذلك نجد في نقش آخر أسماء آلهة آرامية مثل (بعل شمين ، ودشر ، وشيع القوم) . ومعنى (بعل شمين : الهة السموات) و (أودشر دمر : حارس النبات) ، و (شيع القوم) من آلهة الأنباط وهو لا يشرب الخمر (دي لاشتا حمر) ، وقد اختلف المستشرقون في معنى هاتين الكلمتين ، فذهب (ليتان) الى أن الأولى (آرامية) والثانية (عربية) . وقال غيره إنها عريبتان ، أما نحن فنقول إنها كلمتان آراميتان ، الأولى مستمدة من فعل (حَصَحَ صَيَح) ومعناها عضد كـ (أبد ، نصر) لتساوي السين والشين في الأبيجدات الصغوية . والثانية (قوم) هي آرامية أيضاً وبالمعنى العربي المعروف (قوم ، شعب ، جماعة) ^(١) ومعنى الجملة المركبة (نصير القوم) .

وأنت ترى في هذه النقوش مادة آرامية لا تمت الى العربية بصلة ، وهذا ما يؤيد تلاميذ اللغتين الشقيقتين في هذه المنطقة أيضاً شأنها في غيرها . ومصادفاً لما ذهبنا اليه ان الأستاذ ليتان وجد في تحرياته الكثيرة للهِجَة الصغوية هذه مادة غزيرة غير مألوفة في العربية ، أخذت من الآرامية والمبرية ، ولاحظ أسماء أعلام كثيرة غير معروفة في العربية ، كما وجد أفعالاً غريبة عن العربية ، وأساليب أعجمية كلها استمدت من الآرامية أو العبرية أحياناً ^(٢) .

واكتشف الاثريان الفرنسيان فرديريك ماكليز Frederic Macler وربنه دوسو René Dussaud نقشاً مهماً آخر في منطقة الحرة نفسها ، في وادي السوط الذي يصب في وادي الشام بالنارة وذلك في الرابع من نيسان سنة ١٩٠١ ، وهذا النقش بالأبجدية النبطية وباللغة العربية تتخلله بعض كلمات آرامية واليك كلماته بنفسها ومقاطعها :

(١) قاموس منا السرياني المولي ص ٦٦٤ .

(٢) ليتان Semitic Inscriptions

- (١) تي نفس مر القيس بر عمرو ملك العرب كله ذو امر التاج .
 - (٢) وملك الاسدين ونزارو وملوكهم وهرب مذحجو عكدي وجاء .
 - (٣) بزجاي في حبيج نجران مدينة شمر وملك معدو ويمن بنيه .
 - (٤) الشعوب وكاهن فارسي لروم فلم يبلغ ملك مبلغه .
 - (٥) عكدي هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكسلول بلسعد ذو ولده .
- وهذه ترجمتها العربية كما قرأناها نحن بعد تحريات ومقابلات كثيرة باللغة السريانية الحاضرة وهي ولا شك الآرامية بثوبها الجديد :

- (١) هذا قبر امري القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذي عقد له التاج .
 - (٢) وأخضع الأسدين ونزاراً وملوكهم وهزم مذحج و (منعه أو عطله أو صده) وجاء .
 - (٣) شئت (بزج) وأسقط نجران مدينة شمر وأخضع معداً وسلط بنيه .
 - (٤) (على) الشعوب فسموا الى العلي فلم يبلغ ملك مبلغه .
 - (٥) وذريته وهلك سنة ٢٢٣ في اليوم السابع من شهر كسلول (كانون الأول) .
- فليسعد الذين خلفهم (فليسعد ولده) .

واليك شرح ذلك وتعليل مخالفتنا في قراءة هذا النص لجميع علماء الساميات الذين استعرضوه وترجموه حسبما تراءى لهم :

ان كلمة (تي) من استعمال قبيلة طي وهي ضمير الإشارة القريب للمؤنث ، و (نفس) بمعنى (قبر) في اللغة النبطية ، (وامرو القيس) لا حاجة لنا يبحث من هو لأنه خارج عن نطاق موضوعنا ، و (بر) كلمة آرامية بمعنى (ابن) و (ذو) بمعنى (الذي) في لهجة طي ، و (امر تاج) هي المعنى الدقيق للعبارة الآرامية ~~امرتاج~~ أي ربط التاج أو عقد له التاج .

وقد خالفنا العلماء بخمس نقاط من هذه القراءة ، واليك تعليل ذلك نقطة فنقطة :

(١) ان الكلمة التي قبل الأخيرة من السطر الثاني في النقش (عكدي) أثبتتها الدكتور ولفنسون^(١) كما يلي :

« وهزم مذبح بقوته » ، تبعاً لما قرأها الأستاذ ليدزبارسكي^(٢) ، وأثبتها الأستاذ م . رودنسون « تماماً » ، وقد أورد الأستاذ المشار إليه رأي جوزيف هالفي بأن لا تقرأ (عكدي) بل (كعدي) مقابلةً لكلمة الترجوم العبراني التي معناها حتى الآن (عد كدون) . إلا أنه نبذ هذا الرأي وقرأها تبعاً للأستاذ ليدزبارسكي (عكري) ، وذهب الى أن (عكري) في النص في محل (عكري) وهي - عنده - كلمة على وزن (فعال) من الأسماء المستعملة في معنى « الحال » . وهكذا تكون - بحسب رأيه الأخير - « عكار » تعادل « عكرا » أي أصلاً^(٣) .

أما نحن فنخالف الأستاذين ليدزبارسكي وولفنسون بكونها بمعنى « القوة » . وكذلك نخالف « هالفي » بكونها مستمدة من الكلمة الترجومية « كعدي » (حتى الآن) ونوافق الأستاذ رودنسون بقراءتها « عكري » . ولكننا نخالفه بكون معناها (أصلاً أو تماماً) ، ولدينا كلمة سريانية هي (حكة) بمعنى حجر ، منع ، عطل ، صد ، عاق^(٤) الخ . وما عدا ذلك نجد تقارباً شديداً بين (الراء والذال) في النبطية ، فيمكن أن تقرأ هذه الكلمة (عكدي أو عكري) وهو الأصح .

٢ - هناك كلمة (يزجي أو يزجاي) ، لقد أُلحق بها الأستاذ ولفنسون الكلمة الأخيرة من السطر الثاني وأثبتها هكذا : (وجاء الى يزجي أو فوجي)^(٥) ،

(١) اللغات السامية ص ١٩٠

(٢) ج ٢ ص ٣٥ Lidzbarski : Ephemeris

(٣) مقالة في سومر ، الكتابات الصفوية ص ١٤٧ العدد الثاني لسنة ١٩٤٦ .

(٤) قاموس منا السرياني للعربي ص ٥٤١ .

(٥) اللغات السامية ص ١٩٠ .

بينما قال الأستاذ م . رودنسون إن كلمة (بزجي) ليست قراءتها مؤكدة ، إلا أنه يأخذ برأي دوسو الذي يقرأها (بزجاي) أي (بتوفيق) ، إلا أننا لم نرتح لما أورداه ، ولدينا كلمة سريانية هي (ܒܙܝܝܐ) ومعناها (فرد . فرق . شت)^(١) فإذا جعلنا مطلع هذا السطر على النحو الذي أثبتناه أي (شت) ، (نجران الخ) يستقيم المعنى ، أو إذا أردنا أن نقول غير ذلك لدينا كلمتان سريانيتان يمكن تركيب كلمة منها ويستقيم المعنى أيضاً وهما كلمة (ܒܙܝܝܐ) بمعنى نهب ، سلب (ذل) ، وكلمة (ܒܙܝܝܐ) بمعنى (تعجرف ، تكبر) ، فنستطيع أن نقول أيضاً (أذل عجرفة نجران الخ) .

ونصر على رأينا بقراءتها (شت) لأن الكلمة السريانية مطابقة للمعنى ، ولأن الأستاذ رودنسون يؤكد أن قراءتها السابقة ليست مؤكدة بعد .

٣ - في السطر الثالث نفسه نجد كلمة (حبج) ، وقد أثبتنا الأستاذ ولفنسون (في حبج نجران) ، بينما قرأها الأستاذ رودنسون (حبج) بمعنى (حاصر) استناداً على ما ورد في شرح المحيط الذي يفسرها (دنا . اكتنف صار شديداً . حبج) (في محاصرة نجران) . أما نحن فنخالف الدكتور ولفنسون ونوافق الأستاذ رودنسون على كونها (حاصر) ، وتزيد على ذلك كلمة سريانية بمعناها ، وهي (ܒܙܝܝܐ) أي (صرع . أسقط . جندل) ، إذ يمكن أن 'تقرأ هكذا أيضاً لتقارب صورتني (الجيم) و (الطاء) في الأبجدية النبطية .

٤ - في السطر الرابع نجد جملة هي (وكله فرسو لروم) أثبتنا الأستاذ ولفنسون بقوله : (وكله الفرس والروم) ، بينما قرأها الأستاذ رودنسون (ونظمهم فوارس للروم) . ونجد اختلافاً بين القراءتين ، فالأولى تجعل (امراً القيس) (وكله الفرس والروم) فعلى ماذا وكله ؟ لا ندري . وفي

الثانية نجد (امرأ القيس) ينظم بنيه (فوارس للروم) . ولا يستبعد أن تكون علاقة لهذه القبائل العربية بالفرس أو الروم ، أو أن يجعلها أحد الجانبين حليفة له ضد الجانب الثاني ، إلا أن مما قيل عنه في الجملة التالية (فلم يبلغ ملك مبلغه) لا يظنه يجعل بنيه (فوارس) للروم أو لغيرهم ، وقد تختلط علماء الساميات في قراءة هذه الجملة ، وأورد الأستاذ روندسون آراءهم فقال : إن يبدو ومارتين وهارتيمان وكليرمون غانو ، وتبعهم دوسو أحياناً ، ذهبوا إلى أن (فرسو) تعني الفرس ، وعلى بيزر ذلك بقوله « لأن الفرس كانوا قد خذلوا القبائل العربية أمام الرومان » ، وترجم كليرمون غانو ذلك بقوله : « وانتدبهم لدى الفرس والرومانيين » ، والرأي الأول يفترض أن امرأ القيس كان تابعاً للرومانيين ، ويفترض الرأي الثاني أن هذا الأمير العربي كان يمثل دوراً مستقلاً على وجه المعادلة بين الفرس والروم ، ولكن « ليندز بارسكي » رفض الرأي القائل بأن (فرسو) تعني الفرس ، بل رأى أن كلمة (فرسو) تعني (الفوارس) جمع فارس ، واعتنق دوسو هذا الرأي أولاً ، وترجم الاثنان هذه الجملة بما ترجمها الأستاذ روندسون .

(يتبع) (الموصل) غريبوربوس بولس بهنام

مهرجان أحمد شوقي

درج مجمعنا العلمي العربي بدمشق على سنة حميدة في الاحتفاء بعلماء العربية وأدائها ، وتكريمهم وتأييدهم ، من قدماء ومحدثين ، فأحيوا لهم حفلات عدد فيها محاسنهم وخدماتهم للغة العربية وآدابها ، وذكر أبايدهم على الثقافة ، ووفاءهم حقهم في التعريف والتكريم والنقد . وقد قام بتأبين الأستاذة الشيخ طاهر الجزائري ، وأحمد كمال المصري ، ومحمود شكري الآلومي ، ومصطفى لطفي المنفلوطي ، ومحمد حافظ ابراهيم ، وأحمد شوقي ، ومحمد رشيد رضا^(١) .

وخص من القدماء المتنبي والمعري بحفلات ألبية ، كانت مهرجاناً للشعر والأدب ، تكلم فيها المستشرقون والعرب في فضل الرجلين خلال أسبوع لكل منهما ، فكان الأسبوعان عكاز الشعر والخطابة . وقد طبع المجمع مهرجان المعري في كتاب جمع فيه ما قيل عن فيلسوف المعرفة وشاعر العرب سنة ١٩٤٥ ، بعده النقاد مرجعاً نافعا في هذا الباب ، وبذكره القراء للمجمع بالحمد والثناء ، ويرجون أن يعمد إلى طبع ما قيل في المتنبي لمهرجانه ، في كتاب مستقل خدمة للأدب وتخليداً للشاعر الفحل الذي ينطق شعره بكل جنات ، ويتحدث بكل لسان ، ويرفع للشعر العربي مناراً بين الأمم على الأزمان والأوطان .

ودرج المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالقاهرة ، على خطة حميدة كذلك ، فعمل على تكريم الشعراء والأدباء والفنانين الذين

(١) راجع « تاريخ المجمع العلمي العربي » تأليف الأستاذ أحمد الفتوح ، دمشق ١٩٥٦ ،

بالصفحات ٨٢ - ١٠٨ .

رفعوا للفتنا وآدابنا وفنوننا علماً بين أعلام العالم . فقام باحياه ذكرى الشاعر محمود سامي البارودي ، ثم باحياه ذكرى محمد حافظ ابراهيم^(١) ، ونشر ما كان في المهرجانين من كلمات ودراسات وقصائد في كتابين اثنين .

وقام المجلس هذا العام باحياه ذكرى الشاعر الخالد أحمد شوقي في مهرجان حافل ، لمرور خمس وعشرين سنة على سكوت هذا البلبل الذي غردت قوافيه بفضل العرب والإسلام ، وجلجلت قصائده في ذكرى مصائبهم وأفراحهم ، فكان ديوان العرب في كل قطر . ودعا المجلس إلى إقامة هذا المهرجان في القاهرة من ١٥ - ٢٢ تشرين الأول ١٩٥٨ (أكتوبر) ، وندب له من الأقطار العربية خطباء يتكلمون في عميد الشعر العربي للقرن العشرين^(٢) . وكانت القاهرة خلال هذا الأسبوع موضعاً لتلاقي رجالات الأدب من العراق ولبنان واليمن والجزائر والمغرب والسعودية والسودان والجمهورية العربية المتحدة باقليمها السوري والمصري .

وكان موضع المهرجان القاعة الذهبية بقصر محمد علي السابق (في المنيل) ، وهي قاعة جميلة موققة ، تزينت جدرانها بالذهب ، وطلبت أعمدتها بأجمل النقوش الفنية والمصاييح الزاهية ، وكسبت على جدرانها أبيات البوصيري في مدح النبي الأعظم ، وزها سقفها برائع الوشي والحلي ، فكان شوقي يعيش بروحه من جديد في قصور الملوك من أبناء اسماعيل ، يشهد تكميم الأدياء لنبوغه واحتفاءهم بذكراه .

وكانت ساعات الاحتفال من السادسة مساء حتى الثامنة أو التاسعة ،

(١) طبع ذكرى حافظ ابراهيم ، سنة ١٩٥٧ بالقاهرة ، في ٢٥٤ صفحة متوسطة .

(٢) اعتذر عن المشاركة في هذا المهرجان الدكتور جيل صليبا بسبب انشغاله في رئاسة الجامعة بدمشق آنذاك ، اعرم المستمعين من كلمة رصينة في هذا الباب .

خلال أربعة أيام ، تكلم فيها الأدباء في موضوعات معينة من جوانب الشاعر ، كل فيما يخص به ، من غير أن يكون ترديد أو إعادة على قدر ما يستطيع المتحدث في شوقي التزام جانب دون العدوان على جانب آخر .

وكانت حفلة الافتتاح برعاية الوزير المركزي للتربية والتعليم ورئيس المجلس الأعلى سيادة كمال الدين حسين ، فافتتح المهرجان بكلمة قوية ، تحدث فيها عن أثر شوقي في العرب والعروبة ، ورأى في ديوان الشاعر برهاناً من براهين قوميتنا ، ودليلاً لأمانيتنا ، ورائداً لكثير من المكافحين في أقطارنا فقد كان نداء الثورة الصحيحة ، وكان على قربه من الحكم ينتهز كل فرصة خيرة في خدمة أمته ، يعبر عن أمانيتها وإحساسها فيرمم الصورة التي ينبغي أن تكون للمثل الأعلى العربي ، ولم يكن في العربية منذ عهد المتنبي والمعري شاعر مثل شوقي يتغني بشعره كل عربي ، لأنه كان شاعر العرب في كل قطر من أقطار هذا الوطن .

وتكلم بعده الكاتب الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد ، عضو مجمعنا العلمي ومقرر الشعر في المجلس الأعلى ، فالتفت إلى شوقي ليقول فيه : « كان علماً للمدرسة التي انتقلت بالشعر من دور الجمود والمحاكاة الآلية إلى دور التصرف والابتكار ، فاجتمعت له جملة المزايا والخصائص التي تفرقت في شعراء عصره » وبذلك فضله على شعراء زمانه بعد أن ذكر مزاياهم جميعاً . وتحدث الناقد الشاعر عن فضل شوقي في التاريخ والمسرحية والمواظ والأمثال ، وشهد بأنه « كان علماً لمدرسة الشعر في مطلع النهضة الأدبية » . ولكنه رأى أن شوقي كان رسول « شعر النماذج » ، وآيته « تلك القدرة الباهرة في تجويد الصناعة التي لا تفوقها قدرة في عصره » ونكاد نقول في عصور الأقدمين والمحدثين .
وانبرى مندوبو الدول العربية ، يفتتحون باسم أقطارهم هذا المهرجان

فيذكرون فضل شوقي وأياديه على أهلهم وربوعهم ، فكانت كلمة لمندوب الجزائر الشيخ محمد بشير الإبراهيمي ، عضو مجعنا ، الذي أثنى على فضل شوقي وعُتِبَ عليه «مدحه لفرنسا وافتنانه بحضارتها المزينة» . ثم تعاقبت كلمات لبنان واليمن والجامعة العربية ، والعراق والسودان والمغرب والسعودية ، فقصيدة للشاعر محمود عماد ، ثم دراسة للأستاذ أحمد التاجي مندوب الجامعة العربية في «شوقي والعروبة» تحدث فيها عن فترات النضال وموقف شوقي من الاستعمار ومن كفاح العرب في الوطن والمنفى ، وأباديه على الأبطال المكافحين من العرب ، وخدمته للقومية العربية وتحسسه بجراح أمته في نوائبها . ثم جاءت قصيدة شاعر الشام الأستاذ شفيق جبري ، عضو مجعنا العلمي ، وعنوانها «شاعر العرب» فهزت القلوب وأثارت الإعجاب ، فقد كرمت شوقي وأشارت إلى عبقريته في ديوانه وصنيعه للعرب وموضعه من الشعر العربي (وهي منشورة في هذا العدد) .

وفي اليوم الثاني ، تكلم الأستاذ جمال الآلوسي مندوب العراق ، عن

«شوقي في الشعر العراقي» فذكر ما وقع من تكريم وقول وحفاوة بشعر شوقي وأدبه على السنة الأدباء والشعراء في العراق ، وما تحدثت عنه الصحف خلال الأحداث التي مرت بشوقي بعد وفاته ، فقل في أمانة ودقة وجميل صبي صدى الشاعر في الرافدين وأثره في أدب العرب بهذه الجمهورية الفتية . وتحدث الأستاذ عادل الفضبان عن «نشأة شوقي وأطوار حياته» فرسم شريطاً حياً في ألوان زاهية من الأدب ، مراحل الشاعر منذ الفجر ومطلع الشباب ، فالجهاد في سبيل الوطن ، فعودة البابل إلى مغناه ، فمرحلة الأصيل حيث غاب سيفه هوة العدم . وأنشد خلال هذه المراحل شعر الشاعر في حنان وموسيقا وبراعة كما ينشد الشاعر قصائد أيه الشاعر ، وينتقد مكانه من سدة الشعر . ودرس الدكتور محمد مندور «مسرحيات شوقي» وعرض للتاريخ والمراجع والمزايا ، وأثار رأي الغرب في المسرحية وموقع شوقي من الفن الدرامي ، وكان في ذلك

مثال الأستاذ المحاضر والدارس المتمكن والناقد الفني . وعرض الأستاذ عبد الرحمن صدقي « حياة الشاعر من شعره » منذ ولادته حتى الوفاة ، فاستخلص ما كان للرجل من قوة وتجديد في أبواب الشعر والمسرحية ، وما كان من أثر الغرب في قصائده وآثاره في تفصيل طويل وشواهد شعرية كثيرة أنشدها عنه الأستاذ عادل الغضبان . وتكلم بعده الدكتور علي جواد الطاهر مندوب العراق عن « اللوحة في الشوقيات » فقال ان شوقي كان يستعين بالمبالغة ، وان وصف الطبيعة عنده ليس على درجة عالية « وان كثيراً من لوحاته التي حاول أن يجمع على سطحها أكثر من منظر واحد أقرب إلى الكليشة والفوتوضراف منها باللوحة » . ورجع إلى النقاد القدامى فرأى أن مهمهم كان ينحصر في الجزء الصغير من الصورة مما ينطوي عليه البيت الواحد ، وأن هذا ظل قائماً في دراسائنا الحديثة . وشوقي « لا يبدو أنه تأثر بالشعر الغربي وبالرسم الغربي » « وانما هي مبالغات تكاد تكون تعليلية » يقولها التلميذ في وصف أيّ واد بل أيّ منظر من الطبيعة يطلبه المعلم في درس الإنشاء .

وفي اليوم الثالث ، تكلم الأستاذ علي الجندي عن « الفنون البلاغية في شعر شوقي » فعدّد الألفاظ والمفردات والصور التي تدل على هذه الفنون ، وعدّد الحلي البدعية ، وأخذ على شوقي بعض أخطائه في هذا الباب . ثم كانت كلمة الأستاذ طاهر الطناحي « ذكريات عن شوقي » روى فيها أخباراً أدبية جمعها عن شوقي ، فقد عرّفه منذ ثلاثين عاماً ، وفي هذه الأخبار أحاديث طريفة وآراء جديدة بالذكر والتثوية والجمع ، وخاصة فيما كان بين شوقي ومصطفى كامل . وفي كلمة الدكتور محمد صبري عن « التاريخيات والوطنيات في شعر شوقي » تطرق الباحث إلى دراسة الديوان من ناحية التاريخ والآثار المصرية ، ووازن بين الشعر والعلم ، وعرض للأحداث التاريخية ونظر إلى ما يطابقها في الديوان . وجمع ما قال الغربيون وما وصفوا من هذه الآثار ، ثم رسم ما كان في المسرحية ،

فاستوفى دراسته وأطال البحث في تتبعه ، فجمع بيان الأدب إلى دقة المؤرخ في موضوع لبس باليسير ولا بالهين .

وفي اليوم الرابع ، تكلمت عن « الوصف والغزل في شعر شوقي » فعرضت لألواح الوصف عنده من أحجار وأنهار وآلات ، وبسطت الغزل على ألوانه في الديوان والمسرحيات (وهي منشورة في غير هذا المكان) . وأنشد الشاعر إبراهيم الواصل مندوب العراق قصيدة في الوفاء لمصر والربوع التي عاش فيها ودرس في جنباتها وتغنى بالثورة في العراق ومصر ، وأثنى على يد شوقي في خدمة العرب والراغبين . وكانت كلمة الأستاذ كامل الشناوي « ذكريات عن شوقي » صفحات طيبة اقتطفها من فصول الحياة لا ترونها صحيفة ولا يوردها كتاب ولا يحويها إلا صدر هذا الأدب ، وهي تنير السبيل إلى كثير من دقائق عبثه وظروف نظمه ، وصلات شوقي بمجتمعه ، فهي جديرة بالجمع والحفظ . وتكلم الدكتور شكري فيصل عن « نثر شوقي » فتحدث عن النثر المطلق ، وأبرز صفات السجع وألوانه ، وما يثير في نفسه من نفرة ، ورأى « أن شوقي الشاعر غطى على شوقي النثر ، كما كشف عصر شوقي المطلق المرسل شمس السجع التي كانت متوهجة » ؛ وعلى هدي هذا راح يتحدث عن مسالك النثر عند شوقي في آثاره ، وعرض لأسواق الذهب ووازن بينها وبين مقامات الزمخشري ، ثم مال إلى بواعث السجع وموضوعاته وعناصره ، فقسم العناصر ووصفها ، ورسم الأسلوب في الآثار الفنية ، فانهى إلى « أن شوقي أراد من السجع كما قال حلالة الفواصل وهدبل الحمام بأكثر مما أراد إلى القيد والتكلف والالتزام » (مما تجده في غير هذا المكان) .

وختم المهرجان بزيارة بيت شوقي « كرمة ابن هاني » والحج إلى قبره بالقرافة قرب المقطم ، وانتهى بحفلة شاي خطب فيها سيادة يوسف السباعي سكرتير

المجلس الأعلى فاقترح بأن يكرم الأحياء كالعقاد وطه حسين وتوفيق الحكيم
وأم كلثوم ليروا بأنفسهم وفاء الأمانة لصنيعهم وأقلامهم ، وانفضت الوفود على
اقتراحات مكتوبة في المحل للديوان وصاحبه وفاء لأيديه وإكباراً لشاعريته .
وهكذا ، كانت الحديث في شوقي منشعباً يمثل أدب القائلين وآراءهم
ومذاهبهم ، ونظراتهم إلى الشعر والنقد والدراسة والخطبة ، بحيث تصلح أقوالهم
أنفسها موضوعاً لتعليق أو بحث لسنا في صدد الآن ، وإنما همنا أن نصور
المهرجان كما كان ، وأن نرجو للعربية شاعراً يسد المكان ، ويقوم في غمرة
الأحداث التي يمر بها العرب من ثورة وانتفاضة ونهضة بما قام به شوقي في
ظل الأسوار والأغلال والكبت والجور ، فيعيد على مسامعنا شعراً كشعره
خالداً على الزمان .

الدكتور سامي الدهان

شاعر العرب^(١)

ما الذي هتج الحمى والعربا أنسيم من شاعر العرب هبّا
فمشوا في مواكب الفنّ زهوا وتهادوا على المواكب عجباً
أخذت فيهم الأغاريد والاعــــن فراحوا منها نشاوى شرباً
سائل العرب يوم كان دويّ الشعــــر يزجي الى المعالي العربا
كتبوا المجد بالسيوف وبالشعر فكان القريض أخلد كتباً
لغة القلب طالما خاطب القلب فبرز الشعور جنباً جنباً
تارة يملأ المدارك جدّاً وتراه يفيض حيناً لعباً
يبسط السلم إن أردت سلاماً وبشّب الحروب إن شئت حرباً
قد تحول الصحراء في روعة الشعــــر فتغدو منه حدائق غلباً
كرّم الله دولة كرمته فما في ظلالها وأستتباً

**

ايه شوقي ! لو كان للشعر ربّ جعلتك الأذواق للشعر ربّا
ياغذاء القلوب إن تجذب الأر ض فلسنا نظنّ فيك الجدبا

(١) قصيدة الأستاذ السيد شفيق جبري عميد كلية الآداب في الجامعة السورية وعضو المجمع العلمي
المرني بدمشق ألغها في مهرجان أسبوع شوقي في القاهرة في تشرين الأول ١٩٥٨ .

شاعر العرب كان شعرك حيناً كنسيم الصبا وحيناً عضباً
كلما طال عهده وتراخى رفّ في مسمع الزمان وشبّا

*
*
*

كم هزّزت الرجال في ثورة الشام فتاروا ولم يبالوا الخطباً
نفخت فيهم القلائد روحاً جعلت في الشدائد الموت عذاباً
فاستطاروا مثل الرياح إلى الموت فكاثوا فيه رياحاً نكباً
فنفضنا عن المربع ضياءً سال فيه النجيم مزناً وسحباً
غصبوا الشام واستباحوا حماه ثم طاحوا وما تملّوا غصباً
كيف ندى في غوطة الشام يبروماً كنت فيه نوراً وكنت اللهباً
جأت بالشعر جولة فحسبنا طيف مروان في النواظر دبا
وكأننا نرى الخلافة تختال وملكاً مع الخلافة صلباً
هكذا الشعر ثورة كلنا هاجت شعوب أوحى اليهم غلباً

*
*
*

ضحك الشعر في بيانك وابيضّت حواشيه ما أنشاهد كرباً
نفدا مسرح الأطباء اذا ما نداء سرب فتنت منها سرباً
غزل ينفذ القلوب فتلقي بهواها فيصبح القلب صبّاً
فتظلم العيون تنمز غمراً وتظلم الشفاه ترضب ورضباً

ويكاد النسيب ينطق سحراً ويكاد الهوى يشقّ الحجباً
وترى قبة النغور على الحدّ وتلقى مزاحها والدعبا
يتلاقى العناق والضمّ والشمّ وهـدب يلزّ فيها هدبا
لا تلمّ الشباك من كل درب لم تغادر في غمرة الحب دربا
لو يسيل الهوى خلال القوافي سلسبيلاً غمرت منه الهضبا
قد ملأت الشباب حباً وفاضت جارة الوادي في فؤادك حبا
فاذا جفت في الشيوخ هوام هجت فيهم هوى الشيوخ فأبا
فتنادوا إلى الكؤوس وصاحوا هاتوا يانديم صرناً وصبا
أنت لا تدري ما تكنّ الليالي ان توات وما تكون العقبى !

**

أدموع بأرض أندلس جـدت بها ، روت روضها والتربا
فكأنّ العيون تلمح شجواً وكان الآذان تسمع ندبا
أم غناء كالعندليب طوى الأَرْض فخلنا بعد المنازل قربا
فكان السنين لَمّا ترامت وثبت نصب أعين القوم وثبا
فرأينا القصور تلمع في الليل فتهدى فوق البطاح الركبا
وقطعنا الرياض بين رفيف الدوح نجتاز سروه والدلبا
ولسنا النعيم في جنة الأرض يروي الشباب شعباً شعبا

فبكينا ملكاً تقاذفته الليالي غرسوا فوقه القنا والقضبا
ركبوا الموج والعباب وطاروا يقطعون العباب كتباً كتباً
رفعوا الملك والحضارة والنفن وكانوا الرحي لها والقطباً
فهموى الملك والدموع ترويه وساءت تلك الأوائل غيباً
وكذاك الأيام تعصف بالناس ويبقى ما أودعوه الكتب
صور تقطر البلاغة حتى تحسب الصدق في البلاغة كذباً
كلما رث أو تقادم عهد جدد الشمر وشبهه والعصبا

**

كذب الدمع ما وفي حثك الدمع . وان ماج كالحضم وأرني
قد حبوت التاريخ ما ليس يبلى لؤلؤاً من لآلي الشمر وطباً
نشهدنا فرعون قد نقض القبر وهز الأحقاب حقبة حقبة
وأثوه بالأكل والشرب حتى وأت العين أكله والشربا
لبست مصر من بياذك برداً لم تده الأيام إلا رحباً
هدرت كالعباب تحطم قيداً أنقض الظهر حمله والصلبا
فتغنيت بالهدير فهاجت لم يقل الحديد منها غربا
وقفت كالأهرام في ثورة الضيم وطالت سماءها والشبها
وانتني الضيم عن حماها ونالت من رقاب العدو طمناً وضرباً

ثورة في الديار غنى بها الشعر وألقى غراسها والحبها
 فزكا غرسها وطاب ثراها وسقاها الإيمان هطلاً وسكباً
 أكلتك الذئاب إن لم تكن في ثورة العرب والعروبة ذنباً

ايه شوقي ! أسمع صيحة العرب وقد دوت الصوت شرقاً وغرباً
 مادعونا إلهامك السمع إلا حشد السحر والبيات ولبي
 لبتك اليوم في الجماهير والشعب تغني جمهورنا والشعبا
 فإذا ماسجبا فؤاد ولب هجت منا فؤادنا واللبا
 إرم عنك الأكفان واطرح ثرى القبر وشاهد ملكاً على النيل رحباً
 تلتقي الشام فيه تراباً لمصر كل ترب يشد في الملك تراباً
 وغداً ترحف الديار ديار العرب تحت الدرفس روحاً وقلبا
 إنما العرب وحدة فاذا حال عدو كانوا عليه إلبا

درجوا حقه وأوطانهم أيدي سبها والخيرات في الأرض نهى
 وعليهم سلاسل من حديد تمنع الأسد صولة ومهباً
 فكان التاريخ لم يلاؤه روعة أو لم يلاؤوا الدهر رعباً

لا تعدّ السيوف غير فتوح لهم في مناصب الأرض ذنبا
صحبوا اليمّ والبطاح وهمّوا أن تكون الجوزاء يوماً صحبا

✧ ✧

سيّد الشعر! هل ترى ربك اليوم يشقّ الحديد إربا
بعثوا من مدافن العزّ تاريخنا فما عزه غناء وخصبا
فكأننا نرى ابن حمدان يثني الروم جرّاً عن الحمى أو سحبا
هكذا المجد هبة سلك العرب إليها دربا على النار صعبا

✧ ✧

نم هنيئاً يا مرسل الشعر نوراً شمع القلب من سناه وعبّنا
أرأيت البيان والحر منه أيّ مجد نبى وجيل ربّى !

شفيق جبري



الوصف والغزل

في شعر شوقي^(١)

ولدت دنيانا من سحر خالد ، وفننة لا تنفد ، فعشقها الناس على العصور ،
وتعلقوا بها تقديساً وإكباراً ، وهتفوا باسمها سرّاً وجهاراً . استبذت بمقول
الفلاسفة والمفكرين وعبثت بقلوب الشعراء ، فحملوا قيثاراتهم بغنون على أوتارها
أناشيدهم كترانيم تتصاعد عبر التاريخ شذى يعطر الكون ، وموسيقا تسحر
الآذان ، فكأنها جوفات من لغات تتألف بالسحر والإلهام ، وتجدد بالخلود
والعبقريّة لأنها لغات القلوب ، نبعت من اللهجات واجتمعت على صلوات .

وهذه اللغات العالمية تجمع الشعراء من كلّ حذب وصب ، في ذرى
(أوليب) الشعر حيث تتلاقى أرواحهم وتحدث ، في جوّ عطر مسحور ،
ثم تعود إلى الأرض لتحمل من أجوائها أناشيد علوية ، تفهمها حيناً على وجهها
وحيناً آخر على وجه مختلف ، فتنبأين نظراتنا ومقاييسنا في الإحساس بها وفي
تذوقها ، ومن هنا جاء الاختلاف بين النقاد ، فليس للشعر العالمي تعريفات
أو موازين يقاس بها الشعر ، كتعريفات الأشياء الجامدة الملموسة أو موازين
الآلات الموسيقية .

وقد اجتمع في رحاب الشعر العالمي عرب وعجم ، مشارقة ومغاربة ، قدماء
ومحدثون ، لأن الشعر يعلو على الأجناس والعروق ، والأوطان والأزمان ،
واشتركت بذلك أمتنا منذ قرون على السنة النوابع الخالدين ، ودوت أغانيها
في تقديس الطبيعة الفاتنة ووصف المرأة الجميلة فخلف أجدادنا ألواحاً خالدة
في الطبيعة الميتة والطبيعة الحيّة ، سمّاها النقاد وصفاً وسموها غزلاً ، ولكنها

(١) الكلمة التي ألقيت في مهرجان أحمد شوقي بالقاهرة .

في واقع الأمر الى باب واحد ينفذ إلى تقديس الجمال أنى وجد وتصيده
أنى كان .

وهذه الألواح العربية تشير إلى أن العرب فتحوا قلوبهم للطبيعة والمرأة
وتملأوا منها جميعاً ، كما فعل شعراء الأمم ، فأرسلوا الدموع في بكاء الديار
والأحبة ، وسكبوا نفوسهم على ترائب الحجر وترائب الغيد ، وخفقت قلوبهم
لنسايم الغدران ولقاء الحسان ، فكان منهم ديوان ضخم موسيقي جميل ،
منسجم في معناه ، متقارب في مبناه ، كأنه خرج من عشيرة واحدة وقبيلة
واحدة على تعدد أقطارنا وسعة أمصارنا ووفرة عصورنا .

وهذا الديوان في الوصف والفزل واضح الملامح ، بسيط ليس فيه تعقيد
أو التواء أو تفلسف أو تشكك ، تسيل فيه نفوس المحبين جزعاً للبعد وحرقة
للوجد ، وحذراً من الحساد ، وخوفاً من الوشاة ، وإعجاباً بالروعة ، ونشوة
بالدهشة ، واكباراً للنقش والفن ؛ يصور القرون الأولى في جمال الحب
وبساطة الرسم ، على خطوط لا ظلال لها في أكثر الأحيان ، وسطور ناصعة
لا غموض وراءها ، لأنه غناء وإنشاد ، والفن يفسده التعقيد والشرح والتفلسف .
ولعل شوقياً 'فثن مبكراً بجمال الشعر وجلاله ، فعكف على قيثارته بأوتار
ضعيفة أول الأمر ، عكوف العاشق العابد ، يتمنى أن يصبح في الشعراء ،
فقدم قلبه قرباناً ، وسفح روحه على مذبح الشاعرية ، وراح يفسد ويترنم ،
فيتعثر ويتعثر ، ثم ينهض ويستوي ، ثم يقف للفحول ، فيقع منه ديوان
كبير فيه الرفيع والعادي ، كما في دواوين غيره من الفحول . فمن الخير أن
'ينتقى وأن 'يتنخل ، وأن تستشهد بالخير منه في يوم ذكراه . فقد كسب
العرب قانونياً طلق الأحكام ، وتردب الدساتير والمواد ، ليدخل في ربوع
الخيال ، ويعيش بين صرايح الجمال ، ويكون منه في الحب والوصف ما كان .

ولقد وهبه الله لساناً لا فظاً ، وروحاً ملهمة ، فعاش بقلب كثير الخفوق ،
وعينين حالمتين في رجرجة وفي حركة عجيبة ، وصدر عامر بالشعر يهيج بما يحفظ ،
ويثور بما يضطرم في نفسه ، حتى سالت في أحنا قلبه معاني القدماء مع المعاني
الجديدة ، فأصبح كأنه صورة للجيل من الأدباء الذين عاصروه ، بل صورة
الأدب الذي يعيش في أيامنا ، يتجاذبه تياران يتأرجح عليهما بين الشرق والغرب .
واقعد حاول شوقي أن ينطلق بالأدب العربي الى ميادين الشعر الغربي ،
ورعد مخلصاً بأن ينقلنا إلى مرابعه ، ولكن الشعر العباسي كان يجذبه إلى أحضانه
ويلفه بخياله ، فعاد به إلى تاريخ العرب وأجادهم وصورهم أكثر الأحيان ،
فكان لثقافته في الصبا والشباب على أبدي العباسيين أثر بعيد فيما نظم وفيما أبدع .
لذلك وقف أمام مشاهد الغرب كما وقف أمام مشاهد الشرق بنظر إلى
القصور والأحجار والحدائق والأنهار ، وإلى السماء والماء ، بعينين يدفعهما الحنين
أكثر ما يدفع إلى الماضي العربي ، فيقفات عنده ، ويستعيدان صورته العزيزة
الغالية ، سواء حين نظر شوقي إلى تماثيل مصر وقصورها أو تماثيل الغرب في
باريس ومدريد واستانبول . حتى قيل : إنه لم يفد كثيراً من مقامه بين
الشعراء الغربيين في قلب الحي اللاتيني إلا كما يفيد المتنقل في قطار مربع
من مشاهد الطريق .

ونحن حين نسعى إلى جمع ألوانه في الغزل والوصف واختيارها من متحفه
الواسع ، تقع على أناشيده في أمنا الأرض^(١) ، وفي بناتها الحسان العبقات
قد انتثرت في سماء ديوانه كالنجوم . وصوره الوصفية كثيرة في هذا الديوان ،
لأنه كان في أكثر شعره يركب على عبارة مجنحة الخيال وصفية التركيب
لصفحة الصورة .

ولهذا سنتخذ بعض المقاطع الخالصة للوصف والغزل شواهد للحديث عن

(١) انظر « لزوم ما لا يلزم » لأبي العلاء المبري ، في صدر الكتاب .

توفيته في هذين البابين ، نحشدها باقية لذكراه ، بعد أن قضى الجسد ، ومات
الجسد ، ودُفن الحقد ، وأصبحت روحه في الخالدين ، ترفرف في مرابع الشعر
العربي وقمعه ، مع رصيفاتها من عهد الوليد وسليمان بدمشق ، والرشيد والمأمون
بيفداد ، وآل حمدان ومرداس في حلب ، وملوك الطوائف في الأندلس .
والغرييون يقولون : يحسن أن ينبغ في القطر شاعر ولو تأخر به الزمان فيحسب
من خبراته وبعده من حسناته يوم الحساب .

ولعلكم تأذنون في رحلة قصيرة الى متحف شوقي ، نستعرض فيها أجنحة
الوصف ، فننظر الى ألوانه في القصور والأحجار قبل كل شيء ، لنرى كيف
صنع وكيف رسم . فقد وقف أمام أبي الهول بثقتي^(١) :

أبا الهول ويحك لا يستقل مع الدهر شيء ولا يحتقر
تهزأت دهر أبديك الصباح^(٢) فنقر عينيك فيما تقر
أسال البياض وسل السواد وأوغل منقاره في الحفر
فعدت كأنك ذو الحبس — قطع القيام سلب البصر
كأن الرمال على جانبيك وبين يديك ذنوب البشر
كأنك فيها لواء القضا ، على الأرض أو ديدبان القدر

فرسم أبا الهول في قلب الصحراء الصامته على مقربة من أبواب الأهرام ،
رابضاً يحرس الكثر الخبوء والأجساد الغالية ، ناشب الظفر في هدوء المتوئب ،
والقرون تمر ، والعوادي تجري ، والحروب تنشب حوله ، فتجدع أنفه وتسلب
عينه ، ويندو قطع القيام ، قعيداً ، لا يريم يسمع اللفظ الدائر حوله في

(١) النوقيات ١٠٥/١ .

(٢) ديك الصباح يريد به الزمن .

لغات ما عرفها حين كان أصحابه ، واستببح حماه ، وكان السيد المهيب فأصبح
منالاً لكل زائر .

فاتخذ منه العبرة الجميلة والصورة البديعة ، وكان يستطيع ، إلى ذلك ،
أن يرسم الأسد وجشومه ، وأن يصف الروعة المائلة التي يلقاها زائر أبي الهول ،
وأن يأمر له ، وأن يرثي لحاله وقد شدّ إلى الصخر أسطورة خالدة على الأيام .
فلما عاد إليه بالذكى وهو في الأندلس صنع لوحة أخرى لهذا التمثال بقول فيها ^(١) :
ورهن الرمال أفطس الآ أنه صنع جنة غير فطس
تتجلى حقيقة الناس فيه سبع الخلق في أسارهم إنسي
ركبت صيد المقادير عينيهِ لنقد ومخليه لفرس
فأكمل في هذه اللوحة ما نقص في الأولى ، ودرم الأنف وذكر المخليين ،
وقربنا من الأسد ، ثم عاد ليقول مع البحري إنه صنع جنة لهوله وعظمته وبارع
صنعه ، كما قال العرب حين أذهلهم البنيان وأدهشهم أن يكون من صنع الإنسان .
وليس من سبيل إلى لوم شوقي ، فقد أراد أن يقف للأقدام وأن يعارضهم ،
وأن يعدّ فيهم ، وليس ذلك بالقليل ولا الهين في مثل عصره .

فاذا وقف أمام حمراء الأندلس ، لبس ثوب البحري حيال إيوان
كسرى ، فأنعظ كذلك بالتاريخ ، وتأمّن للامتحانات ، وبكى الماضين ، فرمم
الأعمدة المستوية كأنفات الوزير في طرس ، وقاعة السباع خالية إلا من
أشبال تجمعت حول فوارة جميلة ترسل الماء حبيا ، تنشد على الزمان حزينة
كثيرة فيقول ^(٢) :

(١) الشوقيات ٥٦ / ٢ .

(٢) الشوقيات ٦٠ / ٢ .

وترى مجلس السباع خلاءً مقفر القاع من ظباء وخنس
مرمرٌ قامتِ الأسودُ عليه كَلَّةُ الظَّفَرِ لِينَاتِ المَجَسِّ
تنثر الماء في الحياض جمانًا يتنزى على ترائبِ مُلْسٍ

وهذا جانب واحد من الصورة ، لم يعرض فيها شوقي ما قام من نقوش على الجدران ، وما اختلف الى الأعمدة من جمال اللون وتعاقب النور والظل ، وما سال تحتها من ماء ، وما حَفَّها من خرير وهمس ، فكأنه لم يستوح الأندلسيات وقد رعت أشباحهن في كل زاوية ، وتساعد غناوهن بموشحات تسمعه الآذان عبر التاريخ . ولكن الشاعر - كما نرى بعد قليل - لا يرسم كل شيء ، وإنما يركز عدسته على أمر واحد دون سائر الأمور ، فكأنه يرسم الأشياء من وجه واحد مسطحة - كما يقول المهندسون - .

واذا دلف الى « أسوان » ووقف أمام « قصر أنس الوجود » ، ترك في لوحته عنه ما أدهشه من جمال وجلال فقال ^(١) :

أيها المنتحي بأسوان داراً كالترّيّا تريد أن تنقضا
اخلع النعل واخفض الطرف واخشع لا تحاول من آية الدهر غضا
قف بتلك الفصور في اليم غرقى ممسكاً بعضها من الذعر بعضاً
كعدارى أخفين في الماء بضاً ساجات به وأبدين بضاً
مشرفات على الزوال وكانت مشرفات على الكواكب نهضا
شاب من حولها الزمان وشابت وشباب الفنون ما زال غضا
رب نقش كأنما نقض الصا نع منه اليدين بالأمس نقضا

وهي صورة جميلة بارعة تصف الأشجار تتماصك من الدهر خوفاً من الفرق ،
وقد أشرفت على الزوال ، فكأنها عذارى أخفين بضاً وأظهرن بضاً . ثم عرض
للفن فرأى أنه لا يشيب مع الزمان ولا يهرم مع الدهر ، ومهارة الصانع ما تزال
تبهير العين على تقدم الفنون ، وتُسبَدُ بالأكبار والدهشة . وهذه اللوحة من أجل
ما يزين متحف شوقي في الوصف ، بل هي آية أوصافه في الحجر والنحت ،
تشير إلى حبه العظيم وإخلاصه لهذه التربة التي حَضَتْ أَباء ورعت مجده
وحفظت بيته ، فهو يحتفي بتاريخها ويقول :

وأنا المحتفي بتاريخ مصر من يَصْنُ مجده قومه صانَ عرضاً

فصان التاريخ بهذه الألواح وخَلَدَ الأجداد بهذه الأوصاف ، واقنعنا إلى جانب
القدماء من وصافينا مكاناً لا يقل عنهم ولا يزل عن عروشهم ، في بيان
يختلط ببيانهم ، وأصاليب تمتاز بأصاليبهم فكأنه أنسلَّ عبر الزمان فاستعار
ريشتهم وفنونهم ليرسم ما لم يرسموا .

ولعلمكم توازنون بعد هذا بين ألواح في القصور والأشجار وبين ألواح القدماء
لتجدوا مبلغ التوفيق عنده ، مما لا نستطيعه في هذه الدقائق ، لأننا نحب أن
نطوف بكم جناحاً آخر من متحف شوقي في وصف الآلات ، فقد رسمها
كذلك كما رسم الحجر ، وخصَّها بشعره فجعل للمراكب البخارية والغواصات
والطائرات ألواحاً تنطلق مع أوصاف الشعر الحديث خطى غير قليلة ، ولكنها
تجمع في يردِّها صوراً موروثاً للحيوان ، برع في نقلها حين وصف الطائرة فقال ^(١) :

مركب لو سلف الدهر به كان إحدى معجزات القدماء
نصفه طير ونصف بشر يالها إحدى أعاجيب القضاء

مسرّجٌ في كلّ حين ملجَم كامل العدّة مرموق الرّواء
كبساط الريح في القدرة أو هدهد السيرة في صدق البلاء
فقلّب على الطائفة الصور التي تخطر على البال ، فهي مركب نصفه طير ونصفه
بشر ، وهي فرس ملجَم ، بل إنها بساط الريح أو الهدهد المعروف أو الحوت
في الماء أو الكوكب المذنب أو الطاوس يحرق ذيله على الأرض نهباً وخيلاً .
والطائفة معجزة العصر ، فأين معجزة الشعر ، تصفها بأكثر مما وصف ! ان
« بساط الريح » راجت وأعجبت فاستعارها فوزي المعلوف شعاراً لملحمته وهو في
المهجر . والغريون لا يجدون غير الطير شبيهاً للطائفة ، بل يردّون اختراعها
إلى الطيور الكاسرة حين تتلقّى بأسطة في السماء جناحين من حديد .

وبرع حين رسم الفواصة ^(١) ، فشبها بالحوت تدب تحت الموج ترى ولا
تُرى ، وتبث الموت في كلّ مكان ، وهي خثون ملعنة لأنها تزرع الشر
والفناء . ونحن حتى الساعة لا نجد من الصور ما نسلّمه إلى أبنائنا في الاستظهار
غير أبيات شوقي ، فهي في موسيقا وبساطة ويسر بحيث تدخل على الآذان
بغير استئذان . كما يقول القدماء - ، وهذا كسبٌ للجبل على اختلاف أسنانه ،
نتظر من شعرائنا المجددين بدأ يضيفونها إلى أبياديه في غنى المتحف الأدبي للعرب .

* * *

وإذا ما انتهينا من جناح الحجر والحديد في ألواحنا انقلبنا إلى جناح الطبيعة
في رياضها وأنهارها وأشجارها ، لنرى إلى صوره ورسومه عنها ، فقد خلف شوقي
ألواناً بديعة كما خلف القدماء ، فرسم الماء والسماء وما بينهما ، ولبت يتصيّد
الجمال في كلّ درب ، فلنتظر إلى قوله في نهار جميل ^(٢) :

(١) الشوقيات ٢ / ١٣٣ .

(٢) الشوقيات ٢ / ٢٥ .

وترى الفضاء كحائط من مرمر نضدت عليه بدائع الألواح
القيم فيه كالنعام بدينة يركت وأخرى حلفت بجناح
والشمس أبهى من عروس برقت يوم الزفاف بعسجد وضاح
والماء بالوادي يخال مسارباً من زئبق أو ملقيات صفاح^(١)

رسم فيه الفضاء والسماء والشمس ثم عرض للسواقى فقال :

وجرت سواق كالنوادب بالقري وعن الشجى بأنة ونواح
الشاقيات وما عرفن صباة الباكيات بمدمع سحاح
من كل بادية الضلوع غليلة والماء في أحشائها ملواح^(٢)
تبكي اذا ونيت وتضحك إن نهفت كالعين بين تشط ووزاح^(٣)
هي في السلاسل والغلول وجارها أعمى ينوء بنيره الفداح

وهذا شعر جميل بذكرنا بأخيه في العراق والشام ، لا يكاد ينخفض عنه في بيان ورقة وعذوبة وتوفيق ، أكثرنا من روايته عامدين وأفضنا في أبياته لشهد السامعين معنا أن الشاعر جرى في ميادين الشعر الفحل ، واستطاع على تأخر الزمان ، وسكوت الحناجر المبدعة ، وقلق الشعر أن يلحق بركب الفحول من شعرائنا ، وأن يرفع لمصر راية عالية بين شعراء العرب ، وأن يدفع إلى تكريمه وفاء لشاعريته ، فهذا الجديد يصبح في التراث العظيم إذا قلب الزمان ، وافتقد الناس الشعر الجميل الجزل .

(١) الصفاح : عرض السيف .

(٢) ملواح : سريع العطش .

(٣) رزاح : رزحت الناقة ألت نفسها إعياء .

فالمدهش سيفي شوقي - كما قلنا - أنه نجح في قطر غلب عليه الركود ،
وفي مصر صمت قرونًا في الشعر ، فلم يلهم ولم يبدع ، وانما روج لنوابغ الشعراء
من جيرانه ، فلما غنى شوقي واهتق بالفحول ضحككت في قوافيه أماني الأدباء ،
وتهللت في أوصافه متانة الشعر ، فأعاد للناس شرابًا معتقًا في الوصف وفي الغزل ،
فتوجهت الى مصر أنظار العرب وأصفت اليها أفئدتهم وقدمت اليها وفودهم تبارك
القبيلة التي نبغ فيها ، وتنهى العشيرة التي لمع في ربوعها ، كما كان العرب
يهنئون في عكاظ سواء بسواء .

وقد رأينا أنه استعرض صور القدماء ، وطمع أن يكون أميرًا في الشعراء ،
وأن يصبح لعصره كما كان جرير والبحتري وأبو نواس لمصورهم ، فلم يضره
عرقه ، ولم يفسده القانون ، ولم يجبسه زمانه وحساده وتقاده عن امتلاك مكان
رحب في جنان الخلود ، فكسب المعركة سواء أوقع في التقليد أم انقرد في
الابتداع ، وذلك لأنه شق الطريق ، ومهد لشعراء قومه سبيل الابتكار بعده ،
فلم نسمع بمن ينسبنا ذكره ، حتى لكان الشواغل صرفت شبابنا عن هذا اللون
من منع الشعر ولذائذه المترفة الى شعر الكفاح والنضال ، فكانهم آمنوا
بالالتزام وحده ، فهبوا إلى ينبوعه ينهلون منه لنسمع منهم بعد قليل ،
وإننا لغنائهم لمنتظرون .

وسبق شوقي وتبقى هذه القصائد وأمثالها منضودة كبدايع الألواح في
متحف الشعر العربي ، وفي مكان رحب منه هو « جناح شوقي » إذا صح التعبير ،
يمر به الأدباء معجبين يستعرضون الجمال والجلال . ويقرءون شعره مثلاً في
الربيع فيجدون أن الطبيعة هي الطبيعة وأن الغيم هو الغيم ، نرسمه كالنعام حين
نستسلم لأحلام الطفولة ، ونشبه الشمس بمسجدٍ واضح أو كعروس يوم الزفاف ،
ونجد السواقي نوادب تشكو خلودها على الزمان ، تدور وتدور فما تعرف الهدوء
والقرار ، تغرف الماء وتسكبه ، وما تدري ما تفعل ، لأنها كالعييد في المصور

الوسطى أو كالأسرى في وحول الثولغا القيصريّة ، تغني باكية حظها .
بل هي كهذا الحيوان معصب العينين بنوء بنيره الثقيل .

وبقرأون شعره كذلك في وصف القمر ، وقد رسمه متهللاً في الماء قد بدا
نصفه ، وأسفر عن قفل ماس في سوار نزار ، ورسم الفلك على الماء يتبعها
ذبل من الأنوار تخطر في لجين مانج أو عسجد زخار .

فاذا وقفنا أمام وصفه للنيل ، رأينا الألوان والأصباغ حين يسود النهر
أو يخضر ، فيحك بردة على الضفتين لا تتخلق على الأيام لأنه شربان مصر ،
وغذاء أرضها وأهلها ، وهبة الخير والنماء التي لا تعد لها هبة ^(١) :

ومن السماء نزلت أم فجرت من عليا الجنان جداولاً تترقق
وبأي عين أم بأية مزنة أم أي طوفان تفيض وتفق

فاذا حفظ المصريون بد النيل ، فهم يحفظون بد شوقي ويرددون شعره ،
وينقشونه في قاعاتهم شارة على الوفاء لشاعر النيل ، وينشدون أبياته كما ينشد
الغريون أغانيهم في الدانوب الأزرق وفي الثولغا وغيرهما ، فالنهر ماء الحياة
ودفقة العزة وشراب الخصب ونعمة الدهر .

ونحن في الشام نحفظ لشوقي بده علينا حين خصنا بالواح في هذا المنحرف
الجميل ، فرسم من اقليمنا ما وصف ، وخلد من آثارنا ما خلد ، فسكب الجمال
في قوافيه وأراق في أبياته من مسجدنا وما آذنا ما أراق . فلما دخل دمشق
عاصمة العروبة ومسرح الوليد ومروان ، هبت دمشق لاستقباله ، وجري
« بردى » يصفق للقائه ، فكأنه رضوان يستقبل اليوم شاعرنا في جنان الخلد ،
والشمس فوق لجين الماء كأنها عفيان ، وشجر الحور في قرية دمر أو بفي

(١) الشوقيات ٧٦/٢ .

«الهامة» كالحُور في الجنان قد كشفت عن صافها وخفت ترقصُ مقدمه ،
ولعلَّ شوقي قد عرف أن النهر صغير قليل ، ولكنه نشيط جميل ، يكاد
يكون صورة للشعب ، يضجّ بالحركة ويثور بالسعي ، ويتعلق بالحرية والنفع ،
بندفع على صغره كما بندفع النيل والفرات ودجلة ، ليغذي العرب بآياته ويمتعم
بخصبه ، فنحن نتغنى بقوله ^(١) :

آمنتُ بالله واستثنيتُ جنته دمشقُ دَوح وجنات وريحان
قال الرفاق وقد هبت خائلها الأرضُ دارٌ لها الفيحاءُ بستان
جري وصفق يلقانا بها «بردى» كما تلقاك دون الخلد وضوان
دخلتها وحواشيها زمردة والشمس فوق لجين الماء عَيَّانُ
والحور في «دمر» أو حول «هامتها» حور كواشف عن ساق وولدان
لأننا لم نقرأ لنهر دمشق وصفاً كوصف شوقي منذ حسان بن ثابت فنعترف
لذلك بيده على أبنائنا منذ أرسل فينا هذه الأنغام العلوبة .

والألواح في المتحف مازال كثيرة ، في الربيع والشرب والشاربين ،
تشبه ما في ديواننا من البحري وابن المعتز وأبي نواس ، بل تزيد عليها فتشير
البلابل وتحرك الورق كأنها جوقة من راهبات في صحن كنيسة يوم عيد الفصح ،
وقد انتشر الجُور وعلا النشيد الجميل . وأحمد شوقي يستعير صورته من الأدبان
جميعاً ، وفيها الدين المسيحي ، كما فعل الحمدانيون . ويمتد النبات وألوانه
والزهر وأصنافه كما عددها أولئك في روضياتهم ، فيرمم الخمائل مرحة ، والرجس
والأقاح ، والمنشور والورد والزهر ، كأنها في موكب جميل تنهادي في
أوضاعها ، هذه خفضت رأسها ، وتلك تعالت شامخة ، وثالثة ضحكت مرحة ،

وهذه هبت في العرس الحافل ، فكأنه يرسم عرس الطبيعة ، وبحرك الزهر
على المسرح كما يحرك الفنانون دماهم بخيوط خفية يرقصونها وينطقونها بأجل
الحديث في مسارح باريس وموسكو .

* * *

وهذه الألواح خالية في أكثرها من التوقيت والتأريخ ، لا ندلنا على صبي
أو كهولة ، فلن نستطيع أن نصف منها أطواره ، ولن نصرر قلبه وتقدمه في
شعره . ولعلها ليست أجمل ما قال ، ولكنها في رأينا من أجمل ما يقال ،
بل اننا نراه يحاول أن ينطقها كما فعل دهقشي في لوحته عن موسى الكليم
صلوات الله عليه ، ولكنه عجز في باب الألوان والأصباغ والحركة فنظر إليها
كما ينظر الفوتوغراف من وجه واحد - كما قلنا - .

وقد نظر إليها نقادنا المعاصرون على اختلاف غير يسير في الرأي فانتقصها
بعض على أنها تقليد ونقل ، وأكبرها بعض على أنها آية الآيات . فقال
الرافعي : « ان شوقي صاحب الآيات البديعة في الوصف ، وهذه الناحية هي
أقوى نواحيه » . ونقدتها العقاد وعرف التشبيه : « أن تطبع في وجدان
سامعك وفكره صورة واضحة مما انطبع في ذات نفسك » . ورأى غيرهما أن
الشاعر أخفق في مجازاة عصره فاستعار آلات القدماء وأوصافهم .

ونحن لانحمل شوقي معرة نقصيره في اللحاق بشعراء الغرب في العصر الحديث ،
وقد عاش بينهم في باريس وغير باريس ، فلم يرسم أثر المشاهد في نفسه
ولم يحاول أن يطبعها في نفوس قرائه ، ولم يجعل كالشاعر لامارتين من الخليج
ساعدين بضمان الماء كما يضم العاشق حبيبته في نفور حيناً وفي استسلام أحياناً .
وذلك لأن شاعرنا كان يديم النظر الى الشعر العربي القديم أكثر ما يديم
ويسعى في اللحاق به وخاصة في الوصف .

فلما أراد أن يصف دقائق قلبه من جمال النساء بعدما وصف من جمال الأرض والسماء وقف أول الأمر عند غزل القدماء ، وتعلق بصور القرنين الثالث والرابع ، ولاذ حيناً بأسباب المدرسة العذرية ، وأخذ أحياناً بالغزل الصناعي ، ولكنه كان في ذلك كله يجاري الفحول من الغزلين القدماء ، فلما أوغل في الفن استطاع أن يولد وأن يبتكر ، فكانت منه تعابير وصور بلغت مبلغاً عظيماً من الصيغة والموسيقا ، فكان شعره في هذا الباب موضع الغناء في عصرنا لحن كله أو كاد ، ودار على الأسماع لرفته وعذوبته .

أما أنه وقف عند غزل القدماء أول الأمر ، فهو واضح في ألفاظه بكرر ذكر البان والعلم والريم والمها والمرض والبعاد والقتل والفتك ، في مطالع قصائده وفي المقطعات الخاصة بالنسب والنشيب . فوصف ماء الخلد يشف عن اللهب ، والشادن في غلائل قتب ، قد قرّ منه النهدي واضطرب ، فاذا مشى أخجل القضب ، بين عينيه والمها نسب ، يمس قدمه ، ويسفر عن البدر وجهه ، ويقتل يخفنه وفيه سقم ، ويدعى عشاقه بالسيف والسحر والطلی ، يرمي الشباك ويصيد العشاق يسم عن نصيد ، ويرنو بطرف أحور . وكان في هذا مقلداً من غير شك حتى إذا انطلق إلى باريس وغير باريس راح ينشد شعراً جيلاً ينبعث من قرارة نفسه ، فيقول ^(١) :

نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء
يوم كنا ولا تسل كيف كنا نتهادى من الهوى ما نشاء
وعليتنا من العفاف وقيب تعبت في مراسه الأهواء
فصوت الحب جنبنا منذ ولادته حتى بلغ أشده ، وأثمر الثمر المرجو ، فكانت

لقاء وما وراء اللقاء . وهو في غزله عفيف حيناً ، وغير عفيف أحياناً ،
أمين على الحب وخئون في العشق ، يقسم ويقسم ، ويعمل للحبيب من قلبه
معبداً وصفحاً وملاعباً ومنهلاً عذباً ومرعى طيباً .

وكم تغنينا في شبابنا بألحان شعره في قصيدته السائرة التي وصف فيها لقاء
الحبيب وما وقع بينه وبينه فقال ^(١) :

لم أدر ما طيب العناق على الهوى حتى ترفق ساعدي فطواك
ودخلت في ليلين فرعك والدجى ولنمت كالصبح المنور فاك
وتعطلت لغة الكلام وخاطبت عيني في لغة الهوى عيناك
لا أمس من عمر الزمان ولا غد جمع الزمان فكان يوم رضاك

وأعجبنا آنذاك بلغة الكلام حين تعطت ، وذهبت الكلمة فينا مثلاً ، ورددناها
في سن كانت ترقص لهذه المعاني والصيغ ، ولعلها تبعث فينا اليوم ما يبعث
الناقوس في الناساك - كما قال شوقي - ولكنها لم تفقد عذوبتها في أفواهنا ،
ورقتها في أسماعنا ، لأنها تصور الغزل الجميل وقد سكنت الكون وتكلمت
الأنفاس في الصدور ، وتقطعت الحشرات بالقبل ، وبرقت العيون في
الظلام ، وازداد حديث القلوب كلما سادت العنمة - كما يقول بول جبرالدي -
في باريسياته ، فكيف نصدق الخطباء من النقاد حين يرمون شوقي بالبعد عن
هذا ، ويرون أنه ما تكلفه ولا سمى إليه . وكيف يستطيع شاعر لم يذق
الجوى والالام أن يقول :

إذا طاف قلبي حولها جنّ شوقه كذلك يطفئ الغلة المنهل العذب
يحنّ إذا شطت ويصبر إذا دنت فيا ويح قلبي كم يحنّ وكم يصبر

ولو عرفوا أية حسناء سفع عليها حنينه وشكواه ، وأراق على نحرها دمه وبكاه ،
 لآمنوا بما يقول ، ولكن شوقي سكت عن ذكرياته في هذا الباب فلم يحدث
 عن باريس ومونبليه وغيرهما كما فعل غيره . وإنما رأوا أن الرجل كان يتقمص
 ثياب الأبطال العشاق في مسرحياته ، فيغني باسمهم ألم قلبه وجروح صدره
 وذكريات أيامه ، ويوفق في التعبير والتصوير حتى ليقع من ألسنتهم موقع الشقيق
 الرفيق ، فيختلط شعره بشعرهم ، ويصيح مع المجنون في صيغة واحدة :

مُنَى النفس ليلي قربي فاك من فمي كما لف متقاريهما فردان
 نذق قبلة لا يعرف البؤس بعدها ولا السقم روحانا ولا الجسدان
 فكل نعيم في الحياة وغبطة على شفتينا حين تلتقيان
 ويخفق صدرانا خفوقاً كأنما مع القلب قلباً في الجوانح ثان
 ولعل ليلي المجنون هي ليلي شوقي أقيها في الشرق أو الغرب ، فما نطن أنه خلا
 من حبّ عنيف فأنك ، لأن أشعاره تصور عاشقاً لقي الحب وخبر الفراق ،
 وأحسن بهذا لكل جارحة من جوارحه كما أحسه العباسيون والأمويون قبلهم ،
 فاستطاع أن يقف لشعرهم لا عن تقليد بل عن إحساس وشعور وفهم وذوق ،
 وبرع في وصف الغرام في الصبا والشباب فرمم في المسرحية مشهداً رائعاً نظن
 أنه بلغ فيه الذروة تصويراً وتعبيراً حين قال :

هذه الربوة كانت ملعباً لشباينا وكانت مرتعاً
 كم بنينا من حصاها أربعاً واثنتيننا فمحونا الأربعا
 وخططنا في نقا الرمل فلم تحفظ الريح ولا الرمل وعى

لم تَلْ ليلي بعيني طفلة لم تَرَدَّ عن أمس إلا أصبعا
قد يهون العمر إلا ساعة وتضييق الأرض إلا موضعا

وهذه الأبيات تقع من موسيقا الشعر الغزلي وروعته وجماله بحيث تشهد لشوقي ببراعة الغزل فهي تنضح بالحب البريء ، وتصف الهوى في أجمل صفعاته ، حين يرسم العاشق على الرمل ويخط على الماء ويبني على الهواء ، فتحمل الريح أحلامه وقصوره الى كل مهب وفي كل سبيل ، فاذا شبّ ذكر ما كان من الصبا في أسى جميل ولوعة صادقة ، وحرقة يعرفها المحبون ، لأنها صورة الحب في الإنسانية . وهذا هو الشعر الإنساني الذي وفق شوقي إلى رسمه وبلغ الغاية فيه فلم يصح مع «موسى» : أن الأماني لا تبني على الرمال ولا تعتمد على الرياح . والنقاد يرون أن شوقي لم يلبح على الغزل إلحاحه على الأبواب الأخرى فلم يعالج منه لوصف حياته ومَن حوله ومَن عرفه ، ومَن أحبه ، ولذلك جاء قليلاً بالنسبة الى شعره في الألوان الأخرى ، ويرون أنه سكت لموقعه من السلطان والمجتمع ، ولو قد فعل لكان له في الغزل ديوان كبير ، ولكنه صرف أكثره الى المسرحية فوفق فيه ويرغ به ، ورفع فيه لواء مصره وعصره . على أننا نجد أنه صرّح بهذا الغزل حين تجمّل الى لبنان ، ووقع في «بكفيا» على صيد جميل ، فخرى وراءه وخادعه وخادعه حتى انتصر عليه ، ومشى الصيد اليه وليس أول جوذر وقعت عليه حباله^(١) :

قد جاء من سحر العيون فصادني وأتيت من سحر البيان فصدته
لما ظفرت به على حرم الهدى لابن البتول وللصلاة وهيبته

ولكننا لا ندري بعد ذلك كم وهب وكم اصطاد ، وكم من الشباك ألقى وكم لم ؟
 حتى إذا نعبت بداء ترك الشباك وألقى القيثارة ، وعزف عن الغناء في الغزل ،
 وجلس يرقب الصيد والصيادين ويذكر أبياته الحلوة في بسمة راضية وعيشة هانية ،
 حتى دلف إليه الملاك بين سحر المناظر وعطر المفاتن ، فاحتمله الى جنان النعيم
 حيث الحور والولدان المخلدون ، قير العين بما كسب للشعر العربي ، ناعم
 النفس بما وهب من صور وألوان ، عظيم الشهرة فيما خلد من وصف كان تاج
 شعره ، ومن غزل كان موضع الغناء في مطارح أنسنا ونجوى نفوسنا ، حلق
 فيها كما حلق الفحول من قدمائنا فاستحق الإعجاب والتكريم والذكر العطر ،
 على مر الدهر وتقلب الأجيال .

الدكتور سامي الدهان

—•••••—

نثر شوقي (*)

أكان شوقي الشاعر الذي ملأ شعره مسجع الدنيا ، وخفقت له قلوب الناس ، وردت إلى الشعر العربي رونقه وبهاءه ، وجللا عنه - بعد البارودي وصبري - ظلمة عصور الانحطاط ، أكان شوقي هذا الذي فعل الأعاجيب في الحياة الفنية الشعرية ، ناثراً من الناثرين الذي يقف عندهم تاريخ الأدب مشيراً إلى أثرهم في سواهم ، دالاً على مكانتهم فيمن حولهم ، مبيناً عما كان من تجديدهم في الأسلوب العربي أو تثقيفهم له ، أو دفعه في مساره الجديدة ؟

أغلب الظن أننا لن نستطيع أن نكتشف شوقي الناثري في شيء من اليسر . . . لا لأنه لم تكن له هذه القدرة على النثر الفني المتمكن من الصنعة حتى لتكاد تكون فيه عفواً . . . ولا لأن نثره لم تكن فيه هذه القدرة على الإمتاع . . . لا شيء من هذا أو ذاك ، وإنما يتجاوز الأمر شوقي نفسه إلى العصر الذي عاش فيه ، وإلى العصر الذي نعيش فيه ، وإلى المواضع التي نطعن إليها في العمل الفني ، والأسس التي نرتكز عليها في التقدير والتقويم . . . فنحن نحيا في عصر هو أقرب إلى الإطلاق منه إلى التحدد ، وإلى العفوية منه إلى التصنع ، وإلى الإرسال منه إلى القيد ، وإلى الانسجام مع المعنى بأكثر من الانسجام مع اللفظ . . . ونحن اليوم نحب النثر رهواً ، رخاءاً ، طلقاً ، كهذه الأشرطة الخفيفة التي تجري مع النبل ، لا تسمع لها صاصلة ولا جلبة ، ولا نحس لها ضجيجاً ولا عجبجاً ، وإنما هي وصوسة ناعمة كأنها هي همس الموج إلى الجداف ، ونحية الجداف إلى الموج ، ثم لا يكون بعد ذلك إلا هذا التقدم المنطوق على صنعة الماء .

(*) الكلمة التي ألفت في مهرجان أحمد شوقي بالقاهرة .

كذلك نحن نحب النثر اليوم ، وإنما تولد عندنا هذا الإعجاب بهذا اللون من النثر المطلق ، وتكون فينا الميل إليه ، واستقر عندنا الأخذ به بعد ذلك والتزامه والانصياع إليه والرضا به - أثرًا لسلسلة طويلة متشابكة من العوامل والأسباب ... بعضها يعود إلى تراثنا العربي النثري في القرون الأولى قبل أن تطفئ الصناعة ، وبعضها يعود إلى طبيعة العصر وروح العامية ، وبعضها يعود إلى غلبة الفكرة وتقهقر اللفظة التي لا ترتبط بالفكرة ارتباطًا وثيقًا ، وبعضها يعود إلى عوامل أخرى اصطاحت جميعًا على أن تكون عندنا ذوقًا جديدًا ، ومقاييس جديدة ، وأصاليب تخضع لهذا الذوق وتمضي مع هذه المقاييس .

وأبرز ما في ذلك أننا أدركنا ظهورنا للسجع .. بل أدركنا أن أقول إننا كرهنا هذا السجع في كل ما يكون من صورته وألوانه .. وسواء أكان السجع طريًا نديًا أم كان جافًا قاسيًا فنحن لا نؤخذ به ولا نطرب له إلا أن يكون ذلك عارضًا أو كالعارض . وعلى ذلك لا يتكاد تتعاقب سجتان في أسلوب كاتب من كتابنا ، أبرز كتابنا إن شئت ، حتى نتوقف ونثور في نفوسنا النفرة من السجعة قبل أن يشور عندنا الإحساس بجمالها .. إننا حين نقرأ السجعة في صفحة من الصفحات ينبعث عندنا من الإحساس بانكار السجع كله أكثر مما ينبعث من الاطمئنان إليها .

ولقد مضى السجع في طريقه إلى أن ننكره ونفارق منه في مرحلة الصحافة اليومية أولاً ، ثم في مرحلة الأدب الإنشائي كله بعد ذلك في أي لبوس بدا هذا الأدب الإنشائي .. ولم يبق للسجع إلا مجال الخطابة يحتمي بها ويحفظ على نفسه بعض مكانته عند الخطباء الموقنين .. فلما اضمحلت الخطابة من نحو ، واتخذت سبيلها إلى التبسيط الذي يقرتها من العامية ، وغلبت فيها حرارة المشكلة السياسية أو الاجتماعية على اللبوس الفني ، كما نلاحظ في الأعوام الأخيرة ،

خسر السجع آخر معاقله التي التجأ إليها واحتنى بها ، فلم يبق هنالك من ينشئ فيه أثراً فنياً جديداً .

وحين نقول السجع لا نعني السجع وحده ، وإنما نعني كل هذه الطاقة من المحسنات البدعية التي تواكب السجع في كثير من الأحيان : الطباق والمقابلة ومراعاة النظير والجناس والتورية وهذا الخشد من ألوان البديع في معناه الذي نعرفه به في كتب البلاغة المجددة . . فقد ارتبطت هذه كلها بالسجع فكان لا يكون - غالباً - إلا معها . . فعاثتها أذواقنا أو عاثت أكثرها بصورها القديمة مع ما عاثت من أمر السجع سواء بسواء .

وفي هذا الانصراف عن المقيّد إلى المطلق ، وعن المسجوع إلى المرسل ، تتمثل أكبر منعطف في طريق النثر الفني في حياتنا العربية المعاصرة . . ومن المؤكد أن هذا الانعطاف كان من القوة ومن التأثير في نثرنا الحديث وفي تذوقنا الحديث بحيث نملك أن نفترض مطعنين أن أقوى نص أدبي مُعجب من إنشاء أدبائنا المتميزين لو قدر له أن يصاغ سجعاً لانصرف الناس عنه ولفتشوا عن غيره ، ولقالوا في أنفسهم مُسِرِّين وفي ألسنتهم جاهرين : إنه السجع . . كأنما يركزون في هذه الجملة كل أنفال عصور الانحطاط بلبسونها هذا النص ، ويحملونه كل رككات اللفظ ونقر المعنى الذي نعرفه في إنتاجنا الأدبي خلال أكثر فترات الضعف والتردي .

ومن هذا ، فيما أحسب ، كانت أعظم الفبن الذي لحق نثر شوقي . . وإذا كانت مواضع العصر ومقاييسه هي التي ألقت على نثر شوقي ، أعني على النثر المسجوع ، هذه الظلال الكثيفة التي تحول بيننا وبين أن نتذوقه ، وبيننا وبين أن نستجيب له ، وبيننا وبين أن نتفاعل معه - إذا كان هنالك هذا السبب الخارجي الذي لا سلطان لشوقي عليه . . فثمة سبب آخر كان شوقي نفسه هو مرده وهو مصدره . . هو فيه المبدأ وهو فيه النهاية ، وأعني به شعر شوقي . .

فقد طغى هذا الشعر حتى ما يكاد يذكر معه نثر ، وعُني الناس بالقصائد ولكنهم
ماردوا المقالات ، ونهلوا من الشوقيات ولكن «أسواق الذهب» كانت
- في شيء من التجاوز - كالأخ المتفني بين أجزاء ديوان شوقي ، عليه شكل
إخوته وله مثل طابعهم الخارجي ، ولكنه لا ينزل من قلوب الناس وأفتدتهم
ولا يكون له في تقديرهم مثل منزلة أخيه ولا قريب منها .

ومن المؤكد أنه لو لم يكن هنالك الديوان ، والشاعر الإنسان الذي
غنى روائع النشيد وبارع النغم . . . وكان هنالك شوقي الذي تحدث عن الحياة
والأمس واليوم والغد ، وعن الأمومة والقلب ، وعن الشهادة والصلاة والزكاة
والحج ، وعن القنائة والجندي المجهول ، وعن الشمس والظبي - لو كان هنالك
شوقي هذا فحسب لكان له في حساب الحياة الأدبية شيء آخر . . .

ولكن شوقي الشاعر غطى على شوقي الناثر ، كما كسف عصر شوقي
المطلق المرسل شمس السجع التي كانت متوهجة .

وكذلك نرى أننا نستطيع أن نقول في الشعر : هذا عصر شوقي . . . في
كثير من الاطمئنان . . . ولكننا لانملك بحال أن نقول في النثر : هذا عصر
شوقي . . . فللنثر أمراؤه الآخرون : طه حسين والعقاد والمازني والرافعي والزيات
ومن في طبقتهم في اقليمهم والاقاليم الأخرى . . .

* * *

على هدي من هذه الحقائق الأولى نستطيع أن نتحدث عن نثر شوقي ،
وأن نتساءل ماذا كان من أمر هذا النثر وما صيغته فيه ؟ ما هي مسالكه التي
اتخذها وألوانه التي تسربل بها ؟ . . . أهناك وراء هذا النثر مذهب معين
يتجه إليه شوقي ويبشر به أم كان الأمر لا يخضع لغاية ولا يخفي في مذهب ؟ . . .
أهناك مراحل مر بها هذا النثر ؟ وماذا كانت دوافع شوقي إليه وعناصره في
تكوينه وأسلوبه في بنائه وموضوعاته التي صبا فيها ؟ .

وليس في وسعنا أن نعرض كل آثار شوقي الثرية ، فبعض هذه الآثار يعود إلى مطالع حياته ، وتلك 'خطي' قد 'بُعِثَ' بها مؤرخو حياة الأدب وراصدو مآلكه . . . ولكننا نريد اليوم أن نكتفي بالإشارة إليها دون الوقوف عندها . . . ونعني بها هذه الآثار التي كتبها أو ترجمها في صدر حياته : لادياس - عذراء الهند - دلّ وتبان - وبعض هذه الآثار هي التي تفوج اتجاهه الثري وتعبّر عنه في أكل صورته وتلك هي التي صفتوقف عندها ونعني بها «أميرة الأندلس» وأسواق الذهب . . . غير أن أميرة الأندلس عمل مسرحي خاص فيه شوقي من نثره المسجوع إلى النثر المطلق فليس لها إلا هذه الدلالة الضخمة على تطور نثر شوقي ولذلك لن نقف عندها إلا من هذا النحو .

وقد كان لابد لهذا البحث ، كي يأخذ أبعد آفاقه ، ويسير في أصدق اتجاهاته ، أن يظهر بشيء من رسائل شوقي الخاصة فيما كتب إلى خلّص أصدقائه في الشؤون العامة أو في شؤونه الخاصة ، ولكننا لانزال في دراسة الأدب من هذه الغاية على بعد . . . لأننا لم نعود أن نجتمع كل آثار أدبائنا ، ولم نتمكن بعد من النظر إليهم - من خلال آثارهم الخاصة - في غير الصورة التي أرادوا أن يظهروا بها للناس في آثارهم العامة التي نشروها .

* * *

ما الذي نجده في أسواق الذهب ، أبرز آثار شوقي الثرية ؟ حين قدم شوقي لكتابه هذا أشار إلى كتابين آخرين : أحدهما أطواق الذهب للزحشري والآخر أطباق الذهب للأصمغاني فقال : «فهذه فصول من النثر ما زعمت أنها غرر زياد ، أو فقر الفصيح من إبداع . . . ولا توهمت حين أنشأتها أني صنعت أطواق الذهب للزحشري ، أو طبعت أطباق الذهب

للأصفهاني ، وإن سميت هذا الكتاب بما يشبه اسميهما ، ووسمته بما يقرب في الحسن من اسميهما . . . »

هذه الجملة التي جاءت في مقدمة أسواق الذهب دفعت بعض الذين كتبوا عن شوقي إلى القول بأنه جرى في كتابه على نمط أطواق الذهب وأطباق الذهب . . . أو أن عمله في الأسواق يتطابق مع المقامات وأنه يذهب فيه مذهب الزمخشري من حيث الوعظ والارشاد ^(١) .

فهل ذهب شوقي مذهب الزمخشري والأصفهاني ، وهل جرى على نمط الأطباق والأطواق ؟ أكان عمله يتطابق مع المقامات ؟

قد نستطيع أن نجاري الذين قالوا بهذا إذا نحن تناولنا الأمور تناولاً عاماً ، ووقفنا لا نتجاوز الشكل إلى ما وراءه . . . إن الأطباق والأطواق قائمة في مظهرها الخارجي على السجع ، وكذلك أسواق شوقي . . . غير أن هذا وحده لا ينبح لنا أن نفرق في المقارنة حتى نصل إلى حد المطابقة بين هذه الأعمال الثلاثة . وصحيح أن شوقي أشار إلى الأصفهاني والزمخشري ، ولكننا يجب أن لا ننسى أنه أشار كذلك إلى زياد بن أبيه وفس بن ساعدة الإيادي ، وأنه سرد هذه الأسماء كلها لا على أساس فني ، بمعنى أنه لم يقصد إلى أن يقيم هذه المقارنة أو المطابقة بين صنيعه وبين صنيع هؤلاء الذين تحدث عنهم ، وإنما قصد إلى شيء من الزينة الفنية فحسب حين سمى غير زياد وفقر الفصيح من إياد . . . إنه في الواقع كان في نطاق تعداد هو إلى ذكر طائفة من

(١) انظر ما كتبه العلامة المرحوم الأستاذ محمد كرد علي في كتاب ذكرى الشعراء « الأستاذ أحمد عبيد - ج ٢ ص ٤٣٦ » ، وإشارة الأستاذ الدكتور شوقي ضيف في كتابه الرابع عن شوقي ص ٢٩٢ « الطبعة الثانية » .

الأسماء اللاحقة في النثر العربي ، بعضها إسلامي وبعضها من القرون المتأخرة -
أقرب منه إلى أي شيء آخر .

وإذن فليس هنالك هذا النمط المشترك - إن شئنا الدقة - بين الأصواق
وبين الأطواق والأطباق . . . وليس هنالك هذه الرغبة في تقليد أثر بعينه . .
إن لكل من هذين بناءه وأساسه ووجهته التي يخالف بها عن وجهة الآخر
وبناؤه وأساسه .

ولذلك ، أعني لهذه المقارنة بين شوقي وبين الزمخشري والأصفهاني فضل
حديث نذكره الكتاب عن نثر شوقي فانتجازه إلى ما وراءه متسائلين
- في سبيل التعرف الأصيل على أسلوب شوقي - عن الدوافع التي دفعت بالشاعر
أن يقول هذا النثر المسجوع .

بواعث السجع

في زمن كل الذين يقرأون نثر شوقي تحوّل هذه الأسئلة المختلفة :
لِمَ لجأ شوقي إلى هذا النثر وقد عُرف تميّزه بالشعر وتقدمه فيه سائر طبقات
المحدثين ؟ ما الذي كان وراء هذا الطريق الذي شقه من بواعث ؟ ألم يكن له
في المجال الشعري ما يبدّد كل ظمأ الفنى ؟ . . أكان يحس أن ثمة دقة
من نفسه في حاجة إلى أن تبدو للناس في غير القالب الشعري الذي ارتضاه
سبيلًا ومضى فيه وصقله أروع صقل في تاريخنا الأدبي الحديث ؟ . . ألم يكن
يجزى شوقيًا أن يقال عنه إنه أمير الشعراء ، وأن يقال بحق عن عصره في
التاريخ الأدبي إنه عصر شوقي ؟ أكان هنالك دوافع خاصة تدفعه إلى هذه
المزاوجة بين الشعر وبين النثر ؟ .

وقفتُ طويلاً عند هذه الأسئلة التي كانت تجلجل في صدري وأنا أعالج

نثر شوقي ، ولكنني لم أجِد الجواب الذي أطمئن اليه وأرتضيه . . . وأحسب أنه ما لم 'يتَح' للذين عاصروا شوقيًا وخالطوه أن يتحدثوا عن كل ما عرفوا من سيرته أو خبروا من سريره أو شهدوا من تشابك العلاقات في حياته أن يقولوا هذا الذي عرفوا أو خبروا أو شهدوا ، وأن يكشفوا عن كل وجوه هذه السيرة والسريرة والعلاقات . فان حديث المتحدثين اليوم وغداً لن ينكشف عن شيء وإنما سيظل بدور حبيس الخدس والتظني .

ومرد ذلك إلى ما نعرف جميعاً من أمر شوقي . . . كان شوقي للناس كما يكون البحر إذ تراه هادئاً الصفحة على حين يضطرم داخله بالموج ، وبشور بالحركة ، ويغلي بالانفعال . . . والموجة التي تضطرب في داخله لم يكن شوقي ليكتبها وإنما كان ينبغي لها أن تتحرك هنا وهناك ذات اليمين وذات الشمال . . . ولكن ما أقل ما أتاح لها أن تنطلق فتتلاطط سطح هذا البحر الذي يراه الناس فيأخذهم انبساطه الهادي وانطلاقه البعيد ووسومته الناعمة - ضجيجاً وصخباً وحركة . . . ويبدو كأنه في حكم المؤكد أن شوقي كان لا يخرج على الناس إلا بالجانب الحليم العاقل من ذاته العاقلة وذاته الثائرة . . . إن نفس شوقي جوهر واحد للذين يلتمسونها من هذا السطح الظاهري فقد استطاع أن يخفي جواهره الأخرى . وكما كان في سلوكه الاجتماعي كان كذلك في سلوكه الفني . . . فالذين عاصروا شوقياً مجمعون على أن سلوكه الاجتماعي كان غابة في الين والدمانة ، والرفقة والسلاسة . . . وما نحسب أن انساناً ، بله أن يكون شاعراً ، شهد كل أحداث الوطن العربي والإسلامي ، ومدّ يده إلى ما وراء الأفق الإنساني فاقطف هذا الشمر الخالد ، ما نحسب أن انساناً هذا شأنه كان حتماً خالصاً ورقة خالصة . . . فتؤكد أنه كان كذلك ثورة داخلية عارمة بعانيها ، ويتكيف بها ، وتنال من عقله ، وتأخذ نفسه انفعالاتاً مبهجاً أو محزناتاً . . . غير أن شوقي

الذي استطاع أن يختص سلوكه الاجتماعي من الغضب والطيش والجاهلية وفلنات القول ، وأنت يصفني حقد الناس بحلمه ، وطول لسانهم بتهذيب لسانه ، وتطاوهم إلى أن ينالوا منه بمحاولته أن يبلغ اليهم نبأه ، هو شوقي الذي استطاع كذلك في سلوكه الفني أن يجعل كل انفعالاته الداخلية صنيعاً فنياً معجباً تغطيه الحكمة على حين كانت حروف هذه الحكمة تشتعل أطرافها بالقلق كما تشتعل أطراف الشموع بالنور .

ومن هنا نعتذر التعرف إلى مرّ هذا المنعطف النثري في طريق شوقي الشاعر . . . وليس لنا بعد هذا إلا سلسلة من الاقتراضات .

فنحن نستطيع أن نرى في صنيعه هذا امتداداً لما استقر ، تقريباً ، في تراثنا الأدبي القديم من الجمع بين الشعر والنثر عند كثيرين . . . حتى الذين عرفناهم شعراء كان لهم نثر لم يصلنا منه شيء ، وأبو الفرج في الأغاني يحدثنا أن بشاراً كان صاحب منشور ومزدوج ورسائل . . . ويبدو أن جمهرة من أدبائنا على مدى تاريخنا الأدبي الطويل حرصوا على أن يجمعوا بين هذين القالبين . . . وكانما استقر عند شوقي أن من تمام التميز في الأدب العربي أن يماشي موكب الشعر عنده موكب من النثر ، وأن تحفه من حوله ، من يمينه وشماله آلهة الشعر وربات النثر . . . وذاك كله - فيما أحسب - استمراراً للتقاليد الأدبية العربية . . . وما من شاعر كشوقي استطاع أن يمدّ خيوط هذه التقاليد من نحو ، وأن يوجهها وجهة جديدة من نحو آخر ، وأن يقيم هذا التوازن بين القديم والجديد من نحو ثالث . . . بل لعلّ حياته ، سيرة ، وإنتاجاً ، ليست إلا هذا الجمع المتوازن . . . وقد لا يكون هذا التقليد الأدبي هو الذي دفع شوقي في هذا السبيل . . . قد يكون في واقع حياته ، حياته الداخلية التي لا نعرف عنها إلا القليل ، هذا الدافع . . . أنراهم عبّروا شوقي ذات يوم بنقص زاده اللغوي فأراد هذه

المقالات تميلًا لغناه في هذا النحو ؟ . . أنزاهم عبّروه بالقصور في النشر فردّ عليهم مقالاتهم ؟ . . أكان هنالك من حبّب إلى شوقي السجع فمضى فيه ؟ . . من يدري ؟ ولعلّه على كل حال شهد تطور النثر نحو الانطلاق ، ولحظ أن هذا التطور مقرون بالكره للسجع والانحراف عنه والعب عليه فأراد أن بعيد لهذا اللون الأدبي ألفه ، وأن يردّ عليه حرمة ، وأن يجعل منه هذه القصائد المنشورة ، وأن يخرج به عن نطاقه التقليدي وعن موضوعاته التقليدية في المقامات أو ما في حكمها . فوسّع ساحته ، ونوّع موضوعاته ، وأراد أن ينزع لكل هوائف النفس ، وأصوات المجتمع ، ومشاكل العصر .

ويبدو أن هذا هو الذي كان . . فقد كتب شوقي نفسه في « أسواق الذهب » يكشف عن صنيعة ، ويبرّره ، ويعرض لهذا السجع الذي صبّ فيه بعض إنتاجه الأدبي ، ويبين عن مكانته وقيّمته ، ويقول عنه إنه يقف على الطرف الآخر من الشعر ليلقي به لقاء لونين فنيين متماثلين « السجع شعر العربية الثاني » .

وفي هذه القطعة التي كتبها شوقي نلمح قصة السجع في العصر الحاضر كلها . كيف كان ، وكيف دال ، وما الذي رمي به . . ولكنها قصة موجزة مركزة وقف شوقي عند خطوطها الكبرى . . أبان عن مكانة السجع ، ثم تحدث عن دوره في الأدب ، ثم بدأ يصور إنكار الناس في عصره له ويقول إن مردّ ذلك إلى الخلط بين السجع المشرق والسجع المظلم ، بين ما سماه الجميل المتفرد وما سماه القبيح المزدول . . وهو على كل حال يريد أن يكون السجع منطويًا على فكرة ، متصلًا برأي ، بعيدًا عن الحشو والثرثرة .

« السجع شعر العربية الثاني ، وقواف مرنة رقيقة خست بها الفصحى ،
 يستريح اليها الشاعر المطبوع ، ويرسل فيها الكاتب المتنن خياله
 وقد ظلم العربية رجال قبعوا السجع وعدوه عيباً فيها ، وخطأوا الجمل
 المنفرد بالقبيح المردول منه بوضع عنواناً لكتاب ، أو دلالة على
 باب ، أو حشواً في رسائل السياسة ، أو ثروة في المقالات
 العلمية »

ولمخ في تبرير شوقي للسجع شيئين اثنين أساسيين ربما كان فيهما بعض
 التعبير عن الدافع التي حدثت به إلى اصطناعه والأخذ به ، وهما الحفاظ الديني
 والحفاظ اللغوي . . . إنه يرى أن القرآن الكريم لجأ إلى هذه الفواصل^(١)
 وما كان أحلاها ، وفي الحديث الشريف من هذا اللون مثل ما في سجع
 الحمام من حلادة ، وفي كلام السلف الصالح منه المأثور الخالد ، فما ينفع
 الناشئة أن تتخلى عنه أو تنكر له : « فيانشء العربية ، ان لغتكم لسرية
 مثرية ، ولن يضرها عائب ينكر حلادة الفواصل في الكتاب الكريم ،
 ولا سجع الحمام في الحديث الشريف ، ولا كل مأثور خالد من كلام
 السلف الصالح » .

الموضوعات

لم تكن الموعظة والزهد الغرض الأساسي عند شوقي ، ولم تكن
 الحكمة والمثل كذلك من هدفه الأول وان أشار اليها وأشاد بها في مقدمة
 الأسواق « الحمد لله الذي علم بالقلم ، وألمم نوابغ الكلم ، وجعل الأمثال
 والحكم ، أحسن آداب الأمم » على كثرة ما تقع له الحكمة . . وواضح

(١) كان شوقي شديد الدقة شديدة البراعة حين استعمل هذا التعبير في مقطوعة عنوانها :
 السجع . . لم يشأ أن يسمى ما في القرآن سجماً ارتفاعاً به عن أسلوب البشر
 من نحو ، وتنزيهاً له عما نزه عنه نفسه حين اتهم بأنه قول كهان . .

أن شوقي لم يقصد كذلك الى موضوع واحد - أو موضوعات متقاربة -
 بمثله أو يعبر عنه عدد من الشخصيات على مثال ما أنشأ بديع الزمان
 والحريري في القرن الرابع والخامس والموبلحي واليازجي في العصر الحاضر
 مقاماتهم . . . وإنما نوع شوقي بين موضوعاته تنوعاً كبيراً ، وكان في
 أسواق الذهب ، مثله في الشوقيات ، يتراوح بين الموضوعات الذاتية والموضوعات
 الاجتماعية في ألوانها المختلفة . . . ويطالع الإنسان في كتابه صوراً من المدعى
 العمومي إلى حديث عن الزهرة ، ووصف للشمس وحديث عن الطلاق ،
 ووقفه طويلة عند الحياة ووقفه قصيرة عند الموت . . . إن آفاق شوقي في
 الأسواق من التنوع ومن الامتداد في هذه الوجهة أو تلك بحيث ندفعنا
 الى القول بأنه لم يكن يقصد إلى الإنشاء من حيث هو إنشاء بقدر ما كان
 يقصد إلى التعبير عما حوله وعما في نفسه .

على أن هذه الموضوعات لم ترتب وفاق شكل معين ، فلم تفرد الموضوعات
 ذات الصبغة المعينة في قسم خاص وإنما جاءت ، شأنها في ذلك شأن الشوقيات ،
 متداخلة متعاقبة .

ولست هذه الموضوعات جديدة كلها ، وليست كذلك قديمة كلها . . .
 بعضها من هذه الموضوعات الانسانية المشتركة التي لا يفتنى فيها القول ، وبعضها
 من هذه الموضوعات الطارئة التي توحى بها الساعة وإن كان شوقي ، على ما نعرف
 من أمره في الشعر ، أقدر الناس على أن يستخلص من الحادثة الطارئة المعنى
 الثابت ، وأن يعتمر من البارقة الخاطفة الضوء المديد .

وقد وفق شوقي في تجديد موضوعاته الشعرية توفيقاً بارعاً يتجاوز
 النطاق التقليدي أو الذي آل أن يكون تقليدياً في اختيار الموضوع ،
 فاستمد موضوعاته من كل ما حوله : من الدين ، ومن المجتمع ، ومن

السياسة ، ومن صراع الفكر ، ومن هذه القضايا التي كانت تثيرها روح العصر ...
 فتحدث عن الشهادة والصلاة والصيام والزكاة والحج ، وعن العدل والظلم وشاهد
 الزور ، وشهادة الدراسة وشهادة الحياة ، وعن الأهرام والبحر المتوسط والجندي
 المجهول ، وعن الظي والأسد والشمس ، وأشار الى الوطن والوطنية ،
 والاشتراكية والشيوعية ، والحربة والاستقلال .

ولكن يجب ان نستدرك .. فشوقي حين طرق هذه الأشياء كلها إنما
 طرقها ليصنع منها عملاً فنياً لا ليعالجها أو يشرحها ... إن بناء الأثر الفني
 هو الذي كان يستبد بكل قواه ، ومن هنا مصدر أكبر الفرق بينه وبين الذين
 عاصروه من الناثرين المرسلين .

العناصر

واذا كانت موضوعات شوقي في هذا النوع فما هي العناصر التي كانت
 تدخل في تركيب مقالات شوقي وفي إقامة بنائها .

العنصر التاريخي :

نستطيع أن نلمح بوضوح أن ثقافة شوقي التاريخية تؤلف عنصراً أساسياً في
 تكوين موضوعاته ... بل ان هذه الثقافة التاريخية هي التي كانت تبيح لبعض
 مقالاته أن يطول ... وحيث يكون التاريخ يمتد نفس شوقي ، كأن التاريخ
 نبع يرتوي منها ويتزود ما وسعه الارتواء والتزود .

ونحن نظفر بهذا العنصر التاريخي في شكلين :

أحدهما هذا الشكل الاستعراضي الذي يمضي فيه شوقي مع مراحل الزمن ،
 كما فعل في قطعة القناة وفي الجندي المجهول إذ بنشئ المشاهد ويعرض الصور .
 والآخر هذا الشكل الموجز الذي يكتفي فيه ببعض الأقباس فيذكر بعض

الأشخاص أو يلفت إلى بعض الأمكنة ، أو يلفت ببعض الأسماء ، ليكون لهذه الأسماء والأمكنة والأشخاص دور الإيجاء والإثارة .

وهذا الاحتفاء بالعنصر التاريخي في نثر شوقي ليس بدءاً جديداً . . فنحن إذا كنا نراه أو نلحه في نثر شوقي فقد لحناه كذلك من قبل في شعره . إنه ركيزة أساسية من ركائز العمل الفني عند شوقي الشاعر وشوقي الناثر .

العنصر اللغوي :

إفراغ الأثر الفني في قالب السجع يقتضي بطبيعته مادة لغوية ثرة . . ونحن لا نستطيع أن نتصور نثراً مسجوعاً لا يكون لغزارة اللغة ووفرة مفرداتها نصيب كبير فيه .

وإذا كان هذا صحيحاً فنحن لا نحتاج أن نقف وقفة طويلة عند هذا العنصر الذي يدخل في عمل شوقي النثري . . غير أننا لا نملك السكوت عن ملاحظة أن شوقي استطاع أن يجاري الفحول في استخدام المادة اللغوية واستثمارها . . ان مقالاته في أسواق الذهب كشفت عن قدرته اللغوية الباهرة . . وإذا كان هذا شبيهاً طبيعياً من أمثال الحريري وبدیع الزمان والزمخشري والبازجي من الذين نشأوا في رحاب المعاجم العربية واتصلوا بالثقافة اللغوية اتصالاً مستمراً دائماً - فإنه من الأمر الخارق الذي يلفت النظر حقاً أن استطاع شوقي - وبديته هي بيئته التي تتمازج فيها العناصر الأعجمية وتتغلب فيها اللغات الأجنبية : التركية والفرنسية - أن يستعلي على هذه البيئة من نحو وأن يمسك بزمام اللغة العربية وأن يسخرها كيف يشاء ، فتلين له بين يديه وتطاوله في نثره في انطلاق واستساغة ومشيء من عقوبة كثير ، وأن يضرب في هذه اللغة يطلب ما يقتضيه السجع فلا يفوته اللفظ وإنما يسلس له كما يريد في نطاق الصنيع الفني الذي أخذ نفسه به .

إنه ليس شيئاً عادياً أن يمثلك شوقي كل هذه القدرة اللغوية التي دل عليها نثره بأكثر مما دل عليها شعره نتيجة لتعبه الشخصي ومطالباته الخاصة وحسه المرهف ، دون أن يكون واحداً من الذين نشأوا في رحاب الأزهر أو درسوا على أساتذته أو كانوا قريبين من معاقل الفصحى .

العنصر التأملی :

وتأملات شوقي عنصر ثالث من عناصر مقالاته . . . وإذا كان بعض هذه المقالات كما يقول هو « من شؤون المجتمع وأحواله ، وصفات الانسان وأفعاله ، أو ماله علاقة بأشياء الزمن ورجاله - ص ٤ » فان بعضها كذلك كما يقول « قد نبع من القلب وهو عند استحمام عفوه ، وطلع في الذهن وهو عند تمام صحوه وصفوه » .

وليس معنى هذا العنصر التأملی في بعض هذه المقالات أنها تنجرد عن الدافع الاجتماعي أو الباعث النفسي ، فما إلى ذلك قصدت . . . وإنما أردت أن حظها من التأمل الفكري واستملائه أكثر من حظها من مشاهدة الواقع واستمداده . . . إن الكثرة الكثيرة من مقالات الزمخشري تعود إلى هذا التأمل ، ولكن بعضها كالحديث عن الوطن صرد التأمل فيه إلى باعث نفسي ، وبعضها يعود إلى دافع من الحياة . . . ومقالات شوقي يرجع بعضها إلى هذا العنصر التأملی كما في حديثه عن البيان ، والاسان ، والمال ، والحياة ، والموت وما إلى ذلك .

العنصر الواقعي :

ومع ذلك فإن الجانب الأكبر من مقالات شوقي يرتد ، في أصله الذي نجم عنه أو في تفاصيله التي ينشعب فيها ، إلى هذا العنصر الواقعي من حياة الشاعر أو مما يشاهد في مجتمعه ، مما يفرح به أو يشكوه منه ، مما ينكره أو مما يتمناه . . . ولو رحنا نستقصي هذا العنصر من مواضيع شوقي لطال بنا الطريق ، ذلك أنك

نجدته في أكثر المقالات . . . وقد يكون هو الذي يولد بعض معانيه أو يلوّن الحديث عنه . . . ففي قطعه عن « الجندي المجهول » نستطيع أن نلمح بوضوح كيف انعكس بعض العناصر الواقعي في حياة شوقي أو مجتمعه على هذه القطعة فولد فيها بعض معانيها . . . إن شوقي يشهد كيف يسير الناس في الجنائز ، وبنالون وهم يشيعون الأموات ، من الأموات والأحياء على السواء ، ويلفون في الأعراض والحرمان وهم يرون عاقبة الحياة . . . إن هذه الصورة الاجتماعية المنفرة ولدت عند شوقي في حديثه عن الجندي المجهول هذه الفكرة : (. . .) إلاّ هذا الجندي المجهول ، فقد خلت جنازته من المأساة والهاض ، والغامط والغامر ، فقل لمن لم يعرفه الناس : طوبى لك ، ما أنعم بالكَ ، وما أنتى كفنك ومسر بالكَ - ص ٢٤) .

وشوقي كذلك يشهد في مجتمعه كيف يكون تجنّي الشيع والاحزاب ، وكيف يتسلح غير ذي مجد بأذبال ذوي المجد ، وكيف يحاول الفاشلون من الأبناء أن يستغلوا سمعة آبائهم . . . فإذا ذلك كله ينعكس كذلك في مقالاته وبوآد عنده هذا المعنى الذي صاغه في الجمل التالية : (. . . ذهب رحمه الله لا عن ولد يرمينا بمجادل أبيه ، ولا أخ يسحب علينا أكفان أخيه ، وكفانا تجنّي الشيعة ، وإدلال الشيعة ، وكلّ حرباء ينساق الناس شجراً إلى الشمس ، بعيداً على مناكبهم من المهد إلى الرمس - ص ٢٥) .

الأسلوب

حين نتحدث عن الآثار الفنية التي أنشئت في قالب السجع بغلب على أذهاننا معنيان اثنان : أحدهما هذه الحسنات البديعية المختلفة التي تواكب السجع من مثل الجناس والطباق والتورية ومراعاة النظم وما إلى ذلك . . . والآخر هذا الفقر المتوحي الذي نلحه في كثير من الآثار المسجوعة ، وهذا التغليب للجانب

اللفظي الذي يخرج الأثر الفني عن هدفه الأول إلى شيء من الثثرة أو الحشو كما عبر عن ذلك شوقي نفسه .

أفجد مثل هذا عند شوقي حين نقرأ أسواق الذهب ؟ وهل استطاع أن يتجنب العيوب التي رمي بها السجع أو التي أضفيت عليه ؟ وما بلغ من أمره في هذا السبيل ؟

من الحق أن تنبه قبل كل شيء إلى أن شوقي استطاع أن ينجو مما سماه الثثرة ، وارتفع بأثره الأدبي عن مستوى الآثار المسجوعة التي سيطرت في بعض فترات الانحطاط . . . وبوجه خاص استطاع أن يسود المعنى ، وأن لا يغمط الفكرة ، وأن يجعل نقطة انطلاقه التعبير عما في نفسه ، لا مجرد التعبير . . . إن كثيرين من الذين كتبوا سجعاً لم تكن تعبش في أذهانهم فكرة معينة ، وإنما كانت تعبش في ذاكرتهم ثروة لغوية خصبة تتيح لهم هذا السجع وما يتصل به من محسنات . . . فلما أرادوا لهذه الثروة اللغوية أن تبدو ، ول هذه القدرة أن تنضح للناس ، أخذوا يفتشون . . . بمعنى أن الدافع الأول - أغلب الظن - كان يكن في الرغبة في استعمال هذه الثروة والإبانة عنها ، وكان يتمثل بعد ذلك في هذا الأثر الأدبي أو ذاك . . . إن نقطة الانطلاق كانت في كثير من المرات اللغة نفسها . . . ولكن شوقي لم يكن كذلك ، فلم تكن الرغبة في الإدلال بقوته اللغوية - فيما يبدو حقاً - مصدر هذا العمل الفني ، وإنما كان هنالك فكرة معينة تطيف بذهنه ، أو تأمل يسيطر عليه ، أو انفعال يخامر فؤاده ويغمره ، فاذا هو يعبر عنه هذا التعبير المسجوع ، تماماً كما كان يعبر عن هذه الأشياء بالشعر .

ولكي تؤكد هذه الحقيقة يكفي أن نذكر ما فعله الاصفهاني في أطباق الذهب . . . إن مقاماته كانت عرضاً لغناه اللغوي . . . ذلك لأننا نعدم عنده الفكرة فأنكاره هي أفكار الزمخشري ، ونعدم عنده الانفعال فأنفعاله يأتي طارئاً ،

بأني متأخراً لا ينبع من ذاته وإنما بآتيه من قراءة الزمخشري عن طريق العدوى ، ولا تكاد نجد عنده إلا هذه التوسعة اللغوية - إن صحت النسبة - لما قاله الزمخشري .

وأمل شيثاً من هذا أو هذا كله هو الذي فعله البازجي في مقاماته « مجمع البحرين » فقد كانت عرضاً لبراعته اللغوية في أكثر المرات ، وفي مقامة كالمقامة اللبانية مثلاً نجد أنه استعرض الأفعال التي تدل على معاني القطع والأفعال التي تدل على معاني الكسر والفروق الدقيقة بينها ثم نظمها . .

ومما يمكن من أمر فنحن لا نستطيع أن نتفي - حتى في الآثار التقليدية الصرفة - وجود الفكرة ووجود الانفعال أحياناً . . غير أننا نفرق بين فكرة وفكرة وانفعال وانفعال بالدرجة أولاً والأصالة والتقدم ثانياً . . فالزمخشري أعدى الأصهباني بانفعاله ، ولكن من المؤكد أن الأصهباني عانى نوعاً من الانفعال ، هو على الأقل انفعال الرغبة في إنجاز الأثر الفني ، وانفتح له بعض الجديدي المعنى ، هو على الأقل الشرح والتوسعة . . ولكننا في تقويم الأثر الفني لا ننظر إلى وجود هذا العنصر أو ذاك وإنما نلتفت إلى درجته من نحو كما تلتفت إلى أصالته ومكانته من نحو آخر : أكان عنصراً أصيلاً دافعاً أم كان عنصراً ثانوياً لاحقاً ؟ . . أكان له دور الإثارة والفتيح أم كان له دور التقليد والمتابعة . . ومن هنا نؤكد ما لاحظناه من أن شوقي وضع الرغبة في إنشاء أثر فني بكل ما يحتاج إليه هذا الأثر من فكر وانفعال وصنع ، قبل أن يضع الرغبة في اظهار البراعة اللغوية . . على حين كانت البراعة اللغوية موجّهة أول في بعض الآثار المسجوعة الأخرى .

ومن هنا يصح لنا أن نلاحظ أن شوقي كان ينظر بعينه إلى السماء أو الطبيعة أو النفس أو المجتمع ثم ينظر إلى المعجم أو ينثال المعجم على لسانه . . أما بعض

الذين سلكوا السجع فقد كانوا ، أغلب الظن ، ينظرون الى المعجم اللغوي ، ولا يتركون لعقولهم وأحلامهم وأهوائهم دورها أن تنهض بيهبتها في انشاء الأثر الفني .

واذن فقد وفق شوقي في انتشال السجع من وهدته التي رُدّي فيها حين بدأ انطلاقه فيه من الفكرة . . . ولم تكن الفكرة أو الحادثة أو الشيء الذي يراه بعينه ليصفه ، بحالاً لتصيد الألفاظ اللغوية التي يمكن أن تدور في فلك هذه الحادثة أو هذا الموصوف ولكنها كانت لتعبّر عنها ولتتلاءم معها ، لا لتتلاءم مع التعبير الجاحز أو التعبير المجتلب .

ولهذا فنحن نجد أن لمقالات شوقي عناوين : الأسد - الجمال - الذكرى - الأهرام - الطلاق . . . ولكننا لا نجد لمقامات الزمخشري عنواناً وبالتالي لا نجد عنواناً كذلك لمقامات الأصفهاني . . . وفي مقامات الحريري لا يفني العنوان دائماً . . . وعناوين « مجمع البحرين » غريبة جداً لأنها مصطنعة اصطناعاً واضحاً (المقامة المصرية - الرشيدية - الفرانية - اللبنانية - الحموية) فهي لا تدل على شيء مما وراءها ، ولذلك لما صنعوا فهرس هذه المقامات كتبوا العنوان وكتبوا الى جانبه ما تتضمنه المقامة . . . ان العنوان الصحيح يعبر عن الحادثة أو الفكرة التي أراد الكاتب أن يتحدث عنها لا الحادثة المفتعلة التي أراد الكاتب أن يجمع حول نواتها الألفاظ اللغوية المختلفة .

والحق أننا ، في سلسلة الآثار المسجوعة في الأدب العربي ، نستطيع أن نلح هذه الأنواع المختلفة : آثار تقوم على تغليب اللفظ - وآثار تقوم على تغليب الحادثة - وآثار تقوم على تغليب الفكرة مع رعاية مقام اللفظ .

في الأولى تتضاءل الفكرة وتختف ، وتبدو من وراء خباب ، ويسيطر

اللفظ بكل ما يتصل به من جناس وطباق ومراعاة نظير . . كما في بعض مقامات البازجي .

وفي الثانية تحاول الحادثة أن تخفف من سيطرة اللفظة ولكنها توفق أحياناً في مفاجأتها أو طرافتها شأن بعض مقامات البديع والحريري ، وتفشل أحياناً في رتابتها وتكرار شخوصها وضيق أفقهم وتناولهم التناول الخارجي .

وفي الثالثة تسيطر الفكرة ولكنها لا تحجب جمال اللفظ ، وتبدو الفاصلة وكأنها جاءت لتمكن لما يحسن به المنشئ أو للذي يجول في ذهنه .
وأغلب الظن أن سجع شوقي كان من هذا النوع .

. . .

ولم يوفق شوقي في أن ينجز بالسجع من الفقر في الفكرة والتفاهة في المعنى ، وإنما وفق كذلك في أن ينجز من سيطرة المحاسن اللفظية التي تواكبها . . ان الطباق والجناس بأنواعهما يشغلان حيزاً كبيراً في الآثار الأدبية المسجوعة ، ويقصد اليها في بعضها قصداً ، ويتولد المعنى الصغير حيناً منها ، وقد يلتفتان الحديث عن مجراه . . وما أكثر ما كانت هذه الأشياء تجلب اجتلاباً بتضج للقرى دون ربب أنه اجتلاب مفتعل . . .

أما شوقي فالذي تبسر له من ذلك بنبي عن أنه لم يكن مقصوداً إليه كل القصد وبصورة خاصة ما يسميه البديعيون مراعاة النظر . . وأحسب أن الذي جاء عنده من الطباق والجناس إنما كان أثراً من آثار نشدان السجع نفسه . . فاللفظة المسجوعة تستدعي لفظة أخرى قد لا تشاركها في الحرف الأخير فحسب ، ولكنها تشاركها في أكثر من حرف فيتولد هذا الجناس الناقص . . ولعلنا حين نقرأ مثلاً حديثه عن اليوم « ص ٧٢ » وعن الغد « ص ٧٣ » نجد أبرز القطع التي تتجمع منها هذه العناصر البديعية .

وما نعني شوقي من قدرٍ من التكلف في اصطناع هذا البديع اللفظي ،
ولكننا ننفي عن مجبته أن يكون قد غرق في المحسنات فضلت به المحسنات عن
معناه . . . إن وجود هذه المحسنات التي تواكب السجع أمر لا مفر منه عند
اصطناع هذا الأسلوب . . . ولكن كثرتها وغلبيتها هي التي تقيم المخالفة بين
أثر وأثر : تجعل من أحدهما أثراً مقبولاً أو محبوباً ، ومن الآخر أثراً
محبوباً أو مرفوضاً .

إن شوقي أراد من السجع كما قال حلاوة الفواصل وهديل الحمام بأكثر مما
أراد إلى القيد والتكلف والالتزام .

. . .

على أن شوقي لم يلتزم هذا السجع دائماً ، ولعل من الغريب أن نلاحظ أنه
في الأقسام الأخيرة من أسواق الذهب انحرف عن التزام السجع . . بل أنه
حتى في القطعة التي كتبها للدفاع عن السجع في الأسواق تحرر من هذا القيد
وبدا أشد ميلاً إلى الأسلوب المرسل وإن كان التزم الازدواج وتوازن الفواصل .
إن هذا التخلل كان بداية طريق جديدة في نثر شوقي . . كان بداية
الطريق إلى النثر المطلق الذي بدا في أميرة الأندلس .

وكذلك يتضح أن نثر شوقي جرى مع شعره في طريقين متوازيين : كان
شوقي أول الأمر شديد الصلة بالقديم وكان نثره شديد الارتباط بالسجع . .
فلما مضى شعره في موضوعاته وأصاليه حرراً خالصاً من قيود القصر ، انطلق كذلك
نثره حرراً خالصاً في أميرة الأندلس .

ومما يمكن من تقديرنا لهذا النثر فلسنا نملك أن نقول الذي قاله الأستاذ
المرحوم شكيب أرسلان من أن نثر شوقي قتل شعره أو فتك به فلبس سيفه

الحياة الأدبية هذا . . . لكننا نميل إلى القول ان آلهة الشعر التي قامت عن ميامنه « كما قال الشيخ بشاره الخوري في رثائه » قد استبدت به فلم تترك لربات النثر التي قامت عن ميامره أن تستقل بهذا الشاعر الملمم . . . شدته الى موسيقاها ، موسيقى الخليل ، فلما نفاضت عنه بعض الأحيان شدته النثر الى أساليبه وفواصله .

ان نثر شوقي في مثل منزلة الشعر . . . بل انه شعر اذا نحن التزمنا تعبيره . . .
إنه شعره الثاني^(١) .

المكتور شكري فيصل

أستاذ الأدب العربي بجامعة دمشق

— ٢٠٠٤ —

(١) يرجو صاحب البحث كل الذين يملكون بعض النصوص او الرسائل من نثر شوقي ،
مما لم يطبع ، أن يتفضلوا بهدايته اليها أو اطلاعه عليها .

معجم المصطلحات الطبية

الكثير اللغات

للدكتور ا . ل . كليرفيل

نقله الى العربية الأستاذ مرشد خاطر وأحمد حمدي الحباط

ومحمد صلاح الدين الكواكي

(لجنة المصطلحات الطبية في كلية الطب من الجامعة السورية)

— ١ —

لا تزال كلية الطب في الجامعة السورية هي المدرسة الطبية الوحيدة التي تدرس الطب باللغة العربية في العالم العربي قاطبة ، وإن سبقتها في هذا المضمار ، لمدة قصيرة من الزمن ، مدرستا القصر العيني في مصر والجامعة الأميركية في بيروت . فقد بدأ بتدريس الطب بالعربية في دمشق منذ إعادة افتتاح مدرسة الطب فيها (٢٤ من كانون الثاني سنة ١٩١٩)^(١) بعد اتخاذ لغة الضاد لغة التعليم في تلك المدرسة .

(١) لقد تم في التاريخ المذكور إعادة افتتاح مدرسة الطب باسم المدرسة الطبية العربية خلفت مدرسة الطب العثمانية التي يعود تأسيسها الى سنة ١٩٠٣ ، والتي كانت التركية لغة التدريس فيها ، وكان معظم أساتذتها من الأتراك عدا أستاذين كانا من أبناء البلاد العربية أحدهما المرحوم الأستاذ ميشيل شامندي الذي عهد اليه بتدريس الطب الشرعي ومفردات الطب وفن المداواة . وكان بين مساعدي الأساتذة الأتراك عدد غير قليل من أبناء سورية ، خلفوا أساتذتهم في التدريس في المدرسة الجديدة . ثم بَدُل اسم المدرسة الطبية العربية فصار اسمها المعهد الطبي العربي ، وبَدُل مرة أخرى فأصبح كلية الطب .

وبعود فضل التدريس بالعربية الى أولئك الأساتيد الذين وصدت اليهم كراسي التدريس (ومعظمهم ممن تخرج من إحدى مدرستي الطب العثمانيين في دمشق أو في اسطنبول) . وكانت دراستهم بالتركية قد مهدت أمامهم السبيل الى التدريس بالعربية ، لأن المصطلحات الطبية في اللغة التركية معظمها عربية . وليس من الصعب رد الألفاظ التي شوهتها أو حرفتها الصياغة التركية الى وضعها العربي الصحيح ، وانبرى ثلاثة من أساتيد مدرسة الطب الى ايجاد المصطلحات الطبية العربية ، والى ارشاد زملائهم الى الألفاظ الصحيحة ، فكان لهم القدر المعلى في هذا المضمار ؛ وهم الأساتيد مرشد خاطر (وهو ممن درس الطب بالفرنسية ، وتخرج من الجامعة اليسوعية في بيروت) ، وأحمد حمدي الخياط ، والمرحوم جميل الخاني . فهؤلاء الثلاثة يعدون رجال الطليعة في هذا الميدان ^(١) ، يضاف اليهم الأستاذ عبد الوهاب القنواقي الذي أخذ على عاتقه وضع المصطلحات الكيميائية . واستعان بقية زملاءه بخبرة أولئك فكانوا جميعاً المرجع الأول ، وتلا هذه الطبقة رجال الطبقتين الثانية والثالثة ، وكل منهم جهد في رفع شأن اللغة وايجاد المصطلحات في الفرع الذي اضطلع بأعباء التدريس فيه . ويعد الأستاذ محمد صلاح الدين الكواكبي (وهو من رجال الطبقة الثانية) من المجاهدين في هذه الحيلة ، إذ ما كاد ينهي دراسته ، ويجوز شهادة الصيدلة حتى رأينا

(١) هذا وإن الأمانة تقتضي بأن ننوه بفضل المرحوم الدكتور حكمة المرادي الذي انبرى الى كتابة سلسلة من المقالات نشرها في مجلة (الصحة العمومية) الأسبوعية التي كانت تصدرها رئاسة ادارة الصحة في دمشق ، مقترحاً قبول عشرات من المصطلحات الطبية العربية مقابل المصطلحات الفرنسية ، وقد استعمل معظمها أساتيد كلية الطب كالتخزيب والقلاب والمقلوب والأسر واللى والنقي والوتين والمشاش والحاصّة والهبيضة والشرى وانتشار الحدة والزحير والزحار والذبحة والعناق والقلاع والسلمة والرعن والعتي والبادير والشفّيع والداغصة والخلب والإبقار (من العملية القيصرية) والكفاز والإباء (عن فقد الشهوة) والدوار وارتقاء الدم والسادة والمراق وغيرها .

له المقالات المتتابعة في مجلة المعهد الطبي العربي^(١) ثم رأيناه يشرع في وضع كتابه الذي سماه «مصطلحات علمية» ، وقد أعاد طبعه خمس مرات على ما أعلم . هذا وإن الأمانة تقضي أيضاً بأن لا نغفط حق أولئك العلماء والرواد الأول من أساتيد النصر العيني عندما كانت العربية لغة التدريس في الطب ، ولا أولئك المؤلفين الأجلاء الذين درّسوا الطب بالعربية في الجامعة الأميركية في بيروت^(٢) .

وأنشئ في مصر سنة ١٩٢٢ مجمع اللغة العربية الملكي ، وصار اسمه بعد الثورة مجمع اللغة العربية ، وأنبط بأحدى لجانه النظر في المصطلحات العلمية

(١) لم تمر مجلة الصحة العمومية الأسبوعية التي ألفت إليها طويلاً ، إذ لم يصدر منها سوى ٢٦ عدداً ، وكل عدد منها ثلثي صفحات ، ثم جعل العدد الواحد ست عشرة صفحة بعد أن تولى رئاسة تحريرها الأستاذ مرشد خاطر . وصدرت بمئذ في أول سنة ١٩٢٤ مجلة طبية شهرية هي مجلة المعهد الطبي العربي ، باشراف الأستاذ خاطر وانقطعت عن الصدور بعد سنة ١٩٣٦ ، وكانت هذه المجلة نبراساً يهتدى به ، ومبدأناً فسيحاً تنبأرى فيه أعلام التفويين والأطباء من سورية ولبنان والعراق ، سواء في المصطلحات الطبية أو في الموضوعات الطبية المحلية والمستحدثات المستجدة في بلاد الغرب .

(٢) لم يتح لسكّاب هذه السطور الاطلاع على ما ألفه هؤلاء ولا أولئك ، إلا أنني أجلت الطرف عَرَاضاً في أحد الكتب التي وجدتها في خزانة كتي ، وهو المعروف بالصبايح الواضح في صناعة الجراح من تأليف وترجمة الدكتور جورج بوست أستاذ الجراحة في المدرسة الكلية في بيروت وقد طبع سنة ١٨٧٣ ، فوجدت لفته صحيحة لا غبار عليها . وقد سبقنا في استعمال الكثير من المصطلحات الطبية كآكلة الفم والآمة والأدرد والأدرة والارتشاح والتأمور والاستسقاء وأسر البول والإطراق والملتحة والراغامي وبرحاء والتقليح وتلين الدماغ والجمرة والجهر والحمر وحى الدق والخشم والحشيد والبيات والسفة والسلاق والشرة والمقبولة والممش والفحج والفدع والفرقة والفقم والفلسج والقائير والقدم المرجاء والقداء والقداء والوكماء والرحاء والقبلة المائية والكمئة واليفين والنسيج الخلوي والوتر والوكع وغيرها .

ومن بينها المصطلحات الطبية لعرضها على مجلس الجمع وقرارها ، فأقر الجمع جملة قرارات تناولت الطريقة الواجب اتباعها في وضع المصطلحات الطبية مما لا يتسع المجال لسرده .

وقد شرع الجمع في وضع المصطلحات في بادئ الأمر وفق الأسس التي أقرتها دون أن يلتفت الى ما فعله أساتيد كلية الطب في دمشق . وثابر هؤلاء أيضاً على الطريقة التي اختطوها لأنفسهم (ولا أقول اختطوها كل منهم لنفسه) دون أن يكون هنالك ما يجمع أو يوحد بين جهود الطرفين . وبدت بوادر التقارب مؤخراً فرأينا بعض لجان الجمع تنظر بعين الاعتبار الى ما سبق لأساتيد كلية الطب وضعه وإدخاله في صميم لغة الطب المتداولة في سورية وفي معظم البلاد العربية درساً واستعمالاً . ومع ذلك لا يزال ثمة خلاف بين لا بين الفريقين المذكورين فحسب ، بل بين أساتيد كلية الطب أنفسهم ، فترى للفظ الفرنسي الواحد بضع كلمات عربية بين معرب ومشتق ومنحوت . وكل واحد من واضعي تلك الكلمات أو من المنتصرين لها ينشئ برأيه ولا يجيد عنه قيد أنملة .

واستبشر خيراً كل من بهمه الأمر عندما طرق مسامعه أن لجنة من خبرة أساتيد كلية الطب وأطولهم باعاً في وضع المصطلحات الطبية قد تألفت وأخذت على عاتقها مهمة وضع معجم شامل يهدف الى توحيد المصطلحات ، ويكون مرجعاً يعتمد عليه ، وهما هو قد صدر المعجم فهل تحققت به الآمال ؟ .

إنه لسفر ضخيم عدد صفحاته تقارب الألف ، وقد طبع طبعاً متقناً في مطبعة الجامعة السورية . وهو منقول الى العربية عن معجم ل . ل . كليرفيل الكثير اللغات (فرنسي انكليزي ألماني لاتيني) ، فتكون العربية اللغة الخامسة فيه . والترجمة كانت عن طبعته الثانية التي صدرت سنة ١٩٥٣ ، ورقمت كلماته بأرقام متسلسلة فكان لكل كلمة عربية رقم مماثل لرقم الكلمة الفرنسية ، وقد بلغ مجموع الكلمات ١٤٥٣٤ كلمة .

إن إقدام الأساتذة خاطر والخياط والكواكبي على هذا العمل الجليل ، وما أدوه في تحقيقه من خدمة لأبناء الضاد عامة وللطب والأطباء خاصة ، سيسجل لهم بمداد الفخر والاحترام . وليسمح الزملاء الأكرام بعد هذا بأن أبدي ملاحظاتي عليه :

١ - المعجم الأصلي المترجم :

لا يعد هذا المعجم كاملاً من حيث عدد مفرداته . فاذا ما قيس بالمعجم الطبية الأخرى كمعجم (Blakiston's) مثلاً نجد أن الطبعة الثانية من هذا المعجم الأخير (وقد صدرت سنة ١٩٥٦) قد زادت على الطبعة الأولى بمقدار ١٢٠٠٠ لفظة ، ونجد أنه جرى فيها تبديل ٨٠٠٠ لفظة من ألفاظ الطبعة الأولى . فأين هذا من معجمنا الذي بلغ مجموع مفرداته ١٤٥٣٤ لفظة فقط . ولاحظ كاتب هذه السطور وهو يطالع في الصيف الماضي كتابين صدرا حديثاً أحدهما انكليزي وهو (The Person Behind the Disease) أي الشخص وراء المرض لمؤلفه (J. Bauer) ، وآخر فرنسي وهو (La douleur et les douleurs) أي الألم والآلام لمؤلفه الأستاذ (Alajouanine) أن عشرات إن لم أقل مئات من الألفاظ الجديدة خلا منها معجمنا الطبي .

٢ - ترتيب المعجم :

لقد جعلت اللجنة ترتيب المعجم - وهو على الحروف الفرنسية - من اليمين الى اليسار على غرار ما يكون في المعجمات العربية . والأفضل أن يكون الترتيب من اليسار الى اليمين تسهيلاً للبحث عن اللفظة الفرنسية ، وهو ما درج عليه زميلنا الفاضل الأمير مصطفى الشهابي في معجم الألفاظ الزراعية ، وودت أيضاً لو نسجت اللجنة على منوال هذا المعجم الزراعي الكبير باثبات الألفاظ العربية ، مرتبة على الحروف الهجائية العربية ، في صفحات ملحقة بالمعجم . وهو عمل سهل مادام

يوجد لكل لفظة من الألفاظ رقم خاص يمكن رسمه في جانب اللفظ العربي ،
فيدل على اللفظ الفرنسي الذي يقابله ، وتصبح فائدة المعجم بذلك مضاعفة .
وهذا ما درج عليه مؤلف المعجم الأصلي في الألفاظ اللاتينية .

٣ — الأسلوب المتبع :

لقد ذكرت اللجنة في المقدمة الأسلوب الذي اتبعته ، فقالت إنها تنحى
المعنى الصحيح لكل كلمة من كلمات المعجم بانتقاء الكلمة العربية الصريحة ، من ترجمة
سابقة صحيحة ، أو وضع ترجمة صحيحة عند فقد تلك ، مستعينة ببعض طرق
الاشتقاق المقررة لأسماء الآلات والأمكنة . وإن كانت الكلمة مصدراً لعمل
ترجمتها بالفعل الماضي لذلك الفعل ؛ ودرجت على اتخاذ وزن فَعَلَ للدلالة على
المرض (كَفَيْلَ ورقص لداء الفيل وداء الرقص) ؛ وخصصت وزن استفعال
بالكلمات التي يقصد منها الاستشفاء (كالاستلقاح) ، ووزن فَعُول وفَعُولَة
ترجمةً للكلمات المنتهية بالكاسمة (Able) و (Abilité) ، ووزن فُعَال للداء
في حشو (١) أو عضو ككُباد وعُصاب وقُلاب وما الى ذلك ، وقالت اللجنة
إنها تضع كلمة أقرب ما تكون من معناها الصحيح لكل كلمة لم تهتم الى ترجمة
صحيحة لها كالحمة والفوعة ، وإنها لم تعتمد الى التعريب الا فيما ندر ،
وكذلك الاشتقاق من تلك المعربات ، وإنها اضطرت الى التخت في بعض
الكلمات للحاجة الملحة اليه عند استعمال النسبة والإضافة الى تلك الكلمات
كالكريراء منخوة من الكرية الحمراء وجمعها كيرادات ، ومثل كريمة
للكرية البيضاء وجمعها كريضات أو كريضادات . واستدركت اللجنة بعد

(١) كذا ورد في المقدمة ولا أظنه إلا غلطاً مطبعياً لم يمتبه الى تصويبه . وهو
حتى أو حشا . فقد جاء في اللسان الحشو البطن لأنه غشي به الفُرُش وغيرها ،
والحنى ما دون الحجاب مما في البطن كله من الكبد والطحال الخ .

ذلك بقولها وكثيراً ما لجأنا الى وضع هذه الكلمات المخوطة مرادفة للكلمات قبل نخبها ، تاركين الخيار فيها للباحث ، حتى اذا ما استأنس بها أخذ باستعمالها . وتركت اللجنة أكثر الأسماء والمصطلحات الكيميائية على حالها غالباً ، كما أنها حرصت في أكثر ما أثبتته من كلمات عربية على شكها على أصح وجوهها بحسب ما عثرت عليه في كتب اللغة الموثوق بها .

إلا أن عمل اللجنة الذي هو حريّ بكل تقدير وأعجاب بموزة بعض الانسجام في انتقاء المصطلحات بعيداً عن التمسك بالآراء الفردية السابقة . فإكل من الأسانيد الثلاثة طريقته في النقل ، وله ألفاظه الخاصة في المصطلحات العلمية أو الطبية ، منها ما نُشر على حدة وأعيد طبعه مرات (الكواكبي) ، ومنها ما نُشر على حدة نقلاً عما جاء في آخر مصنفات المؤلف (الخياط) ، ومنها ما أثبت في إحدى مجلدات مجلة المعهد الطبي العربي ، أو استعمله المؤلف في مقالاته الضافية في المجلة المذكورة أو في مؤلفاته العديدة (خاطر) . وكان ثمة خلاف على بعض تلك المصطلحات . فهل صوّي الخلاف عليها ، وهل وُحِدَت طرائق النقل المختلفة ، وصُهِرَتْ في هذا المعجم المشترك الجديد ؟

إن ما يظهر لمنصف كلمات المعجم أن كلاً من الأسانيد الثلاثة قد التزم نهجه القديم الذي درج عليه فجاء المعجم جامعاً لطريقة كل منهم لا موحداً لها . وعلى ذلك يلح القارئ التمسك بالنحت في كلمات هي في غنى عنه ، ويرى كلمات قد اجتنبت على حين أنها أصلح من سواها ، ويمجد كلمات لم يسبق لغير واضعها أن استعمالها ، ولم يجاره في استعمالها أحد من زميليه ولا من غيرهما . وكذلك يلح الإصرار على إثبات كلمات لا تفي بالمعنى المترجم ، لأن واضعها سبق له أن استعمالها . وهاكم بعض الأمثلة : لقد جاء في مقدمة المعجم ، كما تكرر في متنه ، استعمال كُرَّيرَات ، وكُرَّيضَات (مخوَّتين من كُرَّيَّات حمر وكربات بيض) في صيغة الجمع ، وكُويرة

وكُرَيْضَة في صيغة المفرد ، أولسنا في غنى عن أمثال هذه الكلمات المستحدثة
لنستبدل بها كلمات لم تعد مجهولة لا أحد ، وإن أجازت اللجنة عدها مرادفة
لكلمات الدارجة نازكة للطالب الخيار باستعمال احداها ؟ ^(١) ومع هذا فقد
تجاوزت اللجنة عن النحت في ترجمة بعض المصطلحات الفرنسية المخونة ، مؤثرة
ترجمتها بكلمين غير قصيرين ، ومن ذلك مثلاً أسماء بعض الجراثيم كالمكورات
العقدية (Streptocoques) والمكورات العنقودية (Staphylocoques) وغيرها .
وعودنا الأستاذ خاطر في كتبه العديدة التي نشرها أن يستعمل كلمة العفونة
في ترجمة (Infection) ؛ فإذا باللجنة تقرر كلمة خَمَج ^(٢) عوضاً عنها ،
ومشتقة منها كلمات خَمَج وخموج وانخماج . وعفونة كلمة شائعة وصحيحة وردت
في كتب الطب العربية القديمة منها قانون ابن سينا عند بحثه عن حميات العفونة ،
ومنها كامل الصناعة للمجوسي ^(٣) في ذكره للحميات العفنية (دلائل الحميات

(١) سبق لكاتب هذه السطور أن أبدى ملاحظاته على النحت في تربيظه كتاب
علم السموم للأستاذ الكواكي (الجزء الثاني من المجلد الثلاثين من مجلة الجمع
العلمي العربي ص ٣٢٠) .

(٢) في اللسان الخَمَج بفتح الميم الفتور من تَرَضٍ أو تَب ، يالية . وأصبح فلان
خَمَجاً وخميجاً أي فارقاً ، إلى أن قال : وتخبج اللحم يخمَج خمَجاً أروح وأنتن .
وفي اللسان أيضاً عَمِن الشيء يعمَن عَمَناً وعفونة ، فهو عَمِن يبين العفونة ،
وتعمَن : فسَد من 'لُدُوْنَة' وغيرها فتفت عند مه .

(٣) وهو علي بن العباس المجوسي من الأمراء . وكان طبيباً جيداً متميزاً في صناعة
الطب ، وهو الذي صنف الكتاب المشهور بالملكي ، صنفه للملك عضد الدولة
فناخرو بن ركن الدولة أبي علي حسن بن بويه الديلي . وهو كتاب جليل
يشتمل على أجزاء الصناعة الطبية علماً وعملاً (طبقات الأطباء) .
وفي أخبار الحكماء : علي بن العباس المجوسي طبيب فاضل كامل فارسي الأصل
يعرف بابن المجوسي ، قرأ على شيخ فارسي يعرف بابن ماهر ، وطالع هو
وأجتهد لنفسه ، ووقف على تصانيف المتقدمين ، وصنف للملك عضد الدولة
فناخرو بن بويه كتابه المشي بالملكي ، وهو كتاب جليل وكناش نبيل
اشتمل على علم الطب وعمله حسن الترتيب مال الناس إليه في وقته ولزموا درسه
إلى أن ظهر كتاب القانون لابن سينا قالوا إليه وتركوا الملكي بعض الترك .
والملكي في العمل أبلغ ، والقانون في العلم أثبت .

العفوية وأسبابها وعلاجاتها) ^(١) . وذكر في مكان آخر حى العفونة وحى العفن .
أقول هذا وإن اختلف مدلول مصطلح زمننا هذا عنه لدى القدماء . وقد درج
كاتب هذه السطور على استعمال كلمة انتان وإن كانت دون كلمة عفونة . وهي
لم يستعملها قدماء العرب ، إلا أن مدلولها في المعجمات لا يكاد يختلف كثيراً
عن (الخمج) وهي أسهل لفظاً وأخف وقعاً في السمع وكانت شائعة في العهد
العثماني . وأظنها الآن أكثر رواجاً لهذا المعنى من الكلمات الأخرى . ولم يتح
لكلمة خمج . وقد استعملها الأستاذ خياط منذ أكثر من خمس وعشرين سنة .
أن تجتاز امتحان الزمن . وقل من تداولها من تلاميذه . وطفئت عليها كل من
الكلمتين السالفتين ، ولا أدري هل يكتب لها البقاء بعد أن أثبتنا معجم
المصطلحات الطبية أم لا ؟

وعندي أنه لا يصح الاعتماد على كتب اللغة وحدها في انتقاء الألفاظ العلمية ،
ولا أن تنبش منها ما دُفن من ألفاظ ميتة لا يستسيغها عصرنا الحاضر ، أو يكون
لها معان مبهمة أو متضادة ، أو تكون معرفة تعريفها غير علي الخ . وقد نبه
زميلنا الفاضل الأمير مصطفى الشهابي إلى ما تحويه معجمات اللغة الشهيرة من عيوب
وأغلاط ^(٢) في الناحية العلمية ، كما أتى المرحوم الدكتور أحمد أمين ^(٣) على ذكر
بعض هذه العيوب وأسباب كثرة المترادفات في لغتنا . وهاكم على سبيل المثال

(١) الصفحة ٢٩٩ من الجزء الأول لكتاب كامل الصناعة طبع المطبعة الكبرى في
القاهرة سنة ١٢٩٤ للهجرة .

(٢) مقدمة الطبعة الثانية من معجم الألفاظ الزراعية ، وكذلك كتابه المسمى « المصطلحات
العلمية في اللغة العربية » .

(٣) أسباب تضخم المعجمات العربية ، وهي محاضرة أُلقيت في جلسة افتتاح مؤتمر مجمع
اللغة العربية في الدورة التاسعة عشرة ، ونشرت في الجزء التاسع من مجلة المجمع المذكور .

رأي أصحاب المعجمات العربية في كلمة وريد^(١) ، فالباحث لا يستطيع أن يستخرج منها فكرة معينة بعد ثلاثة ما قيل فيها من المتناقضات ، أما صاحب القانون فقد عرّف الأوردة بالعروق الساكنة ، والجوهرية بالعروق غير الضواريب مطلقاً العروق الضواريب على الشرايين ومثل هذه النصوص في كتب اللغة وغيرها لا تدع مجالاً للشك في أننا لا نستطيع الاعتماد عليها وحدها في انتقاء الألفاظ

(١) في اللسان : وقوله تعالى ونحن أقرب إليه من حبل الوريد قال أهل اللغة الوريد عرق تحت اللسان ، وهو في المضد فليق ، وفي الذراع الأكل ، وما نيا تفرق من ظهر الكف الأشاجع ، وفي بطن الذراع الرواش ، ويقال إنها أربعة عروق في الرأس فمنها النان ينحدران قدام الأذنين ، ومنها الوريدان في العنق . وقال أبو الهيثم الوريدان تحت الودجين ، والودجان عرقان غليظتان عن يمين وتيرة النحر ويسارها . قال : الوريدان ينبضان أبداً من الإنسان ، وكل عرق ينبض فهو من الأوردة التي فيها يجري الحياة . والوريد من العروق ما جرى فيه النفس ولم يجري فيه الدم ، والجداول التي فيها الدماء كالأكمل والشافق وهي العروق التي تفصد . أبو زيد : في العنق الوريدان وهما عرقان بين الأوداج وبين القيتن . وهما من البير الودجان وفيه الأوداج وهي ما أحاط بالخلق من العروق ، قال الأزهري والفرول في الوريدان ما قال أبو الهيثم . غيره : والوريدان عرقان في العنق والجمع أوردة وورود ، ويقال في النضبان قد اتفتح وريده . الجريري : حبل الوريد عرق ترغم العرب أنه من الوتين ، قال : وهما وريدان مكتنفا صفلي العنق مما يلي مقدمه غليظتان . وفي حديث المغيرة متفخة الوريد هو العرق الذي في صفحة العنق يتفتح عند النضب وهما وريدان .

وفي القاموس الوريدان عرقان في العنق ، ج أوردة وورود ، ولم يخرج صاحب التاج عما أورده اللسان .

وفي الخصص : الوريدان عرقان مكتنفا لمفتحي العنق وفي مقدمته متصلان بالوتين يردان من الرأس إليه .

وفي أقرب المواد : الوريد عرق في العنق يقال له حبل الوريد وهما وريدان ج أوردة وورود وورود ، كبريد وبرد . ونيل الوريد هو الودج ، وقيل بجنيه ، وقال الفراء عرق بين الخلقوم وبين الملباوين ، وهو ينبض أبداً ، فهو من الأوردة التي فيها الحياة ولا يجري فيها دم من مجاري النفس .

العلمية ، لاضطراب الكثير من تلك الألفاظ ، ولعدم تحديد المعاجم بمدلولاتها .
 وسبق لأستاذنا خاطر أن استعمل كلمات سُيَام وخرَج وهرَج ترجمة
 لـ (Tabes) و (Rachitisme) و (Hystérie) ، فلم تعد اللجنة النظر في
 هذه الكلمات ، ولا فيما كان على شاكلتها فأقرتها ، أما أنا فقد درجت على
 تعريب هذه الألفاظ الثلاثة بتابس ورخيطةس وهبستريا للأسباب التالية :
 ان كلمة (Tabes) معناها اللاغوي الأصلي هو الذبول والتلف . وحسبنا
 فعلت لجنة مجمع اللغة العربية بترجمتها بالضمي ، فهو أقرب الى المعنى المقصود ،
 بينما كلمة سُيَام قد عني بها الأستاذ خاطر أحد مظاهر الداء المعروف ، وهو
 الألم الذي ينتاب العليل بالعملة المذكورة على هيئة طعنة السهم ، وليس من
 أعراض الداء الملازمة بل يظهر حيناً ويغيب أحياناً ، والأفضل أن
 يخص السُيَام^(١) بأحد أشكال آلام الداء ، وهو المعروف بالألم السهمي
 (Douleur lancinante) فقط . هذا وقد اتسع نطاق مدلول العلة حتى
 اذا نظرنا في مادة (Tabes) في المعجمات الطبية الحديثة الموعول عليها نرى
 أن لفظة تابس لم تعد مقتصرة على الداء العصبي الأصلي الذي مرده الى الداء
 الأفرنجي والذي ينجم عن تصاب الحبلين الخلفيين للنخاع الشوكي ، بل قد أطلق
 التابس أيضاً على الحالات الآتية التي لاقت بصلة الى الداء الأفرنجي ولا الى
 علة عصبية أو ألم اطلاقاً . واليك ما جاء في معجم (Blakiston) :
 (Diabetic tabes) التهاب الأعصاب المحيطة في السكريين (Optic T.)
 ضمور العصب البصري بالداء الأفرنجي ، (Spastic T.) التصلب المشترك
 للحبلين الجنبين والخلفيين من النخاع الشوكي الذي يحدث عدم الانتظام وتقلعاً في
 الطرفين السفليين ، (T. coxaria) الضمور من جراء علة الورك ،

(١) السوان في التاج السُيَام داء يأخذ الإبل يقال بعير مسوم وبه سُيَام .

(T. diuretica) الداء السكري ، (T. dorsalis) وهو الداء الأملي الذي ألمنا إليه آنفاً ، و (T. ergotica) انسجام دموي من استعمال الأرجوت « دابرة الشيلم » ، و (T. mesenterica) الالتهاب السلي للعقد اللفافية المسارية . وزاد (Dorland) في الطبعة العشرين من معجمه الطبي على ما تقدم : (Interstitial T.) تكشف الدبق العصبي البدئي من جراء كثافة عروق الحبلين الخلفيين ، و (Peripheral T.) التهاب الأعصاب المحيطية أو التابس الكاذب وغيرهما ، وحيال هذه الكثرة في استعمال كلمة تابس وعدم انحصار مدلولها على الألم وحده لا أرى مسوغاً لاستعمال سهاً في ترجمتها لذلك درجت على تعريبها وبخاصة لأن الكلمة العربية خفيفة سمماً ولفظاً .

ووافقت اللجنة على كلمة خرّع في ترجمة (Rachitisme) . وهو علة تبدو في الأحداث تمتاز بتشوه العظام ، وارتباك الحقم ، ومردّها الى سوء التغذية والحرمان من أشعة الشمس ، ولا أظن أن العرب في بواديهم ، ولا في حواضرهم ، قد عرفوا هذه العلة ، وترجمت لجنة مجمع اللغة العربية اللفظة بكساحة بينما أثبتت لجنة معجمنا هذه الكلمة ترجمة للفظ (Paraplégie) الذي اعتدنا أن نترجمه بالشلل النصفي السفلي . ولم أعثر على أي نص لاستعمال الخرّع لعله تشبه ما تعنيه الكلمة الفرنسية ^(١) لذا أرجح تعريبها .

(للبحث صلة) الدكتور حسني صبح

(١) في اللسان خرّع وخرّع : استرخى وضمف ولان وضمف الخوّار . والخرّع نين المفاصل وشفة خربع ابنة ، الى أن قال : وخرّعت كتفه افة في اغلقت ، وخرّعت أعضاء البعير وخرّعت زالت عن موضعها . أما الكساحة ، ففي الخصص الأكسح المقعد وهو من به داء يقعه . وفي الدان الكساح الزمالة في اليدين والرجلين وأكثر ما يتمل في الرجلين . الأزهرى : الكسح ثل في إحدى الرجلين اذا متى جرّها جرّاً . وكسح كساً وهو أكسح وكسحان وكسح وكسح ، وقيل : الأكسح الأعرج والمعد أيضاً . أقول ولا يند كسحاً كل مصاب بالشلل النصفي السفلي .

مختارات مما لم ينشر من شعر البحتري

لا يزال الكثير من أعلام الأدب العربي إلى اليوم في حاجة إلى دراسات مفصلة عنهم ، تنير تاريخ الأدب وتعين على فهم تياراته وتطورها خلال العصور ؛ غير أن مثل هذه الدراسات تظل قصيرة اليد ضيقة الأفق ما لم يسبقها نشر علمي تقدي لا تار هؤلاء الأعلام ، وهذا هو الأساس القويم لكل دراسة علمية منهجية . ومن خير الأدب أن يدرك العالم العربي هذه الحقيقة ، فينتج به باهتمامه إلى نشر المخطوطات القديمة نشرًا علميًا حديثًا يستعير أساليب من سبقنا من المستشرقين في هذا المضمار ، وينهج نهجهم ، وكان أن ظهرت أكثر دواوين الشعراء الفحول في طبعات علمية ألفت ناشرها المحققون فيها من الجهود ما لا يمكن تجديده ، ولكن البحتري لا يزال إلى اليوم يشكو إهماله . .

لدبوان البحتري ثلاث طبعات :

١ - طبعة القسطنطينية (الجواب) عام ١٨٨٢ ، وهي أقدم الطبعات وأصحها ، وعليها المعول إلى اليوم .

٢ - طبعة القاهرة عام ١٩١١ ، وهي كثيرة التحريف والتصحيف وإن كانت أكمل من طبعة الجواب ، ذلك أن فيها شعراً كثيراً لبس في تلك الطبعة .

٣ - طبعة بيروت عام ١٩١١ أيضاً وهي طبعة مشكولة ، شرح فيها الناشر بعض الألفاظ وحذف ما لم يرضه من الشعر المخل بالأخلاق والأدب .

وهذه الطبعات الثلاث - بالجملة - تجارية ، غاية في السوء ، وهي - إلى ذلك - لا تحوي جميع إنتاج البحتري الشعري ، ذلك أن هنالك جانباً ضخماً من شعر

البحثري بقرب من ثلاثة آلاف بيت لما بزل مخطوطاً ، وبعضه من جيد شعره ،
وأكثره بلقى أضواء نافعة على مراحل كانت غامضة من حياة الشاعر وفنه .
وعندما كنت في باريس ، قبل ثماني سنوات ، وافقت جامعة السربون على
أن يكون موضوع رسالتي الأولى للدكتوراه البحث في حياة البحثري وفنه ،
وعرضتُ آنذاك أن يكون موضوع الرسالة الثانية المكتملة تهيئة طبعة علمية
لديوان البحثري ، وكادت الموافقة تتم لولا أن أحد الأماندة المستشرقين العائدين
من مصر أعلن أن طبعة نقدية علمية للديوان ستصدرها دار المعارف في القاهرة
في سلسلتها المعروفة (ذخائر العرب) ، وأن ظهور الجزء الأول لن يتأخر
أسابيع قليلة !

أما أنا فاخترت مخطوطة أندلسية للرسالة الثانية ، وأما ديوان البحثري فقد
مرّت الأسابيع والشهور والسنوات ولا تزال تنتظر الطبعة الجديدة منه .
ومنذ أيام كنت أبسط لمعالي الأستاذ الرئيس خليل مردم بك طرفاً من
هذا الحديث ، فأخبرني بأنه عزم مرة على طبع ديوان البحثري ، كاملاً
محققاً ، وبدأ العمل مدة ثم تركه عندما علم أن مصر تهيأت لطبع الديوان ،
وانصرف إلى أعمال أخرى ، ولكن الديوان الموعود لا يزال أملاً حلواً
يعيش في قلوب المنتظرين . . .

وإلى أن يصدر الديوان ، وينشر فيه ما لم ير النور إلى اليوم من شعر البحثري ،
رأيتُ أن أقدم مختارات منه في مجلة المجمع العلمي العربي إلى القراء ، ليسمعوا
منها أنعاماً جديدة لشاعر كبير ملأ آذان الأجيال العربية إيقاعاً جميلاً
وموسيقى ساحرة . ومنوالي تقديم هذه المختارات إلى أن تفي مصر بما وعدت ،
وتحقق آمال المنتظرين .

- ١ -

قال البحتري ^(١) يمدح أبا الجيش 'خمارويه' ^(٢) بن أحمد بن طولوت :

يكاد هاذلنا في الحب يُغرينا فما لجأجك في لوم المحبين
نُلحى على الوجد من ظلم قد يدُننا ^(٣) وجدّ نَعانيه أو لاح يُمنينا

(١) القصيدة من البسيط ، عدد أبياتها ٣٩ ، نقلناها من مخطوطة ديوان البحتري
بالمكتبة الوطنية بباريس (رقم ٣٠٨٦) الورقة : ٣٩٨ و — ٣٩٩ و ؛ وقد وردت
بعض أبيات منها في الكتب المخطوطة والمطبوعة ، مما يؤكد صحة نسبتها إلى البحتري :
فالكندي في كتاب الولاة وكتاب القضاة (طبعة بيروت ١٩٠٨) ص ٢٣٩ يذكر
الآيات : ٢٤ و ٢٥ و ٢١ و ٢٢ ، والشريف المرتضى يذكر في طيف الخيال (مخطوطة)
الورقة ٤٧ ظ البيتين : ٣ و ٤ ، والمعري في عبث الوليد (مطبعة الترقى بدمشق ١٩٣٦)
ص : ٢٢٥ — ٢٢٦ يذكر الشطر الأول من المطلع والبيتين : ١٦ و ٢١ ، وابن عساكر
في تاريخ دمشق (مخطوطة الظاهرية) الجزء ١٧ الورقة ٤٢٧ يورد البيتين : ٢٤ و ٢٥ ،
وكذلك يوردهما ابن العديم في زبدة الحلب من تاريخ حلب (تحقيق الدكتور سامي الدهان) :
ج ١ ص ٨٣ .

(٢) 'خمارويه' (٢٥٠ — ٢٨٢ هـ) صاحب مصر ، وليها بعد وفاة أبيه وائسع ملك
الطولونية في أيامه من الفرات إلى بلاد النوبة ، ومات مقتولاً في دمشق (ابن خلكان —
طبعة محي الدين عبد الحميد : ٢٠ / ٢ — ٢٢) .

(٣) في الأصل : قد بدتاً ، والفضل في تصويب قراءتها لأستاذنا الرئيس خليل مردم بك .

إذا زَرُودٌ^(١) دنت مناصرائها^(٢) فلا محالة من زَوْرٍ^(٣) يُوافينا
بتنا جُنوحاً على كُتُبِ اللوى^(٤) فأبى خيال^(٥) ظُلياء^(٦) إلا أن يُحَيِّينَا
وفي زرودَ تبَّيع^(٧) ليسَ يُمَيِّزَنَا تقاضياً وغريم^(٨) ليسَ يَتَضَيِّسَا
منازلُ لم تُذَمِّمْ عهد مُنَرِّمِنَا فيها ولا ذُمَّ يوماً عهدُها فينا
تَجَرَّمَتْ^(٩) عنده أيامنا حَجَجَا معدودةً، وَخَلَّتْ^(١٠) فيها ليالينا

(١) زرود : رمالٌ بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج من الكوفة (باقوت معجم البلدان طبعة بيروت ١٣٩/٣) .

(٢) جمع صريعة وهي القطعة من الأرض الرملية أو الأرض المحصود زرعها .

(٣) الطيف والخيال يُرى في النوم .

(٤) كُتُبِ اللوى والأصل كُتُب جمع كُتِب وهو التل من الرمل ، وسكن الوسط لضرورة الوزن ، واللوى في الأصل منقطع الرمل ، وهو اسم لواد من أودية بني سليم (معجم البلدان ٣٣/٥) .

(٥) في طيف الخيال : طيفٌ لظلياء .

(٦) امم امرأة بذكره البحري في نسب قصيدة أخرى يمدح بها خمارويه :

مري الطيف من ظلياء وَهنا فرحبا وأهلاً بمسرى طيف ظلياء من مسرى

(الديوان -- طبعة مصر ١٢/١) .

(٧) التبَّيع : الذي يتبعك بحقٍ يطالبك به .

(٨) الغريم : الدائن والمديون ، والمراد هنا الثاني .

(٩) تَجَرَّمَتْ الحجج : انقضت الأعوام بتمامها ، والحول المجرم : التام .

(١٠) في الأصل : دَخَلَتْ .

إِنَّ الْغُرَانِي غَدَاةَ الْجَزَعِ مِنْ إِضْمٍ ^(١) تَيَمَّنَ قَلْبًا مُعْنَى اللَّبِّ حَزُونًا
 إِذَا قَسَتْ غِلْظَةً أَكْبَادُهَا جَمَاتٍ تَرَدَادُ أَعْطَا فَرَا مِنْ نَعْمَةٍ لَيْنَا
 يَلُومُنَا فِي الْهَوَى مِنْ لَيْسَ يَنْذِرُنَا فِيهِ وَبُيْضُ خَطُّنَا مِنْ لَيْسَ يُرْضِينَا
 وَمَا ظَنَنْتُ هَوَى ظَمِيَاءَ مُنْزَلَنَا إِلَى مُوَادَّةِ خَلٍّ لَا يُؤَاتِينَا
 لَقَدْ بَعَثْتُ عَتَاقَ الْخَيْلِ سَارِيَةً ^(٢) مِثْلَ الْقَطَا الْجُرْنِ ^(٣) يَنْبَغِيهِنَ الْقَطَا الْجَوَا
 يُكْثَرْنَ عَنْ دَيْرِ مُرَّانَ ^(٤) الدُّوَالِ وَقَدْ عَارَضْنَ أُنْبِيَةً فِي دَيْرِ مَارُونَا ^(٥)

(١) وادٍ بجبال تهامة ، وهو الوادي الذي فيه المدينة (معجم البلدان ١/ ٢١٤) .

(٢) في الأصل : شارية ، ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٣) القطا ضربان : كُدْرِيٌّ وَجُونِيٌّ ، وَالْجَوْنُ : الْأَمُود .

(٤) ديرٌ بالقرب من دمشق على تل مشرف على مزارع ورياض حسنة ، يذكر باقوت أنه كان ديراً كبيراً عامراً بالرهبان ، وينقل بعض شعر الصنوبري في وصفه (معجم البلدان ٢/ ٥٢٣ - ٥٣٤) ، ولبس في المطبوع من الديارات للشابشي شيء عن هذا الدير ، وكان لخماروبه قصرٌ بدير مرَّان ، ويذكر ابن عساكر أن خماروبه « بعد نزوله القصر وفد إليه الملوك ، وانتمتته العرب ، وقصدته الشعراء من جميع الأمصار ، وقصده البحري الشاعر فأنشده قصيدته » هذه . (انظر تاريخ دمشق - مخطوطة الظاهرية : ١٧/ ٤٢٧) وفي هذا القصر قُتل خماروبه سنة ٢٨٢ هـ (انظر تهذيب تاريخ ابن عساكر لبدران : ج ٥ ص ١٧٨) .

(٥) دير القديس مارون : دير كان في مدينة الرستن ، أو فيما يجاورها ، على ضفة العاصي ، بين حمص وحماة ، وهو دير مشهور يقول فيه المسعودي : « دير مارون ببيان عظيم حوله أكثر من ثلثمائة صومعة ، فيها رهبان ، وكان فيه من آلات الذهب والفضة والجواهر شيء عظيم ، تغرب هذا الدير وما حوله من الصوامع بتواتر الفتن » انظر مقالة ليوسف البيان مركيس في مجلة المقتطف (المجلد ٣٣ السنة ١٩٠٨ ص ١١٣ - ١١٥) .

يَنْشُدْنَ فِي إِرَمٍ ^(١) وَالْبَحْرُ فِي إِرَمٍ غَنَى عَلَى سَيِّدِ السَّادَاتِ مَضْمُونًا
يُلْقَى 'النَّدَى' مِنْهُ مَلْمُوسًا وَمُدَّرَكًا وَكَانَ يُعْتَدُ مَوْهُومًا وَمُظْنُونًا
بَادٍ بِأَنْعَمِهِ ^(٢) الْعَافِينَ يَزِلُّهُمْ ^(٣) عَلَى الْأَشْقَاءِ ^(٤) فِيهَا وَالْقَرَايِينَا ^(٥)
ثِقِلَ يُحْكَمُ فِيهِ الْمُجْتَدُونَ إِذَا شُنَّا أَخَذْنَا احْتِكَامًا فِيهِ مَا شِينَا ^(٦)
وَمُتَمَلِّقِينَ مِنَ الْإِحْسَانِ يَنْجَوْنَهُمْ سَاهِينَ عَنْ كَرَمِ الْأَفْعَالِ لَاهِينَا
إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي جَدَائِمِ نَزْرُ عَارِقَةٍ تَكْفُنَا كَانَ عُذْرٌ مِنْهُ يَكْفِينَا
وَعَابِنٍ إِنْ شَرَى حَمْدًا بِمَرْغَبَةٍ رَأَاهُ فِيهَا بِخَيْلِ الْقَوْمِ مَغْبُونَا
مُظْفَرٌ لَمْ نَزَلْ نَلْقَى ^(٧) بِطَاعَتِهِ كَوَاكِبَ السَّعْدِ وَالطَّيْرِ الْمِيَامِينَا
يُنْسِي ^(٨) قَرِيبًا مِنَ الْأَعْدَاءِ لَوْ وَقَعُوا بِالصَّيْنِ فِي بُعْدِهَا مَا اسْتَبَعَدَ الصَّيْنَا

- (١) إرم : اسم مدينة ، ويريد بها البحرى دمشق (معجم البلدان ١ / ١٥٥) .
(٢) في عبث الوليد : بأنصفه .
(٣) زَلَفَ الشيء : قرَّبه والمعنى أنه بقرَّب السائلين على إخوته وجلَّائه .
(٤) في الأصل : الأشقياء ، والتصويب عن (عبث الوليد) .
(٥) القرايين : جمع قربان ، وهو جليس الملك ، ويرى المعري أن البحرى واهم في نصب القرايين ، وحقه الخفض (عبث الوليد ٢٢٦) .
(٦) الأصل : شُنَّا وصُولت المحزة .
(٧) في كتاب الولاة والقضاة : لم يزل يلقي .
(٨) في كتاب الولاة والقضاة جاء هذا البيت كما يأتي :
يُنْسِي قَرِيبًا مِنَ الْأَعْدَاءِ لَوْ وَقَعُوا بِالصَّيْنِ مِنْ بَعْدِهَا مَا اسْتَبَعَدَ الصَّيْنَا

تَسْمِيرُ يَقْظَانِ مَا اتَّفَكَتْ عَزِيمَتُهُ تَرِيدُ أَعْدَاءَهُ ذُلًّا وَتَوَهِّنَا
 إِنِّي رَأَيْتُ^(١) جِيوشَ النِّصْرِ مُنْزَلَةً عَلَى جِيوشِ أَبِي الْجَيْشِ بْنِ طُولُونَا
 يَوْمَ الثَّنِيَّةِ^(٢) إِذْ يَتَنَّى^(٣) بِكَرَّتِهِ فِي الرَّوْعِ خَمْسِينَ أَلْفًا أَوْ يَزِيدُونَا
 وَالْحَرْبُ مُشَمَّلَةٌ تَنْلِي مَرَاجِلَهَا حِينًا وَيُضْرَمُ ذَاكِي جَمْرِهَا حِينَا
 يَغْدُو الْوَرَى وَهُمْ غَاشُوا^(٤) سُرَادِقِهِ صِنْفَيْنِ مِنْ مُضْطَرِي خَوْفٍ وَرَاجِينَا
 وَالنَّاسُ بَيْنَ أَخِي سَبْقٍ يَبِينُ بِهِ وَفَاتَرَيْنِ مِنَ الْغَايَاتِ وَائِينَا

(١) في (كتاب الولاية) و (تاريخ دمشق) : وقد رأيتُ ، وفي (تاريخ حلب) :
 وقد تدأتْ جيوشُ ...

(٢) المراد ثنية العقاب وهي ثنية مشرفة على غوطة دمشق يطؤها القاصد من دمشق
 إلى حمص (معجم البلدان : ٢ / ٨٥) والبحتري يشير إلى المعركة التي جرت هناك
 سنة ٢٧٤ هـ بين خماروبه ومحمد بن دبوداذ بن أبي الساج المعروف بالأفشين ، بعد
 أن نكث عهده معه (ابن العديم : ١ / ٨٢ - ٨٣ ، وانظر ابن الأثير - طبعة
 مصر ١٣٥٣ هـ - : ٦ / ٦٣ في حوادث سنة ٢٧٥ هـ) وانتهت المعركة بهزيمة ابن أبي الساج
 وانتصار خماروبه .

(٣) في (تاريخ حلب) :

... ثنى بكرته خمسين ألفاً رجالاً أو يزيدونا

وفي (كتاب الولاية) و (تاريخ دمشق) :

... ثنى بكرته في النقع خمسين ألفاً أو يزيدونا

(٤) جمع (غاش) جمع المذكر السالم ، وَغَشِيَهُ : أناه وقصده .

كما رأيت الثلاثاءات^(١) واطئة من التخلف أعقاب الأثانينا^(٢)
 عَمَرَكَ اللهُ للعَلياء تَعْمُرُهَا وزادكَ اللهُ إعزازاً وتمكيناً
 ما انتفكت الروم من همٍّ يُحَيِّرُهَا مذ جاورت عندك العزاء^(٣) والألينا
 تدنو إذا بعدوا عند اشتطاطهم^(٤) كيداً وتبهدُّ إن كانوا قريبينا
 حتى تركت لهم يوماً نسخت به ما يَأْثُرُ الناسُ من أخبارِ صِفِينَا^(٥)
 مصارعٌ كُتِبَتْ في بطن لؤلؤة^(٦) من ظهر أنقرة^(٧) القصوى وطميننا^(٨)

(١) جمع الثلاثاء ، والحق أن يقول الثلاثاءات ، لأن الثلاثاء عندهم - كما يقول
 المعري في عبث الوليد ص ٢٢٦ - مؤنث ، وُحكي في اللسان عن ثعلب :
 مضت الثلاثاء بما فيها ، فأثت ، ولم يحك سيبويه حمراءات في جمع حمراء وقد
 حكاه الكسائي ، فيجوز على هذه الحكاية .

(٢) يقول المعري : حكاهما بعض الناس في جمع الاثنين ، وُحكيت أيضاً (الأثاني)
 بغير نون (انظر عبث الوليد ص ٢٢٦) .

(٣) العزاء : السنة الشديدة ، وقيل هي الشدة (اللسان) .

(٤) اشتطاطهم : جورهم وبعدهم عن الحق .

(٥) موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات ، وفيه جرت الواقعة بين علي ومعاوية سنة ٣٧ هـ ،
 وقتل فيها سبعون ألفاً ، ودامت المعركة مائة يوم وعشرة أيام وكانت الوقائع تسعين
 وقعة . (معجم البلدان ٣ / ٤١٤ وانظر الطبري حوادث سني ٣٦ و ٣٧ هـ) .

(٦) لؤلؤة : قلعة قرب طرسوس ، غزاها المأمون وفتحها (معجم البلدان ٥ / ٢٦) وفي سنة
 ٢٨٠ هـ دخل أحمد بن أبا طرسوس للفزاة من قبل خمارويه بن أحمد بن طولوت
 (ابن الأثير : ٦ / ٧٧) وفي سنة ٢٨١ هـ دخلها طنج بن جف لفزو الصائفة من
 قبل خمارويه فبلغ طرايزون (ابن الأثير : ٦ / ٧٨) .

(٧) أنقرة : مدينة في الثغور ، كان المنعم قد فتحها وهو في طريقه إلى عمورية سنة ٢٢٣ هـ
 (معجم البلدان ١ / ٢٧٢ وانظر حوادث سنة ٢٢٣ في الطبري) .

(٨) طمين : موضع بلاد الروم (معجم البلدان ٤ / ٤١) .

فَأَسْلَمَ لِيَجْهَدُكُمْ غَزَوًا وَتُزَيِّمُ جَيْشًا^(١) وَتُتْبِعُهُ الْمَأْمُولَ هَارُونَ^(٢)
 أَمَّا الْحُسَيْنُ^(٣) فَمَا آلاكَ مَجْتَهِدًا وَلَيْسَ قَالُوهُ تَفْخِيًا وَتَرْيِينًا
 تَرْضَى بِهِ حِينَ لَا يُرْضِيكَ مُذْبِرُكُمْ مَبَارَكًا صَادِقَ الْإِقْبَالِ مَيْمُونًا
 أَذَى الْأَمَانَةِ فِي مَالِ الشَّامِ فَلَا تَلْقَاهُ إِلَّا أَمِينَ الْغَيْبِ مَأْمُونًا
 تَسْمُو إِلَى الرِّتْبَةِ الْعُلْيَا مُحَاسِنُهُ فَمَا تَرَى وَسَطًا مِنْهَا وَلَا دُونًا

- (١) يربد ابنه جيش بن خمارويه ، وقد ولي مكان أبيه بعد قتله عام ٢٨٢ هـ وعزله القواد بعد تسعة أشهر من ولايته (ابن العديم ٨٦/١ وابن الأثير ٨٢/٦) .
- (٢) هارون بن خمارويه ، ولأه الجند بعد عزلهم أخاه جيشاً سنة ٢٨٣ هـ ، وبقتله سنة ٢٩٣ اتقرض ملك الطولونية (ابن الأثير ١١٠/٦) .
- (٣) هو الحسين بن أحمد المادرائي المعروف بأبي زنبور من رجال دولة خمارويه ، يسميه البحتري وزيراً (مخطوطة باريس الورقة ١٧٨) والمؤرخون يسمون ابن أخيه : محمد بن علي بن أحمد المادرائي وزيراً لخمارويه (تاريخ بغداد ٣/٧٩) ، ويجمع الصابي بينهما وبذكر أنهما « دبرا أمور بني طولون في المال والرجال » ولهما في الكتابة قدم وبالتدبير دربة » (انظر تاريخ الوزراء للصابي طبعة بيروت ص ٣٤٧ - ٣٤٨) .
- والأشبه أن يكون الحسين وزيراً لخمارويه مكلفاً بتدبير أمور دولته المالية في الشام والبحتري يثني على أمانته في مال الشام وحرصه . وقد لعب الحسين دوراً في إعاد مصر إلى الحكم العباسي (تاريخ الوزراء للصابي ص : ٩٢) وأصبح عاملاً على مصر في خلافة المقتدر ، وأشير على المقتدر أن يستوزره لولا معارضة نصر الحاجب (المصدر السابق ٣١٥) .

ملاحظات ونظرات في القصيدة :

١ - هذه القصيدة واحدة من أربع ، مدح بها البحتري 'خمارويه بن أحمد ابن طولون' ، وهي كلها لا تزال إلى اليوم مخطوطة ، إلا واحدة منها نجدها في طبعة القاهرة (ج ١ ص ١٢) ولم يلتفت الباحثون إليها لورود اسم خمارويه في التقديم لها مصحفاً إلى (حمادويه) ، ومن هنا ظلت فترة اتصال البحتري بالطولونيين مجهولة لدى كل من بدرس الشاعر وفنه من ديوانه المطبوع ، ولا تصل يده إلى المخطوطات الكاملة للديوان .

٢ - نظمت هذه القصيدة بعد سنة ٢٧٩ هـ ، في المرحلة الأخيرة من حياة الشاعر ، ففي هذه السنة يرثي البحتري الموفق ويمدح المعتضد بعد أن يوبع بالخلافة بقصيدة لا تزال مخطوطة (مخطوطة الديوان بباريس الورقة ٣٩٥ ظ - ٣٩٦ و) ويسأل الشاعر فيها أبا العباس المعتضد أن 'يقدمه إلى خمارويه بكتاب توصية منه :

أوجهي أنت إيصاءً وتقدمةً يزكو بها سبي عند ابن طولونا
وكان النزاع بين العباسيين والطولونية قد انتهى باعتراف خمارويه بسلطة الخليفة المعتضد ، وتزويجه من ابنته قطر الندى ، وإرساله الهدايا المظيعة من مصر إليه (انظر الطبري وابن الأثير : حوادث سنة ٢٧٩ هـ) .

٣ - من حسن حظ البحتري أن خمارويه لم يبلغه هجاء الشاعر لأبيه أحمد ابن طولون ، قبل أكثر من عشر سنوات ، ذلك الهجاء المقذع ، إذ يتهمه بأنه ابن صفاح ، 'يعزى لأبوين : طولون وبلخ :

إذا ما طلبنا خُطّة النصفِ ردّها علينا ابنُ مُخبثٍ فاحشٍ ونسوقِ
وعاهرةٍ أدت إلى شرِّ عامرٍ مشابهٍ كلبٍ في الكلابِ عريقِ
ليُلبَّخَ أو طولونُ يُعزى فقدحوت على اثنين : زوجٍ منها وعشيقِ

(انظر الديوان — الجواب : ٢ / ٧٩ وانظر النجوم الزاهرة لابن تغري
بردي : ٣ / ٣) ولو عرف خمارويه موقف البحتري هذا من أبيه لما وجد
الشاعر لديه عطاء ولا إكراماً .

٤ — تلاحظ في القصيدة أقسام ثلاثة متبصرة :

- ١ — النسب : ويشغل الآيات (١ — ١١) وعلى الرغم من أنه غزل
تقليدي فثبه حرارة قلب متقدم لم تطفئ شعلته شيوخة جاوزت السبعين !
- ب — مدح خمارويه : ويشغل الآيات (١٢ — ٣٥) وهو أهم أجزاء
القصيدة ، وفيه يصف الشاعر إقباله على دمشق ، بنشد الغنى
المضمون لدى بحر جواد بقرب السائلين المجتدين وبحكمتهم في
ماله ليأخذوا ما يشاؤون ، فهو يشتري الحمد بالعطاء ، وهو مظفر
مميون الطلعة شجاع غير هباب ، ينال من أعدائه معها يبعدوا ،
ويزيدهم إذلالاً وإضعافاً . ويمجد الشاعر انتصار ممدوحه في
معركة (ثنية العقاب) فالملائكة كانت تؤيد جيشه وتشد أزره ،
فبهزم ابن أبي الساج وخمسين ألفاً من رجاله أو يزيدون ،
في حرب حامية تغلي مراجلها ويضرم جرها . ويصف البحتري
أمل الناس في ممدوحه وهيبة بعضهم له ، فهم بين راج وخائف ،
والناس يتفاوتون بالهمم ، فمنهم السباقون إلى الغايات ومنهم
المتخلفون الذين يميئون في الأعقاب ، كما تنجي أيام الثلاثاء
في أعقاب أيام الاثنين . ثم يدعو الشاعر للممدوح بطول العمر
والزيادة في الإعراز والمجد والتحكيم ، ويتحدث عن بطولانه في
جهاده للروم عند ثغر أولوة ، ويسأل له دوام السلامة ليُرسل
ولديه جيشاً وهاروناً غازيين للروم ، يقودان كتائب الجهاد في الثغور .
- ج — مدح وزير خمارويه الحسين بن أحمد : ويشغل بقية أبيات القصيدة
(٣٦ — ٣٩) ويصف الشاعر هنا أمانة الوزير في حفظ أموال
الشام ، واجتهاده في إرضاء سيده خمارويه .

٥ - انتقل البحتري من النسب إلى المديح انتقالاً مفاجئاً ، ولم يحسن التخلّص ، وغالباً ما يفعل البحتري ذلك في قصائده ، وقد أهمل الشاعر في مديح خمارويه التعرض إلى رفعة النسب ، وقصر مديحه له على تمجيد كرمه وشجاعته ، ولعلّ الحديث عن النسب يصل بالشاعر إلى والد خمارويه ، أحمد ابن طولون ، وموقف البحتري منه موقفه كما ذكرنا منذ قليل ! وأما الجمع في المديح بين الأمير ووزيره فمن دأب البحتري أن يفعل ذلك في قصائد كثيرة من شعره ، ليملك قلب الوزير (في بعض أماديي، للمنوكل بمدح الفتح بن خاقان الديوان - الجواب ٣/١ ، ويعرض لممدح الوزير أبي صالح ابن يزداد في مديحه للمستعين : ٧٥/١ ، ويمدح وصيفاً في مديحه للمعتز : ٢٤٨/٢ كما يمدح الوزير عبيد الله بن يحيى في مديحه للمعتز : ١٠٦/١) ولا خير من الإشارة إلى ما ينتظره البحتري من وراء تمجيد وزير مالية خمارويه في الشام ، فهناك خراج أملاكه الواسعة في منبج ، وقد حرص الشاعر طوال حياته على دفع الوزراء والكتاب إلى إسقاط خراجهم أو جانب منه !

٦ - هذه القصيدة لا تتأخر عن الطبقة الجيدة من شعر البحتري ، وهي خير دليل على أن شاعرية البحتري ظلّت إلى آخر مراحل حياته تمتاز بالقوة والخصب ، وبكفينا عند تقويم هذه القصيدة أن نذكر أنها هي المنوال الذي نسج عليه بحتري الأندلس ابن زيدون قصيدته النونية في الشوق إلى ولادة بنت المستكفي (ديوان ابن زيدون - شرح كبلاني وخليفة : ٤ - ٨) :
أضحى التنائي بديلاً من تدانينا وناب عن طيب لقيانا قجافينا
وأن نذكر أن الشعراء سيوالون معارضتها (ديوان ابن زيدون : ٤٠١)
إلى نونية شوقي في العصر الحديث : (الشوقيات ٢/١٢٧ - ١٣٢) :
يانأخ الطلح أشباه عوادينا نشجى لوادبك أم نأسى لوادينا

(يتبع)
الدكتور صالح الأشر

كتاب النفس

لابن باجة الأندلسي (*)

- ٥ -

وقد يكون امتزاج وقد لا يكون ^(١) ، فإن الاسطقس البارد قد يكون من القوة في القوة بحيث لا يحرك الآخر الحار فيحركه الحار أو يجعله مثله . فيكون هذا تكوناً ^(٢) لا امتزاجاً ^(٣) وقد يكون بحيث ^(٤) يحرك كل واحد منها صاحبه غير أنه لا يكون أبداً على نسبة واحدة فيحدث عن < ذلك > أنواع من الامتزاج . فلذلك متى كان الأمر جارياً على النظام احتيج ضرورة الى محرك من خارج ، وهو من التحريك هو تدبير فضرورة يحتاج الى مدبر . وفي هذا الصنف فبدخل الامتزاج الصناعي وهذا النحو من الامتزاج إنما يصير به أبداً الممتزج وسطاً في القوة بين ما امتزج منه . لأن المازج المحرك

(*) تنمة الفصل الثالث : « القول في القوى الخمسة » المنشور في الجزء الرابع من المجلد الثالث والثلاثين (ص ٦٠٩ - ٦٣٢) من هذه المجلد .

(١) قارن ابن باجة ، ورقة ٨٢ ب : وكل فاعل ومنفعل وهيرلاهما مشتركة فهما متضادان ضرورة فلذلك كل واحد منهما يحرك صاحبه وهو يتحرك ، بالفعل والانفعال لا يكون حتى يماس ، وقد يكون اختلاط وقد لا يكون ، راجع أرسطو :

. De Gen. Cor. I. 6. 322 b 22; 10. 327 b 23 sq

(٢) المخطوطة : تكون .

(٣) قد لفت ابن باجة بين « التكون » و « الامتزاج » وقال : ورقة ٧٦ ب : « ان كل متكون فهو من اسطقس أو من أكثر من اسطقس ، فإن الاسطقس الواحد إنما يتكون عنه اسطقس غيره كالنار تتولد منه سبع الثلاثة كما قيل في كتاب الكون والفساد ، وأما من اثنين فقد يكون منهما اسطقس آخر كما قيل في كتاب الكون ، وذلك اذا فسد المجتمع بفساد قوة كل واحد منهما أو فساد قوة أحدهما ، وأما اذا فسد النهايات وبقيت القوى بالفعل لكن ليست خالصة بل حدث فيها قوة مركبة متوسطة وذلك عاداً ما عظمين فسد ذلك يحدث عنها موجود آخر وصورة أخرى ويمكن أن يحدث في هذه صور كثيرة بفروب من التركيب وفروب من الاستعانة تتبعها فروب من التكوينات .

(٤) المخطوطة : بحسب .

للممتزج على هذه الصفة إنما بوقف الممتزج في أحد المتوسطات ، وإنما يصير الممتزج أشياء متوسطة بجانبه للاسقطات .

فأما المازج اذا كان الذي يمزج به حرارة فانها ان كانت بجانبه لحرارة الاسقطات فانه يكون عنه شيء شبيه بالطبخ فيعرض عنه الأجسام الممدنية ^(١) ، إذا انفتحت المادة ملائمة ^(٢) للشيء المنطبخ . وهذا النحر من الامتزاج يشبه الامتزاج الصناعي الذي يستعمل النار ، مثل الجزء الممتزج من الأرض والماء . في هذا الامتزاج يظهر أشياء ليست الاسقطات كالتماسك والانطراق ^(٣) ، كما يعرض ذلك في الذهب ، وفي مثل هذا العرض الأرييح والطعوم والألوان المختلفة ، وبالجملة ، فالأحوال الجسمانية وهي التي توجد شائعة في الجسم ، وتنقسم باقسامه . وهذا يلزم ضرورة أن تكون متشابهة الأجزاء فإن الطبخ في هذه قد يكون . وهذا نوع من الامتزاج ليس كالأول . ولذلك لا يوجد عن الحركة المستديرة جسم معدني ^(٤) ، وبالجملة جسم متشابه الأجزاء إلا في مواضع مخصوصة بها فان < الأجسام > الممدنية لا توجد > إلا < عن المعدن . والمعدن هو مكان في جوف الأرض يتكون فيه جسم متشابه الأجزاء من بخار ودخان يتحصر فيه ليكثف ذلك الجزء من الأرض فينضج بالحرارة الموجودة في ذلك الجزء بعينه ^(٥) . ولذلك لا يكون في المواضع الثلاثة المحدودة في كتاب الآثار العلوية جسم آلي أصلاً .

فالأشياء الحادثة عن الامتزاج الموجودة بهذا (ورقة ١٥٢ الف) النحر من التعفن إنما توجد متباينة الاسقطات ^(٦) . وكل هذه إما صورة طبيعية أو اعراض في أجسام طبيعية وتوجد في حدود المحرك القريب .

(١) قارن أرسطو : Arist : Meteo. III. 6. 378 a 18 sq.

(٢) المخطوطة : الملائية .

(٣) راجع النص ورقة ١٥٢ ب : كالانطراق والصبر على النار .

(٤) المخطوطة : معدنى .

(٥) قارن أرسطو : Arist. : Meteo. : IV. 10. 388 a 13 sq.

(٦) أرسطو : Arist. : Meteo. I. 379 b 5 .

أمّا المؤلف من الاسطقات الذي يكون المحرك فيه الأجرام السماوية ،
وبالجملة فالمحرك فيما يتحرك بحركة المكان فيعرض عنه الالتقاء ، فالمحرك القريب
والبعيد فيه واحد وهو الجرم المستدير لما يحرك بالطبع وبالذات . وأمّا في
الموجود عن النضج فالمحرك القريب فيه هو الحرارة التي بها وقع النضج ، والبعيد
هو الجرم المتحرك دورا . فلذلك يوجد في الموجود عن نضج المحرك القريب
من الاسطقات ، إمّا واحد منها ، وهو النار ، وإمّا مؤلف من نار . وهذه
كلها محسوسات ، إمّا أول فكالألوان ، وإمّا ثوان ، فكالأطوال والأشكال
وصور الجواهر الطبيعية . وهذه كلها أشياء موجودة في المواد ، وإذا وجدت
في المواد صارت هي والمواد واحدة بالعدد متغايرة بالقوة على ما قلنا قبل (١) .
وليس لشيء من هذه أن تكون حساسة . والمادة الأولى هي كل واحدة
من هذه بالقوة . وكل ما يصير مع المادة واحداً فهو لها إمّا أولاً وإمّا ثانياً
وإمّا ثالثاً . والتي لها بالذات فتلك الصور هي جواهر ضرورة لأن سائر ما يوجد
منها فانما هي تابعة لصور الجواهر ولذلك احتاجت عند الكون الى الاستحالة .
فان المادة ليست شيئاً أصلاً بالفعل (٢) . والمتغير فهو ضرورة موجودة بالفعل
شيئاً ما ، فلذلك كان بالضرورة عندما يتحرك موجوداً فيحتاج الى الصورة (٣)
ويتغير في العرض وهو موجود بالصورة التي < هي > فيه . ويعرض عن
ذلك التغير في الصورة كما يعرض في الحركة في المكان تبدل الأوضاع .
فان الحركة لم تكن في الوضع لكن عرض عنها الوضع . ولو تحرك شيء
الصورة لكأن المادة هي المتحركة بذاتها (٤) فكانت تكون شيئاً ما . وأمّا

(١) راجع النص ورقة ١٤٧ ب ، ويتغايران بالقوة : ارسطو :

. Arist. ; Met.. 9 IX. 1050 a 15

(٢) فالمادة في كل جسم تضطر الى صورة لوجودها ، راجع النص ورقة ١٤٧ ب :
فالمادة في كل جسم يحتاج الخ .

(٣) فان الصورة تتغير ضرورة بالعرض ، راجع النص ورقة ١٤٧ ب : ... الا

انها غير بالضرورة : ورقة ١٥٣ الف : تتغير الصورة لذلك بالعرض .

(٤) فان المادة نفسها ذات الصورة أو موضوعها .

في الاستحالة فان المادة تتحرك بالعرض .

وكل ما يوجد في الأجسام الطبيعية اسطقساً كان أو معدنياً فكله هيولانية^(١) متحدة بها كما قلنا . وأما في النبات والحيوان فانها توجد فيهما^(٢) الأحوال الهيولانية^(٣) التي للاسطقسات كالأحوال^(٤) الهيولانية التي هي من نضج . وهذه الأحوال توجد^(٥) المتشابهة الأجزاء التي منها . وتوجد لها أحوال أخرى ليست للاسطقسات ولا من نضج بكون عن الاسطقسات . وهي الخلقة وذلك بين في أكثر النباتات ، وهو في الحيوان أبين ، فوجودها أجزاء متشابهة عن وجودها آلات .

والحرك للمادة هذا التحريك وهو الذي يفيد الخلقة جنس آخر من الحركات . وهذا ظاهر بأيسر (ورقة ١٥٢ ب) التأمل . وليس ذلك الحرك هو الحركة المستديرة وإن لم يحرك خلواً عنها كما بين في ثامنة السماع^(٦) . لكن انما يطلب الحرك المتحرك الذاتي الأخص وهو القريب .

(١) المخطوطة : هيولانية .

(٢) المخطوطة : فيها .

(٣) والأحوال الهيولانية أشير إليها في أقوال أرسطو في مواضع :

Meteo. IV. 2. 379 b 12 : « the connexion is due to heat; its species are ripening, boiling, broiling ... » ; Ibid, 25 : « In some cases of concoction the end of the process is the nature of the thing nature, that is, in the sense of the formal cause and essence ... » .

(٤) المخطوطة : لأحوال .

(٥) المخطوطة : توجد ، وبالهامش توجد .

(٦) ويظهر أن أرسطو لم يقل واضحاً في الثامنة من السماع ان الحرك لا يخلو عن الحركة المستديرة ، ولكنه أثبت حركة متصلة لا تتهي ، وقال انها حركة مستديرة ، راجع Phys. : VIII, 8 . وقد أشار ابن باجة الى هذه الحركة (المستديرة) المتصلة في شرحه لثامنة وقال : ورقة ٦٣ ب : والحركة التي يذكرها أرسطو في هذه المقالة الثامنة حين يقول : الا أن بعض هذه توجد في الحركة السبوية وهي الحركة بالعرض من غير . قارن أرسطو :

. Arist.. De Caelo. I. 2. 269 a 7

فهذا المحرك ليس هو الحرارة المنضجة ، ولكن الحرارة المنضجة هي آله ،
ولذلك تتبع هذه الأجسام الطعوم والأراييح وسائر الأعراض اللاحقة عن
النفج . وأما كيف تلحق عنها فقد تبين في الرابعة من الآثار العلوية^(١)
فهذه ضرورة تفيد الخلاقة .

وما له مثل هذا المبدأ عندما يتحرك^(٢) فالمحرك فيه يلزم ضرورة أن يكون
عقلا . لكن هذا القول أليق يتكون ذوات الانفس وقد تلخص في السابعة
عشر من كتاب الحيوان^(٣) .

وما له هذا المبدأ جنسان : جنس تقتن به آله التي^(٤) بها يحرك مثل
الحيوان المتناسل . وهذا يكون يزرا ، فإن البزر هو جسم مكون لذي النفس .
وبين ان حرارته فيه التي بها يفعل . ومنه صنف آله التي بها يحرك في غيره .
وهذا يكون للحيوانات التي يقال لها أنها تتكون من تلقائها . والآلة التي لمثل
هذا هي حرارة العفونة أو حرارة غيرها . وهذا يشبه الصناعة الفاعلة بوجه ما ،
إذ كانت آلات الصناعة خارجة عن الجسم الذي توجد له الصناعة . فلذلك
يحرك بتحريك الاسطوانات ويمزج .

ولا يزال هذا الحار يحرك الأرض المتمزجة بالماء حتى اذا بلغت الجملة الى
الحال التي بها تقبل تلك الصورة قبلتها عند ذلك . وظاهر أن عند بدء الحركة
تبدأ قبول الصورة ، وان القبول والتحريك ينشأوفان . والنفس اذا كمل قبل
صورة المتمزج قبلها بالمزاج الذي له .

(١) فارن أرسطو : Arist : Meteo. IV. 2. 379 b 18 .

(٢) بالهامش : يتكون .

(٣) راجع أرسطو : Phys. VII. 3. 227 b 1 ; De An. I. 3. 407 a 33 . ايضاً ،

De Gen. An. II. 3. 736 b 22 sq. ; 737 a 9 .

(٤) الخطوة : والتي .

والصورة التي تقبلها المتمزجات إما أن لا تتحرك شيئاً بالذات بل تقبل وذلك مثل صور المعدنيات . وهذه أيضاً تتقدم في الهيولي ما يوجد فيها عنها مثل الأحوال التي تخص الذهب من جهة أنه ذهب كالانطراق والصبر على النار . ومنها ما يتحرك بها الجسم الذي هي فيه حركة تخصه كنفس النبات . فأت المادة متى قبلت صورة المسدود حركت ذلك الجسم معها ، فها هنا ضرورة قوى هيولانية بعضها بعيدة كقوة الاسطقسات . وبعضها قريبة كقوة المتمزج ، وقوة هذه إنما توجد أبداً مقترنة بالصورة ، فهي أبداً موضوعة . ولذلك ليس لذي النفس مقابل ، إذ ليس لها عدم خاص . وإنما يوجد عدم تلك الصورة كأنك قلت « صورة النحلة » . منها < ما > يوجد فيه الهيولي البعيدة كما يقال في الماء « الأحر » .

فأما القوة القريبة فليست ^(١) توجد خلواً من الصورة لأنها موضوع أبداً ولا تفارق أصلاً . ولذلك يشبه (ورقة ١٥٣ الف) أن تكون صور المعدنية في موادها إذ لم تكن لها أضداد ولا أعدام مقابلة كقابلة العدم للمملكة . فني أمثال هذه تكون صورة المزاج هي ماهية ذلك الجسم كالذهب مثلاً . فإن المتمزج هو مادة والوجود لها هو ذلك النوع من التماسك . وظاهر أن ذلك التماسك هو في هيولي قريبة وهي موجودة في المتمزج كالصورة للمزاج . ثم قبلت تلك الهيولي ذلك التماسك لكنه لما لم توجد الهيولي مفارقة لتلك الصورة أصلاً كان أبداً المجموع منها كشيء واحد ، والهيولي إنما ظهر وجودها عند التغير . وكل هذه هي صور في الهيولي يصير بها المجتمع شيئاً واحداً ، لأن هذا هو معنى قبول الهيولي للصور الحادثة فيها ^(٢) فأما إذا كانت ^(٣) الصورة

(١) المخطوطة : فليس .

(٢) والآن فالمادة هي صورة محضة غير مدركة ، أو مادة لم تتصور بالفعل ، انظر زيلر :

Zeller : Arist. II. p. 339

(٣) المخطوطة : كان .

قد غايرت وذلك إنما هو بأن تفارق نحواً من المفارقة فحينئذ تكون مغايرة للهنولي .
 فإن كانت هذه المغايرة مما يحدث فيلزم ضرورة أن يكون عن تغير متقدم
 إما فيها وإما في موضوع آخر ^(١) على ما تبين في ثامنة السماع ^(٢) .
 لكن الصورة لا يمكن أن تتغير إذ كل متغير منقسم ^(٣) ، وهي غير ذات
 أجزاء ^(٤) ، وليست بجسم . فلذلك ^(٥) يتغير شيء آخر . فتصير بذلك التغير من
 تلك الصورة على نسبة محدودة . فتتغير الصورة لذلك بالمرض ^(٦) ، ويكون
 تغيرها في الآن كما يعرض لما هو مضاف . فإن آباء إن لم يكن ضعفاً لرجد
 وكان أكبر ، فإن جدد إذن إنما صار نصفاً ، وصار آباء ضعفاً من غير
 أن يتغير آباء في نفسه ، بل يبقى على حاله التي كان ^(٧) عليها ، لكن
 يتغير من نسبة الى نسبة .

وكل تغير على ما تبين في الثامنة ^(٨) فهو إما في الكم وإما في الكيف أو
 في الأين أو بتابع ^(٩) لأحد هذه . لكن متى غايرت الصورة المادة فقد
 وجدت بالفعل تلك الصورة وهي ما هي منخازة بوجود يخصها ^(١٠) ، وهي غير

(١) راجع النص ورقة ١٤٩ ب : ... أو كان لها موضوع -

(٢) قارن ابن باجة : ورقة ٦٤ الف : والتغير سببه تغير إذ ينزل هذا التغير
 منزلة التغير المفروض . أيضاً ورقة ٧٥ الف : فيكون قبل كل تغير مفروض

تغير يتقدم من ذلك النوع . وراجع أرسطو : Arist. : Phys. VIII, 2. 252 b 9 .

(٣) قال أرسطو : كل ما يتغير ينقسم . راجع : Arist. : Phys. VI. 4. 234 b 10 .

(٤) راجع النص ورقة ١٤٧ ب : لأنها غير منقسمة

(٥) المخطوطة : فكذلك .

(٦) أيضاً ، ورقة ١٤٩ الف : ... كان لها التغير بالمرض : ورقة ١٥٢ الف :
 ويتغير في المرض .

(٧) أيضاً ، ورقة ١٤٣ الف : كما تبين ذلك في الثامنة الخ .

(٨) المخطوطة : ما بع .

(٩) أيضاً ، آخر ورقة ١٤٦ الف : منخازة بنفسها الخ . ورقة ١٥٠ ب :

وجود الصورة التي يخصها ...

ما كانت عند وجودها في المادة القابلة لها . فان كانت موجودة^(١) لم تتكون
لزم عن ذلك محال ، وهو أن تكون صورة المشار اليه قبل وجوده ، إما في
الحس والتخيل وذلك غير ممكن ، وإما في العقل فقد يظن أن ذلك ممكن ،
لكن سنبين هذا عندما نفحص عن القوة الناطقة .

فبين أن الإحساس حادث . وكل حادث فهو بالقوة قبل أن يحدث .
فكيف يمكن أن يكون الإحساس صورة مفارقة ويكون حادثاً ، لأن
الحادث إنما هو من قبل الهيولى ؟

فنقول : إن قولنا « هيولى » في القوة النفسانية وفي قوى الجسم باشتراك ،
فإن الهيولى وجودها في الأجسام على أنها تتشكل بتلك الصورة وبصيراث
(ورقة ١٥٣) شيئاً واحداً يستعمل الفعل الذي في طباع ذلك الموجود ان يفعله
كما تبين قبل هذا . وقولنا هنا « هيولى » إنما نعني به قبول المعنى وهو الذي
يكون به الجسم الذي له مثل هذه القوة حساساً ، فإن القوة الهيلولانية والقوة
التي هي نفس ، كلاهما يقبلان اللون ، واللون في الهيولى هو صورة ، وهو
والهيولى شيء واحد ، لا وجود لذلك اللون محضة أصلاً . واللون في القوة
الحساسة موجود بما يخصه . قد فارق هيولاء وصار شيئاً مشاراً اليه . ولذلك
لم يمكن ان يقبل الهيولى المتضادين كالبياض والسواد المتغايرين فانها^(٢) لو
قبلتها^(٣) لكانا فيها متغايرين ، ولا تغاير بينهما أصلاً ، وهما متغايران ذاتا^(٤) ،
فانها صورتان في ذات أحدهما ، أو كلاهما^(٥) مغايرة إحداهما للأخرى ، فلذلك

(١) أيضاً ، ورقة ١٥٠ ب : فان وجدت الخ .

(٢) المخطوطة : فانها .

(٣) المخطوطة : قبلها .

(٤) المخطوطة : داها .

(٥) المخطوطة : كلاهما .

لا يمكن وجودهما^(١) إلا على نحوين . أما في موضوعين ، فإن ذلك ممكن ،
وأما أن كانا في موضوع واحد ففي وقتين من غير أن يجتمعا معاً في موضوع
واحد . ولما كانا في القوة الحساسة موجودين مفارقين لم يمتنع وجودهما معاً ،
وإنما يستحيل وجودهما في موضوع واحد معاً ، وليس إنما يوجدان معاً في
الجنس ، وبالجملة ففي قوى النفس ، بل قد يوجد ذلك في الهولي في الألوان
فقط . فإن الهواء الواحد بعينه الكائن بين الأبيض والأسود معاً ، وذلك
أن صورهما ليست في الهواء على ما هي الصورة في المادة بل بنحو متوسط بين
القبول الهولائي وبين قبول القوة النفسانية .

ولما كانت القوى إنما تتحد بنسب الموضوع الى الملكة وبذلك تتميز قوة قوة
في ذاتها ، فالقوة الحساسة هي الاستعداد الذي في الحاسة ، الذي يصير معنى
ذلك المدرك . والفرق بين المعنى والصورة^(٢) أن الصورة تصير مع الهولي
شبهاً واحداً ولا يكون هنالك مغايرة . ومعنى المدرك هو صورة منفردة عن
المادة^(٣) . فالمعنى هو الصورة المنفردة عن المادة . فقبول^(٤) قوة^(٥) النفس
معنى يجب أن يكون قبولاً له وهو معنى فالقابل هو معنى ما بالقوة . وكذلك

(١) المخطوطة : وجود ما .

(٢) وابن سينا ميمز بين الصورة والمعنى فقال : (شفا ، ورقة ١٨٢ ب ١١) :
وقد جردت المادة بأن يسمى مدرك الحس صورة ومدرك الوجود معنى .

(٣) وأوضح ابن سينا معنى الإدراك فقال (شفا ، ورقة ١٦٣ ب ٩) : « يشبه
أن يكون كل إدراك هو أخذ صورة المدرك بنحو من الانحاء ، فإن كان
الإدراك ادراكاً لشيء مادي فهو أخذ صورته مجردة عن المادة تجريداً ما ،
إلا أن أصناف التجريد مختلفة ، ومراتبها متفاوتة ، فإن الصورة المادية يعرض
لها بسبب المادة أحوال وأمور ليست هي لها بذاتها من جهة ما هي تلك الصورة ،
فتارة يكون النزاع عن المادة نزاعاً مع تلك العلايق كلها أو بعضها ، وتارة
يكون النزاع نزاعاً كاملاً وذلك بأن يجرد المعنى عن المادة وعن الواحق التي لها
من جهة المادة » .

(٤) المخطوطة : فنقول .

(٥) المخطوطة : قوي ، وبالهامش ، قوة .

ليس إدراك النفس انفعالاً بوجه . وأما هل يكون بانفعال فسنبين بعد هذا .
فالمنفعل قد يظن به أنه يقبل الصورة فقط ، وأن الحار بالقوة إذا صار حاراً
بالفعل فلم يقبل معنى الكاين في المحرك ، والأشياء منه على ما قلناه قبل ^(١) .
وإنما قبل حرّاً آخر فصار حاراً آخر شبيهاً بالأول ولا نسبة بين الحر الموجود
في أحدهما إلى الآخر بوجه . وإنما النسبة التي بينهما هي أن صورتها إذا تجردت
كانت واحدة بالعدد . والمغايرة التي بين صورتيهما الشخصية . إن جاز أن
يقال لشخص الحر صورة - فإنه لا تغاير بينهما وبين (ورقة ١٥٤ الف) الهبولى
عندما يكون شخصاً ، وقد تلخص هذا في غير هذا الموضع ^(٢) . ولذلك حر
أحدهما ليس معنى « حر » أن يكون مع الهبولى فيكون شخص [الحر]
بعينه في النفس .

ولما كان معنى الشيء هو الشيء وكان معنى الشيء هو ما وجوده بالفعل ،
ولذلك إذا حصل عندنا معنى شخص ما كان عندنا أن ذلك الشخص قد أدر كناه
بتلك القوى التي < هي > لنا .

وظاهر أن الإدراكات الحاصلة من الموجودات الهيولانية حادثة ، فإنها إن
لم تكن حادثة فهي أزلية . فإن كانت أزلية لزم من ذلك أن يكون ضرورة
« زيد » قبل « زيد » ، وهذا الحار ^(٣) قبل هذا الحار . ولزم أيضاً أن
تكون متحركة في المكان ، إلى غير ذلك من الحالات اللازمة .

(١) أي الأشياء من المحرك ، لعل ابن باجة يريد ما قال ان الصناعة من المحرك
(راجع النص ورقة ١٣٩ الف ، منه أو هو الصناعة .) أو يريد ما قال :
ان القوة المحركة . . . تفعل بالذات وأولاً ما هو من نوعها ، وتفعل ثانياً
وبالعرض شيئاً آخر (راجع النص ، ورقة ، والقوة المحركة فإنها تفعل بالذات
وأولاً الخ) والمضى ان الأشياء من المحرك ، وإلا فلم يقل ابن باجة بهذه
الألفاظ في هذا الكتاب .

(٢) للظاهر ان المصنف أشار الى ما قال ان المادة غير منحازة بالفعل عن الصور
كما ان الصورة غير منحازة عن المادة بالفعل (النص ورقة ١٤٦ الف) .
(٣) المخطوطة : الحر .

وأيضاً فن الأمور الدائنة ان الاحساسات حادثة وهو مثبتن عندما نتأمل
أيسر تأمل . وكل حادث فقد كان ممكناً وجوده قبل أن يوجد ، والامكان
والقوة على ما قلنا قبل ^(١) متلازمان . فهذه القوة هي في هيولى ضرورة ، وهذه
الهيولى هي هيولى لمثل هذا الوجود . وقد جرت العادة أن تسمى روحانيا ^(٢) ^(٣)
وغير جسماني وما أشبه هذه الألفاظ من الدلالة ولذلك لا نصير مع الادراك
جسماً ، لأن الجسم إنما يكون متى كانت الصورة غير مغايرة أصلاً ، وذلك
أن تكون موجودة غير مجردة .

وقد يسأل سائل عن الإدراكات فيقول : هل هي في الهيولى التي لها مغايرة
لها . فإن كان ذلك فالهيولى موجودة بالفعل وليست هيولى . وكيف يتصل
ما ليس بجسم بما هو جسم إلا بأن تكون صورة فيه . وإن لم يكن مغايرة ما
والأمر فيها مثل وجودها في الهيولى لم تكن مجردة .

فنقول : أما ان الإدراكات في موضوع فذلك بيتن . لأنه لو لم تكن
في موضوع لما كانت كائنة . وأما أنها والموضوع شيء واحد فذلك أنها
كذلك ، وبذلك صار الإدراك شخصاً . فإنها لو كانت غير الموضوع جملة
لكانت نوعاً أو عقلاً . وصنبن ذلك إذا صرنا إلى القول في القوة الناطقة ،
لأن القول هنا هو في النفس وقواها .

وأما ان الصورة يلزم عمماً وضع أن تكون غير موجودة مغايرة للهيولى

(١) راجع النص ، ورقة ١٤٣ الف : فذلك تلازماً الخ .

(٢) « الروحاني » عند المتألفين منسوب إلى الروح ، ويدلّون به على الجواهر
الساكنة المحركة لسواها ، وهذه ضرورة ليست أجساماً ، بل هي صرر لأجسام ،
وشكل هذه اللفظة غير عربي وهي دخيلة في لسان العرب في الصنف الذي
جاء على غير قياس عند نحويّ العرب ، فان المقيسة عندهم أن يقال روحي
تدبير المتوحد ، نشر آسبن ، ص ١٨ .

(٣) المخطوطة : روحاني .

فذلك غير لازم عما وضع . لكن يقتضي التشكيك أن يجري للوجود فيها ^(١) تغير وذلك ان الهيولى كما قلنا قبل انما هي موجودة بالنسبة الى ما هي هيولى له . والقوة على الإدراك هي قبول الصورة منخازة بوجود يخصها . فهىولى الإدراك مطبوعة على قبول معاني المدركات ، ومحركها المدرك من جهة ما هو مدرك . فإن هذه < الصور > الهيولانية يثنى من أمرها أن لها في ذاتها وهي هيولانية هذه القوة ، وهذا التحريك هو لها من أجل وجودها الخاص . ولذلك توجد هذه في الفاعلة منها كالحرارة والبرودة (ورقة ١٥٤ ب) وفي المنفعة كالصلابة واللين . وإن ما يحرك الحركة المنسوبة الى الانتقال فانما يحركه أيضا وهو في موضوع ويحرك هيولى أخرى من نوع الهيولى التي هي فيه . ونسبتها الى ذلك المعنى نسبة الهيولى التي في ذلك المحرك الى الصورة بعينها في النوع . وهيولى الإدراك نسبتها الى الصورة نسبة أخرى تخصها ، فلذلك هي هيولى باشتراك الاسم . وهيولى المدركات يقال لها هيولى بالتقديم وإنما يقال لهذه هيولى بالتأخير ، وعلى طريق النسبة بالمحسوس المحرك كالحار والبارد .

فله أولاً نوعان من التحريك لصنفين من الهيولى أحدهما ^(٢) للهيولى ^(٣) من نوع هيولاه ، والآخر لهذه الهيولى التي بها يكون محسوسا . وهذا التحريك هو لذي الجسم لا من حيث أنه ذلك الجسم . ولذلك ^(٤) إدراك الجسم الصغير والكبير واحد ^(٥) لاسيما التخيل ، وصنفين لم كان ذلك فيها بعد .

(١) المخطوطة : ممنا .

(٢) المخطوطة : احداها .

(٣) المخطوطة : الهيولى .

(٤) المخطوطة : وكذلك .

(٥) وهذا ما سرده ابن رشد (كتاب النفس ، الأهراني ، ص ٧٤ وحيدرآباد ،

ص ٦٩) : ونخص الصورة الحية انها منقسمة بانقسام الهيولى بالمعنى الذي به

تنقسم الصور المزاجية ، ولذلك أمكن فيها ان تقبل المتضادين معاً . والصغير

والكبير على حالة واحدة .

وإنما بتفاضل الإدراك من جهة أنه شديد أو ضعيف .
فقد قلنا ما القوة المدركة في الجملة . وهذه القوة هي نفس موجودة في الجسم
المتنفس وهي ^(١) صورة مزاج المتنفس . والجسم الممزج الذي له هذه القوة
هو متنفس وحي .

ولما كان كلّ تكون فهو أمّا تغير أو تابع لتغير على ما تبين في السماع ^(٢)
وجب أن يكون الإدراك كذلك . ولما كان كل متغير فهو ينقسم ^(٣) ،
وهذا ليس منقسم لزم ضرورة أن تكون هذه القوة مقترنة بجسم أمّا بنفسها
أو بتوسط مقترن .

والادراكات النفسانية جنسان - حس وتخيل . ولا يمكن أن يتخيل ما لم
يحس . ولذلك ^(٤) لا يمكن أن يتخيل اللون ، فالحس يتقدم بالطبع للتخيل لأنه
كالمادة للتخيل . فالحس هو أول إدراك مقترن بالجسم فواجب ضرورة أن
لا يكون حس دون تخيل ، إلا أن التغير ليس في المحسوس . والتغير صورة
الحاس فالحاس ضرورة جسم صورته القوة الخاصة . فالحس بالجملة هو قوة لجسم
ينفصل عن المحسوس بمقترن يكمله كمال القوة النفسانية التي < هي > فيه .
ولذلك يلزم ضرورة أن يكون المحسوس متخيلاً والحاس متخيلاً ^(٥) . فلذلك
الحر والبرد محسوسان بأنفسهما ^(٦) وأولاً . وأمّا الصلابة واللين والخشونة والملاسة
فنسبهن أمرها في القول على القوة اللمسية ، فهذا هو القول في الحس بالجملة .

(١) المخطوطة : هو .

(٢) وابن باجة يبين معنى « تابع لتغير » بألفاظه في السماع ، ورقة ٢٩ ب :
« ويكون للنسب تغير تابع لتغير فذلك يكون في الآن وكذلك فادها » .

(٣) قارن أرسطو : Arist. : Phys. VI. 4. 234 b 10 .

(٤) المخطوطة : وكذلك .

(٥) المخطوطة : متخيلاً .

(٦) المخطوطة : بأنفسها .

ولما^(١) كان ليس كل قوة تحرك كل جسم ، وكانت الحركات كثيرة كانت الحواس كثيرة معاذة للحركات . ولما كانت التحريك الذي به الحس إنما هو من أجل المعنى . والمعنى قوامه من أشياء كثيرة ، لذلك لزم ضرورة أن ترسم (ورقه ١٥٥ الف) في الحس تلك المعاني غير منفصلة بعضها من بعض . ولما كان ما به قوام الشيء إما مشتركة وإما خاصة^(٢) . فالخاصة إنما تدرك بخاصة واحدة ، والمشاركة تدرك بالحواس التي يلحقها ذلك الأمر المشترك . فلذلك هو محسوس غير أدل وهذا هو كالأطوال والأشكال .

ولما كان المعنى تلحقه أشياء أخر بالعرض لذلك لا ترسم في الخاصة تلك الأشياء . هي محسوسة بالعرض كاللون فإنه يقترن به أنه في الكاتب . فلذلك يقال ان الكاتب مبصر بالعرض . في هذه يغلط الحيوان الحاس^(٣) كثيراً . فأما وجود هذه القوة في الحيوان ، فقد قيل كيف ذلك في القول في تكون الحيوان وذلك في السادسة عشر من كتاب الحيوان^(٤) .

فهذا في الحس بالجملة .

والمحسوسات بالجملة كما قيل منها مشتركة ومنها خاصة . فالخاصة كما تبين ما اتفعل عنها الخاصة . والعالم^(٥) ما لم يتفعل عنه الخاصة . وإنما حصل بقوة عند حصول المعنى . ولذلك قيل ان المحسوسات المشتركة إنما يدركها الحس المشترك

(١) المخطوطة : وكما .

(٢) أيضاً : Arist. : De An. II. 7. 418 a 15 sq. : ابن رشد : كتاب النفس

ص ٢٧ ، حيدرآباد ص ٢٣ .

(٣) بالهامش : الحاس .

(٤) أيضاً : Arist. : De Gen. An. I. 23. 731 a 30 sq. .

(٥) المخطوطة : العالم .

إذ لا تنفعل عنها الحاسة . وإنما هي لتلك القوة < لا > لأنها هي مقترنة بالحاسة بل من أجل أنها بالفعل . فإن القوة إذا انفردت عن الحاسة كانت هي الحس المشترك . وإنما تنفرد عن الحاسة إذا صارت شيئاً ما . وذلك بأن تدرك محسوساً ما . فالحاسة ضرورة الوجود في الحس على ما تبين قبل ^(١) . ولذلك لا يمكن أن تخلو ^(٢) هذه القوة من المحسوسات جملة . لأنها موجودة في الجسم . وإنما المحال بأن توجد هذه مفارقة لا تقترن بجسم ، وهذا هو أحد المحالات التي لزمها التشكك المكتوب قبل هذا .

فلنقل في أصناف الحس .

(يتبع)

محمد صغير حسن المعصومي

—————

(١) راجع النص ورقة ١٥٠ الف : ووجوده محركاً ظاهراً بنفسه والمتحرك هو الحاسة الخ .

(٢) المنطوية : تخلوا .

التعريف والنقد

ديوان ابن الخياط

تحقيق الأستاذ الرئيس خليل مردم بك

طبعة المجمع العلمي العربي، بدمشق ١٩٥٨ في ٣٤٨ صفحة + ٤٩ صفحة للمقدمة ،
مع عشرة ألواح مصورة

سعى المجمع العلمي العربي بدمشق ، منذ نشأته ، إلى حماية اللغة العربية ، والعمل لإحياء آثارها ، فكتب أعضاؤه في مجلتهم مقالات خافية في التبصير بها ، والتعريف ببلاغتها ، وتنقيح مفرداتها ، واختراع كلمات أو مشتقات لما يعرض على المجمع ، أصبحت كلها مرجع العلماء والدارسين . وعمل الأعضاء كذلك على نشر الذخائر العربية في مبادئ الشعر والفلسفة والتاريخ والآثار نشرًا يحمد العارفون ويشيدون بأيادي المجمع في السعي له على اخلاص ووفاء .

ولرئيس المجمع العلمي العربي الأستاذ خليل مردم بك يد طولى في إخراج التراث العربي وتحقيقه ودراسته . فقد ألف رسائل في أدباء العرب وشعرائهم وخص شعراء الشام بعنايته وحبه ، يريد أن يصور هذه الحلقة البارة منذ القرن الرابع إلى سقوط الشعر في عصر الانحطاط ، ون يسجل تطور الشعر في هذه البلاد ، وأن يصف أعلامه ، لأن الدراسات المعاصرة لتاريخ الأدب ظلت أكثر هؤلاء الشعراء ، فلم ترمم أثرهم ولم تتحدث عن دواوينهم ، وكاد شبابنا يجهلون كل شيء عن هذه الحقبة من أدبنا ، وأصبح كثير منهم يتهم ثروتنا الفكرية والأدبية ، وينصرف عنها إلى غيرها من الآداب الغربية المنظمة المبوبة المبسرة .

وقد قام الأستاذ مردم بك بهذه المهمة لبسة هذه الثغرة ، في أناة وصبر ودقة ، فأجال النظر في الدواوين ، وأطال البحث في عرضها وضبطها ، والنقد لها بدراسات دقيقة مفصلة ، فأخرج دواوين علي بن الجهم وابن حيوس وابن الخطاط وابن عنين ، وهو في سبيل إخراج ابن القيسراني . والدواوين الأربعة الأخيرة حلقة متكاملة تمثل شعر الشام من أواخر القرن الرابع الهجري إلى أواسط القرن السابع ، أي منذ (سنة ٣٩٤ هـ — إلى سنة ٦٣٠ هـ) خلال ما يزيد على قرنين .

وهؤلاء الشعراء أمسكوا بزمام الشعر في دمشق بعد الحمدانيين في حلب ، وأصبحت هذه الحاضرة العربية على وشك أن تعيد لهذه الربوع مجدها القديم في الأدب . فإلى ابن حيوس (٣٩٤ — ٤٧٣) ، وابن الخطاط (٤٥٠ — ٥١٧) وابن القيسراني (٤٧٨ — ٥٤٨) وابن عنين (٥٤٩ — ٦٣٠) كما لمع ابن منير الطرابلسي والغزي وابن الساعاتي . وحملوا الرابة عن أساتذهم وأسلموها إلى أبنائهم ، كما يفعل القادة في الحرب صعباً وراء النصر والرفعة والحمد .

والأدباء النقاد شكروا بد الأستاذ مردم بك في نشر ابن عنين وابن حيوس ، ورأوا في جمعه المخطوطات من أطراف الأرض لها ، وصبره الطويل في تصيّد أخبارهما ، وجمع أشعارهما من المصادر المخطوطة والمطبوعة صبراً وصعباً يستحقان الحمد والثناء . وسيشكرون له هذه اليد الجديدة في إكمال هذه السلسلة ، والسير قدماً بانجازها في إخراج ديوان ابن الخطاط ، فقد أخذ ابن الخطاط عن ابن حيوس ، وخلفه في ميدان الشعر وسد مكانه ، وفاته في نواح كثيرة . وكان عليه أن يعمل له كما عمل لأستاذه ، فصبر وسعى خلال سنوات عدة ، حتى إذا استكمل العدة ، استجلب نسخه المصورة من أطراف العالم ، فجمع النسخ من المغرب ومديرد وكوبنهاغن ودمشق

والمدينة المنورة والقاهرة حتى بلغت ثمانى نسخ هامة ، نُقِلَ جلّتها عن الشاعر نفسه على يد تلميذه ابن القيسراني . فقد أُملي عليه شعره واختاره له ، وأسقط منه ما أراد ، فكأنه أشرف بنفسه على طبعه ونشره بين الناس لهذا العصر .

فديوان ابن الخياط بلغ مرحلة من النضج والرواية والتواتر لم تبلغها إلا القلة من الدواوين ، أملاء الشاعر ورواه التلميذ وحققه المحقق على ما تواتر ، نجاء على ثقة ودقة قلما يصل إليها كتاب أو ديوان إلا في النادرة بعد النادرة . وهذا نصير كبير في إخراج النصوص وتحقيقها ، يطعن إليه العلماء ، ويشق به الأدباء والرواة ، ويركن إليه الدارسون المؤرخون ، فكأنه كما يقول الغربيون « طبعة نهائية » عن وثائق ومخطوطات قيمة قديمة ترقى الى عهد الشاعر في القرن السادس ، لم يختلف إليها دس أو إضافة إلا ما كان من عمل النساخ والقراء ، وقد صوّر المحقق في حواشي الديوان هذا الاختلاف في أمانة بالغة ، ليرسم ما طرأ على النسخ من أمور طفيفة ، لا تكاد تؤثر في جوهر الشعر ، تقع للشاعر نفسه حين يستبدل حرفاً بحرف أو لفظاً بلفظ أو يستحسن تبديل كلمة بكلمة ، كما تفعل حين يؤلف أو تنظم .

فالديوان على هذا صورة لما تركه الشاعر وأراد ، بل انه صورة فوق ما كان يحلم بها الشاعر من طباعة جميلة ، وترقيم واضح ، وفهرسة قريبة ، كأنه لشاعر معاصر في العرض والاخراج ، أضاف إليه المحقق مقدمة في العصر والرجل جهد فيها ما استطاع ، فوقف دون كثير من أمور حياته وعيشه لأنه بلغ إلى الديوان فحسب ، ولم يبلغ إلى ترجمة له بقلم تلميذه أو تعليق عليه أو شرح له وتفسير ، كما فعل ابن جني للمتني ، وابن خالويه لأبي فراس الحمداني ، بل إنه لم يصل إلى مکتوبات ابن الخياط في النثر فقد ضاعت .

والشعر في الدبوان لا ينير كل شيء ولا يعين على المطالب كلها ،
والمترجمون بعده لم يفيضوا في أمر حياته ، لأنهم كانوا يسمعون الى الإيجاز
فيترجمون للأعلام في سطور ، وهمهم أن يجمعوا عدداً كبيراً من التراجم .
ومن همنا اليوم أن نسأل عن كل شيء ممن ترجم لهم ونعنى بهم ؛ وكل
يسعى الى سبيله ويمضي إلى غايته . لهذا جهد الأستاذ المحقق جهداً كبيراً ،
فاستنتج من الشعر ، واستنطق المصادر إلى حد بعيد ليخرج من ذلك بدراسة
جميلة كانت كأحسن ما يستطيع محقق أن يفعل .

قصّ حياة ابن الخياط منذ الصبّا حتى الوفاة . عرفنا منها أن ابن الخياط
عاش صغيراً في باب الجاية بدمشق ، وكانت داره على مقربة من دار الأمير
أبي الفتيان ابن حيوس . وكان عليه أن يتعلم صنعة أبيه ، فيكون خياطاً
مثله . ولكن الأقدار لفتت الغلام إلى حياة ابن حيوس ، ودفعته إلى
أن يعجب بموقعه من السلطان والجاه والمال ، وأن يتمنى في قرارة نفسه أن
يكون مثله وأن يقع من قومه موقعه ، فأصبح الفتى يقرأ من شعر القدماء
ويحفظ من أقوالهم وأخبارهم حتى انقلب عن صنعة أبيه إلى صنعة كانت تدر
على أصحابها الألقاب والأموال والمناصب . وظل كذلك حتى أنقن صناعة
الكتابة والنظم ، وأصبح معنياً بها يسعى إلى وظيفة عند الأمراء . فلما
قامت الفتن في دمشق ، ووقعت فيها الحرائق والنهب وغلبت المجاعة هجر كثير
من أهلها المدينة ، وانتشروا في الأرض ، فأصبح عدد السكان بدمشق
سنة ٤٦٩ ثلاثة آلاف نسمة ، بعد أن كانوا خمسمائة ألف . وهاجر
الشعراء والكتاب فبين هاجر ، ففرح ابن حيوس إلى أمراء حلب ، ونزل
ابن الخياط بحماة فعمل كاتباً للأمير فيها وظل عاكفاً على الشعر بقرضه
وبسيرة بين الناس . ثم خطر له أن يزور جاره القديم ابن حيوس في حلب ،

فسافر اليه وعرض عليه شعره ، فأعجب به ، ووصله بمال ، ونصحه أن يقصد بني عمار في طرابلس الشام .

فيما بلغ السادسة والعشرين من سنه ، صافر إلى طرابلس عملاً بوصية جاره وأستاذه ، ولبت فيها عشر سنوات ، يفيد من خزائنها العامرة وأساتيذها وعلمائها ، حتى تمكن لسانه وقوي بيانه واستندت ساعده ، فعاد إلى دمشق ولزم وزيرها الأصفهاني ، وصحبه إلى الري وخراسان ، وقفل راجعاً سنة ٤٨٧ وهو في السابعة والثلاثين . وظل في إنشاد الشعر وملازمة الرؤساء والأمراء يعيش بقلمه وشعره حتى مرض ، وقضى في السابعة والستين من عمره ، بدمشق ٥١٧ هـ . ودفن في الأرض التي أحبها وتعلق بها ، وظل مشوقاً إليها في رحلاته ، وقد طارت شهرته وعلت مكانته ، وحل من قومه محل الفحول ، فكان شاعر الشام لمصره كما تمني وأراد .

ولعلنا أمرفنا ولكننا أردنا أن نرمم هذه الخطوط الكبرى عن المقدمة في حياة شاعر تنقل في البلاد ، فزار حماة وصور وحلب وطرابلس والري وخراسان . وعرف الناس وطبائعهم ، وسمع اللهجات واللغات ، ورأى ما رأى وسمع ما سمع ، تخلف مكتوبات في النثر وقصائد في الشعر ، قلنا إن الأولى ضاعت وسلت الثانية ، فكانت من أجود الشعر ، تملك صاحبها ناصية الديباجة ، واستوى مع الفحول ، فحاکم في استعاراته وكنائياته ، وبذ كثيراً منهم بريقه وسلاسته حتى قال فيه ابن عساكر : « ختم بابن الخطاط ديوان الشعر بدمشق » . وقد استطاع على اضطراب بلده وقلق عيشه ورقة حاله وتنقله في الأمصار وراء العيش أن يكون شاعراً مطبوعاً ، فصيحاً ، جزلاً من غير إغراب ، عليه طلاوة المحسنين وحلاوة المجيدين ، فله بين الشعراء مرتبة ، نعيد إلى دمشق صولجان الشعر ، وتنافس مدرجة الحمدانيين في حلب ، بدل على ذلك قوله :

والمرء من شئت في الأيام غارته فبادر العيش باللذات وانتهبها
 من شاء^(١) فلا يتخذ أيامه فرصاً فليس يوم يردود إذا ذهبها
 هل الصبي غير محبوب ظفرت به لم أقض من حبه قبل النوى أربا
 إني لأحسد من طاح الغرام به وجاذبته حبال الشوق فانجذبها
 والمعجز أن أنرك الأوطار مقبلةً حتى إذا أدبرت حاولتها طلبها
 فهي ألصق بالجميل من الشعر المعاصر في صلاستها . وله في الديوان كثير من
 المرقص المطرب لا يحصيه مقال في النقد مها طال .

هذا هو الشاعر ، وهذا هو الشعر الذي نهض له الأستاذ خليل مردم بك
 نجود في تحقيقه وإخراجه ، وجود في مقدمته ودراسته ، وأفاض حين وقف له
 ينقد لغته ، ويتناول حناته في الاشتقاق والاستعمال حتى حسبنا أن الدراسة
 لعالم لغوي في القرن الرابع الهجري وقف بنكر على رصيفه المعاصر الفاظاً
 ترد عن العرب في المعاني التي استعملها ، ويأخذ عليه تجوزه في النحو واللغة
 والبيان ، فيعدد أمثلة من شعره فيها كلمات : « هناء » وخراد ، والأخمس ،
 والأقص ، والنضاج ، والركاز ، الخ . . . » وصححها : « هناءة » ،
 وخرائد ، وخميص ، وقص ، والنضج ، والركز » . وليس هذا كل
 ما أخذ عليه ، وإنما ساق أمثلة كثيرة فنيل القارئ فيها إلى المقدمة الممنعة ،
 ليري معنا أي جهد ساق المحقق ، وأي عناء قامى ، وأي سهر نهض له
 في الدراسة الجدبة التي نراها أقوى ما خرج من قلم الأستاذ خليل مردم بك
 في صدور دواوينه .

ولو جمعت هذه الدراسة في ابن الخطاط إلى دراساته في ابن حيوس

(١) اختار المحقق : « ما شاء » ؛ فخالف سبع نسخ ، ولعلنا نظرب لهذه الصيغة
 التقليدية أكثر من طربنا لما وضع وفضل .

وابن عنين وغيرهما ، وطبعت جميعها في كتاب مستقل اسكانت تأريخاً للأدب العربي في دمشق خلال تلك الحقبة ؛ ترمم الأدباء والعلماء والمؤرخين سبيل البحث ، وتسدت ثغرة كبيرة في أدبنا العربي . فاذا جمعت الى قربانها مما قد يصنع زملاؤه بالعراق ومصر لشعرائهم كانت كتاباً ضخماً في تاريخ أدبنا ، تظهره على حقيقته ، وتنير جوانبه الخفية ، وتمكن لأدبنا بين آداب الأمم ؛ فقد وقفنا أنفسنا على دراسة عدد محدود من أدبائنا الفحول حتى ظن الناس أنهم وحدهم أدباؤنا وأن عصورنا الأخرى عقرت عن قول الشعر ، والغرب لا يقف عند شكسبير وغوته وهوغو ؛ وانما يتمداهم إلى غيرهم ليصور العصور الأدبية كلها . وأظن أننا شرعنا نفعل لدراساتنا كما فعل الغربيون لدراساتهم ، فانطلق جيلهم إلى الجديد كما ينطلق جيلنا إلى الجديد ، لأن البناء الشاغل يقوم على القواعد والأسس ، والشجر السامق يعتمد على انتشار جذوره في الأرض ، وذلك يعين الدراسة الأدبية في جامعاتنا ، حين يتم دور النشوء وتبلغ إلى دور الارتقاء والعمل الخصب الصحيح .

الدكتور سامي الدقمان

الثقافة الإسلامية في الهند

«عوارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف»

تأليف : السيد عبد الحي الحسني « ١٢٨٦ - ١٣٤١ هـ »

(من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م)

هذا الكتاب النفيس غزير المادة ، واضح البيان ، ألفه العلامة الكبير السيد عبد الحي الحسني ، والد صديقنا الأستاذ أبي الحسن السيد محمد علي الحسني الندوي الشهير ، وطبعه مجمعا العلمي العربي له ، ووقف على طبعه السيد رضوان الندوي ، من تلامذة الأستاذ أبي الحسن ، وفي طليعة الكتاب ترجمة

لأولفه كتبها ابنه الأستاذ أبو الحسن ، وأوضح فيها حسبه ونسبه ، وأساتذته ، وعلومه ، ومصنفاته الكثيرة ، وجاءت بعدها مقدمة المؤلف التي أوجز فيها بمجل هذا الكتاب ، وقد كان ألف قبله كتابين في موضوعه : (الأول) في ثمان مجلدات ، ذكر فيه حملة الأخبار ، ونقله السير والآثار ، والفقهاء والحكام ، وذوي النحل والآراء من أهل الإسلام ، ممن ولد أو مات في أرض الهند (قبل التقسيم) ، (والثاني) في الجغرافية والتاريخ ، واخطط والآثار . وهذا الكتاب الذي عني المجمع بطبعه يقع في (٣٥٠) صفحة ، ولكنه - على اختصاره - بحر لا يتطلى ثبج ، ولا تحصى فوائده وفرائده ؛ فقد ذكر فيه أنواع العلوم والفنون ، والمعارف البشرية ، وذكر ما لعلماء الهند في كل منها من مصنفات من بعد أن مررد ما لغيرهم فيها ، وأودع مؤلفه هذا تاريخ نظام الدرس في الهند جيلاً بعد جيل ، وتاريخ الفنون الأدبية ، فتاريخ العلوم الشرعية الدينية ، ثم تاريخ الفنون النظرية كالمنطق ، وعلمي الطبيعيات والإلهيات ، والحكمة العملية ، والفنون الرياضية ، وفي الصناعة الطبية على اختلاف العصور ، إلى القرن الرابع عشر ، مع ذكر المصنفين ، وما عرف من تاريخ وفياتهم ، وكانت خاتمة هذا الكتاب الجليل في أسماء بعض الكتب العلمية المنقولة .

جمع المصنف رحمه الله كتابه هذا في أربعة أبواب ، الأول منها في علوم اللغة والأدب والتاريخ ، والثاني في العلوم الشرعية والدينية ، والثالث في العلوم العقلية والفنون النظرية ، والرابع في الشعر والشعراء من أهل الهند . وداخل كل باب فصول كثيرة ، وهو يخص كل فصل منها بعلم من تلك العلوم ، ويسمي الكتب المؤلفة فيه قديماً وحديثاً ، ويذكر مصنفات علماء الهند المسلمين (سنة وشيعة) وغير المسلمين ، وما ألف أو ترجم في اللغات العربية والفارسية والأوردو والإنكليزية ، وكثير من علمائهم يؤلفون بالإنكليزية أو ينقلون عنها ، وينقلون عن الفرنسية أيضاً .

وكتابه هذا بفضل في ترتيبه مثل (كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون) ، فإن مؤلف (الكشف) رحمه الله قد رتب علومه على حروف الهجاء ، بحيث تذكر الألف مع الباء ، ثم مع التاء الخ . . . ، فاضطر أن يذكر فصولاً بفرق فيها ما حققه أن يكون مجتمعاً . فقد ذكر في أول علوم القرآن مثلاً (ص ١٢٠) علم إيجاز القرآن وإعرابه ، ثم أورد علوماً كثيرة في حرف الألف مع الغين والفاء والقاف والكاف واللام ، كعلم الآلات الحربية والرصدية ، ثم عاد فذكر في حرف التاء علم التجويد (ص ٢٥٥) وفي التاء مع الشين علم تشبيه القرآن واستعاراته ، (ص ٢٨٦) وبينها فنون مختلفة .

كما يلاحظ - في عرض نماذج من الشعر الهندي في مختلف العصور - آيات فيها من سؤال المخلوق ، ما لا يقدر عليه إلا الخالق سبحانه ، وما يحرم طلبه من غيره .

وبلاحظ في « تراجم القرآن الكريم » أنها كثيرة بالأورد ، وقليلة بالانكليزية ، « ومنها ما هو ترجمة حرفية » ص ١٦٩ .

وأقول : إن المعقول أن تبلغ دعوة الإسلام إلى كل أمة بلغتها ، وتدرس الخاصة القرآن والعلوم الدينية ، والفنون العربية والأدبية بلغة القرآن ، ليتذوقوا إيجازه وإعجازه ، أما الترجمة الحرفية ، فهي متعذرة في كثير من كلماته ، لا سيما أسماء الله تعالى وصفاته ، وكنت كتبت في مجلة المجمع العلمي : لأن العربية انتشرت - تبعاً للإسلام - في قارات الأرض الثلاث : آسية وإفريقية وأوربة ، ودخلت أعم كثيرة في العروبة والإسلام ، فهل كانت تلاوة القرآن ودراسته بلغته إلا هدى ورحمة ، وإحساناً ونوفيقاً ، « تأخت فيه شعوب كثيرة ، وتعاونت على مدنية كانت زينة الأرض ، وضياء ونوراً لأهلها » . ومؤلفات الأعاجم في لغة العرب تبلغ الألوف الكثيرة ، وحسبك ما أوردته المؤلف منها في كل علم وفن .

وقد رأينا في لاهور عام المؤتمر (سنة ١٩٥٧) وفي العاصمتين كراتشي ودلهي من علماء الهند الأجلاء من يلتزمون العربية الفصحى قرلاً وكتابة وخطابة ، وهي لغتهم في بيوتهم ومجتمعهم .

ثم نقل المؤلف فصلاً في تاريخ التصوف ونشأته عن مقدمة ابن خلدون ، وآخر في تاريخ الفرق الإسلامية ، كالإمامية ، والجهنية ، والمعتزلة ، والنجسة ، والقرامطة ، وفي المأمون ، وفتنة المعتزلة ، وأبي الحسن الأشعري ومذهبه وأئمنه ، والماتريدي ، وكل ذلك مأخوذ من كتاب « الخطط والآثار » للمعريزي ، ثم مذهب الشيعة الإمامية ، وكيف ظهر وانتشر في الهند في القرن الثامن ، على يد الشيخ علي الحيدري ، وكيف تشييع الملوك والأمراء ، وأكره عدداً من غير المسلمين على التشييع ، حتى قيل إن (٢٤) ألفاً من الهنادك تشييعوا ، ثم تسلسل ذلك في الدعاة والولاة والرعايا ، وتشيع نظام شاه (١٩٤٤ هـ) على يد الشيخ طاهر بن الرضي المحدثاني ، وافقه الولاء والبراء ، وتشيع معه ثلاثة آلاف نفس من رجاله ، وأخرج أسماء الخلفاء الثلاثة من الخطبة ، ووظف اللاعنين عليهم في جميع بلاد الدكن (ص : ٢١٧ — ٢١٨) . ثم تفرق الإمامية في بلاد الهند ، وجمع دعائهم الناس على الصلوات الخمس ، ورضي ولانهم في ذلك (في ١٣ رجب سنة ١٢٠٠ هـ) وكان آصف الدولة وأخلافه يبذلون العطايا وأقطاع الأرض على المشرقيين ، فتشيع كثير من الناس طوعاً وكرهاً ، وكانت فتنة عظيمة ، ثم صنف الشيخ عبد العزيز بن ولي الله المحدث الدهلوي كتابه المشهور (تحفة اثنا عشرية) ، وصنف الشيعة في الرد عليه عدة كتب ، وتصدى أئمة السنة لها ، وألفوا كتباً كثيرة في الرد عليها ، وفي « الثقافة الإسلامية » أسماء هذه النقود والردود . ثم الكلام بين النصاري والإسلام ، وبين الإسلام والهندوك ، وديانة القادياني والردود عليها ، ومذهب

النيجريين (الطبيين) ، والمراد بهم أتباع أحمد بن محمد الدهلوي المتوفى
(سنة ١٣١٥ هـ) ، والردود على تأويلاته العجيبة الغريبة ، ورسائل في السنة
والبدعة ، والذوحيد والشرك .

ثم علم المناظر (ص ٢٧٢) الذي قال فيه المؤلف رحمه الله : (ومن يريد
أن يقف على صنائع أهل الهند ، فله أن يذهب إلى أكر ، ودهلي ، وبقرا
الكتابات في الجوامع والمقابر ، وأن يرى القباب والمنارات ، لاسيما في روضة
(ناج كنيج) (ضريح التاج محل) ببلدة أكره ، لعلمه بنحير منها ، وبطير عقله
ولبه من حسن الصنعة » . وأقول :

قد زرنا تلك الأماكن ، ورأينا ما يأخذ بالآلباب ، وأعجبنا بها كل الإعجاب .
وهذه النبذة البسيرة لا تفني عن مراجعة هذا الكتاب ، الذي أثبت فيه
مؤلفه فضلا كبيرا لأهل الهند في كل علم ، لاسيما في علم الصحة والطب ،
والكتب في أنواع الأمراض وعلاجها ، والاكتشافات الطبية لأهل الإسلام ،
من وقف على هذا وغيره - بمد وقوفه على مثل الفهرست لابن النديم ، وكشف
الظنون ، وما زاده المتأخرون كصديق حسن خان (والمؤلف ينقل عنها وعن
غيرها) - بر إلى منتصف القرن الرابع عشر للهجرة علوما وكتبًا واسعة ، وفصولًا
مهمة بارعة ، وما ذكرته قليل من كثير ، ولا يغني عن مطالعة هذا السفر
الجليل ، فرحم الله المؤلف ، وأثابه عليه أجزل الثواب ، وجزي مجمنا العلمي
الذي قام بطبعه خير الجزاء .

ديوان السيد موسى الطالقاني ١٢٣٠ - ١٢٩٨ هـ

تحقيق وابتناء : محمد حسن آل طالقاني

مطبعة الغري الحديثة - النجف

الشعر مادة الأدب ، وديوان العرب ، فهو مرآة أخبارهم ، ومجلى آثارهم ،
ومحط رحالهم ، وقد قال قائلهم :

إن لم تقل إن نظم الشعر مكرمة فأني مكرمة أقيمت للعرب
بان الكرام فلا عين ولا أثر إلا أساطير قد سطرن في الكتب

وأما الآن ديوان الشاعر الناصر العلامة السيد موسى الطالقاني النجفي ،
و ديوانه هذا كبير الحجم ، مؤلف من (٤٣٤) صفحة بالقطع المتوسط ،
ماعد الفهارس المتنوعة ، وقد بلغت نحو أربعين صفحة ، منها تسع للمقدمة ،
وها هي ذي : فهرس المواضيع ، والقوافي ، والأعلام ، والقبائل ، والأسر ،
والبيوت ، والبلدان ، والأمكنة والبقاع . ومثلها فهارس الديوان ، وفي أوله
تقريظ للعلامة الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، فكلمة إهداء من محققه
وناشره الأستاذ الأديب السيد محمد حسن الطالقاني النجفي إلى أستاذه الجائز
المؤرخ الجليل الشيخ آغا بزرك الطهراني ، وقد زين كلمته بصورة شيخه ، ثم أتبعها
بنشر صورته ، ووصفها بيتين من شعره .

وفي صدر الديوان وصف لأسرة الطالقاني ، وكلمات موجزة في تراجم أجداد
ناشر الديوان منذ هاجر جدهم الأعلى من طالقان (بلدة في إيران) إلى النجف
(من سنة ٩٣٥ إلى عصرنا ١٣٧٦ هـ) ، وفيه نبذة من ترجمة السيد محمد حسن
الطالقاني ، وهذه التراجم بقلم شيخه العلامة الطهراني ، وتلي ذلك حياة الشاعر
الكبير السيد موسى بقلم المحقق السيد محمد حسن ، مهد لها بكلمة في الشعر

والأدب في البقاع والبلدان ، وخص أدب العراق بما فيه من طيب الأرض ،
وحسن المنبت ، ونوه بفضل النجف في ذلك على غيره ، ثم أتى على ترجمة
صاحب الديوان ، فذكر نسبه وأسرته ، ونشأته ، وأساتذته ، ومكانته العلمية ،
ومنزله الاجتماعية ، وأخلاقه وصفاته ، وشاعريته القوية ، وآثاره ، وأولاده
وأحفاده ، وأقوال العلماء والأدباء فيه ، وختمها بوصف النسخ التي قبول بها
الديوان ، وظروف نشره .

قسم ناشر الديوان هذه المجموعة الكبرى التي اشتملت على نحو ستة آلاف
بيت ، والتي عانى في جمعها السيد الحسن ماعاني ، قسمها ووزعها على المدايح
والمراثي ، والوجدانيات ، والتهاني ، والموشحات ، والحماسيات ، والتخميس والتشطير ،
 والمراسلات ، والإخوانيات ، وختمها بالمتفرقات ، وفي هذه الأبواب كلها إبداع
وإمتاع ، وشعر بفيض رقة وشعورا ، ونحراً وحماسة ، وشمماً وأباً ، وعزة
وعلاء ، وعلاوة على كون مؤلفه من فحول رجال القريض ، فهو من شيوخ
العلم الأجلاء .

وقد ازدان الديوان بما ذبله به ناشره من تعليقاته المفيدة ، وآرائه السديدة ،
واستدراكاته العديدة ، وقد جاء بحمد الله كما قال : « كتاب تاريخ كما هو
ديوان أدب ، حوى كثيراً من التراجم والسير ، والأمثال والحكم ، والشواهد
والفوائد ، ومثل هذا اللون هو المطلوب لدى رجال البحث والتحقيق ، ومؤرخي
الأدب » . وقد استفدنا من فوائد هذه التعليقات أضعاف ما استفدنا من الأصل ،
لأصبا تاريخ الأمر العلمية في النجف ، وكثير من أعلامها ، وقد ذكر المراجع
الخطية والمطبوعة منها ، وأشار إلى أجزائها ورف صفحاتها ، وأمع إلى من سبق
المؤلف إلى بعض المعاني البدعة في شعره ، وأورد الشواهد على ذلك من كتب
الشعر والأدب والتراجم .

وقد ذكر الأستاذ النامر طائفة من أقوال العلماء ، وآراء المؤلفين والأدباء في صاحب الديوان وشعره ، وفضله وعلمه ، وأقول : لا شك في أن شعره يشف عن سلامة ذوقه ، وسمو روحه ، وكرم عاطفته ، ونزاهة قصده ، وعفته وزهده بما في أبدي الناس ، فقد كان رحمه الله واسع الحال ، موفور الحظ ، غنيا عما في أبدي الناس بما أسبغ المولى عليه من نعمه ، فقد كان ملاً كالنخيل وضباع ، تغدق عليه من خيراتها ما يكفل له أطيب عيشة ، كما ذكر في ترجمته : « ولذلك نجد معظم شعره الغزل الذي كان يؤنس به نفسه ، ويفرح قلبه ، ويث أشواقه ، ولم يكن ليفكر بالنظم في غيره ، وقد خلق شاعراً بطبعه ، لأنه يكره مدح الناس » (١) .

ونجد الجواب بعد هذا في المقدمة عن مدحه لقريب أو صديق ، أو ذي شان وسلطان ، قال :

شهد المجد أنني لست ممن باع درة الأسمار بالأثمان
لا ولم أهده لغير حبيب ذي وداد في السر والإعلان
أو لريم يرمي القلوب بطرفه ناعس يوقظ الهوى بقظان
بات رهن الحسان قلبي وباضمة قلب بيت رهن الحسان

وقد استغرقت قصائده الغزلية التي سميت بـ « الوجدانيات » مائة وأربعين صفحة من ديوانه ، وحسي أن أورد شواهد منها تدل على سائرها ، قال (ص ١٠٠) :
أمرتني ذات السوار ولا آمن ن لديها ولم أجد من فداء
عقد زناها يحل قوى الصبر (م) ويوهي - إي والهوى - أعضائي
وقال (ص ١٠٥) :

لقد أصبحت ذا كلف طروباً وكم منبت نفسي أن أتوبا

ولاح الشيب وهو وقار غيري وطفل الشوق لا يرعى المشيبا
فدع عنك النفسك واسقنيها لعلني أن أحسن لها ديبيا
عقاراً مثل خذ الحب لونا أرى بين الضلوع لها طيبا
لئن سبت العقول فكم أزلنا بها عنا الوسوس والكروبا

وقال (ص ١٠٧) :

كفته عن الحراس ليلاً ذوائبه وأغنته عن حمل السلاح حواجه
نسي إلى العشاق أرسل هاديا إلى الحب بدعو والقلوب تجاوبه
فسفك الدما والتهيه ، والصد والجفا وتقص عهود العاشقين مذهبه
ألا فاسقني من سلسيل رضابه فياربما يُطقي من القلب لاهبه

وكنت أرجو ألا أجد في ديوان هذا الشاعر المبدع ما ينأى عن شعره القومي ، وقصده السوي ، وكان له في أبواب الديوان ما يغنيه عن وصف بنت الحان والأحان ، وعن الفواني الخرد الحسان ، وسائر ما يغري بوصفه المستعدين من الشبان ، ولكنها سنة كثير من شعراء العلماء ، فهم ينهون عن احتساء الصباه في كتبهم الدينية ، وينأون عنها ، وتراهم يغرون بها في قصائدهم ومقطوعاتهم الشعرية ، وكان لهم من مشاهد الكون ومن آياته تعالى في الآفاق وفي الأنفس ، ما يدعو الناشئين إلى الجدل في العمل ، وبقي مقلدي شعر الجاهلية عن وصف الطلل ، والوقوف « بسقط اللوى بين الدخول فحومل » .

وبلاحظ في أمر المدح والاطراء ما هو أدخل في الإغراء ، وأخطر في باب الدعاء ، بدعاء من لا يملكون لأنفسهم ضرراً ولا نفعاً ، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، وطلب ما لا يطلب إلا من الغني القوي القادر ، القائل : « ادعوني استجب لكم » « وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان ، فليستنجبوا لي ، وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون » . وهذه الآيات المفردة تدل على قصائدها ، وعلى ما هو في معناها مما استشهد به من شعر غيره . قال مخاطباً أمير المؤمنين عليه السلام :

أنت الوجود وفيك قد وُجد الوري ولأنت منظر ربنا والمسمع
(ص ٩)

كُرِّبَ أَلَسْتُ بالفؤاد وعندها مدري يضيق
ولأنت يا غوث الصريح بكشفها عني حقيق
(ص ١٠)

وقال مستغنياً بالمهدي المنتظر :

رام الزمان هواني واستنصر الدهر شاني
فقلت مهلاً سأشكو إلى إمام زماني
(ص ١٣)

وقال مخاطباً الإمام موسى بن جعفر (ع . م) :

كَمَنْتُ منك أن تُقضى ديوني وأرجو أن تبلغها مناها
(ص ١٣)

لا تجف هول نكير في غداً أو منكر لا ، ولا تحش عذاب الله يوم المحشر
(ص ٦٢)

هو عين الله فينا والصراط المستقيم وهو الجنة والنيران - في المحشر - قسم
(ص ٦٣)

لم يكن آدم لولاء ونوح في الوجود لا ، ولم تؤمر له الأُملاك يوماً بالسجود
(ص ٦٣)

لم يكن لولا عليٍّ ملك أو ملك لم تكن لولاء تسري فللكها والفلك
(ص ٦٣)

وصي المصطفى حقاً قسم النار والجنة

(ص ٢٤١) أحد بيتين عزاهما للشافعي .

والجواب عن هذه الأبيات الشعرية وما مائلها في قوله تعالى خطاباً لخاتم رسوله
وأفضل خلقه : « قل إني لا أملك لكم ضرّاً ولا رَشَداً ، قل إني لن يجيرني

من الله أحد ، ولن أجد من دونه ملتحدا» وقال سبحانه «أم من يحب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء» . وقال : «وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون» وقال : «الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا» فأين تقع هذه الدعاوي الشعرية من هذه الآيات الكريمة القطعية الثبوت والدلالة على معانيها وأين هذا الاغترار بقسمة الجنة والنار ، من قوله تعالى «ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ، فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين» . وما حق أهل العلم والإيمان أن يجاروا العامة في مثل هذه الأمور . وإخواننا الشيعة يدرسون تاريخ الإسلام ، وسيرة الصحابة لاسيما أئمة آل البيت عليهم السلام ، وهم يعلمون أن الصحابة تناظروا بعد وفاة النبي (ﷺ) في أمر الخلافة ، وفي جمع القرآن ، وفي الممارك الدامية كوقعة الجمل وصفين ، والنهروان والحرة ، وتناظر الشيعان في قتال مانعي الزكاة ، وفي إرسال جيش أسامة ، ولم يستغيثوا بسيد الخلق ، في هذه الشدائد ، ولا استفتوه في شيء منها بعد وفاته ، كما كانوا يفعلون في حياته ، وكل هذا معلوم من الدين والتاريخ بالضرورة ، ومن العقل والحس والوجدان بالبدهة ، فيجب رد ما يتجدد من الوقائع والحوادث إلى الوحي المنزل ، وما عرف من سنن الصدر الأول . وجدير بالعلماء العاملين في كل مكان ، أن يتخذوا شذرات من سير الأئمة ملائمة لروح المجتمعين ، مغذية لعقولهم ، باعثة على حسن الاستماع والاتباع .

جاء في سيرة السلطان أحمد شاه (ص ٣ - ٧ من الديوان) أنه هو الذي ذهب المنارات والقباب ، على ضرائح الأئمة ، ونهب أموال الأئمة ، وأدخل في الفسق والفجور ، وكان الوالي من قبل الدولة العثمانية آنذاك مدحت باشا ، وهو خير من ولي العراق من آل عثمان (ص ٣٣٩) وسجل له التاريخ كثيراً من الآثار . (قال) : وبؤخذ عليه اهتمامه الكثير وعزمه الشديد على الاستيلاء على خزانة الإمام علي عليه السلام وبيعها ، واستعمال المال في مشاريعه ، وقد

أخفق والله الحمد اه . أقول : ليت الإمام علياً كان حياً لما أهديت إليه هذه الخزانة ، إذاً لرأيت أزهى الزهاد بما فيها ، وأسرعهم في إتقانها على مستحقها ، فما هو ممن يكتزون الذهب والفضة .

وفي رحلتنا إلى العراق في وفد علمي (في ١٨ / ٤ / ١٣٧٨ = ١ / ١١ / ١٩٥٨) أسعدنا التوفيق بزيارة أئمة آل البيت عليهم السلام ، وشاهدنا المنارات والقباب والأضرحة في كربلاء والكوفة والحلة والنجف ، وكلها مطلية بالفضة الخالصة ، ومغشاة بالذهب وفيها النفائس . ومن حولها الفقراء والضعفاء يذكروننا بقول حافظ إبراهيم رحمه الله :

أحيائنا لا يرزقون بدم وبألف ألف ترزق الأموات

من لي يحظ النائمين بحفرة قامت على أحجارها الصلوات ؟

اعتذر الناشر الكريم عما وقع في الديوان من أغلاط مطبعية ولاملائية وفي ضبط بعض حركات الإعراب ، — على بذله في تصحيحه جهداً مضمناً بلحمه الأدباء وأهل الفن كما قال . والحق أنا لمسنا الأمرين معاً : الخطأ الكثير في الأنواع الثلاثة الأولى ، والإجادة في تصحيح كلمات الديوان ثراً وشعراً ونرجو أن يصحح الخطأ كله في طبعة ثانية إن شاء الله تعالى .

أضيف إلى جدول الخطأ والصواب ما يأتي :

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤٩ م	١٥	توجدات	توجدات
٥٠	٢٢	القَبَس	المُقْتَبَس
٥٢	٤	كان . . فيض نفسي	فيضاً نفسياً
٢٠ في الحاشية ٢	أو يوم ذي مسغبة	«أَوْ لُطْعَامٌ فِي يَوْمٍ» الآية	
وفي اختتام تشكر الأديب الكبير الأستاذ السيد محمد حسن آل الطالقاني على تجميعه لهذا الديوان ، وعنايته بنشره .			
محمد بهجة البيطار			

آراء وأبناء

أعضاء المجمع العالمي العربي في سنة ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م

أعضاء العاملون

١ - الرئيس : الأستاذ خليل مردم بك

٢	الدكتور اسعد الحكيم	١٠	الأستاذ عمر الدين التنوخي
٣	الأ مير جعفر الحسني (أمين السر العام)	١١	فارس الخوري
٤	الدكتور جميل صليبا	١٢	الشيخ محمد بهجة البيطار
٥	حسني صبح	١٣	الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي
٦	حكمة هاشم	١٤	محمد كامل عياد
٧	سامي الدهان	١٥	مرشد خاطر
٨	الأستاذ شفيق جبيري	١٦	الأ مير مصطفى الشهابي (نائب الرئيس)
٩	عارف النكدي	١٧	الدكتور منير العجلاني

أعضاء المراسلون

(الجمهورية العربية المتحدة)		(ج.ع.م. الاقليم الجنوبي)	
الاقليم الشمالي			
١	الدكتور عبد الرحمن الكيالي	١١	الدكتور عبد الوهاب عنرام
٢	الأستاذ عمر ابوريثة	١٢	الدكتور منصور فهمي
٣	محمد سليمان الأحمد	١٣	الأ مير يوسف كمال
٤	الدكتور قسطنطين زريق	١٤	الأستاذ أنيس المقدسي لبنان
٥	(ج.ع.م. الاقليم الجنوبي)	١٥	بشارة الخوري
٥	الأستاذ احمد حسن الزيات	١٦	الشيخ سليمان ظاهر
٦	الدكتور احمد زكي	١٧	الدكتور صبحي الحمصاني
٧	الأستاذ احمد لطفي السيد	١٨	عمر فروخ
٨	خليل ثابت	١٩	الأستاذ مارون عبود
٩	الدكتور طاه حسين	٢٠	الأب اس. مرمرجي الدومنيكي فلسطين
١٠	الأستاذ عباس محمود العقاد		

٢١	الاستاذ قدري حافظ طوقان فلسطين	٤٦	الاستاذ آصف علي أصغر فيضي الهند
٢٢	محمد الشربقي	٤٧	أبو الحسن علي الحسيني الندوي
٢٣	احمد حامد الصراف العراق	٤٨	عبد العزيز الميمني باكستان
٢٤	الدكتور داود الجلي	٤٩	يوسف البنوري
٢٥	الاستاذ ساطع الحصري	٥٠	الدكتور بلاشير (رجيس) فرنسا
٢٦	طاه الهاشمي	٥١	كولان (جورج)
٢٧	عباس العزاوي	٥٢	لاوست (هنري)
٢٨	الشيخ كاظم الدجيلي	٥٣	ماسه (هنري)
٢٩	الاستاذ كوركيس عواد	٥٤	ماسينبون (لويس)
٣٠	الشيخ محمد بهجة الاثري	٥٥	أريزي (أ. ج. ٠) بريطانيا
٣١	الاستاذ محمد رضا الشبيبي	٥٦	جيب (٠. ١٠. ٠. ر. ٠)
٣٢	الدكتور مصطفى جواد	٥٧	غليوم (الفرد)
٣٣	الاستاذ منير القاضي	٥٨	ريتر (هلموت) المانية
٣٤	الشيخ محمد نور الحسن السودان	٥٩	هارتمان (ريشارد)
٣٥	الأستاذ حمد الجاسر المملكة العربية السعودية	٦٠	ديدرنغ (س. ٠) السويد
٣٦	خير الدين الزركلي	٦١	الدكتور خودج (بيارد) الولايات المتحدة
٣٧	علي الفقيه حسن ليبيا	٦٢	الاستاذ فيليب حتي
٣٨	حسن حسني عبد الوهاب تونس	٦٣	غومز (اميليو غارمينا) اسبانية
٣٩	محمد الطاهر بن عاشور	٦٤	الدكتور اشتولز (كارل) النمسة
٤٠	محمد البشير الابراهيمي الجزائر	٦٥	الاستاذ موجيك (هاتز)
٤١	عبد الحلي الكتاني مراکش	٦٦	ماهلر (ادوارد) المجر
٤٢	عبد الله كنون	٦٧	جبرابلي (فرنسيسكو) ايطالية
٤٣	علال الفاسي	٦٨	الدكتور شخت (يوسف) هولاندة
٤٤	احمد اثس تركية	٦٩	الاستاذ بدرسن (جون) الدانيمرك
٤٥	الدكتور علي أصغر حكمت ايران	٧٠	كرسيكو (يوحنا هتني) فنلاندة
		٧١	رشيد سليم الخوري البرازيل

٦٩	الشيخ ابراهيم المنذر	لبنان
٧٠	الاستاذ جرجي بني	≈
٧١	الشيخ احمد رضا	≈
٧٢	الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف	*
٧٣	فيليب طرازي	≈
٧٤	الشيخ فؤاد الخطيب	≈
٧٥	الدكتور نقولا فياض	≈
٧٦	الشيخ سميد الكرمي	فلسطين
٧٧	الاستاذ فحلة زريق	≈
٧٨	الشيخ خليل الخالدي	≈
٧٩	الاستاذ عبد الله مخلص	≈
٨٠	محمد اسمعاف النشاشيبي	≈
٨١	عادل زعيتر	≈
٨٢	محمود شكري الآلومي	العراق
٨٣	جميل صدقي الزهاوي	≈
٨٤	معروف الرصافي	≈
٨٥	طاه الراوي	≈
٨٦	الاب انستاس ماري الكرملي	≈
٨٧	الشيخ محمد بن ابي شذب	الجزائر
٨٨	الاستاذ محمد الحبحوي	مراكش
٨٩	زكي مفاخر	تروكبة
٩٠	الشيخ ابو عبد الله الزنجاني	ايران
٩١	الاستاذ عباس اقبال	≈
٩٢	الحكيم محمد أجمل خان	الهند
٩٣	الاستاذ فران (جبرئيل)	فرنسة
	(ج.ع.م. الاقليم الجنوبي)	
٤٥	الدكتور امين المعلوف	
٤٦	الاستاذ مصطفى صادق الرافعي	
٤٧	الشيخ عبد العزيز البشري	
٤٨	الدكتور احمد عيسى	
٤٩	الأمير عمر طوسون	
٥٠	الشيخ مصطفى عبد الرازق	
٥١	الاستاذ انطون الجميل	
٥٢	خليل مطران	≈
٥٣	ابراهيم عبد القادر المازني	≈
٥٤	محمد لطفي جمعة	≈
٥٥	الدكتور احمد امين	
٥٦	الاستاذ عبد الحميد العبادي	
٥٧	الشيخ محمد اخضر حسين	
٥٨	الاستاذ حسن بيهم	لبنان
٥٩	الأب لويس شيخو	≈
٦٠	الشيخ عبد الله البستاني	≈
٦١	الاستاذ جبر ضومط	≈
٦٢	عبد الباسط فتح الله	≈
٦٣	الشيخ عبد الرحمن سلام	≈
٦٤	مصطفى الغلاييني	≈
٦٥	الاستاذ عمر الفاخوري	≈
٦٦	بولص الخولي	≈
٦٧	امين الريحاني	≈
٦٨	الامير شكيب ارسلان	≈

٩٤ الاستاذ هوار (كيجان) فرنسة	١١٤ الاستاذ هرزفالد (ارنست) الولايات المتحدة
٩٥ = بوفالو (لوسيان) =	١١٥ = سارطون (جورج) =
٩٦ = مالتجو =	١١٦ = كراتشكوفسكي (أ) الاتحاد السوفياتي
٩٧ = كي (أ. أ) =	١١٧ = برنلز (ابنيكين) =
٩٨ = باسمه (رينه) =	١١٨ الاستاذ آسين بلاسيوس (ميكل) اسبانية
٩٩ = ميشو بلير =	١١٩ = لويس (دافيد) البرتغال
١٠٠ = مارسيه (وليم) =	١٢٠ = جوبدي (اغنازيو) ايطالية
١٠١ = دوسو (رينه) =	١٢١ = فالينو (كارلو) =
١٠٢ = مرجليوث (د. س. س.) بريطانيا	١٢٢ = غرينيني (اوجينيو) =
١٠٣ = بفن =	١٢٣ = مونته (ادوارد) سويسرة
١٠٤ = براون (ادوارد) =	١٢٤ = هنس (ج. ج. ج.) =
١٠٥ = كرينكو (فريتز) =	١٢٥ = كوفالسكي (ت. ت.) بولونية
١٠٦ = هومل = المانية	١٢٦ = موزل (الوا) تشكوسلوفاكية
١٠٧ = ساخاو (ادوارد) =	١٢٧ = هورغرينه (هنوك) هولاندة
١٠٨ = هوروفيتز (يوسف) =	١٢٨ = اراندوك (ك. ك.) =
١٠٩ = هارتمان (مارتين) =	١٢٩ = هوتسما (م. ت. ت.) =
١١٠ = ميتفوخ (اوجين) =	١٣٠ = بوهل (ف. م. ب. ب.) الدانمارك
١١١ = بروكين (كارل) =	١٣١ = استروب (ج. ج.) =
١١٢ = غولد صير (اغناطيوس) المجر	١٣٢ = سترستين (ك. ف. ف.) السويد
١١٣ = ماكدونالد (د. ب. ب.) الولايات المتحدة	١٣٣ = سعيد ابو حمرة البرازيل

انتخاب عضو جديد

انتخب المجمع العلمي العربي في جلسته المنعقدة في يوم ٢١ آذار (مارس) سنة ١٩٥٨ برئاسة الأستاذ الرئيس السيد خليل مردم بك الدكتور محمد كامل عياد عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي مكان المرحوم الرئيس محمد كرد علي .

وقد صدر عن رئاسة الجمهورية قرار بتاريخ ١٩ صفر سنة ١٣٧٨ و ٣ ايلول (سبتمبر) سنة ١٩٥٨ رقمه ١٥٤١ لسنة ١٩٥٨ يقر هذا الانتخاب .

سيدي الزميل^(١)

يطيب لي أن أستقبلك اليوم في مجتمعنا لا للتعريف بك ، بل لأقول لك ما أمسكته عنك وطويته زماناً طويلاً على قرب الدار ، وكثرة الاتصال بيني وبينك . وما حداني على التصدي لاستقبالك إلا ما أتمثله من تشوقك الى معرفة ما يقال فيك . فماذا أقول ، وأنت تعلم أن ما أشعر به من الميل اليك ، على قربك وثأبك ، لشعور يجعلني كثير الارتباك ، في وصف شمائلك ومزايك ، هذا مع ما أجده في نفسي من انعدام اللسان ، وجود الخاطر ، وذهاب البيان . ولكني سأحاول أن أفي لك بما لم أف به حتى الآن ، على أن يكون لك الفضل عليّ فيما سمحت لي به من حرية القول ، على النحو الذي مرت عليه في كلامك على مؤرخ الشام ، أستاذنا ورئيسنا المرحوم محمد كرد علي . لقد كان رحمه الله أجلّ الناس في زمانه ، وأكرمهم في وقته ، وأعلمهم بترائنا العربي القديم ، فإذا كان المجمع قد دعاك اليوم الى المكان الذي خلا بوفاته ، فهو إنما يدعو مؤرخاً فيلسوفاً الى احتلال كرمي كاتب كبير ، وعالم مؤرخ . كان مولدك ، ياسيدي ، فيما أخبرني عن نفسك في مدينة طرابلس الغرب ، وكان والدك الشيخ (علي عياد) أول من مال من أمرتكم الى العلم ، فأقرب نفسه في تحصيله حتى بلغ منه مناه . أما والدتك فكانت من بني المسمودي ، وهم بيت مشهور من أهل طرابلس الغرب ، أدباء وفقهاء ، يتوارثون الفضل كابراً عن كابر ، وتالياً عن غابر ، وقد سماك أبوك (كاملاً) على اسم صديقه (كامل الأسمد) تيمناً بما يشير اليه هذا الاسم من تقدم وارتقاء . واملّ ذلك أن يكون من أسباب إطلاقه اسم (الترقى) على الجريدة التي أصدرها وقتئذ

(١) الكلمة التي ألغاهما الدكتور جميل صليبا في جلسة استقبال العضو العامل الجديد الدكتور محمد كامل عياد في ٢٠ كانون الأول سنة ١٩٥٨ .

للدعوة الى ما كان يرغب فيه من تقدم واصلاح ، على النحو الذي سار عليه رجال الدولة العثمانية في الآستانة بعد إعلان الدستور . فلما أغار الايطاليون على طرابلس الغرب اضطررنا والدك الى الحرب الى (استنبول) على ظهر باخرة ألمانية ، فعينه الدولة العثمانية حاكماً على (مرجعيون) ، ثم رئيساً لكتاب المحكمة الشرعية في (حلب) ، ولم يزل بثقل في مناصب القضاء بعد جلاء الأتراك عن سورية حتى أصبح عضواً في محكمة التمييز في دمشق .

إن هذه الاشارة السريعة الى حياة والدك تكفي لابرار ما تعاقب على نشأتك من أحداث ، وما طرأ على حياتك في زمن حوادثك من تغير ، فقد تلتفت علومك الابتدائية في مدارس طرابلس الغرب ، ثم رحلت مع والدك الى (استنبول) ، فانتسبت الى المدرسة الرشدية في مدينة (بورصة) ، ثم الى المدرسة السلطانية في مدينة (حلب) ، ورأى والدك بعد ذلك أن يرسلك الى المدرسة الصلاحية التي أنشأها الأتراك في مدينة (القدس) لإعداد الدعاة ، فانتسبت اليها وتخرجت رأسك بالمامنة خلال أربعة أشهر ، ثم جلوت عن القدس مع من جلا عنها في أواخر الحرب العالمية الأولى ، وعدت الى المدرسة السلطانية في حلب لإتمام دراستك الثانوية ، فلما حزت شهادتها تذكرت الباخرة الألمانية التي تقلتك مع والدك الى استنبول ، فرحلت الى ألمانيا ، ودخلت جامعة برلين ، فما من علم اجتماعي أو فلسفي إلا وقد أخذت منه هناك بأوفر نصيب ، وحصلت منه على أعلى ذروة .

سألتك مرة عن العلم الذي كنت تميل اليه في المدرسة الثانوية فقلت لي : العلم الرياضي ، فلم أجد سبباً لتحوُّلك عن هذا العلم الى الفلسفة إلا ما يجده بعض علماء النفس من علاقة بين الاستعداد للرياضيات ، والاستعداد للفلسفة . وربما كان من تقاض حياتك أن تهوى بعد ذلك دراسة التاريخ ، لأن موضوع التاريخ الحوادث الجزئية ، وموضوع الفلسفة الحقائق الكلية . وكم من فيلسوف

أنكر دراسة التاريخ لاعتقاده أن العلوم التي تستند الى الذاكرة لا تبلغ من الضبط العلمي ما تبلغه علوم العقل . ولكنك يا سيدي لم تقنع من دراسة التاريخ بوصف الوقائع وذكر الأعداد ، والجيوش والمعارك ، بل تعمقت في بواطن الأمور ، وبحثت عن العوامل الطبيعية والنفسية والاقتصادية المؤثرة في التطور ، شأنك في ذلك شأن فلاسفة التاريخ الذين يبحثون عن القوانين الكمية المحيطة بالحوادث الجزئية .

ويسرني أن أقول لك الآن إن كتاب فلسفة ابن خلدون الذي ألفته بالألمانية ، قد تضمن الكثير من فلسفة التاريخ التي أخذت بها فيما بعد . فقد ذكرت في هذا الكتاب أن ابن خلدون أراد أن يربط علم التاريخ بعلم الاجتماع ، فحدد موضوع هذا العلم ، وطريقة بحثه ، وبين أن الحوادث التاريخية والاجتماعية خاضعة لمبدأ السببية ، ثم تصدّبت بعد ذلك لبحث فلسفة ابن خلدون في التاريخ والاجتماع والتطور ، فأشرت الى العوامل المؤثرة في التاريخ ، وإلى أسس الحياة الاجتماعية ، وذكرت منها الميل الغريزي الى الاجتماع ، والميل الى التقليد ، وختمت بحثك هذا بالكلام على المنظمات الاجتماعية كالأمرة والقبيلة والدولة وغيرها . ولعلك أردت من بحث فلسفة ابن خلدون الاجتماعية أن ترضي من حاجات نفسك حاجتين ، وأن تحقق بذلك غابتين : الأولى هي ميلك الى تعليل الوقائع التاريخية بالعوامل المؤثرة فيها ، والثانية هي اعتزازك بقوميتك ورغبتك في تعريف قراء الألمانية بأساطين الفكر العربي . وقد تم لك هذا فكان كتابك في الألمانية عمدة المستشرقين ، ومرجعاً من مراجع العلماء والباحثين .

ويشاء القدر بعد إنهاء دراستك في ألمانيا أن تعود الى سورية في أشد أيام الاستعمار قسوة ، وأكثرها ظلاماً واضطراباً ، فتحاول أن تعمل في الصحافة ، فتجد الصحافة مقيدة ، وتحاول أن تنخرط في سلك الموظفين ، فتجد الأبواب موصدة في وجه الذين تلقوا علومهم في ألمانيا ، ولكن حاجتك الى كسب الرزق

بعد إحالة والدك على التقاعد اضطررتك الى طرق أبواب التعليم في شروط قاسية ،
فلما فتحت أمامك أبواب المدارس الثانوية أظهرت من البراعة في التعليم ما دلّ
على استعدادك القديم له . لقد كنت متمقد إذ ذاك أنك صاحب رسالة ،
وأن خير وسيلة لتأدية رسالتك تعليم النشء ، وتنقيف أبناء الشعب ، ولا أزال
أذكر حتى الآن اجتماعنا في مدرسة التجهيز في دمشق ، يوم كنا نعقد الحلقات
للمذاكرة والمسامرة ، وتداول الكتب والمجلات للمطالعة والمناقشة ، وتبادل
وجوه النظر في المناهج التربوية ، والأحداث السياسية والاجتماعية .

ليس في صفاتك باصيدي ، صفة أدلّ على سجيبتك من حبك للتعليم ، إنك
تحب تعليم الصغار كما تحب تعليم الكبار ، ولم أرَ بين إخواني المعلمين من أحب
تلاميذه أكثر منك ، إنك تحبهم لبراءتهم وطهارتهم وضعفهم وقلة تجاربهم ،
وهم يحبونك لعملك وإخلاصك وجرأتك وتفانيك في خدمتهم ، أنت معلم ومرب
معاً ، لم تزل تعلم أبناء هذا الجيل حتى أصبحت لهم والدآ ، وائن كان الله لم
يمن عليك بعد بولدي من صلبك ، لقد كان لك من أبناء هذا الجيل طلاب كثيرون
أحبوك كما يحب الأولاد والديهم ، لقد علمت الفلسفة والتربية والتاريخ في
مدارس دمشق الثانوية ، وفي دار المعلمين العالية في بغداد ، وفي كليتي التربية
والآداب في جامعة دمشق خلال ربع قرن ، فتخرج على يدك الكثيرون
من قادة هذا الجيل ، وإذا كان يسرُّك الآن أن يسير بعض هؤلاء التلاميذ
على خطتك ويحققوا ما دعوت اليه كل أيام حياتك من مبادئ سامية ، فإنه
ليخزنك أن ينكر بعضهم تعليمك وإرشادك ، ويضع في دولاب التطور عما
تمنعه من الدوران . ومهما يكن من أمر فإن تبعة ذلك لا تقع عليك ، لأن
السحاب الذي يهود بالغيث على الأرض لا يسأل عن إنباتها الشوك والحنظل ،
وأنت كذلك لا تسأل عما يتصف به بعض هؤلاء من فطانة براء ، وكياسة خرقاء .

وهل أنت يا سيدي إلا من عنصر أولئك العلماء الذين قرنوا العلم بالعمل ،
 تعلمت العلم وطأته ، ثم ألقت فيه عدة تصانيف ، اشتركت معي في تأليف
 أحد كتب المنطق ، وفي نشر بعض النصوص الفلسفية ، واشتركت مع الدكتور
 جورج حداد ، والدكتور نظيم الموصللي في تأليف بعض كتب التاريخ للمدارس
 الثانوية ، وانفردت بتأليف كتاب الأخلاق ، وترجمة رسالة عنوانها كتب
 التاريخ والتفاهم الدولي ، ولك تصانيف أخرى لم تطبع بعد ، ككتاب تاريخ
 اليونان ، وتاريخ التربية ، وغيرهما . وإذا ذكرت الآن هذه التصانيف ، ذكرت
 معها ما كان من حرصك على جمعها للطلاب ، فأنت لم تؤلف كتبك لطلب
 الشهرة والمثالة ، ولا لعقد الرياسة بين الناس ، أو مد الجاه عندهم ، بل ألفتها
 لتقر عينك بانتفاع الطلاب بها ، وكأنني بك أقول في نفسك إن العلماء
 لا يدركون السعادة إلا بنشر العلم ، فان احتاجوا الى العلم في خاصة أنفسهم
 فهذا من فضل الله ، وان احتاجوا اليه للناس فهذا خير وأبقى ، ولو علمت
 أن الناس لا يمكنهم الانتفاع بكتبك ، لكساد سوق العلم ، لأحرقتم لقله جدواها
 كما فعل أبو حيان قبلك ، ولكنك تمتدح لحسن الحظ أن الحقيقة يجب أن
 تذاع بين الناس ، وأن من كان قابضاً على الحقيقة ، ولم يعمل على نشرها
 لم يكن عالماً حقيقياً ، فلا غرو اذا عمت على نشر الحقيقة بتعليم الطلاب
 وتأليف الكتب لهم ، ولولا اضطراب حياتك وكثرة العوائق المحيطة بك لأنجزت
 من التصانيف ما يعجز الكثيرون عن انجازه ، ولكنك يا سيدي لم تجد في
 المجتمع الذي تعيش فيه أي مشجع لك على بلوغ غايتك ، فقاومت ما استطعت
 المقاومة ، وجاهدت ما استطعت الجهاد . رأيت مرة أن تلتحق بالإدارة الثقافية
 لجامعة الدول العربية ، لتوسيع نطاق عملك ، فلم تلق فيها ما هو مؤمل منها ،
 فأورثك ذلك يأساً من الإصلاح ، حبب اليك العزلة والبعد عن الناس ،
 قلت لي في كتاب بعثت إلي به من القاهرة : « ليس عندي من جديد أذكره

عن حياتي هنا ، فقد طابت لي العزلة التي وجدت نفسي فيها ، ولذلك ترواني أتحاشي كل ما يمكن أن يفسدها » ، ولكن آتني لك أن تلقى عصا الترحال وتستريح الى عزلة لك ، وفي نفسك ما فيها من حب العمل والنضال والاصلاح ، ألم تعد بعد ذلك الى دمشق لمتابعة نضالك في الحقل الاجتماعي ؟ ألم تستأنف محاضراتك ومقالاتك التي كنا نتشوق اليها في زمان عزلة لك ؟ . وهل لرجل مثلك أن يشعر بأعراض اجتماع ولا يعمل على شفائه منها ؟ لقد دعوت كل أيام حياتك الى حرية الفكر ، والعدل الاجتماعي ، ودعوت الى السلام والصداقة ، ودافعت عن النظام الديمقراطي ، وناديت بالاشتراكية والتعاون ، فكنت في كل ما دعوت اليه إماماً يقتدى به ، ويهتدى بهديه .

لم أر قط بين أقرانك من أحب الكتب والعلوم أكثر منك ، فإنه لم يقع بين يديك كتاب إلا استوفيت قراءته كأنك ما كان ، وما دخلت عليك مرة إلا رأيته تنظر في كتاب أو تقرأ مجلة أو صحيفة يومية . وسبب ذلك أنك تحب الاطلاع على كل ما يكتب في زماننا من آراء ، وما ينشر فيه من مذاهب ، وما يحدث فيه من واقعات ، وقد وهبك الله ميلاً الى استطلاع الأخبار ، واستقصاء الحقائق والآثار ، لأنك مؤرخ وصحافي معاً . وهذا الميل الى الصحافة بوضع لنا الكثير من مراحل حياتك ، فقد عملت في جريدة الشرق ، بإشراف رئيسنا المرحوم محمد كرد علي ، وزملائنا المرحومين الأمير شكيب أرسلان ، والشيخ عبد القادر المغربي ، والشيخ بدر الدين النعساني ، وعملت بعد ذلك في جريدة (العرب) التي أصدرها الأستاذ سامي السراج في حلب ، ثم سافرت الى طرابلس الغرب ، فأصدرت بامم والدك جريدة اللواء الطرابلسي ، ثم أصدرت في ألمانيا مع بعض الزملاء مجلة الحمامة ، وجريد حدى الاسلام ، فنشرت فيها عدة مقالات فلسفية واجتماعية وسياسية ، وكنت خلال إقامتك في ألمانيا ترسل جريدة (المقتبس) ، فلما عدت الى سورية أسهمت

في تحرير جريدة فتي العرب ، وجريدة الأيام ، فكنت فيها من أحسن المحررين والمترجمين ، ثم أصدرت معي ومع الزميل عز الدين التنوخي ، وبعض الزملاء مجلة المعلمين والمعلمات ، واشتركت معي ومع أسنادنا الرئيس خليل مردم بك والدكتور كاظم الداخستاني في إصدار مجلة الثقافة ، وأسهمت مع بعض الأدباء في إصدار مجلة الطليعة في دمشق ، ومجلة الطريق في بيروت ، وكنيت في مجلة المعلم الجديد ، ومجلة المعلم العربي عدة مقالات تربوية ، وتوليت بعد ذلك تحرير مجلة كلية التربية ، ولا تزال حتى الآن تنشر في صحف دمشق اليومية والأشهرية آراءك الاجتماعية والسياسية ، فهذا كله يدل على أنك خلقت صحافياً ومعلماً ، لم تقتصر على نشر أفكارك بواسطة التعليم في المدارس ، بل عملت أيضاً على نشرها بواسطة الصحافة .

أنت ياسيدي ممنوع المحاضرة ، إلا أنك لا تنصدي للارتجال ، فلا تتكلم في موضوع إلا إذا هيأته ، وهذا فيما أعتقد خير من ارتجال الكلام بغير ترتيب ، إن كلامك في محاضراتك كثير الحلاوة ، مفعم بالطلاوة ، لأنك تنفرد بموضوعات لا يتناولها غيرك ، فتجعل معانيك قريبة من الأذهان بما تضحنها إياه من النوادر اللطيفة ، والاشارات الطريفة ، ولا يكاد أحد يراك في كلامك جافاً ، جامد الفكر ، وإنما أنت في جميع محاضراتك مستوف فنون القول ، كأنك موج لجة ، أو سبيل منهدر . لقد حوت محاضراتك من أصناف العلم أحسنه ، ومن فنون الثقافة أجودها ، وإذا كان من الصعب عليّ الآن أن أذكر جميع الموضوعات التي حاضرت فيها ، فإنه لن يفوتني ذكر محاضراتك التي ألقيتها في جمعية المقاصد الخيرية والجامعة الأميركية في بيروت ، ودار الكتب الوطنية في حلب ، عن الإنسان الحديث ، ومستقبل الثقافة ، ورسالة الجامعة .

قلت في محاضرتك عن الإنسان الحديث : « إنه محصول تطور تاريخي طويل ، فقد تقلبت عليه حوادث كثيرة واجتاز مراحل عديدة ، وتعرض

لأزمات متنوعة ، وكان من أثر ذلك أن كثرت عناصر شخصيته وتضاربت وأصبحت نفسيته كما نشاهدنا اليوم في منتهى التعقيد والاضطراب » .

فالإنسان الحديث في نظرك هو الإنسان الذي يحاول أن يخضع الواقع لسيطرة العقل ، وهو يختلف عن الإنسان القديم باتجاهه الديني المطلق ، ويجمع أفكاره وعواطفه وأفعاله في الحياة الواقعية ، وكأني بك عندما تصف هذا الإنسان ، وتبين تطوره ، تدعونا إلى النسيج على منواله ، لأنك تقول إننا لا نستطيع أن نبني لأنفسنا حضارة مستقلة إلا إذا عرفنا الإنسان الحديث حق المعرفة ، ودرسنا تطوره الفكري ومنازعه العلمية . ومع أنك تجد في أفعال هذا الإنسان ما يدعو إلى الحجل والاشمئزاز ، وما يثير الشفقة والخوف ، فإنك تعتقد أن الأزمة التي تعانيها الحضارة الحديثة ستنتهي لا محالة ، كالطفل الذي يجتاز عهد المراهقة ، فيعاني أزمة حادة ، ثم ينتقل بعدها إلى حالة الاستقرار والطمأنينة .

فأنت ترى إذن أن الحضارة الحديثة تقوم على العلم والبحث العلمي ، وأن العلم الحديث المستند إلى الملاحظة والتجربة والتأمل العقلي ، هو السبب في الازدهار الاقتصادي ، والتقدم الاجتماعي . وإذا كان هنالك ، في الحياة الحديثة مشكلات ، فإن هذه المشكلات لم تنشأ عن طبيعة الإنسان وأنانيته ، بل نشأت عن فساد الأوضاع الاجتماعية التي لا تلائم طرق التفكير العلمي الحديث ، ولا طرق الانتاج العصرية .

وقلت في محاضرتك عن مستقبل الثقافة : « لاحظ العرب منذ أوائل القرن التاسع عشر ما تتمناز به الحضارة الغربية من وسائل القوة المادية ، وأدركوا أنهم لن يستطيعوا مقاومة الاستعمار الغربي إلا باصطناع الوسائل ذاتها . من هنا قامت الدعوة في البلاد العربية إلى ضرورة اقتباس الثقافة الحديثة ، لأنها أساس

النهضة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية» (ص ٥) وقلت أيضاً :
«إن الحضارة الحديثة هي التي تسيطر اليوم على العالم ، ولا سبيل لأي شعب
أن يحافظ على كيانه دون مجاراة هذه الحضارة» (ص ٣٣) . وقلت أخيراً :
« هناك فئة تسمي نفسها بالمعتدلة ، تريد أن يقتصر الاقتباس على محاسن
الحضارة الغربية ، وعلى تلك النواحي من ثقافتها التي تتلاءم مع خصائصنا
وتقاليدنا وعاداتنا . ونقطة الضعف في هذا الرأي هي الصعوبة في تحديد الصفات
والتقاليد والعادات التي نختص بها والتي يجب أن نحافظ عليها ، ثم الاختلاف
حول المعيار الذي يميز المحاسن من المساويء » . لقد اجتاحت حضارة الغرب
بلادنا بصناعاتها وأنظمتها ومذاهبها ، وليست المشكلة الآن أن نبث ونناقش في
هذا التطور ، هل هو خير أم شر ، وأن نقابله بالاستحسان أو الاستهجان ،
ولكن المشكلة هي أن نعلم ماذا يجب أن نعمل للسيطرة على الأوضاع الجديدة ،
وجوابك على ذلك أن من واجبتنا في الظروف الحاضرة أن نعمل على زيادة
الانتاج ، وتنمية الثروة العامة ، وتلبية حاجات الحضارة ، وهذا كله يحتاج الى
الأخذ بأسباب العلم الحديث وطرق بحثه . اننا نقاخر ونعتز بما انصفت به
الثقافة العربية في عهود ازدهارها من المرونة ، والقدرة على التكيف ، واتساع
الآفاق ، ومجاراة التطور ، فلماذا لا ننسج اليوم على منوال أجدادنا في اقتباس
الحضارات والثقافات الأجنبية . لقد سارع أجدادنا الى الاقتباس عن جميع
الأمم على أوسع مقياس ، ومن واجبتنا في العصر الحاضر أن نعمل على اقتباس
الثقافات الأجنبية كما فعل أجدادنا في الماضي ، وأهم ما نحتاج اليه من هذه
الثقافات التفكير العلمي ، والنظر العقلي ، لا التفكير الصوفي أو الروحي الذي
يريد لنا المستعمرون ، ولا بكفي في نظرك أن تنبئ النخبة الممتازة في بلادنا
ثقافة الغرب وحضارته ، بل ينبغي كذلك أن تنتشر هذه الثقافة في الجماهير الكادحة

من عمال وفلاحين ، لأنه لا فائدة من تجهيز الفلاحين بالآلات الزراعية إذا هم لم يتعلموا قبل ذلك كيف يحسنون استخدامها ويحافظون عليها .

وليس ما قلته يا سيدي عن اقتباس الثقافة الغربية بخافٍ على الناس ، ولكن أكثرهم لا يجرؤون على التصريح به كما فعلت . ومع أنك تدعو إلى الأخذ بثقافة الغرب ، وأسباب حضارته ، فإنك لا تهمل تراثنا الثقافي القديم . إن محاسن هذا التراث بادية لعينيك ، بارزة في دروسك ومحاضراتك ، ولكنك لا تريد أن تأخذ منها إلا الأعمدة القوية ، والعناصر المينة الصالحة للبناء الجديد .

وبما قلته في كلامك على رسالة الجامعة : « ليس البحث العلمي مجرد فعالية فكرية مستقلة عن الزمان والمكان ، والدراسة الجامعية نطل عقيمة وتصبح عبثاً ثقيلاً إذا هي لم تجهز الشباب بالوسائل اللازمة لفهم العالم الذي يعيشون فيه ، وتفسير الحوادث التي تجري حولهم » . فإذا اقتصرَت الجامعة على البحث النظري المجرد لم تقيم بوظيفتها الاجتماعية ، وإذا طلب العلم لذاته ، دون أن يتخذ وسيلة لإصلاح المجتمع والسيطرة على الطبيعة ، كان عبثاً ثقيلاً ، لانقطاع الصلة بينه وبين الحياة الواقعية .

نعم إن مفهوم الجامعة يتضمن في نظرك الإخلاص للعلم والحقيقة ، وإن الجامعة لا تبلغ غايتها « إلا إذا تدرَّب طلابها على طريقة البحث العلمي وتعودوا النقد الصريح ، وشعروا بالمسؤولية ، واحترموا حرية الفكر والقول ، وانصفوا بالنسائح » ، ولكن الجامعة التي لا تخرج من عزلتها ، ولا تشارك في الحياة العامة مشاركة فعالة ، ولا تنشر العلم بين الناس ، ليست جامعة كاملة ، فأهداف الجامعة في نظرك إذن هي التعليم والبحث العلمي ، والإعداد المهني ، والتدريب المهني ، وتربية الشخصية وتثقيفها ، ونشر الثقافة في جمهور الشعب .

ذلك بعض ما جاء في محاضراتك من إشارات صادقة وأقوال نافعة ،

وأتى لي أن أحيط الآن بجميع ما تضمنته محاضراتك وأحاديثك من دعوة إلى الإصلاح . فقد حملت على ما في واقعنا الأليم من فساد ، ودعوت إلى إصلاح هذا الفساد بالتعليم والتربية والإرشاد ، ولما بدا لك أن الإصلاح بطريق التربية يحتاج إلى زمانٍ طويل ، عمدت إلى نشر أفكارك في الجماهير بطريق الصحافة ، ثم عملت بعد ذلك على تأسيس الجمعيات العلمية والفنية والأدبية فاتخذتها متنفساً لمنازعتك الاجتماعية والانسانية ، ولو لم تجد إلا في هذه الجمعيات متنفساً لنشاطك الثقافي لكفى ، فكيف بك وقد سافرت في رحلات ثقافية إلى ألمانيا ، والاتحاد السوفياتي ، ورومانيا ، وبولونيا ، وتشيكوسلوفاكيا ، وفرنسة ، وإيطاليا ، واسبانيا ، وسويسرة ، اطلعت فيها على ما جد من المسائل العلمية والاتجاهات الفكرية ، ونقلته إلى طلابك ومريدك ليعملوا به ، فالعلم كما تقول إنما يراد للعمل ، فإذا كان العمل قاصراً عن العلم ، كان العلم مصيبةً على الفرد والمجتمع .

لذلك رأيت يا صيدي أن تفرق العلم بالعمل ، وأن تتولى التوجيه والإرشاد ، فكنت عالماً ومعلماً ، مؤلفاً وصحافياً ، عالماً وكاتباً ، فيلسوفاً ومؤرخاً معاً ، وما نشرته حتى الآن من الكتب والمقالات والمحاضرات بكفي لرفعك إلى الدرجات العلى بين مفكري العرب المعاصرين ، فكيف بك وقد عذمت على إتمام رسالتك العلمية والأدبية بانضمامك إلى مجتمعا ؟ .

إن في أسلوبك يا صيدي تموجاً يشبه تموج أفكارك ، جملةً متموجاً ليدل على ما في تفكيرك من حياة ، وعلى ما في حياتك من قوة ، ولو شئت أن تكون جامداً كالجبل المشرف على أمواج البحر ، لما عجزت عن رصف أفكارك رصفاً هندسياً محكما . ولكنك أبيت أن تكون كاملاً فأشبهت معبد الفلسفة الذي أنشئ بالقرب من ضريح (جان جاك روسو) ، وترك أحد أجنحته ناقصاً للاستدلال به على أن عمل الفلسفة لم يتم بعد . ألم تؤلف كتاباً في الأخلاق

شبهها بهذا المبدأ الفلسفي ، ألم تتكلم فيه على الوجدان ، والحق ، والواجب ، والشفقة ، والاحسان ، والتضامن ، والتعاون ، والحرية ، والكرامة ، والتقدم ، والصدق ، والصراحة والنزاهة ، والأمانة ، والعمل ، والاقتصاد ، دون أن نتم فيه كلامك على الحياة السياسية ، والعلاقات الدولية ، فكأنني بك ، وقد رأيت ما يعتور العلاقات الدولية من اضطرابٍ وتبدل ، لم تشأ أن تحكم عليها حكماً نهائياً فاصلاً ، تاركاً لغيرك من المتأخرين أن يتحموا ما بدأت به من أحكامٍ سريعةٍ صادقة ، وتنبيهات نافعةٍ محكمة .

أنت يا سيدي كثير العلم والاستقصاء ، محقق في الخبر والاثار ، فاذا أردت تقرير الحجة في عقول الجماهير ، وتخفيف المؤنة على المستمعين ، عمدت الى الأمثال الحسية ، والنكات اللطيفة ، والأفكار المقبولة في الأذهان ، فاخترت لها أسهل الألفاظ ، وصفتها في قالبٍ محببٍ الى النفس ، بعيدٍ عن التكلف ، ولا تزال تزداد من هذه السهولة والعذوبة حتى تجيء ألفاظك في وزن اشاراتك ، ومعانيك في طبقة ألفاظك ، وأنا ما قرأت لك كلاماً إلا وجدت ألفاظك أمرع الى ذهني ، من معانيك الى قلبي ، لأنك تطلق لقلبك العنان ، في غير خطل ولا إملال ، فتبالغ بسهولة اللفظ ، وحرية القول ما لا يبلغه غيرك بالفصاحة والبلاغة ، واذا قيل ان في أسلوبك انعطافاً يشبه تعاطفك في مشيتك ، فعدرك في ذلك أنك مطبوع على البساطة والصراحة ، بعيد عن التكلف ، تفضل جوهر القول على صورته ، وحقيقته على لفظه .

أنت يا سيدي لا تشتهي أن تعيش في نظامٍ كالنظام الذي فرضه الفيلسوف (كانت) على نفسه ، ولا تحب أن تكون مقيداً بقيود العادات والتقاليد . أنت تعتقد أن كل شيء في الحياة يتبدل ويتغير ويرتقي من حال الى حال ، فكم من كربة فادحة صبرت عليها لعلك أنها زائلة ، وكم من مشكلة تغلبت عليها

باستخفافك بها ، ولعلّ ذلك أن يكون من نتائج الثقافة التاريخية التي ملأت
 بها نفسك ، لقد ثقفت التاريخ ، والفلسفة ، وعلم الاجتماع ، فأورثك ذلك مرونة
 فكرية حبت اليك النظر الى الأشياء من جهات مختلفة . وأنت يا سيدي
 عجيب الفراسة ملهم ، صادق الحدس نقاب ، رقيق المسلك فطن ، قدر زفك الله
 من قوة التحليل ، وكثرة الاستقصاء والتعليل ما جعلك نقاداً ، تشك في كل فكرة ،
 وتبحث عن نقاط الضعف في كل مذهب . ولكنك مع ذلك لا تتعصب لأمر
 ولا تفرط في رأي ، وهذا يا سيدي تأويل حيي لك ، إني أحبك لشكك
 وتسامحك واختلاف وجوه نظرك . وأنا أحمد الله على أن كانت مرتبتك في
 النقد والدعوة الى الحق فوق مرتبتك في التسامح . وقد كان لك علي بانتصارك
 للحق نعمة أذاقتني طعم العز ، ألم تستقل من وظائف التدريس احتجاجاً على
 نقلي من وزارة المعارف ، ألم ترحل الى العراق احتجاجاً على تعسف المستشار الفرنسي ،
 ألم تبهر بالحق لما مسح الله أخلاق زماننا فلم يترك فيها مشابه من الأخلاق .
 انك تؤثر أن تعيش حراً كريماً ، ولا أعلم صفة أجمع لمزاياك من العزة والكرامة .
 هذا يا سيدي بعض ما بدا لي أن أقوله في يوم دخولك بجمعنا ، فاذا قصرت
 في وصف مزاياك وتحليل سميتك ، فعذري أنني أعرفك كما أعرف نفسي ،
 ومن الصعب على الإنسان أن يتجرد من العاطفة في وصف نفسه . وهبني استطعت
 أن أتجرد من العاطفة وأن أقف منك موقف العالم من الشيء الخارجي ، فإني ان
 أستطيع أن أوفيك حقك من الوصف في خطاب واحد . وما ذنبي اذا أغفلت
 كثيراً من صفاتك هرباً من الإطالة ، أو صيانةً للقلم من رسم ما لا حاجة الى
 التحدث به . ان الشيء اذا استعمل استجنى ، والشمس اذا نفذ شعاعها الى
 العين دفعة واحدة أعشاما .

ومن حسن حظي يا سيدي أن يشرفني المجمع بتقديبك في هذا المساء ،
فما توخيتُ من هذا التقديم إلا التعريف بفضلك ، وإلا الإشارة الى ما يخرج
في صدرك من حب العلم والأدب . وإذا كنت قد أنسيت في حديثي عنك
الكثير من جوانب حياتك الغنية بالفضائل ، فانه لن يفوتني التنويه بما انطوت
عليه نفسك من كرم وإباء ، وصدق ووفاء ، وإيمان بالعروبة والإنسانية .

ويسرني الآن أن أقول لك انني متفائل بامتقبالك في مجتمعا بين عهدين ،
عهد المجمع العلمي العربي الذي انتخبت عضواً فيه ، وعهد المجمع العربي للجمهورية
العربية المتحدة . ففي انضمامك الى مجتمعا ريج لنا ، وفي انضمامنا الى إخواننا في
القاهرة لتأليف مجمع واحد ريج للغة العربية ، والقومية العربية ، فأنت آخر
السابقين وأول اللاحقين ، وكم من تقدم أحرزناه بانضمام اللاحقين الى السابقين
الخالدين ! وأنا أقترح عليك الآن أن تكتب لنا تاريخاً تضمنه كفاح الشعوب
العربية الحديثة في سبيل استقلالها ووحدتها ، ونضالها في سبيل لغتها وثقافتها ،
لأنك يا سيدي مؤرخ وفيلسوف معاً ، أحببت التاريخ كابن خلدون لعلمك
أن التاريخ ، وهو علم العبر ، يذكر الأمم بماضيها ويدعوها الى الاعتزاز
بتراثها ، وأحببت الفلسفة كما أحبها سقراط لعلمك أن الفلسفة تعرف الإنسان
بنفسه ، وتكشف له عن حقيقته وغايته .

جميل صليبا



سادتي الأفاضل^(١)

يجز لساني عن التعبير عن عواطف الشكر والامتنان التي أشعر بها لما أوليتهموني من شرف الانساب الى مجتمع الكريم . وبقيني أنكم تعلمون تقصيري في ميادين الفصاحة والبلاغة وأنكم لذلك سوف تنظرون الى كلتي هذه بما اشتهر عنكم من اللطف والتسامح .

ولا يساورني أدنى شك في أنكم لا تنظرون مني بحثاً شاملاً عن الأستاذ الرئيس (محمد كرد علي) ، فقد عاشتموه زمناً طويلاً وعرفتم عنه كل شيء . وقد أجاد عضو المجمع المحترم الدكتور سامي الدهان في كلمة الذكرى التي كتبها عن الأستاذ الرئيس فأبدع في تصوير شخصيته الجذابة وتعداد مزاياه السامية ووصف حياته الحافلة والاشارة الى آثاره الجليلة . ثم أقدم عميد الأدب في الشام الأستاذ الكبير شفيق جبري على إلقاء محاضراته عن (محمد كرد علي) بمعهد الدراسات العربية العالية في القاهرة فبلغ منتهى الكمال في الاستقصاء والتحليل . وقد عادت هذه المحاضرات بالذاكرة الى العصر الذي نشأ فيه (محمد كرد علي) وكشفت عن أثر ذلك العصر في تحديد ثقافته وتوجيه تفكيره وتقدير منهجه في العمل . واستفاضت المحاضرات في بيان الممارك التي خاضها (محمد كرد علي) في سبيل الإصلاح والتقدم ، فوصفت لنا جهاده العنيف في ميدان الصحافة ودفاعه المجيد عن العرب والإسلام . وقد يرهن الأستاذ شفيق جبري على براعة فائقة في تحليل تأليف (محمد كرد علي) وإبراز محاسنها الكثيرة دون إخفاء عيوبها القليلة ، كما انه لم ينسثر على نقائص الأستاذ الرئيس وشدة

(١) الكلمة التي ألقاها الدكتور محمد كامل عباد في جلسة استقباله عضواً عاملاً ، مترجماً فيها سلفه المرحوم الأستاذ الرئيس محمد كرد علي .

عصبيته وصعوبة مزاجه ، لأن هذه العيوب والنقائص والاندفاعات لا تقلل من
الاعجاب بنبوغه وفضله وجهاده .

أيها السادة !

لقد قبض لكم أن تعيشوا مع الأستاذ (محمد كرد علي) فوجدتم فيه رائداً
وقائداً فاضل وضحي في سبيل تأسيس المجمع العلمي العربي ودافع عن كيانه
وبذل جهوداً جبارة لتنظيم أعماله واعلاء شأنه .

وقد تقدمتم أشواطاً بعيدة في الطريق التي نهجها ، وكان لكم الفضل في
تحقيق الكثير من الأهداف التي وجه الافكار اليها .

وأظن أنكم اغنا تكرمتم بانتخابي زميلاً لكم كي أشارك معكم ، بقدر
استطاعتي ، في العمل على بلوغ جزء آخر من تلك الأهداف .

هذه المهمة تفرض علي أن أتحدث إليكم عن بعض النواحي من نشاط الأستاذ
الرئيس ومباحثه التي استرعت انتباهي واستطعت الإلمام بها .

عرفت الأستاذ (محمد كرد علي) منذ سنة ١٩١٧ ، عندما كان يحرر في
جريدة (الشرق) . ومن المعلوم أن هذه الجريدة كان قد أسسها القائد التركي
(جمال باشا) وحشد عدداً من كبار الكتاب للاشتراك في تحريرها مثل
الأستاذ (محمد كرد علي) والأمير شكيب أرسلان والشيخ عبد القادر المغربي
والشيخ بدر الدين النمساني . وقد اشتغلت فيها ، وأنا تلميذ ، بترجمة الأخبار
من الألمانية الى العربية . وهكذا سخرت لي الفرصة لأتدرب على الصحافة
تحت إشراف الأستاذ (محمد كرد علي) . كما فت بعد ذلك بمراسلة جريدته
(المقتبس) أثناء دراستي في جامعة برلين بين سنة ١٩٢٢ و ١٩٢٨ .

في غمار الصحافة :

كان الأستاذ (محمد كرد علي) صحافياً في الدرجة الأولى . ولا بد لنا من تذكّر هذه الحقيقة عند البحث في تفكيره وأعماله وفي الحكم على شخصيته . لقد مارس الصحافة منذ أول شبابه إذ أخذ يكتب المقالات في الجرائد وهو ابن ست عشرة سنة ، حسب قوله . ثم تولى ، وهو في الثانية والعشرين من عمره ، تحرير جريدة (الشام) ، واتصل أثناء ذلك بمجلة المقتطف ونشر فيها بعض المقالات .

وفي مصر تولى تحرير جريدة (الرائد المصري) ثم جريدة (الظاهر) وكتب في جريدة (المؤيد) المشهورة ، كما أسس مجلة (المقتبس) الشهرية . وبعد الانقلاب العثماني سنة ١٩٠٨ عاد الى دمشق ونقل اليها المجلة وأصدر الى جانبها جريدة يومية بالاسم ذاته . . . رأى الأستاذ (محمد كرد علي) . في الصحافة وسيلة فعالة للإصلاح . فانصرف الى هذه المهنة بكل قواه وسعى جهده الى رفع مستواها ونجح في ذلك نجاحاً باهراً .

كانت دعوته منذ بادى الأمر تتلخص ، كما يقول ، في « حفز العرب الى العمل النافع والتذرع بالمشاريع المنتجة ، وبعث القرائح واستخدام الكفاءات ونشر التعليم بين الطبقات الجاهلة » . (المذكرات ، الجزء الأول صفحة ٦١) . انه كان يتصور الصحف « كمدارس سيارة تنير الأفكار وتعرف الناس معاني المدنية وتطلعهم على أحوال الأمم ونهوضها ، والدول وسياستها ، وتحمل اليهم مجملات من العلوم والآداب » . (« أقوالنا وأفعالنا » ص : ١٢٠) .

وقد أشاد الأستاذ الرئيس بالجهود التي بذلتها الجرائد والمجلات في بلاد الشام لغرس الروح الوطنية في المجتمع وتلقين الشعب تربية سياسية صالحة ،

وقال انها علمت الجماهير « استعمار المستعمرين وتدليس المدلسين ، وأن أمنهم كانت شيئاً مذكوراً فيما مضى وأنه لا حياة لأحفادها بدون الاخذ من سيرة الأجداد والافتباس من المدنية الحديثة كل ما لا ينزع منهم مشغصاتهم ومقدساتهم ، وأن لا قيام لأمرهم إلا بالقومية العربية ، وأن نعمة الدين وحدها لا تنجيهم مما هم فيه لأن التساهل بأمور الدنيا يذهب بالدين والدنيا معاً ، كما علمتهم أن الغرب لا يريد خيراً للشرق وأن الشرق شرق والغرب غرب . . . » (خطط الشام الجزء : ٤ ص : ٦٠) .

ألا ان الأستاذ (محمد كرد علي) قد لاحظ أيضاً ما طرأ على الصحافة من فساد وانحراف فقال ان هناك صحفاً تضلل العقول وتزيد في ظلمة الأفكار وتدعو الى أكثر من مذهب سيامي وتتناول معونات من عدة دول حتى توهم الناس أنها آلة للنكسب والتدجيل ، لا أداة للوعظ والإرشاد والتعليم . لذلك كان يذم الحكومات لتساهلها في منح الطفيليين امتيازات اصدار الصحف .

صفات الصحافي :

وكان يشترط في الصحافي أن يكون على علم كثير وخبرة واسعة وأن يتقن لغة أو لغتين من لغات العلم والسياسة وأن يكون من طبقة تحسن استعمال عقلها والاحتفاظ بكرامتها ومن عانى البحث والدرس وتذوق الشرائع وأحاط بتاريخ أمته واجتماعها وحياتها الاقتصادية وثوراتها وضعفها وقوتها وأوضاعها وأحزابها ونقاباتنا وشركاتها .

ويصف الصحافي بأنه « قاض يتجدد على الأيام ما يعرض عليه من قضايا وتقتضيه أحكامه ذوقاً سليماً وتقداً عادلاً وأدباً غنياً » . ويرى أن الصحافي « صاحب دعوة تفسد بأقل هوى يتبعه وأنه مربى عقول وتنفوس ومنشيء أمة وعمران » . ويقول عنه « انه معلم لا انتهاه لمهته الا بانتهاه عمره » ومهنته

قتلون كل ساعة بلون ويطلب من صاحبها أبدأ أن يطلع على قرائه كل يوم
يجدد . . هو يجمع الى عمل القاضي عمل الباحث والى صنعة الفنان صنعة النقاد
والى صفة الأديب صفة الاقتصادي والى مسرح الأدباء حكمة الحكماء . ويحتاج
الى بديهة ، والى روية ، والى سرعة ، والى أناة ، يراقب كل صاحب سلطة
ويدافع عن كل مظلوم وينفذ الى أحشاء كل أمر . هو صديق الحكومات
وعدوهم وخطيب القوم ولسانهم ومؤرخهم ومؤدبهم ، يلقن ذوقاً وبلقع عقلاً
ويدعو الى واجب ، يردد ما يرضي وما بغضب ، لا يكتم حقاً ولا ينشر الا
عرفاً . (أقوالنا وأفعالنا ص : ١٧٥) .

ألا يخجل اليكم ، أيها السادة ، ان الأستاذ الرئيس عندما كتب هذه
العبارات كان كأنما يصف نفسه ؟

كان الأستاذ (محمد كرد علي) صحافياً مثالياً ، مخاصماً لعمله ، شريفاً في
مقاصده ، مدركاً لمسؤوليته ، صريحاً في إبداء آرائه . إلا أنه كان ، من
جهة ثانية ، عاطفياً يتحمس بسرعة ويندفع بسهولة ويميل الى الشدة في نقد الفساد
والانحراف ومكافحة الشر والضلال . وقد اعترف هو نفسه بأنه كان يغلو في
الإنكار على المخربين حتى أصبح ذمهم ملكة مستحكمة فيه لا يستطيع الرجوع عنها ،
وقال : « لا أنكر أن التيار كان يأخذني أحياناً ويشط بي القلم على غير عادتي » .
(المذكرات الجزء الأول : صفحة : ٦١٢) إلا انه يستدرك قائلاً : « لكنني
لم ألبأ الى الطعن الشخصي بأحد » . وهو يعني بذلك انه ، عند مهاجمة الأشخاص
الذين يعتقد فسادهم ، لم يكن يذكر أسماءهم . ولكن المقصودين بالنقد كانوا
يعرفون أنفسهم ويعرفهم الناس .

كان طبعياً أن يتعرض الأستاذ (محمد كرد علي) بسبب هذا النقد الى
الأخطار وأن يضطهده رجال الحكم وبغضب عليه أعوانهم . إلا أنه من جهة

أخرى قال شهرة واسعة ومكانة مرموقة في المجتمع لما اتصف به من صراحة في القول وجسارة في النقد وحماسة في سبيل الإصلاح ...

من المؤسف أن الأستاذ (محمد كرد علي) قد انتهى به الأمر بعد الحرب العالمية الأولى إلى كره الصحافة وإلى إغلاق جريدته (المقتبس) لأسباب سياسية ذكرها في مذكراته . (الجزء الأول صفحة : ٦٢ - ٦٣) .

ومما كان الأمر فات اشتغال الأستاذ (محمد كرد علي) بالصحافة مدة طويلة قد ترك أثراً بالغاً في طريقة تفكيره وبجته : أنه أصبح واقعياً ، على صلة وثيقة بشؤون الحياة ومشاكل الناس ، بعيداً عن الأمور الخيالية والمفاهيم المجردة ، يميل في أسلوبه إلى الوضوح والسهولة والابحاز . إلا أن ممارسة الصحافة قد نجحت عنها صفات أخرى تدعو إلى النقد مثل التسرع وعدم التعمق والتناقض . وقد سعى الأستاذ (محمد كرد علي) إلى التحرر من هذه العيوب عندما انصرف أخيراً إلى البحث العلمي .

ظل الأستاذ الرئيس ، بعد الحرب العالمية الأولى ، يدعو إلى الإصلاح والتقدم وإلى الأخذ بأسباب القوة واستمر يعمل بنشاط لا مثيل له في المجتمع العلمي العربي ، بدير شؤونته ويكتب المقالات في مجلته وبلقي المحاضرات في قاعته ، كما كان في الوقت نفسه يؤلف الكتب وينشرها .

أسس الإصلاح :

إن الدعوة إلى الإصلاح عند الأستاذ (محمد كرد علي) تتركز على بضعة أسس عامة ، محدودة ، مترابطة بدور بحثه دوماً حولها في كتبه ومقالاته ومحاضراته وأحاديثه وهي : (١) إحياء تراث العرب والمسلمين (٢) محاربة الجمود عند المشايخ وتنقية الدين من البدع والقشور (٣) تهذيب الأخلاق والعادات ،

٤ (اتباع العقل والاهتمام بالأمور العملية ، ٥) اقتباس كل ما ينفع عن المدينة الغربية الحديثة . . .

كان للأستاذ فضل كبير في إحياء التراث العربي - الإسلامي ، فقد قام بتحقيق ونشر عدد من الكتب العربية القديمة في العلم والأدب كما شجع غيره على الاقتداء به في هذا . كذلك نشر مختارات نفسية من مؤلفات كبار القدماء عني بشرحها وبيان قيمتها . ولا جدال في فائدة هذا العمل وضرورته . فانه لا بد لنا في نهضتنا الحديثة من الاستناد الى تقاليدنا التاريخية . الا انه ان يتيسر لنا الاستفادة كما ينبغي من تراثنا القديم الا اذا أقدمنا على دراسة هذا التراث دراسة تحليلية ، انتقادية وتوصلنا الى تمييز ما هو صالح للحياة من الجامد البالي . .

الإصلاح الديني :

لم يتوقف الأستاذ (محمد كرد علي) منذ نشأته حتى آخر حياته عن مهاجمة الدجالين من رجال الدين ، وقد قال انه لا يفيض المشايخ لجرد أنهم مشايخ ، فقد درس على نخبة منهم أمثال الشيخ طاهر الجزائري والشيخ محمد المبارك والشيخ سليم البخاري ، الذين أخذ عنهم واستفاد كثيراً من نصائحهم وكانت دوماً يشعر نفوسهم بالحب والاعجاب والاحترام . الا أنه كان يسيء الظن بالمشايخ على الأرجال ويمقت الكثيرين منهم ، وينتقد مظاهر الفساد بينهم . وقد دافع الأستاذ بحماسة زائدة عن حركة الإصلاح التي قام بها رجال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده في مصر ثم الشيخ طاهر الجزائري في الشام ، وأشاد بذكر الإمام ابن تيمية الذي يسميه « أعظم مصلح في القرن الثامن وفي قرون كثيرة من قبله ومن بعده » والذي أراد ارجاع الدين الى نصرته الأولى وتعريبه من القشور التي ألصقها به الجهلة المتنمسون » . (خطط الشام جزء ٤ ص ٥٠) ويقول عنه في مكان آخر : « لو عمت دعوته لسل هذا

الدين من تخريف المخرفين على الدهر ، ولما سمعنا أحداً في الديار الإسلامية يدعو لغير الله ، ولا ضريحاً تشد إليه الرحال بما يخالف الشرع ، ولا يعتقد بالكرامات على ما ينكره دين آتى للتوحيد لا للشرك ، ولسلامة العقول لا للخيال » . (كنوز الأجداد ، ص : ٣٦٧) .

وذهب الأستاذ الى أن « من أعظم مآذيا الى انحطاط المسلمين غرامهم في عصور التدلي بصيغ معظم أمور الحياة بصيغة دينية » . فهو يريد فصل الشؤون الدينية عن الدين على نحو ما جرى في الغرب .

اصلاح الأخلاق :

لم تقتصر حملات الأستاذ (محمد كرد علي) على المفسدين من رجال الدين ، بل انه أطلق العنان لقلبه في نقد الفئات الأخرى من الأمة أيضاً . وقد أفرق في وصف مظاهر التأخر والانحطاط والتفسيخ والانحراف في سلوك كثيرين من الأشخاص الذين عاشهم أو سمع عنهم . هكذا نراه في آخر الجزء السادس من (الخطط) بعد فصل طويلاً بعنوان « رأي في الأخلاق الشامية » يرمم فيه صورة مظلمة عن طبقات المجتمع كافة . وفي كتابه (أقوالنا وأفعالنا) ، ثم في (المذكرات) يروي حوادث لا تحصى عن فساد أخلاق الناس في هذا العصر ويشكو من انتشار الكذب والنفاق والحسد والغرور والمكر . وهو يعتقد أن السكوت عن العيوب عيب كبير وأنه لا سبيل الى النهضة قبل تقويم الأخلاق .

على أن الكثيرين من الذين أبدوا دعوة الأستاذ الرئيس الى تهذيب الأخلاق والعادات قد صادرتهم الشكوك في جدوى طريقته في الإصلاح القائمة على التشنيع السافر والنقد اللاذع والتقريع العنيف . بل ان بعض الباحثين يؤكدون أن أساليب الوعظ والإرشاد ، مهما اختلف مظهرها ، لا تؤدي وحدها الى إصلاح الفساد الأخلاقي ، ويقول هؤلاء ان أخلاق الأفراد انما تعكس

أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية وانه لا يمكن لذلك تبديل هذه الأخلاق إلا بتغيير تلك الأوضاع .

وقد أهمل الأستاذ (محمد كرد علي) العلاقة بين الأخلاق وبين العوامل الاقتصادية والاجتماعية . لذلك لا غرابة اذا رأينا يستسلم في آخر الأمر الى التشاؤم واليأس فيصرخ في أول كتابه (أقوالنا وأفعالنا) قائلاً :

« ليقبل علماء الدين ما يقولون ، وليقرر علماء النفس ما يقررون ، وليكرر علماء الأخلاق ما يكررون ، فأنا أكره الشر ولا أقصد الآن الى مداواة صاحبه وأعشق العدل ولا أغضي عمن يهدم عموده ، وأرغب في النظم السليمة ولا أغالط النفس في استصلاح الفاسد . . . ومن يقل للصالحات استعداد ، أنت لا تخلق ، احرمتها الفطرة إياه ، ولو جهدت كل جهدك » . ثم أضاف يقول : « وطال الأمد على هذه الدعوة وانقضى العمر في أمل لم يتحقق منه بعض ما كان يرتجى وصرفت في هذه السبيل جهود لم يسترد منها عشرينها ، فهل من مطمع بعد هذا في أن نجعل من جذع يابس غصناً نضيراً ، ومن جسم ميت كائناً حياً ؟ » .

ولئن رأينا الأستاذ يقول في ختام هذا البحث : « ولقد كنت ، كلما منبت النفس ، بأن الخير سيكون في الجيل الذي يجيء بعد الذي أنا أشكو منه ، أرى الزمان هو الزمان ، والناس هم الناس ، واذا الأبناء بنشأون على ضرار الآباء ، واذا اللؤم والحسد والدناءة عسيرة العلاج . . » — ، لئن رأينا الأستاذ يقول ذلك فلا يسعنا إلا أن نخالفه وندعي بأن الإصلاح ليس مستحيلاً ، وان كان عسيراً حقاً وأن الأجيال التي تعاقبت في الفترة الأخيرة قد ازدادت تقريباً من الخير وأن مواعظ الأستاذ (محمد كرد علي) وارشاداته نفسها قد كان لها بعض الفضل في ذلك الى جانب المؤثرات الأخرى .

التزعة العقلية :

كان الأستاذ (محمد كرد علي) ، على الرغم من طبيعته العاطفية ، الانفعالية يؤمن بالعقل ويدعو الى سيطرته في حياة الفرد ونظام المجتمع . وقد جاء في كتبه بشواهد كثيرة من التاريخ تدل على أصالة هذه التزعة بين كبار المفكرين العرب والمسلمين الذين كان يريد الاقتداء بهم . فنراه مثلاً يقول عن الجاحظ انه « المعلم الأول » يعلم الناس أن لا يؤمنوا بشيء الا اذا صح في نظام العقل ويريدهم على أن تدق ملاحظتهم ويرهف حسهم ، يعلم حرية النظر والبحث ولسان حاله : ان الدين لا يصلح بغير الدنيا وان الشريعة جاءت لاصلاح الأولى والأخرى » . (أمراء البيان جزء ٢ ص ٤٢٩) .

والسبب في إعجاب الأستاذ بالمدينة الغربية الحديثة يرجع الى اعتقاده بأنها قائمة على العقل والعلم . وفي رأيه انما تتجلى المدنية ، قبل كل شيء ، في السيطرة على الطبيعة وفي التقدم المادي . وقد قال : « الماديات هي السلم الموصل الى بلوغ القوة ، وأي معنويات لم تجرد من المادة ؟ » (أقوالنا وأفعالنا ، ص : ٣١٢) . انه كان في كل المناسبات يطالب بتوجيه الاهتمام الى الأمور المادية العملية المفيدة ، والابتعاد عن الخيالات والأوهام ، وكانت يحارب المشتغلين بالمسائل الروحية والغيبية . واليك ما كتبه في الجزء الرابع من المذكرات (صفحة ١٠٤٤) بعنوان « كتب الخيالات » ، قال :

« في العهد الأخير انصرف همم بعض من يشتغلون بالفلسفة واللاهيات من رجال الجامعات العربية الى نشر بعض كتب قدماء الفلاسفة والمتصوفة . وكانت بعض النفوس تنشوف للوقوف عليها ، يتخيلون أن فيها أسراراً لو ظهرت اكشفت من نواميس الطبيعة ما تتقدم به الإنسانية وتعنى الأرواح من كثافتها وينجو البشر من القتل والتزوير والسرقة والكذب والظلم . ولما ظهرت أسفار المتصوفة

في حلتها الجديدة من العناية تجلى للأنظار أنها نافذة إلا من العبث الذي أحب
بته عشاق الغرائب والمولعون بالمجهولات على الأيام ، فضاعت فيها أعمارهم وأضاعوا
أعمار من اشتغلوا بها » .

وفي الواقع كان الأستاذ (محمد كرد علي) لا يميل الى الفلسفة ولا يستسيغ
البحث في مشاكلها ، ويبدو أنه قد تأثر بالانجذامات الفكرية التي كانت سائدة
لدى الغربيين في أواخر القرن التاسع عشر والتي كان معظمها ينكر للفلسفة
والآلهيات ولا يعترف إلا بالعلوم المادية

الدعوة الى الاقتباس من الغرب :

ظل الأستاذ (محمد كرد علي) في جميع أدوار حياته يدعو الى الاقتباس
عن المدنية الغربية الحديثة . نلاحظ اندفاعه وراء هذه الدعوة بوجه خاص
في كتاب « غرائب الغرب » الذي يعتبر من أحسن مؤلفاته .

تكلم الأستاذ الرئيس في هذا الكتاب عن رحلاته الثلاث الى مختلف
البلاد الأوروبية ، وعلى الأخص فرنسا وسويسرا والأندلس في سنة ١٩٠٩
ثم سنة ١٩١٣ وسنة ١٩٢١ . ولم يقتصر على وصف مشاهداته الذاتية ، بل
أضاف الى ذلك كثيراً من المعلومات التي نقلها من الكتب أو الأشخاص العارفين .
وقد بين في مذكراته (الجزء الأول صفحة ١٨٤) أنه ما كان يدخل بلدة
قبل أن يطالع في وصفها كتاباً أو كتباً حتى يستفيد من زيارتها استفادة
حقيقية . لذلك استطاع أن يتكلم بأصهاب عن مختلف مظاهر الطبيعة والحياة
البشرية في البلاد التي زارها ، على الرغم من أن مدة الإقامة فيها كانت قصيرة .
فأطول فترة ، وهي التي قضاها في باريس ، لم تزيد على الشهرين خلال الرحلة
الأولى ثم على الشهر الواحد في سنة ١٩٢١ .

كتب الأستاذ (محمد كرد علي) في مذكراته يقول : « كانت الغاية من رحلاتي تجديد مآثر من قواي وترويض الجسم ونسلية الروح والتعرف الى مدينة الغرب ودرسها في أرضها درساً عملياً » . ولا شك في أن الرغبة في التدريس والاطلاع كانت من أقوى الدوافع ، كما أشار الى ذلك أيضاً في الفصل الأول من كتاب « غرائب الغرب » ، إذ قال : « كنت من أعظم أماني النفس منذ بضع سنين أن أرحل الى أوروبا رحلة علمية أفضي فيها ردياً من الدهر للتوفر على دراسة حضارة الغرب في منبعثها واستطلاع طالع المعاهد التي منها نشأ المخترعون والمكتشفون والفلاسفة المنزهون والعلماء والعاملون والساسة المستعمرون والقادة والغازون والتجار والصناع والزراع والماليون ، وهم على التحقيق مادة تلك المدنية وهيولاهها » .

وكانت الغاية من رحلته الثانية سنة ١٩١٣ هي ، على التخصيص ، زيارة مكتبة المشرق الطلياني الأمير (قائاني) للبحث في المخطوطات التاريخية التي اشتهرت بها في العالم أجمع ، وقد استغرقت هذه الزيارة مدة شهر جمع الأستاذ (محمد كرد علي) خلالها مادة غنية لكتاب « خطط الشام » الذي كان يفكر دوماً في تأليفه ويستعد له منذ سنوات .

صور لنا الأستاذ الرئيس في كتاب « غرائب الغرب » مظاهر الحضارة الأوروبية التي تركت أعمق الاثر في نفسه . وقد أخذته الدهشة في الدرجة الأولى لمشاهدة (باريس) ، فأرسل اليها تحية حارة تفصح عما كان يشعر به من إعجاب وتقدير . وتتضمن هذه التحية (غرائب الغرب) الجزء الأول (صفحة ٤٨ — ٤٩) المبادئ العامة التي كان يؤمن بها . فقرأه يسمي (باريس) « معلمة العالم كيف يكون الخلاص من الظالمين » ويقول انها « هذبت طبائع البشر حتى غدوا يشعرون بالاعطف والدوق وفائدة العلم والعمل » ، وانه « انبعث

منها تمجيد العقل ، بل تأليهه » ، ثم يخاطبها بقوله : « يا واضمة حقوق الإنسان والداعية الى ثل عروش الجبارين والمخربين . . . يا ملقنة الخلق معنى الإرخاء والحرية والمساواة ليتعاشروا بالمعروف ويقوم نظام اجتماعهم على تبادل المنافع » . لا بد أن تستولي الدهشة علينا ، نحن بدورنا ، عندما نقرأ اليوم هذه النجبة . هل يمكن أن توصف (باريس) حقاً بأنها « مرضعة الحكمة وروح الانقلابات الاجتماعية والسياسية ومحبة المدنية الأصلية في الأفطار الغربية والشرقية » ؟ لا نعتقد أن الأستاذ الرئيس نفسه كان في السنوات الأخيرة من حياته يرضى باطلاق هذه الصفات على عاصمة الفرنسيين بعد أن تكشفت حقيقتها وانتضح زيفها وتفسخها . ولكن في الوقت الذي كتبت فيه تلك العبارات ، أي قبل الحرب العالمية الأولى ، كان أكثر الناس مازالوا يؤمنون بمبادئ الثورة الفرنسية ويحسون الظن بفرنسا ويتنظرون انبعاث النور من باريس . ولا ننسى أن مبادئ الثورة الفرنسية كانت منبع الهام لمعظم المفكرين والمصلحين والكتاب العرب في القرن التاسع عشر . على أن الأستاذ (محمد كرد علي) قام بعد انتهاء رحلته الأولى فألقى خطاباً في المنتدى الأدبي باستانبول قال فيه انه أثناء إقامته في (باريس) سمع محاضرات وخطباً لم ير في أكثرها إلا تعصباً على الشرق وغمطاً لحقوقه . وذكر ، على وجه التخصيص ، محاضرتين : الأولى لعالم أثري كان قد عاد من التقيب في تركستان الصينية وادعى بأن التعصب انتشر هناك بانتشار الاسلام في القرن الحادي عشر وأتى على الآثار بجملة . وبعلق الأستاذ (محمد كرد علي) على المحاضرة بقوله : ان جسمه قد تكهرب بها وتأثرت عواطفه لأنه سمع مهانة أمته بأذنيه . والمحاضرة الثانية ألقاها السيد (قارديو) ، وهو من كبار السياسيين الفرنسيين ، على طلاب مدرسة اللغات الشرقية الحية فبحث في نشأة الامتيازات الأجنبية وعلاقة فرنسا بالشرق ، وأشار الى أن فرنسا في كل دور من أدوارها استخدمت الدولة العثمانية لمقاصدها وأنها

لا تقصر كل حين في بتر عضو من أعضاء هذه الدولة حتى تموت وتفتنى .
وقد لاحظ الأستاذ (محمد كرد علي) بأن سياسة المنافع والمصالح كانت تلوح
صراحة من خلال المحاضرة ثم صرخ قائلاً : « فيا إخواني ، أسمع عثماني
هذا الكلام ولا تجهش نفسه بالبكاء ولا تذب كمداً وحسرة ولا تسود الدنيا
في عينيه ؟ » ، (غرائب الغرب ، الجزء الأول صفحة ١٥٩) .

لم يكن الأستاذ الرئيس يحمل الأخطار التي تهددنا من الاستعمار الغربي
وكان يذهب الى أننا لا نستطيع حفظ كياننا الا اذا قاتلنا من يريدون قتالنا
بالسيف الذي بقائلونا به ، أي سيف العلم . ثم كان يقول : « لا يكفي
أن نذكر مجدنا القديم ونورد الشواهد على أباينا الفر المحجلة في تاريخ المدنية
السعيدة ، حضارة الغرب اليوم لا تبقي على ضعيف . لذلك يقتضي علينا أن
نأخذ من تلك المدنية الغربية التي تدهشنا كل ما ينفعنا لقيام مجتمعاتنا » .
(غرائب الغرب ، الجزء الأول ، صفحة ١٥٨ — ١٥٩) .

وقد وصف الأستاذ (محمد كرد علي) آثار الحضارة الغربية في التنظيم
السياسي والاجتماعي وفي الصناعة والزراعة والتجارة ، واهتم على الأخص بمعاهد
التربية والتعليم والمكتبات العامة والجامع العلمية . ونراه في كل مناسبة يضرب
الأمثلة على عناية الأوروبيين بالعلوم والفنون والآداب ، وعلى حبهم للعمل
وعلى تضامنهم والتعاون بين حكوماتهم وشعوبهم عسى أن يكون في ذلك عبرة
لبني قومه وقدوة يحذونها .

فالأستاذ (محمد كرد علي) إنما كتب (غرائب الغرب) ليستنهض المحم
ويدعو الى الإصلاح . وهذا ما يعلل اقتضاره على وصف النواحي الجميلة من
الحضارة الغربية والإشادة بمظاهر تقدمها وتفوقها . وهو يذكر لنا أن بعض
أصحابه قد لامه على ذلك وأنه قد رد عليه بقوله : « إني كنت أريد أن أعرف
قومي بالחסنات ينسجون على منوالها وما كنت أطمح في أن أشغل الأذهان

بأمور لا يخلو منها بلد انخط أو ارتقى ، وعندنا عما يماثلها ما لا ينفع تدوينه ونحمر
خجلاً من ذكره . ومن العدل أن يقال اننا بقدر ما نرى في المدنية الحديثة
من فضائل نرى فيها ما يقابلها من رذائل ، والفضائل تربو على غيرها كثيراً .
فالأمثل بقومنا أن يقتبسوا الخير ويغضوا الطرف عن الشر » . (أقوالنا وأفعالنا ،
صفحة ١١٢) .

آراء الأستاذ كرد علي السياسية :

كان الأستاذ (كرد علي) يدعو العرب والمسلمين الى الاقتباس عن
الحضارة الحديثة لاعتماده بأن ذلك هو السبيل الى القوة والى استعادة الجهد القديم .
ونرى الأستاذ لا يفصل أبداً بين العرب والإسلام ، ويتكلم في كثير من
الآحيان عن الوطنية والقومية العربية . وقد اشتغل بالصحافة مدة طويلة وعالج
الشؤون العامة وتولى منصب الوزارة أكثر من مرة . فما هي آراؤه السياسية ؟
كيف كان يتصور مستقبل بلاده ؟ وما هي الوسائل وأساليب العمل التي كان
يعتقد بأنها صالحة لتحقيق الأهداف القومية ؟

من المؤكد أن آراء الأستاذ الرئيس السياسية قد تطورت مع مجرى الحوادث
واختلاف الظروف وتقلب الأوضاع . وهذا أمر طبيعي . ولا شك في أن
الأستاذ (محمد كرد علي) كان ، منذ أول نشأته ، على يقين من فساد الحكم
التركي وتدهور الدولة العثمانية . وهو ربما يكون بعد الانقلاب العثماني سنة ١٩٠٨
قد اعتقد مع الكثيرين من أبناء جيله بأن الدولة العثمانية يمكن إصلاحها وبقاؤها .
ولكن لم تنقض فترة من الزمن حتى أدرك أن سياسة حزب الاتحاد والترقي
الحاكم سوف تؤدي الى انهيار الدولة وتقطيع أوصالها ، وقد انضم الى حزب
الحرية والائتلاف المعارض الذي كان يجاهر بضرورة احترام حقوق العناصر
غير التركية في الدولة ، وعلى الأخص العرب . ونراه بعد رحلته الثانية الى

الغرب يلقي خطاباً جديداً في المنتدى الأدبي في شهر شباط من سنة ١٩١٤ يدعو فيه الطلاب العرب الى التمسك بقوميتهم . قال : « إننا لانحيا إلا بقوميتنا على نحو ما كان أجدادنا أمس وحال أمم الحضارة الحديثة اليوم . ولكن هذا اللفظ الجميل - لفظ القومية - لا يطابق معناه مبناه الا باتخاذ جميع أسبابه على نحو ما يعمل النجر والبولونيون . . . وما يجري من منافسة محمودة بين الفالونيين والفلامنديين في البلجيك والالمانيين والفرنساويين في سويسرة » . (غرائب الغرب ، الجزء الاول ، ص ٢٢٩) فالأستاذ (محمد كردعلي) لم يكن يقصد بالقومية مفهومها السياسي ، بل أراد بها أن تتساوى مختلف الشعوب في الحقوق ويحتفظ كل منها بلغته وتقاليدته ضمن الدولة العثمانية . ومن الواضح أن هذا الرأي في القومية كان يتعارض مع المفهوم الذي أخذ يتبلور إذ ذاك لدى العرب والذي يتضمن ، قبل كل شيء الانفصال عن الدولة العثمانية وتوحيد الأقطار العربية في دولة مستقلة .

نشأ الأستاذ (محمد كردعلي) في عهد انتشار الدعوة الى الجامعة الإسلامية وتأثر بآراء المدافعين عن هذه الجامعة . ولكن تفكيره الواقعي منعه من الاندفاع وراء الدعوة ، فكذب يقول : « الى عهد قريب كان بعض المتحمسين يدعون الى الجامعة الإسلامية بدون أن يعدوا لها عدتها ، وبعلمون على تأليفها أعظم الآمال . ولقد كنت ، كلما سمعت هذه النغمة استبعد تحقيق الأمنية . ولذا لم أكتب في هذه الجامعة سطراً واحداً بالتعديل ولا بالتجريح . وكيف ، لعمرى ، تتحقق الجامعة الإسلامية والمسلمون تحت سلطان دول متنوعة مشتتة في ثلاث قارات ، تتباعد أصقاعهم ألوفاً من الأميال ولا يكادون يتفاهمون اذا اجتمعوا ؟ » (أقوالنا وأفعالنا ، صفحة ٣٣٥ - ٣٣٦) . أنه كان يتمنى قيام جامعة إسلامية في شكل من الأشكال ، ولكنه يريد في

بادى الأمر التمهيد لذلك بالدعوة الى التعارف والتآلف وتقوية الروابط المعنوية والصلات الروحية بين المسلمين .

ولم يكن الأستاذ (محمد كرد علي) يرى أي تعارض بين الإسلام والقومية العربية . فالإسلام ، حسب تعبيره ، « هو الذي جمع شمل العرب بعد تشتتهم وأخى بينهم مؤاخاة ما عهدوها وهذب نفوسهم حتى سلس قيادهم بعد شماسه ، وثقفهم ثقافة أفادوا بها . . . وهو الذي جعل في العرب خاصة في أخلاقها ساقطها الى العمل الصالح فوحد بين مقاصدها ووجهها الى هدف واحد » . (الإسلام والحضارة العربية ، الجزء الأول صفحة ١٣٥ - ١٣٧) . ولكن لا بد من الملاحظة بأن الفكرة الإسلامية عند الأستاذ (محمد كرد علي) كانت مجردة كل التجرد عن التعصب ولا تسمح أبداً بالتفريق بين المسلمين وغيرهم من أهل الأديان . واختلاف الدين ، في رأيه ، لا يتنافى مع الرابطة الوطنية والقومية .

كذلك فإن التباين في أنظمة الحكم ومستوى الحضارة والتطور الاجتماعي لا يمنع من قيام الوحدة القومية بين أقطار عديدة اذا جمعت بينها ذكريات التاريخ ووحدة اللغة والمصالح والأهداف . وفي حديث من إذاعة القدس سنة ١٩٤٤ اعتبر الأستاذ (محمد كرد علي) تأسيس جامعة الدول العربية خطوة كبيرة في طريق الوحدة العربية . فذكر أن هذه الوحدة كانت أمنية العرب منذ عشرات السنين وان بعضهم كان بعدها حلقاً من الأحلام ووهماً ان تحققه اللبالي والأيام ولكن تبين أن ليس في السياسة المستحيل وأن الأمور مرهونة بأوقاتها » . ثم قال : « وعلينا ، معاشر العرب ، أن ندعو الى هذه الأمانة بالطرق العلنية نورد لمن لا يعرفنا صفحات من ماضينا وحاضرنا ليكون لنا من شعوب أوروبا وأمريكا نفسها أنصار يوافقوننا على إتمام رغائبنا التي هي رغائب البشرية » . (أقوالنا وأفعالنا ، صفحة ٣٤٤) .

من هذه الأقوال يتبين لنا أن الأستاذ (محمد كرد علي) كان من أنصار الجامعة الإسلامية كرابطة روحية وأنه كان يدعو إلى الوحدة العربية كفكرة قومية مدفوعة بمحبة الحب للعرب والإسلام دون أن يتعرض إلى النضال السيامي - الشعبي ، لأنه كان دوماً يرغب في الانصراف إلى الحياة الفكرية . وقد اعتقد أن أفضل وسيلة يخدم بها بلاده هي العمل على نشر المعرفة وتقديم العلوم والآداب . فأتجه بكل قواه إلى العناية باللغة العربية وآدابها وإلى البحث في تاريخ العرب والإسلام وعلى الأخص تاريخ بلاد الشام ، وكان يؤمن بأن نهضة العرب والمسلمين تتوقف على دراسة تاريخهم وأحياء تراثهم .

ليس من شأني أن أتكلم عن مؤلفات الأستاذ الرئيس في آداب اللغة العربية مثل مختاراته في كتاب « رسائل البلغاء » أو دراساته في كتاب « أمراء البيان » . إنما لا بد لي من الإشارة بتأثير هذين الكتابين في تنمية الذوق الأدبي وتهذيب أساليب الكتابة لدى الناشئة العربية في هذا العصر .

انني سوف أقصر على استعراض دراسات الأستاذ التاريخية ، ولا سيما كتاب « خطط الشام » ثم كتاب « الإسلام والحضارة العربية » .

تاريخ الشام :

يتألف كتاب « خطط الشام » من ستة أجزاء ، وهو عبارة عن موسوعة أو دائرة معارف تحيط بكل الأخبار عن تاريخ الديار الشامية وحضارتها من أقدم العصور حتى سنة ١٩٢٥ .

كان الأستاذ (محمد كرد علي) قد نشر في سنة ١٨٩٩ في مجلة المقتطف تسع مقالات عن (عمران دمشق) صادفت استحساناً لدى القراء ، فدفعه ذلك إلى التفكير في أن يتوسع في هذا البحث وأن يكتب عن عمران الشام كله . ومنذ ذلك الوقت أخذ يتصفح كل ما ظهر به من المخطوطات والمطبوعات باللغات

العربية والتركية والفرنسية . وكان يقصد دور الكتب الخاصة والعامة في الشام ومصر واستانبول للتفتيش عن مصادر جديدة . ولهذه الغاية في الدرجة الأولى قام برحلاته الثلاث الى البلاد الأوروبية وزار المكتبات المشهورة فيها .

على أن الأستاذ كان كلما استكثر من المطالعة تتجلى أمامه صعوبة العمل . وقد ظل مدة من الزمن مختاراً في كيفية ترتيب الموضوع : هل يجعل التاريخ السيامي حسب السنين أم حسب الدول ، وهل يتكلم على القطر عامة أم على كل اقليم باقليمه ، ثم لما انتهى في سنة ١٩٢٥ من التأليف ، بالحاج من أصدقائه ، تردد في طبع الكتاب . وهو يقول في ذلك : « ولقد وددت ، لما تبسر وضع خطط الشام على هذه الصورة ، لو ساغ لي أن أصبر عليه زمناً آخر حتى يتم التحقيق فيه على ما يجب ، ولكن رأيت ، بعد طول التأمل ، أن من الحزم الاكتفاء بما تنهياً في هذه السنين ، والتمحيص بحر لا ساحل له ، فأبرزته . . . وأنا موقن بأن فوق ما طالعت وبحثت غايات لم يمكنني الزمان والمكان من بلوغها ، وعسى أن يقوم غيري بعدي فيتم هذه الخطوط التي رسمتها من بنيان كتاب الخطط ويصلح بما يتوفر له من المواد ما ربما وقعت فيه من الغلط والشطط » . (مقدمة الخطط : صفحة ٩) .

وقد اضطر الأستاذ الى الاكتفاء بخلاصة قصيرة عن تاريخ الشام القديم لا تزيد على (١٨) صفحة وقال : « كنت أحب التوسع أكثر من ذلك لولا الخوف من الوقوع في ثقل ما لم يتفق الباحثون عليه . والتعرض للمجهولات يؤدي الى سقوط في غلطات أو خيالات أو حكايات متناقضات . ولعل عناية علماء العاديات في عصرنا توصلهم الى اكتشاف ما كان مجهولاً من تاريخ هذه الديار كما أوغلوا في حفر باتهم » . (خطط الشام ، الجزء الأول ، صفحة ١٠٤)

ثم هو يعترف بأن الكلام جاء ناقصاً في بعض الأدوار المتأخرة وأن بعض مواضع مهمة ذات صلة بمدينة الشام لم تنكشف له . (انظر : الخطط ،

الجزء الأول صفحة ٧) ولما رأى الأستاذ أن وصف التطور الحديث للزراعة والتجارة والصناعة في بلاد الشام يحتاج الى دراسة اختصاصية لم يتردد في الاستعانة بالاختصاصيين من أصدقائه فطلب اليهم كتابة بعض الفصول أو تزويده بالمعلومات الفنية .

إن الأستاذ الرئيس لم يذكر الصعوبات التي اعترضت طريقه ونقاط الضعف البارزة في كتابه على سبيل المبالغة واصطناع التواضع ، بل بدافع الاخلاص للعالم وجباً في الإصلاح . فهو يعرف أن مهنة المؤرخ في هذا العصر قد أصبحت عسيرة جداً لأنه يحتاج الى الاستعانة بكثير من العلوم ، مثل علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد والسياسة بالإضافة الى دراسة الوثائق والكتابات والنقود والخط . . . وكان لذلك يرى ضرورة التعاون بين الاختصاصيين عند كتابة التاريخ العام . كما انه لم يكن يجهل العوامل التي تدفع المؤرخين الى التحيز والتعصب والمبالغة والتحريف .

ولكنه كان يعتقد بأن واجب المؤرخ هو أن يتحرر من تأثير الأهواء السياسية والدينية فيسعى الى معرفة الواقع ويبدى لأمته حقائق ماضيها وحاضرهما ويقفها على جلية أمر المحسن والمسيء ويروض قلبها على قبول الحق . وفي الواقع كان الأستاذ الرئيس يكره التقيّة ويحب الصراحة . وقد ذكر قول بعض الفقهاء « ونسكت عما شجر بينهم ، أي بين الصحابة » فوصفه بأنه « كلام من لا أرب له في غير العافية » وأضاف قائلاً ، « ولو شايهناهم على هذا الرأي لأضللنا طريق الهدى في قيام أمرنا » . (أقوالنا وأفعالنا ، صفحة ٢٣٥) . كذلك فإن الأستاذ قد هاجم ابن خلدون لأنه نها عن الخوض في موضوع الخلاف بين الصحابة ولا سيما بين عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب فقال : « نزع ابن خلدون ثوب المؤرخ ولبس ثوب الواعظ القصاص أو هو يريد أن

بتأدب أدب السيامي المذهب مع الجماعة لا يقول لصاحب الأمر ما يزعجه فيرضى بالحالة الحاضرة على علانها ويحاول أن يسكن أفواه الرعية لأنها إذا قالت فعلت ، وما حسب حساباً للأهواء البشرية والمطامع الدنيوية ، فكأنهم ما أخطأوا في نظره وكأنه يزعم أنهم لا دخل لإرادتهم التي خلقها الله لهم فيما قضوا وأمضوا . . . » (كنوز الأجداد ، صفحة ٣٩٤) اعتقد أن الأستاذ (محمد كرد علي) قد ظلم ابن خلدون واتهمه بما هو بريء منه ، ولكن كلامه يساعدنا على معرفة نظراته إلى التاريخ ويستحق أن نشير إليه . وقد تعرض الأستاذ نفسه إلى سياسة الخلفاء الراشدين وإلى الخلاف بين علي ومعاوية فكيف عالج هو الموضوع ؟ قال الأستاذ الرئيس في كتابه « الإسلام والحضارة العربية » (الجزء الثاني صفحة ٣٨٦) : « . . . وبعد فإن الخلفاء الراشدين قاموا بخلافة النبوة على أكمل وجه أمكن ، وإذا لاحظنا اليوم أنه وقع من بعضهم شيء فهو منهم محض اجتهاد ، والمجتهد يصب ويخطئ ، والسياسة صعبة المراس على كل الناس ، وما كان للبشر أن تفهم أعمالهم تامة من كل الوجوه . . . » فهل يختلف هذا الرأي كثيراً عن رأي ابن خلدون ؟

ثم إن الأستاذ قد نشر في آخر المجلد السادس من « خطط الشام » الملاحظات التي أبدتها بعض الناقدين على كتابه ، وبين هؤلاء الأمير شكيب أرسلان والأستاذ عارف النكدي ، اللذان انعماء بالنعصب لبني أمية .

وفي الحقيقة دافع الأستاذ (محمد كرد علي) عن إسناد الخلافة إلى يزيد ابن معاوية ، كما أنه وقف إلى جانب الأمويين في نزاعهم مع العلويين . ولكن لا يمكننا الادعاء بأن الأستاذ قد اندفع هنا مع عواطفه وتأثر « بالنعرة الشامية » . فهو قد بحث الموضوع كما يجب أن يبحثه كل مؤرخ : أنه قد ذكر جميع الروايات المنقولة والآراء المتضاربة وصعد إلى الكشف عن

أسباب الوقائع ولم يصدر حكمه إلا بعد مناقشة الموضوع من كل الوجوه ،
وبذلك كان مخلصاً للنظرة الموضوعية العلمية . وما يسترعي النظر أنه قد اتفق
مع ابن خلدون في تعليقه لإقدام معاوية على إثارة ابنه يزيد بولاية العهد دون
سواه ، إذ قال إن السبب في ذلك هو مراعاة المصلحة في اجتماع الناس على
بني أمية أصحاب أقوى عصبية في قريش . (الخطط ، الجزء الأول ، صفحة ١٤١) .
أما موقفه من الخلاف بين الأمويين والعلويين فيتنفق أيضاً مع النظرة العلمية
في التاريخ . يقول الأستاذ : « ان الخلاف بين الأمويين وخصومهم من العلويين
ما يزال يقوى ويضعف ، وما هو الا خلاف سيامي نشأ من النزاع على الملك
وليس من الدين في شيء . فليس إذاً من العقل أن تنسلسل هذه الأحقاد في
الامة وتنفق شيعاً وتظهر بمظهر التعصب والتشيع . . » ثم يزيد رأيه وضوحاً
إذ يقول : « إن مسألة الخلاف بين علي ومعاوية قد مضى عليها الزمن وكان
لكل منهما اجتهاده ، وهي من المسائل المؤلمة في تاريخنا يجب أن ندرسها بانصاف . . .
فالامة يجب عليها أن تعرف مواطن الضعف والقوة من جسمها وتكشف
حقائق ماضيها لأنها ابنة حوادث ماضية ، والواجب في البحث أن لا بشير في
النفوس أحقاداً . . . » (الخطط ، الجزء الأول ، صفحة ١٦٦) .

بتبين لنا من ذلك أن الأستاذ الرئيس لم يقتصر في كتاب « خطط الشام »
على جمع الكثير من الأخبار والمعلومات المنصلة بتاريخ هذا القطر وتطوره
الحديث والتي كانت مبعثرة في مئات المراجع القديمة والحديثة ، بل أقدم أيضاً
على تحليل بعض الحوادث الهامة واستخلاص العبر منها . فهو إنما انصرف الى
البحث التاريخي لإيمانه بأن نهضتنا في الحاضر والمستقبل تنوقف على معرفة الماضي
معرفة صحيحة والاستفادة من تجاربه .

الدفاع عن العرب والإسلام :

يروى الأستاذ (محمد كرد علي) في مقدمة كتابه « الإسلام والحضارة العربية » ثم في « المذكرات » (الجزء الأول ، صفحة ٣١٦) انه عندما دعي الى مؤتمر المستشرقين في (لندن) سنة ١٩٣١ ، اقترح عليه أعضاء مجمعكم المحترمون أن يوجه الأنظار إلى ما يبديه بعض المؤلفين في الغرب من تحامل على الإسلام والعرب ومن طعن بتاريخهم وحضارتهم . وقد عدل الأستاذ بعد ذلك عن السفر ولكن موضوع الرد على خصوم العرب والإسلام كان قد استموى فؤاده فانقطع الى دراسته وتشعبت به مسالك البحث فلم يقف عند مناقشة هؤلاء الخصوم ونقض أقوالهم ، بل أتبع ذلك بوصف مدينة العرب المدينة للإسلام بانبعاشها وحسناتها ، فتكلم عن تمثل العرب للحضارة وعنايتهم بالعلوم والآداب والفنون وعن انتشار لغتهم وقارن بين حالة العرب وحالة الغرب في القرون الوسطى وكشف عن أثر الثقافة العربية في أوروبا وعقد فصولاً خاصة لمدينة العرب في الأندلس وصقلية وبحث في الحروب الصليبية وفي غزوات المغول والأتراك ثم في غارات المستعمرين الغربيين على البلاد الإسلامية . وقد جمع هذه المباحث في الجزء الأول من كتابه « الإسلام والحضارة العربية » ، أما في الجزء الثاني الذي يؤلف وحده مجلداً ضخماً فقد ألقى الأستاذ نظرة اجمالية على العلوم والمذاهب عند المسلمين ثم استرسل في الكلام على الإدارة والسياسة في الإسلام .

ان الكثيرين من الذين طالعوا كتاب « الإسلام والحضارة العربية » قد أبدوا رأي الأمير شكيب أرسلان في أنه خير ما كتب الأستاذ (محمد كرد علي) وأنه كفى الناس مؤونة نشدان الأدلة من هنا وهناك للرد على المغالطين والمكابرين والتجاهلين . ولا غرابة في ذلك ، فقد سلخ الأستاذ في تأليفه ثلاث سنين يعمل على التوالي وبجاسة ورجع الى أكثر من خمسمائة مصنف لجمع موارده .

ويمكن القول انه لم يترك شاردة ولا واردة إلا ذكرها من الأخبار المتعلقة بأساليب الإدارة والسياسة عند خلفاء المسلمين وملوكهم . كذلك استقصى الأستاذ المسائل التي يرددها خصوم العرب والإسلام وكشف عن العوامل التي تدفع بعض المستشرقين الى تشويه الوقائع ومخالفة الحقائق من تعصب ديني وطمع استعماري وأوهام موروثية وجهل مقصود وقد جاء بشواهد كثيرة من مؤلفات الغربيين الذين أنصفوا الإسلام والعرب ، وفي مقدمتهم (غوستاف لوبون) لتفنيد أقوال المفرضين .

ولما كان الكثيرون من الذين يهاجمون العرب والإسلام لا يتقيدون في المعناد بقواعد البحث العلمي وشروطه ولا يهتمون بالوقائع والبراهين فقد اضطر الأستاذ (محمد كرد علي) الى أن يستخدم مع هؤلاء طريقة الجدل والمجوم المعاكس . هكذا عندما رأى مؤرخاً أمريكياً اسمه (كوفن Gowen) يتهم الشريعة الإسلامية بأنها « حفظت في تضاعيفها شروراً اجتماعية ثن منها الإنسانية » ، قام يرد عليه بقوله : « إن الكاتب الأمريكي ربما قال هذه الجملة وهو لم ير في حياته مسلماً ولا قرأ كتاباً معتمداً من كتب العرب ، قالها بدافع هو يعرفه أو فاه بها ليأتي بالعريب ، وأميركا مهد الغرائب . وهو ، لو أنصف لفسر هذه الشرور التي اتهم بها الإسلام وأثبت منها الإنسانية . كأن الإنسانية لم تكن مثلاً من معاملة الجنس الأبيض للأسود في أميركا وكان الإنسانية لم تكن من الحروب الدينية التي أهلكت فيها الامبراطورة (نيودورا) وحدها نحو مائة ألف من الماوريين في أواسط القرن التاسع وكان الإنسانية راضية عن أعمال ديوان التحقيق الديني الذي قتل في إسبانيا وحدها ، كما قال « ريناخ » نحو مائة ألف انسان على أقل تعديل . . . » (الإسلام والحضارة العربية ، الجزء الأول ، صفحة ١٣ - ١٥) .

كان الأستاذ (محمد كرد علي) يندفع مع العاطفة ويغضب أشد الغضب اذا ما شعر بأدنى تحامل على العرب والاسلام . إلا أنه لم يكن ، من جهة ثانية ، يجهل ما يتطلبه البحث العلمي من حياد وتجرد وانصاف . وقد كان همه الأول تجري الحقيقة والدفاع عنها بحماسة وقوة . فهو يقول : « والمهم في تاريخنا أن نغلب كل مقلب لا ندلس فيه ولا نوالس لتعرف الحقائق في صورتها الجلية النافعة » . (الاسلام والحضارة العربية ، الجزء الثاني ، صفحة ٩٢) ثم يصرح قائلاً : « واذا أدلع العرب بتاريخهم فليس معنى ذلك أنهم يدعون أنهم كانوا أول من أرخ لهم من الأمم أو أنهم كانوا البادئين بأسس المدنية . وما ادعى المسلمون قط أنهم نزّلوا بحضارتهم من السماء ؛ بل ادعوا وأثبتوا دعواهم أنهم أخذوا حضارات الأمم القديمة وزادوا عليها ما وسعتهم الزيادة فأوصلوها بأمانة الى أهل المدينات الحديثة » . (الاسلام والحضارة العربية ، الجزء الأول ، صفحة ٥٥) .

وقد استحسن الأستاذ كل الاستحسان الجهود المبذولة بعد الحرب العالمية الأولى « لتوحيد التاريخ في العالم وتقليل مصادر الأحقاد بين الأمم » ، وأعرب عن اتفاقه في الرأي مع « طائفة من العقلاء في الغرب ترى نبذ كل ما يثير الحقد ويدعو الى الظنة وبفك عرى الالفه » . ثم قال : « ولن يتم قيام هذا المجتمع الحديث إلا بتعاون الشرق مع الغرب تعاوناً حقيقياً يقوم على الحرمة المتبادلة والمصلحة المشتركة والعدل الذي لا ينجزاً . والبشر اليوم مقصد أسمى من الخلافات والمناقشات التي جاءت القرون اثر القرون وما زالت بحالها لم تورث النفوس إلا اشمئزازاً . البشر بعد هذا التقارب في المواصلات والأفكار أحوج ما كانوا الى التعارف والتعاطف وانصاف بعضهم بعضاً ليقوم نظامهم على الوئام والسلام » . (الاسلام والحضارة العربية ، الجزء الأول ، صفحة ١١ - ١٢) .

هذا الكلام دليل قاطع على تحرر الأستاذ من التحيز والتعصب اللاعني كما أنه يشير إلى ما أنصف به من تفكير علمي وروح إنسانية .

سأدتي الأفاضل !

إن الأجيال المختلفة لا تتعاقب فحسب ، بل هي كذلك يندثق بعضها عن بعض . فالجيل الناشئ يتلقى من الجيل السابق معظم تقاليده وعاداته ومفاهيمه وأفكاره وعقائده ، كما يرث عنه الكثير من المشاكل . وتتوقف معرفة تطور المجتمع على مقدرة الجيل الناشئ في حل هذه المشاكل وتحويل تلك العادات والتقاليد ثم في ابداع عقائد وأفكار ومفاهيم خاصة تستمد عناصرها من الماضي وتتلاءم مع الحاجات والأوضاع الجديدة . فالصلة بين الأجيال المتعاقبة قد تضعف أحيانا ولكنها لا يمكن أن تنقطع مادام المجتمع قائما ومحافظا على كيانه . .

كان الأستاذ (محمد كرد علي) من الأفاضل النابضين الذين يمثلون جيلهم أحسن تمثيل ويعبرون عن مشاعرهم بأفصح لسان . لقد أخذ عن الجيل الذي قبله خلاصة ثقافته وأضاف إليها الكثير من المعلومات والمفاهيم عن طريق المطالعة والدراسة الشخصية . وقد تأثر بالتيارات السياسية والاتجاهات الفكرية التي سادت في مختلف أدوار حياته فلم يتردد في أن يخوض غمارها ويلعب دورا هاما فيها . وبذلك كان له تأثير عميق في أبناء جيله والجيل الذي بعده . ومن مناء أيها السادة ، لم يقبض من أنوار الأستاذ الرئيس ولم ينهل من معينه ؟ لم يكن الأستاذ (محمد كرد علي) صلة الوصل بينا وبين الجيل الماضي ، جيل محمد عبده و طاهر الجزائري فحسب ، بل أيضا بين عصرنا والعصور الغابرة من تاريخ العرب والإسلام التي أعادها إلى الحياة في كتبه وكشف لنا عن روحها وهدانا إلى معرفة حقيقتها وجوهرها .

وإذا كانت الأستاذ قد بدرت منه في بعض الظروف انتفاضات عنيفة
وإذا كان قد وقع أحياناً في تناقضات صارخة ، فذلك أمر طبيعي ، لأنه
عاش في زمن كله ثورات وتناقضات وكان أولى الناس بالتعبير عن هذه الثورات
والتناقضات ، شأنه في ذلك شأن كل العباقرة والناخبين الذين تبلور فيهم
حياة عصرهم وتنعكس جميع النيارات والاتجاهات . ومن حق العباقرة
والناخبين أن يقتحموا لجج التناقضات لأنهم وحدهم يستطيعون التغلب عليها .
وإذا كنا عاجزين عن التخليق مع الأستاذ الرئيس في الأجواء الصاخبة
فما أجدرنا بأن نسترشده في متابعة الطرق التي مهدها لنا وفي تحقيق الأهداف
التي رسمها .

وأقصى ما أرجوه هو أن أستطيع القيام بقسط متواضع من هذا الواجب
فأكون بذلك عند حسن ظنكم والسلام عليكم . . .

محمد كامل عباد

الإفصاح عن أبيات مشكلة الإفصاح للفارقي

ولا

توجيه إعراب أبيات مُلغَزَة الإعراب للرّماني

كفّا أنا والسيدان عزّ الدين التنوخي وسعيد الأفغاني في يونية الماضي تنفّرج في منزله المهاجرين بدمشق وتجاذب أطراف أحاث هي ألّة من السلوى لدى كل عارف . وسألت الصديق الكريم الأفغاني عما سقط عليه من طرائف الأُعلاق وضنائن الأسفار في رحلته إلى الغرب والمغرب سنة ١٩٥٦ هـ فأخبرني بكتاب الرّماني هذا ولم يزدني فيه شيئاً .

إذ جاءني كتاب من معالي الأستاذ الزركلي من الرباط أخبرني فيه بصدوره من المطبع ثم لم يمض أيام إلاّ وكتاب الصديق مائلٌ أمام عيني ٢٣/٩/٥٨ م دالاً على وده وصفائه .

ومنذ تناولت نسخته ما زالت الشكوك تخالجي والريب والأوهام تساورني . ولما تغلّغت إلى أعماقه وعرفت أن صاحب الكتاب يروي عن أبي علي الفارسي (م ٣٧٧ هـ) وأبي سعيد السيرافي (٣٦٨ هـ) والرّماني (٣٨٨) عصرهما^(١) وفي طبقتهما ، وزاد ضيقاً على إربالة أنه شرح مُلَمَع ابن جنّي (صاحب أبي عليّ الذي نبغ في آخر حياة الرّماني وبُعِيد وفاته) - جزمّت بأنه ليس للرّماني البتّة . وكنت أذكر للحسن بن أسد الفارقي أبي نصر الشاعر الكاتب النحوي المقتول سنة ٤٨٧ هـ الذي تُرجم له في الأدباء (٤٧/٣ - ٥٤) والأبناء (١/٢٩٤ - ٢٩٨) وعنهما في الفوات والشذرات وغيرهما - مؤلفاً في المعنى .

(١) واخذ عن أبي بكر السراج وابن دريد كما اخذا عنهما .

فراجعت 'جزائري' التي كنت عاقتها في رحلة سنة ١٩٣٦ وفهرست دار الكتب ومجلة المجمع فوجدت :

أن الإفصاح عن أبيات مشكلة الإفصاح للفارقي توجد منه 'نسخ' ومعظمها أجل وأقدم من نسخة باريس . إحداهما بولي الدين بايزيد برقم ٢٨١٨ بقطع صغير في ٨٥ ورقة . وأخرى بالدار (فهرس النحو ١٢٠) أولها : أطال الله بقاءك وأدام عزك ونعماءك^(١) وحرس نفسك وعلاءك الخ . وهي من مقتنيات الشنقيطي في ٢٧١ ص والمسطرة ١٥ عن نسخة كتبت سنة ٦١٣ هـ . وفيها ص ١٥٨ جاء ذكر مختصر للإفصاح سمي فيه الأصل ألقا الإفصاح في مجموعة للشنقيطي برقم ٣٦ . ولعل هذا المختصر لعز الدين الزنجاني (والريحاني تصحيف) المتوفى سنة ٦٥٤ . ومنه نسخة في خزانة بيت الجوهرى بنابلس جاء ذكره في مجلة المجمع ص ٤٥٥ سنة ٢٤ م 'نسخ' سنة ٦٦٠ . كما جاء فيه ذكر نسخة أخرى في ٩٢/٥ وامكني لست أملك هذه المجلدة .

فظهر أن هذا خطأ عظيم أفسد على الصديق عمله وحرّمه المعارضة بعدة نسخ جليلة كانت منه على طرف الثام قريبة المتناول . كما حرّم الفارقي البائس المسكين مؤلفين له من أنبل ما كتبه في حياته وذكرهما كل من ترجم له فلم يبق ما يدل على حياته . هذا على أن إضافتهما إلى ثبت مؤلفات الرماني وهو في صفحتين مكتنزتين ما كان لبقني عنه فتبلاً . إذ لم يُعرف له ألف سنة مضت على وفاته وقد نال دونها شهرة لا يستهان بها . فلم يذكرهما له أحد ممن ترجم له . والثابت على نسخة باريس ليس بخط الأصل كما هو ظاهر . فإما أن يكون هذا الكاتب المتأخر اختلط عليه الخابل بالنابل أي الفارقي بالرماني . أو أن يكون لما وجد الكتاب 'غفلاً' أثبت عليه اسم كُتِبَ للرماني

(١) والأسجاع الثلاثة بالمد لا بالعصر كما في المطبوع . م (١٣)

في المعنى نفسه إن ثبت أنه له . وذلك أن فهرست الدار المذكورة نفسها تذكر في ص ٧٩ الألفاظ النحوية للرّماني أوله : الحمد لله على فضله وكرمه الخ ٣٠ ش مخطوطة بقلم مغربي ، وهذا كما ترى غير المطبوع ، ثم رآه بروكلمات فتيه ولم يوفق لاستجلاء الحقيقة وربما يكون عرف إفصاح الفارقي فذكره في كتابه ولم يفرغ للمراض فقلده من أنى بعده ، ثم إلى اليوم هلمّ حجراً .
وهذه بعض ملاحظات على المطبوع :

١ - قوله في ص ١٢ : لا يعرف من مؤلفات الرّماني غير ثلاثة - زد إليها رابعاً وهو شرح أصول ابن السّراج ومنه قطعة في مجموعة برقم ١٠٧٧ بكتبخانة سليم آغا في اسكندار من ق ٢٩٥ - ٣٢٦ . وخامساً وهو ثلاثة أجزاء من شرح الكتاب الثاني والرابع والخامس بأرقام ١٩٨٤ و ١٩٨٧ و ١٩٨٦ في ١٨١ و ١٩٧ و ٢٩٧ ورقة ولاء بكتبخانة فيض الله ، أملاه سنة ٣٦٧ هـ .
٢ - على قوله ص ٣٥ : هنا فرق كبير بين آيات المعاني وبين الألفاظ النحوية التي ألفت فيها الإفصاح . وقد كان الرّماني سبقه بالتأليف فيها وتأخر عنه ابن هشام وخاله الأزهرى وقد طبع كتاباهما ولأبي سعيد بن لُب منظومة مشروحة طبعت في ^(١) الأشباه للسيوطي . ولابن عربشاه كتاب فيها إلى غيرهم . باليت صدّيقى كان عارض عمله بها وفارث .

٣ - قوله ص ٣٠ : يمتد إلى مائة سنة - ولكن ذلك لا يحتاج إلى امتداد في عمره وإنما ينقل كلام ثعلب كما نقله نحن الآن من دون أن ندركه .

٤ - في ص ٧١ : و - ام ليلي تجلّى همي
غير متزن ولا متمنٍ . وهو شرط روف في الكامل ٧٩ :
فنام ليلي وتجلّى همي

(١) ٣٠٢ / ٢ ولم يعرف لمن هي وقد عرفنا صاحبها من الخزانة ٤٦٦ / ٣ .
وترى في الأشباه جزءاً كبيراً في الألفاظ .

وكذا الصواب من النوم في الكلمات الآتية على ما في الأصل لا كما غيره في المتن .
 والبيت برقم ٥٥ لرجل من لصوص البحرين على ما في الكامل ٢٠٠ طبعة ريط .
 ٥ - في ص ١٣٤ : وجه الكلام وصوابه : أنشدناه أبو اسحاق (يريد
 الزجاج لا غير) [في] المصنف لأبي عبيد . والبيت برقم ١٢٦ من معروف
 شمر عنبرة في طبقات ديوانه وسمط اللآلي ٤٨٣ وحامسة ابن الشجري ومشروحا
 في الخزانة ٣٦٢/٣ والعيني ١٧٥/٣ .

٦ - في ص ١٨٥ : في بيت الربيع بن ضبُع وجاء مصحفاً (ولا أسادوا)
 ولم أجد مع طول البحث المقطوعة التي منها البيت ليُعرف أنه من همزته
 أو دالته اه - المقطوعة همزية معروفة وكنت نشرتها في مجلة الزهراء ٢٣٥/٤
 عن التيجان قبل نشره وهي في طبعته هذه ١١٩ وهي في المعمرين برقم ٦
 والمرئضي ٢٥٥/١ ومشرحي أدب الكتاب لابن السيد والجواليقي ٣٦٩ و ٤٦٦
 والخزانة ٣٠٦/٣ . والبيت منها إذا عاش الفتى ، البيت من شواهد الكتاب
 كتاب سيبويه .

٧ - في ص ٢٠٣ : البيت برقم ١٨٣ لطيف الغنوي من قصيدة في ديوانه
 برقم ٩ ومنها ثلاثة أبيات في الحماسة فربتاغ ١٣٦ وبولاق ١٤٦/١ .
 ٨ - في ص ٢١٢ : الحافظ عورة ، البيت لبس لابن الخطيم وإنما هو من
 كلمة في الروي لعمر بن قيس الخزرجي وقد خرجته في الخزانة السلفية
 ٢٠٥/٤ .

٩ - في ص ٢٣٠ البيت لعمر بن معد بكرب الزبيدي عزاء إليه سيبويه
 ٢٠٠/١ . وفُتية فيه مصغر فتاة ولا يجوز فتنة فان البيت لا يتزن معه .

عبد العزيز الميجني

(كراتشي) ١٩٥٨/٩/٢٦

مستدرك

على تصويبات في الوافي بالوفيات

اطلعت في العدد الأخير من مجلة مجمننا العلمي العربي (المجلد ٣٣ ص ٦٩٢) على الملاحظات القيمة التي أبداهما السيد الأستاذ رشدي الحكيم على أوهام حصلت في الجزء الثالث من الوافي بالوفيات للصفي ، فتذكرت أنني كنت علفت بهامش الجزئين المطبوعين (الثاني والثالث) من هذا الكتاب تصويبات قليلة تخص الأعلام والجغرافية ، فرجعت إليها ونقلتها ، وهي التي أبادر بتقديمها الى المجلة عسى أن تفيد الناشر المحقق اذا ما أعاد طبع الجزئين المتقدمين من « الوافي » .

الجزء الثاني :

جاء في ص ١٥ سطر ١٩ - قوله : « أنشدنا له أبو يحيى بن عريبة » ، والصواب : ابن عريبة ، وهو أديب تونسي مشهور ، رحل الى المشرق واجتمع بوجوه من أعلام كتابه وأدبائه ، وعاد الى بلده ^(١) .

ص ٣٩ سطر ١٤ - (في ترجمة أبي العرب الأفرقي المالكي) وقد عذ من مصنفاته . . « فضائل مكة » ،

والصواب : « فضائل مالك » بن أنس الإمام المدني صاحب المذهب .

ص ٢٥٧ سطر ١٥ - في ترجمة (محمد بن بكسوت الظاهري) قال . . . « وكان كاتباً مطبقاً كتب الكثير من المجلدات والربعات الفصاح » ،

(١) هو عثمان بن عتيق التبيسي المعروف بابن عريبة ، أبو عمرو ، ولد بتونس وبها توفي سنة ٦٥٩ هـ (ترجمه التبراني في رحلته وكذا البدرى في تقييد رحلته) .

والصواب : . . . كتب الكثير من المجلدات والربعات بالفصاح ، وهو نوع من الخط المنسوب في الأقلام السبعة التي كانت شائعة في عصر المماليك ، وقيل سميَ بذلك لأنه بفضح صاحبه اذا كتب به ولم يجده . والغريب ان في الأصل المنسوخ منه وردت الكلمة على صوابها وصححها الناشر بما تقدم ، والمعنى لا يستقيم إذ لا معنى للربعات الفصاح .

في الجزء الثالث :

ص ٤٧ سطر ٣ — (في ترجمة محمد بن خلوفا) . . . « من أشرف أهل ناحية القمح ورؤسائها » ،

والصواب : . . . من أشرف (باجة القمح) وهي من المدائن المشهورة بالبلاد التونسية من ناحيتها الغربية ، وإنما نسبت باجة هذه الى القمح لاشتجار أرضها بانتاج هذا النوع من الحبوب ، وأيضاً للتفريق بينها وبين (باجة الزيت) بلدة صغيرة بالساحل التونسي معروفة بكثرة زيتونها وبصنع الزيت (راجع معجم البلدان لياقوت — في باجة) .

ص ٦٩ سطر ١٨ — (في ترجمة محمد بن ربيع) جاء انه من قرية تونس ، والصواب : من قرية بنونش ، وكانت موجودة بالساحل الشرقي من القطر التونسي بمقربة من بلدة الشابة اليوم (راجع معجم البلدان — في بنونش) أما مدينة تونس وهي عاصمة البلاد فلا يصح أن يصفها الصفدي بقرية .

حسن حسني عبد الوهاب

(تونس)

ملاحظات^(١)

على الجزء الثالث من كتاب الوافي بالوفيات

لصلاح الدين خليل بن ابيك الصفدي

باعتناء الأستاذ (ديدرينغ)

- ٢ -

ص ١٢١ : في ترجمة ابن حيوس أنه استُخلف من قبيل الحكام على الفرياض والتزويجات : مكان (من قبيل الحكام) .

ص ١٢٤ : في ترجمة الحناظ الرعيني الأندلسي (وكان بنادي أبا عامر بن شهيد) : والصحيح (كان ينادي) كما جاء في ترجمته في كتاب المغرب في حلى المغرب لابن سعيد . والحناظ بالطاء المهملة لا بالظاء .

ص ١٢٩ : محمد بن سليمان الغاني ، والصحيح الغاني بالياء لا بالنون نسبة الى الغابة قرية من كورة اشبيلية . وله ترجمة في المغرب لابن سعيد ١ : ٢٩٥ .

ص ١٢٩ :

وكم يكيد له الذكرى هوى نفيت منه صباية عهد غير معهود
بما ارتتمه وما زالت تميد به الى التصابي عيون الخرد الغيد
لعله في البيت الأول : (وكم بعيد له الذكرى) . وفي البيت الثاني :
(وما زالت تميل به) باللام .

ص ١٣٥ :

أين الشايا التي اذا ابتست أو نطقت لاح لؤلؤ نضد
وقد وضع تحت الضاد من نضد كسرة والصحيح نضد محركة .

(١) تمة ما نشر في (المجلد ٣٣ ، الجزء ٤ ، ص ٦٩٢ - ٦٩٤) من هذه المجلة .

ص ۱۵۲ :

جَازِبَتَ دُرَّتِي وَقَدْ نَضَّدْتَهُ كَلَامًا يَرُوقُ مِمَّعِ الْوَرَى دَرًا بِمَتَّحَلِبٍ وَهِيَ مُخْتَشَلِبٌ .

ص ۱۵۲ : لَأَنَّ نَاصِرَ الدِّينِ شَافِعًا كَانَ قَدْ عَمِيَ بِآخِرِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَلَامًا :
وَالصَّحِيحُ (كَانَ قَدْ عَمِيَ بِآخِرَةِ رَحِمَ اللَّهُ كَلَامًا) وَآخِرَةُ مُحْرَكَةٌ وَبِأَخِرَةِ آخِرِ
كُلِّ شَيْءٍ . كَمَا فِي الْقَامُوسِ ، وَالصَّلَاحُ الصَّفْدِيُّ بِسْتَعْمَلِهَا كَثِيرًا فِي نَكْتِ الْمَحْبِيَانِ .
وَرَحِمَ اللَّهُ كَلَامًا أَيَّ كَلَامًا مِنْ ابْنِ الْوَحِيدِ وَنَاصِرِ الدِّينِ شَافِعٍ .

ص ۱۵۵ :

فَالنَّارُ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ ضُلُوعُهُ وَالْمَاءُ مَا سَمِعَتْ بِهِ أَجْفَانُهُ
وَالصَّحِيحُ (مَا سَمِعَتْ) عَلَى مَا فِي الْأَغَانِي وَغَيْرِهِ .

ص ۱۵۹ :

أَبَا حَسَنٍ هَلْ جَازٍ فِي الْحُبِّ قَبْلَهَا لِمَسْتَسْلِمٍ مِنْ أَنْ يَطَاحَ لَهُ دَمٌ
وَالْأَصَحُّ (مِنْ أَنْ يَفَاحَ) بِالْفَاءِ لَا بِالطَّاءِ .

ص ۱۶۵ : وَأَخْصِرَ بِآخِرِهِ . وَالْأَصَحُّ (وَأَخْصِرَ بِأَخِرَةِ) .

ص ۱۶۷ : قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي الْمَرَاةِ : وَالْمَرَاةُ لِسَبْطِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ .

ص ۱۹۲ : — لَكُنَّهَا خَطَرَاتٌ مِنْ وَسَاوِسِهِ — بِكُسْرِ الطَّاءِ وَالصَّوَابُ
خَطَرَاتٌ بِفَتْحِهَا .

ص ۱۹۶ :

كَأَنَّ الْقَصْدَ مِنْ إِحْدَا ثِ أَزْمَانِيَّ أَزْمَانِي
رَبَّمَا كَانَ الْأَوَّلَى (مِنْ أَحْدَاثِ أَزْمَانِيٍّ إِزْمَانِيٍّ) ، أَحْدَاثٌ جَمْعُ حَدَثٍ وَإِزْمَانِيٍّ
مصدر من أزمناه أصابه بعاة .

ص ۲۰۴ :

أَفِي كُلِّ مَدْرٍ مِنْكَ مَدْرٌ كَتَبِيَّةٌ وَفِي كُلِّ حَرْفٍ غَارَةٌ وَكَبِينٌ
وَلَعَلَّ الْأَوَّلَى (مَدْرٌ مِنْهُ) وَالضَّمِيرُ عَائِدٌ لِلْكِتَابِ .

ص ٢١٢ : طالما كثر الانصار يوم اليأس ، والصواب (يوم البأس) بالباء .
 ص ٢١٢ : والوصايا كثيرة والتقوى زمامها وإمامها ، إذا تقدم كل جماعة
 أمامها إمامها .

أرجع ان (امامها) الأولى بضم الأول بمعنى الجامع للخير ، (وكل)
 بالنصب على أنه مفعول لتقدم والفاعل (امامها) الثانية .

ص ٢٣٠ : سنة خمس عشر : (سنة خمس عشرة) .

ص ٢٣٩ : وتزوج بآخره : (وتزوج بأخرة) .

ص ٢٣٩ : ويكتب خطأ ردئاً : (ردئاً) .

ص ٢٤٣ : وسمع بقراءتي محمّد الشيخ علي بن المطار . ولعله (محمّد الشيخ
 علي ابن المطار) ، وعلى هنا حرف لا اسم .

ص ٢٤٧ : وتم تصنيف الأحكام : (وتمّ أو أتمّ) .

ص ٢٥١ :

أنتب ظهر الأرض ناشد صادق صديق فهل من منشد فيشأبا
 (فيشأبا) بالثاء .

ص ٢٥٣ : وله أصحاب ومريدين : (ومريدون) .

ص ٢٦٥ :

رويدك يا بدر التمام فأنني أرى العيش حمري والكواكب طلما
 ولعل الشطر : (أرى الشمس حمري والكواكب ظلما) بالظاء .

ص ٢٧٣ :

أم السماء أتاجتبا زواجرها أم محقق الروض قد أهدى لنازهره
 لعل الصواب (أباحتنا) .

ص ۲۷۶ :

والجد قل عابد الرحمن لا ألف من قبل باء وسكن بابه نصب
(وسكن باءه) فاذا حذفنا الألف من عابد الرحمن وسكننا الباء يخرج معنا
حاصل الضرب والطرح عبد الرحمن اسم جده .

ص ۲۷۹ : خرجنا بنتي مكة حجاجاً وعماراً

فلما بلغ الحيرة حادى جملي حاراً

فصادفنا بها ديراً ورهباناً وخماراً

هذه الايات الثلاثة أثبتت ثراً في حين كان ينبغي أن تثبت شعراً .

ص ۲۸۰ :

لا تياسن اذا حوت فضيلة من العلم من نيل المرام الا بعد
والصواب (في العلم) ليستقيم البيت .

ص ۲۹۲ :

ووجد أناخت بالبواد ركائب له حين زمت للحيب ركاب
والصواب (بالفؤاد) بالفاء ولعلها خطأ مطبعي .

ص ۲۹۲ :

وفكري وصبري ذاك تردد وصله وهذا له عني نوى وذهاب
ولعل الأولى (يزداد وصله) .

ص ۲۹۴ :

أبا مريم لولا حسين تطالعت عليك سهام من أخ غير قابل
ولعلها (تطلعت) بالقاف .

ص ۳۱۵ :

اذا كنت عند الجد في الجد عمدة ولا أنت عند الهزل تصلح للهزل
وأرجح أن تكون (فلا أنت عند الجد) .

ص ٣٢٣ : وكان شجاعاً جرئاً : (جريئاً) .

ص ٣٢٤ :

فكم أنت تنهى ولا تنهى وتسمع وعظاً ولا تسمع
فياجر الشحد حتى متى نسن الحديد ولا تقطع
وربما الأصح (ولا تسمع ولا تقطع) للبناء للمعلوم .

ص ٣٢٤ : ما هذه دار سلام : واعلمها (ما هذه دار إسلام) .

ص ٣٢٦ س ١٧ : الى أن حان الليل بينهم : والأولى (حال) باللام .
ص ٣٢٨ :

لا تقبل المدح ثم تعوقه فتنام والشعراء غير نيام
بشد يد الواو من تعوقه ، ولعل الصواب تعوقه بالتحفيف .
ص ٣٣٥ :

وان يوماً أراه فيه أحسبه أمر يوماً من الدنيا وأبركه
والصواب (أمر يوم) .
ص ٣٣٥ :

إذا جانب مقتدراً عليها كبائر ما جنت كف الائم
فلا نشتكري لمي فاني سأقدم في الحساب على كريم
وكتبت جانباً بضمير المخاطب وإنما هي بضمير المتكلم .

ص ٣٣٨ : مع حظ وافر من الأدب وحفظ الأشعار والطب ، والأقرب
أن تكون (والخطب) .

ص ٣٣٨ س ١٨ : وربما تغذى معه : والأقرب أن تكون تغذى
بالدال المهملة .

ص ۳۴۱ :

ولقد توسط فی الأرومة منزل وسطاً فصار موازياً للكوكب
(منزلاً) .

ص ۳۴۲ :

وان ترفعوا عنا بد الظلم تخبنوا لطاعتكم منا نصيباً . وخر
ولعل الصواب (تخبنوا لطاعتكم) و (نصيباً موفراً) بالفاء .

ص ۳۴۲ : أطعم طعاماً فمات منه مبطوناً بالحضرة سنة أربع عشرة وأربع مائة
مشرقاً على الستين واتهم به جماعة ممن كان هجاء . والصواب (ممن كان هجاء)
والترجمة واردة بالحرف الواحد في نكت الحميان .

ص ۳۴۳ : قال علي يوماً لفاطمة وهي تبكي لم تبكين أخذت منك قدك ؟ :
والصواب قدك بالفاء لا قدك بمعنى انتهى .

ص ۳۵۲ س ۱۴ : وجاوز بمكة سنين عديدة . (وجار) وهي من
خطأ الطبع .

ص ۳۶۳ :

افصر فقد صحت ثانة أهله ومن الثغور كما علمت الانجر
وصوابها (الانجر) بالخاء .

ص ۳۶۸ :

يا أيها الملك المنصور قد كسرت جنودك المقل كسر ماله جبر
(كسراً) .

رشدی الحکیم



العنوان في ضبط مواليد ووفيات أهل الزمان لمؤرخ دمشق النعيمي

عني عبد القادر بن محمد بن عمر بن محمد النعيمي الدمشقي (المتوفى سنة ٩٢٧ هـ) بالحديث والتاريخ ، فلقبه معاصروه بمؤرخ دمشق ، وبشيخ السنّة النبوية بها ^(١) . اشتهر بكتابه «تفنيه الطالب» الذي ذكر فيه ما كان بدمشق من المدارس والزوايا والربط والمساجد ^(٢) . وهو كتاب نادر ، لا نجد بين أيدينا اليوم مثله عن العواصم العربية الأخرى .

خلف النعيمي آثاراً في التاريخ فقدت . وقد عثرنا له أخيراً ، في الخزانة التيمورية بالقاهرة ، على كتاب اسمه «العنوان في ضبط مواليد ووفيات أهل الزمان» فرأينا أن نعرف به ها هنا .

يترجم النعيمي في كتابه هذا لعدد كبير من العلماء الذين أدرّكهم في دمشق ومصر ، في القرن التاسع وأوائل القرن العاشر الهجريين . وقد بدأ كتابه بقوله : «وبعد ، فهذه الورقات سميتها العنوان في ضبط مواليد ووفيات أهل الزمان . نذكرهم على وجه الاختصار . ومن أراد بسط ذلك فعليه بكتابي «التبيين» في تراجم العلماء والصالحين» ، وبكتابي «تذكرة الإخوان بحوادث الزمان» .

(١) انظر منه كتابنا : المؤرخون الدمشقيون وآثارهم المخطوطة ، والمصادر المذكورة فيه - وكذلك مقدمتنا لكتاب فضاء دمشق لابن طولون .
(٢) طبع بتحقيق الأمير جعفر الحني باسم «المدارس في تاريخ المدارس» . صدر في دمشق عام ١٩٤٩ و ١٩٥١ (مطبوعات المجمع العلمي العربي) .

رتَّب النعيمي التراجم على طبقات فقال :

«وأنا أرتب مَنْ أدركتُ على ثلاث طبقات :

«الأولى : فمَنْ أخذتُ عنه علماً ، أو رويتُ عنه شيئاً ، إجازةً ،

«أو إذناً ، أو حضوراً ، أو سماعاً ، أو قراءةً ، أو نحو ذلك .

«الثانية : في الأصحاب والأقران .

«الثالثة : في الاتِّباع .»

فيكون الرجال المترجم لهم من الذين عاشوا في النصف الثاني من القرن التاسع والرابع الأول من القرن العاشر .

وقد رتب النعيمي هذه التراجم حسب مولدها . قال : «وأنا أرتبهم على حسب موالدهم .» ولكن يبدو أن هذا الترتيب كان في مسودة المصنف ، ثم بدَّله بعض الطلبة . يقول النعيمي :

«وقد استعارها مني بعض فضلاء الطلبة المصريين ، فرتبهم على حروف المعجم ، فقدم المؤخَّر وأخَّرَ المقدم ، على حسب ما أراد . ولا قوة إلا بالله .» وقوله : لا قوة إلا بالله ، يُشعر بأنه غير راضٍ عما فعله الطلبة المصريون . ثم وقعت هذه النسخة لابن المؤلف يحيى . فذيل على أيه بخطه قائلاً : «بقول كاتبه العبد الفقير إلى الله تعالى أبو زكريا يحيى ابن المؤلف ، مؤلف هذا الكتاب المسمَّى ذلك بالعنوان في ضبط مواليد ووفيات أهل الزمان ، جمع والد كاتبه هو سيدنا ومولانا العبد الفقير إلى الله تعالى الشيخ الإمام العلامة العمدة»

«استخزرتُ الله تعالى بأن ألحق بهذا المؤلف مواليد جماعة من الصالحين والفضلاء الذين انتشروا (كذا) في هذا الزمان وغيره»

وقد صارت هذه النسخة المخطوطة الى أحمد رافع الطهطاوي . وكأنه
 وقع على مسودة المصنف نفسه ، فعارض النسخة بها وصححها ، وبه في
 الحواشي على أخطاء كثيرة وردت في النص .
 وما نحن أولاء نقدم أنموذجين من ترجمات النعيمي ، وملاحظات
 الطهطاوي .

- ١ -

« ومنهم قاضي القضاة حافظ العصر شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي
 ابن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن سَجَر ، وبه اشتهر ، ابن أحمد ،
 العسقلاني الأصل ، المصري ، الشافعي .

« مولده بمصر العتيقة . وميلاده ثالث عشرين شعبان سنة ثلاث وسبعين
 وسميع مئة . وأول سماعه الحديث كان بمكة سنة خمس وثمان مئة . وتوفي
 ليلة السبت ثامن عشر ذي الحجة سنة اثنتين وخمسين وثمان مئة بالقاهرة .
 وقد ذكرت له ترجمة بخطي في كراسين بأول شرحه فتح الباري .

(حاشية بخط الطهطاوي : قوله سنة خمس وثمان مئة صوابه خمس وثمانين
 وسميع مئة . وكان عمره إذ ذاك اثني عشرة سنة . ذكره الحافظ ابن حجر
 نفسه في المجموع المؤسس^(١) . كتبه أحمد بن رافع الطهطاوي الحنفي
 عني عنه .)

(١) يعني المجموع المؤسس للمعجم المهرس الذي جمع فيه أسامي شيوخه وهو ما يزال
 مخطوطاً . انظر فهرس المخطوطات المصورة . التاريخ ١ : ٢٣٠ .

- ٢ -

« ومنهم العلامة قاضي القضاة المالكية بدمشق علم الدين وبُقَال انير (كذا)
الدين ، أبو النجا سالم بن ابراهيم بن عيسى الصنهاجي المغربي ^(١) .
« ميلاده سنة سبع وأربعين وسبع مئة . وتولى [قضاء] قضاء المالكية
بدمشق في سنة ثلاث وأربعين وثمان مئة . وتوفي بالمدرسة الشراييشية ^(٢)
قبلي الأسدية ، داخل دمشق ، في تاسع صفر سنة ثلاث وسبعين وثمان مئة ،
ودُفِن من جانب (كذا) الشمالي من مقبرة الحمديّة ^(٣) (كذا) .
(حاشية بخط الطهطاوي : الذي بخط المؤلف : وبُقَال زين الدين .
كتبه أحمد رافع عني عنه) .

★ ★ ★

والمخطوط في ٦٠ صفحة . ومن نحو ٦١ يبدأ ذيل ابن المؤلف وينتهي في
ص ٦٥ . وقد وقفه أحمد بن اسماعيل بن محمد تيمور . ورقمه في التيمورية
٢١٩٣ تاريخ . والكتاب يكمل النصوص التي بين أيدينا عن تراجم
رجال القرن التاسع والقرن العاشر ، كالضوء للسخاوي ، والكواكب للغزي ،
وتراجم الأعيان للبوري ، وذخائر القصر لابن طولون ، وغيرها .

صلاح الدين المنجد

مخطوط

- (١) انظر : قضاء دمشق لابن طولون (من تحقيقنا) رقم ٢٠٠ . وهذه الترجمة
تكمل ما ذكره ابن طولون .
(٢) انظر عنها الدارس قنبي ٢ : ٧ .
(٣) صوابها « الحمريّة » . عرفت كذلك في الدارن التاسع ، وهي مقبرة الحميريين .
انظر منها كتابنا خطط دمشق ص ١٢٦ : وقاربخ دمشق ، المجلد الثانية
(تحقيقنا) ص ٩١ ، ١٤٤ .

فهرس الجزء الأول من المجلد الرابع والثلاثين

صفحة	
٣	قصيدة منصور النعمري في الرشيد . . . للأستاذ خليل مردم بك . . .
١٤	أسماء للشهور في العربية للأمير مصطفى الشهابي . . .
٢٠	الملاقات الجوهرية بين اللقيتين العربية والارامية { للطهران غريغوريوس بولس بهنام «الدرامية» (٣) }
٣٥	مهرجان أحد شوقي للدكتور سامي الدهان . . .
٤٢	شاعر العرب للأستاذ شليق جبيري . . .
٤٨	الوصف والنزل في شعر شوقي للدكتور سامي الدهان . . .
٦٦	نثر شوقي للدكتور شكري فيصل . . .
٨٨	معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات للدكتور حسني صبح . . .
١٠٠	مختارات مما لم ينشر من شعر البحتري (١) للدكتور صالح الأشر . . .
١١٢	كتاب النفس لابن باجة الأندلسي (٥) للدكتور محمد صفيح حسن المعصومي

التعريف والنقد

١٢٧	ديوان ابن الجياط للدكتور سامي الدهان . . .
١٣٣	الثقافة الإسلامية في الهند { للأستاذ محمد بهجة البيطار . . .
١٣٨	ديوان السيد موسى الطالقاني }

آراء وأنباء

١٤٥	أعضاء المجمع الطبي العربي في سنة ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٩ م
١٤٥	الأعضاء الساملون
١٤٥	الأعضاء المراسلون
١٤٧	الأعضاء الراحلون
١٥٠	انتخاب عضو جديد
١٥١	كلمة الدكتور جبل صليبا في جلسة استقبال الدكتور محمد كامل عياد عضواً عاملاً . . .
١٦٥	كلمة الدكتور محمد كامل عياد
١٩٢	الإصاح عن آيات مشكلة الإيضاح للفارسي للأستاذ عبد العزيز الميمني . . .
١٩٦	مستدرك على تصويبات في الوافي بالوفيات للأستاذ حسن حسني عبد الوهاب . . .
١٩٨	ملاحظات على الجزء الثالث من كتاب الوافي { للأستاذ رشدي الحكيم . . .
	بالوفيات (٢) }
٢٠٤	النوران في ضبط مواليذ ووفيات أهل الزمان للدكتور صلاح الدين المنجد . . .

مجلة المجمع العلمي العربي

١ نيسان سنة ١٩٥٩ م

٢٣ شهر رمضان سنة ١٣٧٨ هـ

سخرية الشدياق

كنت كلما أقلب النظر في صور رجالات العصر الحديث أحبس هذا النظر على صورة أولعت بها الولع كله ، أرى طربوشاً حميداً منحدرّاً الى الأذنين كأنه يقطينة على رأس صاحبه وعينين ان لم تكونا مثل حبتين من حمص ذابل فانهما مثل جوزتين خضراوين ناضرتين يشيع الخبث فيهما وأرى لحية قد بعثت شعراتها على الخدين ومن تحتها عقدة ملتفة من العنق الى الصدر يحسبها الانسان لأول وهلة ضفدعاً على منضدة التشریح أرى هذا كله وأرى وقفة تشبه وقفة الأسد فأقول : على أي شيء تنطوي هذه الصورة ، وأنا غير مطلع على علم الهيئة !

صاحب الصورة أحمد فارس الشدياق .

طلع القرن التاسع عشر فطلعت فيه عبقرية لا أبالغ اذا قلت انها أعظم عبقرية نشأت في تلك الأيام واذا كان المجال لا يتسع للكلام على هذه العبقرية من مجامع نواحيها فاني أرجو أن يتسع للكلام على ناحية واحدة منها انفرديها صاحبها وهي السخرية .

غير أني لا أستطيع التبسط في هذه السخرية والاشارة الى مختلف مظاهرها إلا اذا أوجزت في الإشارة الى العصر الذي عاش فيه الشدياق لأن بين أوضاع ذلك العصر وبين سخرية الشدياق نسبةً مستحكمة الأواصر ، لقد هدم وبني ولكنه لم يستخدم في بنيانه إلا السخرية وحدها ، ثار ثورة على عصره إن لم تنفجر فيها الدماء فقد انفجر فيها شيء أروع من سفك الدماء ، انفجرت فيها سخرية كان وقعها في الأفهام أشد من وقع السهام في الأجسام .



راقب الشدياق عصره في أكثر جوانبه ، فلم يغفل عن شيء مما كان يجري في ذلك العصر ، لقد تولى في كتابه : الساق على الساق تدوين سيرته ولكن قد يتخلل هذا التدوين استطراد الى ذكر أمور تتصل بعصره مثل أمور الرهبان والكتاتيب والحكام والأمراء والأغنياء والنساء والحياة الاجتماعية ومعاملة الترك للشعب وبعض الطوائف والأديان أو ذكر أمور فنية كالشعر والموسيقى وغيرهما ، واذا ما قابلنا بين العصر الذي عاش فيه الشدياق وبين العصر الذي نعيش فيه استطعنا أن ندرك هذا الإسراع الذي تسرعه حياتنا الى السكال ، فلولا الشدياق وأمثاله من أصحاب العيون الثاقبة والأذهان النافذة لما كدنا نخيط بتلك الظلمات غير البعيدة عنا ونقابل بينها وبين هذا الضياء الساطع في حياة أبنائنا .

راقب الشدياق الرهبان في أديارهم وقد كان سبب هذه المراقبة اضطهاد الموارنة لأخيه أسعد الذي كان يحبه حباً جماً ، تتبع زلاتهم وبحث عن خفايا أمورهم وكشف الغطاء عن سيرتهم فلم يجد في الأديار إلا جهالة جهلاء وضلالة عمياء .

ثم رجال الدين على نحو ما قال لنا أن يتعلموا بعض قواعد في الفنين العربية والسريانية ليجرد العلم بها فقط من دون فائدة إذ لم يعلم الى الآن أن أحداً منهم ترجم كتاباً أو كراسة مفيدة في هاتين اللغتين ولا أن البطرك

أمر بطبع كتاب فيها وإنما كان بنفق دخله على الولاة والمآدب التي يهبوها
لزواره وأمراء الجبل ومشايخه .

إلا أنه لم يقتصر على التنديد بجهل الرهبان وإنما ندد بعفتهم فجاء في هذا
الباب مجالاً لا حاجة بنا إلى الدخول في تفاصيله .

خرج الشدياق من الأديار فضرب بعينه في الكتائب فرأى المعلمين في
كتائب الجبل لم يطالعوا مدة حياتهم كلها سوى كتاب الزبور وهو الذي
يتعلمه الأولاد هناك لا غير من دون أن يفهموه بل فهم معانيه على ما وضعه
الشدياق محظور ولماذا هذه الأساليب السقيمة في التعليم لقد شرح لنا ذلك فقال :
« والظاهر أن سادتنا رؤساء الدين والدنيا لا يريدون لرعييتهم المساكين
أن يتفقهوا بل يحاولون ما أمكن أن يغادروهم متسكمين في مهامه الجهل والغباء » .
غادر الأديار والكتائب فدخل السرايا فرأى أن الحكام لا يقلدون الوظائف
إلا ناساً جملاء وهذه هي الصورة التي خلفها لنا في هذا المعنى :

« لم يكن حاكم البلاد يستخدم من الكتاب إلا من بذات العين خطه
وعاف الذوق السليم كلامه اشعاراً بأن الحظ لا يتوقف على الخط وإن إدارة
الأحكام لا تنفقر إلى تهذيب الكلام وإن كثيراً قد نالوا المراتب السامية
والمناصب السنية وهم لا يحسنون توقيع اسمهم الشريف » .

أديار تكاد الحياة تكون فيها فسحة ، وكتائب تعلم القراءة من غير فهم
المعاني وحكام يتقلبون في الجهل فكيف لا ينشأ عن حالات مثل هذه الحالات
ظلم واستبداد فإذا تعدى أحد الناس على أحد وفر من القصاص أخذ بذنبه
على نحو ما رواه الشدياق أحد أهله أو جيرانه أو ماشيته أو ماعونه وقطع شجرة
وأحرق منزله .

وكانت للحكام حالة خاصة في الاستعلاء فإذا سأل الأمير أحد الناس

عن شيء وتلثم في الجواب أو تروى فيه صب آباءه وأجداده ولعنه وتهذبه بالصلب أو بسمل عينيه .

تغلغل الشدياق بعد هذا كله في طبقات الشعب فوجد أن الأغنياء لا يسافرون ولا يختبرون أحوال الأمم وعاداتهم وأطوارهم وأخلاقهم ومذاهبهم وسياساتهم ووجد أن المرأة أمية في عزلته عن المجتمع لا تعاشر أحداً سوى الخوادم وأهل البيت فكانت تحصل معارفها كلها من الخوادم لا غير .

إلا أنه رأى في المرأة طبائع حسنة فصورها على هذا الوجه :

« من طبع هؤلاء المخلوقات المباركات سلامة النية وصفاء العقيدة والتقرب الى الرجال لا عن فجور قترى المرأة منهن متزوجة كانت أو ثيبه تجلس الى جانب الرجل وتأخذ بيده وتلقي يدها على كتفه وتسند رأسها على صدره وتبسم له وتوأنسه في الحديث وتحننه ببعض ما اتصل اليه يدها . كل ذلك عن صفاء نية وخلص مودة وأحسن ما يرى فيهن البلاهة فانها في النساء خير من الفكر والدهاء » .

لقد أمعن الشدياق في تصوير المرأة في عصره تتبعها في كل شيء ، في محاسنها وأحاديثها وهو مولع بالمقابلات بين نساء ونساء وبين ثياب وثياب ، دخل دمشق فوصف نساءها فقال :

« فأما نساء المسلمين فقد ظهر لي في بادئ الرأي أنهن أجمل من نساء النصارى كما أن الرجال من المسلمين أجمل من النصارى وأفصح لهجة وكذا هم في سائر البلاد الإسلامية ولون النساء عموماً البياض المشرب بالحمرة والغالب طين الطول والشطاط غير أن هذا الإزار الأبيض التي ينزرن به عند خروجهن من ديارهن لا يحلو للعين كبر نساء مصر وكلاهما مخف لمحاسن القدر ولعنن بلبسن ذلك عمداً لتأمن الرجال ففتنن فلن الشكر عليه ! » .

ولم يكتف بوصف أمة المرأة وطبائعها وهيئتها في عصره وإنما دخل عليها الدور والمنازل فرأى كيف تأكل وكيف تجلس وحسبنا أن نعرف أن النساء كنّ يقعدن على الأرض وهي عادة ألفنها ولا يرين فيها عيباً وأكثرهن تبدي نديها .

وإذا فرغ من مراقبة المرأة في جلستها وأكلها انصرف الى مراقبة الأمراء فقال فيهم : « انهم يقعدون على الحصير وعند النوم يرقدون فوقه على فراش واحد وربما اجتزأوا بالبيض والأرز واللبن عن الحمام والفراخ والدجاج من دون شراب ولا فاكهة ولا ثقل وأرجلهم ظاهرة فاذا قعدوا على الحصير خلموا نعالهم بالقرب منه فتبقى برأى منهم وتوى بعض خدمهم يقوم على رؤسهم أي بازائها لا فوقها وفي حزامه المعلقة وآخر في جيبه الطاس من فضة إشارة الى غنى الأمير والى كونه أحد الناس غير مستغن عن اللعق والشرب وهو قاعد مطرق لا كتاب عنده فيطالعه ولا سمير له فيسامره ولا آلة طو تطربه وهو يقضي ساعات من النهار هكذا بل يوماً وأياماً ولا يرى من امرأة أصلاً » .

لم يغفل الشدياق عن ناحية من نواحي عصره في وطنه ولما ذهب الى مصر عاد الى دأبه من المراقبة والتتبع كان للترك في مصر ملطة . كان لهم سطوة على العرب وتجبّر وصفها الشدياق فقال : « حتى ان العربي لا يحل له أن ينظر الى وجه تركي كما لا يحل له أن ينظر الى حرم غيره وإذا اتفق في نواذر الدهر ان تركياً وعربياً تمشيا أخذ العربي بالسنة المفروضة وهي أن يمشي عن يسار التركي محتشماً خاشعاً فاذا عطس التركي قال له العربي : رحمك الله ! وإذا تنحنع قال : حرمك الله ! وإذا منحنى قال : وقاك الله ! وإذا عثر عثر الآخر معه اجلالاً له فقال : نعتك الله لانعشنا ! »

هذه طائفة يسيرة من أوضاع عصر الشدياق ظلمات بعضها فوق بعض ،

ظلمات في الأدبار والكاتب ظلمات في حياة الرجل والمرأة ظلمات في الحكم والسياسة ظلمات في الحياة الاجتماعية مجذافيرها . . . لقد ثار الشدياق على هذا كله ولكن ما هو المسلك الذي سلكه في ثورته . هذا هو موضوع حديثنا .

*
**

إذا كانت السخرية في قديم الدهر طريقة بسيطة من طرق المناظرة لجأ إليها سقراط فنسب إليها اسمه فقد أصبحت يومنا هذا طريقة من الطرائق التي نتقي بها العواطف العنيفة وندفع بها عن أنفسنا الأهواء العقيمة فنحن نخاف أن نألم ، نخاف أن نتلف ، نخاف أن يزعجوننا في عاداتنا وهدوئنا فنسخر بدلاً من أن يكدرنا مكدر ، فنضع بهذه السخرية كل أمر من أمور الناس في نصابه ونعلمهم كيف نحكم على سيرتهم ، أننا لا نجراً على أن نجرح الناس جرحاً مكشوفاً ولكننا نقصد إلى أساليب ثانية من هذه الأساليب : السخرية .

هذه خلاصة ما قاله أحد رجال الأكاديمية في باريس ، ولقد لجأ الشدياق إلى هذه الأساليب التي لا تجرح جرحاً مكشوفاً ، بقول فولتير : إذا أردت القضاء على خصمك فاجعله 'هزأه' ، لقد جعل الشدياق عصره كله هزأه أرادته منه أن يهدمه ويبنى بدلاً منه عصرًا كاملاً من كل الوجوه .

لم يكن الشدياق من طبقة الكتاب الذين يراقبون عصورهم فيشهدون مفاصلها وما اختل من أوضاعها فيقتصرون على تهميم ما عوج من هذه الأوضاع دون التفكير في شيء من تقويم الاعوجاج والتنبية على ما فيه صلاح المجتمع ، وقعت عينه على مساوي عصره بأجمعها فاستعمل كل ما أتاه الله من مواهب السخرية والأدب والعقل في إصلاح الدين وتقويض ما أحاط به من حياة فسحة في الأديار وجهل مستفيض في الرهبان والشعب والحكام والأمراء والشيوخ وفساد في العادات والتقاليد والآداب وقسادة في معاملة الولاة للرعية واستبداد

بأمور السياسة وزهد في الفنون اللطيفة وجمود في بعض مذاهب الأدب وفي غير هذا كله من أمور الحياة ، لقد ثار على كل مفاسد عصره ولكنه لم يفكر في لفظ من ألفاظه ولا في جملة من جملة ولا في فصل من فصوله في الاغراء بسفك الدماء . لقد كانت ثورته هادئة هدوء نسيم الفجر ، صافية صفاء الينابيع ، آلمه خصام الناس وخلافهم وعداؤهم فدعاهم الى ضروب من الأخلاق لا خصام فيها ولا خلاف ولا عدا ، دعاهم الى بناء الأخلاق على العلم فقال :

« ما بال علماء الرياضة والمهندسة والتنجيم لا يختلفون في أدلتهم وان اختلفوا لم يشبوا ناراً لتحقيق نجاتهم » .

ثار على الرهبان ثورة شديدة ، ثار على جهلهم ، ولكن كيف كان يسخر بهذا الجمل ، كان يلجأ الى طريقة خبيثة في الدلالة عليه تشبه طريقة الجاحظ في القديم فهو يورد النكتة الناطقة عن جهل الرهبان دون ذكر هذا الجمل .
أعمل فكره وهو في دير من الأديار في نظم بيتين في العدس فالتبست عليه لفظة فقام في طلب القاموس فطرق باب جاره وكان من المتحمسين في الدين فقال له : هل عندك ياسيدي القاموس ، قال : ما عندنا بالدير جاموس بل ثيران ، فطرق باب آخر وكان أشد منه خشونة فقال له : هل لك في أن تعيرني القاموس ساعة قال : اصبر عليّ الى نصف الليل فان الكابوس لا يأتيني إلا في هذا الوقت ، ففضي الى غيره وأعاد عليه السؤال فقال له : أي شيء هو هذا القاموس يا ماعوص !

وهكذا سخر بجهل رجال الأديار دون شيء من الشتم والقذف وقد أعانه على هذا تبخره في اللغة ووقوفه على غرائب الألفاظ التي تنفخ روحاً في النكتة في بعض الأوقات .

وكما هنأ بجهل الرهبان فكذلك هنأ بالأصحاء والحكام ، أراد أن يصور

استعلاهم وبعدهم عن طبقات الشعب فقال : ان الأمير في ذلك العصر لا يرى منه إلا قذاله من بعد ولا يتاح لكل واحد تقبيل يده الشريفة .

وقد أضاف الى هذه الصورة صورة أخرى فقال :

واتفق أن زارني في صباح ذلك اليوم بعض الأمراء الذين ينبغي أن يقال

لما أثبتوه : نعم ، في موضع لا ، ولما نفوه : لا ، في موضع نعم .

هكذا كانت عقول أمراء الجبل في عصر الشدياق واذا كان الناس على دين ملوكهم فقد كان كتاب الأمراء على دين الأمراء أنفسهم ، سأل الشدياق أحدهم مرة مسألة تتصل بخير الحياة وشرها ، بلذتها وألمها فصلها ابن حزم في بعض كتبه فقال كاتب الأمير : ان سعادتي في الكون هي أن أرضى عن أميري وبرضى عني ، وشقاوتي هي أن أغضب منه وبغضب مني وقد نسبت كل ما جرى علي من الغضب الكثرة المشادة والمقتضى فان صبرت علي في المسانف شهراً لا قيد في دفترتي ما ألقاه منه حلواً ومرراً ، ونفعاً وضراً أفدتك الجواب !

ولا شك في أن هذا النمط من الكتاب أشد موافقة لهذا النمط من الأمراء . ولقد كانت سخريته بالناس الذين كانوا يزهدون في تعليم المرأة مثل سخريته بالربان والأمراء وكتائبهم ، لماذا زهد الناس في هذا التعليم ، لأنهم على نحو ما قال الشدياق يزعمون ان علم القراءة مفسدة للنساء وان المرأة أول ما تستطيع ضم حرف الى حرف تجعل منها كتاباً الى عاشقها .

فهل من كلام أبلغ في السخرية من قوله : ضم حرف الى حرف أو قوله : تجعل منها كتاباً الى عاشقها ، في سطر واحد صور جهل عصره بجذائيره وصب سخريته على هذا الجبل .

انتقل من السخرية بالزهد في تعليم المرأة الى السخرية بالزهد في الفنون اللطيفة ، كان أهل عصره يعتقدون على نحو ما قال ان صنعة الألحان والعزف

بالملاهي بنسم صاحبها بالشين لما في ذلك من التطريب والتصبي والنشويق والقوم
يحذرون من كل ما يلدّ الحواس. ولذلك لا يشاؤون أن يتعلموا الغناء والعزف
باحدى آلات الطرب أو يستعملوها في معابدهم وصلواتهم كما تفعل مشايخ الافرنجة
خشية أن يفضي بهم ذلك الى الالحاد .

غادر هذه الطبقات وتغلغل في المجتمع فرقت عينه على الأطباء والأطباء
لم يسلموا من شرّ الأدباء لافي القديم ولا في الحديث قال الشدياق فيهم :
فاني أرى هؤلاء الأطباء يعالجون الأمراض بالخرص والتخمين فما يهتدون
الى العلة والمعلول الا بعد أن تبلغ الروح الحلقوم فيجربون صرّة دواء وصرّة
أخرى غيره ثم يخلص رأيه فيهم في قوله :
غير أن الطبيب رسول عنزرائيل منعي من الحركة .

فما أظن أن الهجاء الشديد يعدل قوله : رسول عنزرائيل !
وهل كانت الشدياق رؤفا بأصحاب الجنس الأنيس ، رفيقا بالقوارير ،
أراد أن يظهر طبيعة من طبائع النساء ، ما هي هذه الطبيعة ، ولعنّ بالشقاء
والمدح فهو يعرف أنهم يجملن القراءة وعلى الرغم من هذه المعرفة قال فيهن :
لا شيء يصعب على فهمنّ مما يؤول الى ذكر الوصال والحب والغرام فهنّ
يستوعبنه ويتلقفنه من دون تلعثم ولا قصور وحسي أن يبلغ مسامعنّ قولـ
القائل : ان فلانا قد ألف في النساء كتابا فضلمن به على سائر المخلوقات فقال :
أنهنّ زخرف الكون ونعيم الدنيا وزُهاها وغبطة الحياة ومناها وسرور النفس
ومشتهاها . . . فاذا قدّر الله بلوغ هذا الخبير المطرب سماع احدى سيداتي
هؤلاء الجميلات وسرّت به وفرحت ورفعت وصرحت رجوت منها وأنا باسط
بد الضراعة ان تبلغه أيضا مسامع جاريتها وأملت من هذه أيضا أن تطالع به
صاحبها حتى لا يمضي أسبوع واحد إلا ويكون خبر الكتاب قد ذاع في
المدينة كلها .

بهذا النوع من السخرية البارعة شهر الشدياق ناحية من نواحي النساء .
وكثيراً ما كان يجري على أصول الجاحظ في سخريته ببعض المعتقدات فني
فصل من الفصول استفاضت طائفة من الأفكار تتعلق بالحياة وفلسفتها فنقل
شيئاً مما يتناظر فيه الناس ويتجادلون ، من ذلك قوله :

فقال بعض : ألا ان درجات السماء مائة وخمس فقال غيره : ألا انها مائة
وأربع فقال آخر : لقد كذبتا واستوجبنا قطع اللسان وسمل العينين وصل
الأنفيتين : انما هي مائة وست !

ان اثبات أمثال هذه المجادلات والمناظرات على هذا الشكل لا يخلو من
سخريه خبيثة ، فهو لا يتمرّض لها ولا ينقدها أو يناظر فيها وانما يقتصر على
ذكرها دون ابداء الرأي فيها ويترك للقارىء الحريه في الحكم عليها .
واخلاصة لم يترك الشدياق أحداً في عصره حتى ان الأدباء والشعراء
والمنشئين لم ينجوا من سخريته كما لم تنج منها بعض عناصر الثقافة وفي مقدمتها
النحو . روى كلاماً على لسان بعض الأسماء يوصل بتطويل أبواب النحو وأظنه
هو صاحب هذا الكلام قال : قد طالما كان يخامرني الرب في قضية خلود
النفس فكنت أميل الى ما قاله الفلاسفة من أنه كل ما كان له ابتداء فهو متناه
فلما رأيت النحو له ابتداء وليس له انتهاء قست النفس عليه فزال عني والحمد لله
ذلك الإيهام !

أما في باب السياسة القومية فقد لجأ الى تحريك العرب بشكل من السخرية
بهمز الجهاد قال : وقد سمعت ان الترك هنا ، أي في الاسكندرية ، عقدوا
مجلس شورى استقر رأيهم فيه لدى المذاكرة على أن يتخذوا لهم مركباً وطيفاً
من ظهور العرب فانهم جربوا مروج الخيل وبراذع الجمال وأكفها وأقناب
الابل وبواصرها وحصرها وصائر أنواع الحامل فوجدوها كلها لا تصلح لهم . . .

وما أظن أن كلاماً يستفزّ العزائم أقوى من هذا الكلام ثم استمرّ في هذا النحو من السخرية فقال :

ولم أدر ما سبب تكبر هؤلاء الترك على العرب مع أن النبي (ﷺ) كان عربياً والقرآن أنزل باللسان العربي والأئمة والخلفاء الراشدين والعلماء كانوا كلهم عرباً غير أني أظن أن أكثر الترك يجهل ذلك فيحسبون أن النبي (ﷺ) كان يقول : شوبله ! بويله ! أو : بقالم ! بقالم ! لا والله ما كان هذا لسان النبي ولا لسان الصحابة والتابعين والأئمة الراشدين ، رضي الله عنهم أجمعين الى يوم الدين • آمين ! آمين ! وبعده آمين !

خلق الشدياق خفيف الروح والظل ومن نظر الى صورته في شيخوخته فلا بدّ له من أن يرى في تضاعيفها شيئاً من هذه الخفة على أنه لم ينشأ في صدر حياته على النعيم والترف وإنما ذاق كثيراً من مرارة الحياة قبل أن يصل الى حلاوتها ونضارتها فقد كان على نحو ما قال 'بكب' على النسخ وفي طلعتة مبادي' المسخ فكان 'يرى غائر العينين ذاوي اليدين ناني' عظم الخدين زاني' الجلد كالظل حتى كان يرثي لحاله وأظن أن خشونة حياته مرراً كبيراً في سخريته إلا أن مزاجه غلب على مصاعب الحياة وكان مرح نفسه أقوى من كآبتها فما كانت تمرّ به فرصة دون اغتنامها للتخفيف من كربه ومن يدري فقد تكون شدة الحياة على بعض النفوس باعثاً لها على النشاط والضحك والاصحاح نشأ كما مرّ بنا في عصر ظلماته بعضها فوق بعض فاستعان على الخروج من هذه الظلمات وعلى إخراج أهل عصره منها بالسخرية فهو لم يشبه أولئك الكتاب الذين تسودّ الدنيا في عيونهم فيسودّونها في عيون الناس • انه على الرغم من كل ما عاناه في أوّل حياته ضحكك للدنيا وما زال يضحك لها حتى ضحكك له فصار في اكتماله الى النعيم وأورثنا بفضل مزاجه المرح الضاحك الساخر ميراثاً من الأدب يظلّ خالداً على مرّ السنين • •

ولم يقتصر على السخرية بمجتمعهم وحده وإنما رحل إلى مالطة وإلى بلاد الانكليز فأفرغ مخبرته على كل ما انحرف عن سواء السبيل في كل أمر من أمور الحياة فقد أصبحت السخرية ملكته الغالبة وسلطانه القاهر . تتبع أهل مالطة في كل شيء ، تتبعهم في طبيعة بلادهم وتحدثهم في طائفة من معتقداتهم وعاداتهم في الزواج وآدابهم في الأكل والمحادثات وتقرعن بلادة عقولهم وعن ضيق لغتهم وعن تقاليدهم ولم ينج من قلمه البغايا أنفسهم .

سخر بآدابهم في الأكل فقال : وإذا دعوت أحداً منهم إلى مأدبة لم يكن منه في خلال التهامه ما بين يديه إلاّ البناء على نفسه بأنه قليل الأكل . ولكنني أرى أن كل أنواع السخرية بأهل مالطة في كيفة وات النوع الآتي من السخرية بالبغايا في كيفة وحدها ، قال فيمن :

« وحين يأتين الفاحشة يغطين وجوه صور القديسين التي في حجرهن ويقبلنها تأديباً وتورعاً .

ما أطبعه على روح السخرية ، أيّ تأديب أم أيّ تورع في مقام مثل هذا المقام ؟

ولما ذهب الشدياق إلى بلاد الانكليز اتسعت آفاق مخبرته راقبهم في حركاتهم وسكناتهم ، سخر بالأساقفة كما سخر بالشرفاء ، فرغ من هذه الطبقة فأنصرف إلى جامعات الانكليز فلم يسلم المستشرقون وطلاب الجامعة من تهكمه كما لم يسلم من هذا التهمك كتاب العكوك في انكثرة ولم يعف عن النساء في بعض الأوقات .

بعد هذا كله التفت إلى مجتمعات الانكليز فاستهزأ ببعض آدابهم في المآدب وبعض عاداتهم وسخر بما آكلهم وطبخهم ودخل دورهم فسخر بمعاملة صيدات الدور للخوادم خرج من الدور فراقب الانكليز في طوعم وحظهم ومراكبهم فلم يوفر

لم أذواقهم في هذا اللهو وهذا الحظ وهذه المراكب ثم حرف نظره الى هيات الانكليز فسخر بهذه الهيات ويعض ثياب اصحابها كما سخر بيلادة الانكليز وطبائعهم وتحياتهم واجتماعاتهم ومعتقداتهم ومعاملاتهم الرسمية .

واذا تعذر الاستقصاء في أنواع هذه السخرية كلها فلا أقل من الإشارة الى بعضها .

مساكين هؤلاء الرهبان الذين وقفوا في لسانه ، كان يتكلم على الاساقفة في قرى الانكليز وعلى منزلتهم في الناس فقابل بين ترفهم ونعيمهم وبين حضم للناس على التقشف فقال :

وربما بلغ دخل أحدهم ألف ليرة فترى له أحسن الديار وعنده خدمة وعاجلة فاخرة وخادم يسوقها وعلى يربطته شريطة من ذهب كخدمة الاسراء ثم اذا صعد المنبر وعظ المساكين المحتاجين الى القوت الضروري بالزهد في الدنيا وتجنب شهواتها ! . . .

أي مقابلة أبلغ من المقابلة بين ترف هذا الأسقف في حياته وبين دعوة الناس الى الخشونة . . .

أما طبقة الشرفاء في بلاد الانكليز فكانت سخريته بسخافاتهم فهي اذا خلت من الأذى فانها لا تخلو من الإضحاك ، وهذه هي مراسم زيارتهم .

« وينبغي لمن أكرمه الله عز وجل بزيارة أحد هؤلاء الأجداد والماجدان ألا يذهب إلا في وقت الزيارة المعلوم وهو بعد الضحى وأن يكون مجملًا باللباس الفاخر نظيف الثياب حلقًا شاربية مرجلًا شعر رأسه باردًا أظافيره ماسحًا نعليه ساترًا كنفه بجلد أبيض فان قولنا : المرء بأصغريه ، ولا تكلم العبادة وانما يكلمك صاحبها ، ورب حرّ ثوبه خلق لا محل له من الإصراب .
عندم » .

وقد تكون اللفظة في بعض الأوقات هي التي توحى الى الشدياق روح السخرية فمن قوله بعد أن وصف ما وصف من عادات أبحاد الانكليز وتقاليدهم : وفي الجملة فإن معاشره هؤلاء الرؤس تنعّب الرأس والرجل معاً وتضع كثيراً من الوقت والمال وربما دعاك أحدهم الى غداء فقام عليك ذلك الغداء مقام عشرة أغذية . .

أما نساء الانكليز فقد ضربهن في المقاتل لما تعرض لعفتين . كان يصف الزواج ومراسمه فقال :

ولا بدّ للمتزوجة أن تلبس خاتم الزواج في ينصر يدها اليسرى ومن لم يكن لها خاتم لم تحسب متزوجة وان كان لها خمسة بعول . ولم تكن سخريته بالمجتمع الانكليزي أقل من سخريته بالانكليز أنفسهم فقد راقب في هذا المجتمع آداب القوم في المآدب وبعض عاداتهم فوجد فيها مادة للسخرية . قال في بعض هذه المآدب .

أدبني أو أدب طربوشي أحد الوجوه في كبريج الى أن أشرب الشاي معه فقال : هل لك في أن تشرب الشاي معنا في إحدى الليالي ولكن بعد ثلاثة أسابيع قلت : نعم ، حتى اذا مرت اليه لم أجد على المائدة غير الصنف المعتاد منه مع أنني كنت أظن أن توفيت تلك المدة انما كان لجلبه من بعض البلاد . ولئن سخر بغرابة عادات الانكليز في مآديهم فقد سخر بيخلهم فقال لزوجته : ثم ينبغي لك اذا دعينا الى وليمة عند أحد أكابرهم أن تأكلي هنا من قبل أن تذهبي فان المدعوين لا يأكلون عند أدبهم حتى يشبعوا ولكن يشبعون حتى يأكلوا . . .

ولقد كانت سخريته بما يتعلق بالمآدب والطعام خصبة فمن عادة الانكليز أن يدّخروا صنوفاً من الطعام فقال الشدياق : فربما كان عمر السمكة بعد صيدها أطول منه قبله .

وكيف يمرّ الشدياق بالاسكلز فيرى هياتهم ولا يفتن الى ثيابهم فمن
سخرته بخياطة هذه الثياب قوله :

فان من يشتري ثوباً مخبطاً في لندرة يلزمه أن يستأجر معه خياطاً يصلحه
له في كل يوم .

والخلاصة اذا لم يجد الشدياق أحداً يسخر به سخر بنفسه من ذلك سخرته
في مقدمة فصل عنوانه : الثلج :

لا غرو أن يجد بعض القارئ كلامي في هذا الفصل بارداً لاني كتبت
في يوم عبوس فطرير ذي زهرير !

*
**

أكتفي بما أشرت اليه من أنماط سخرية الشدياق ولم أعرض هذه النماذج
لجرد العرض وحده وانما أحيت أن أستخرج من كل ما ذكرت أن الشدياق
اذا خلق في ظلمات القرن التاسع عشر فقد عاش بعقله في ضياء القرن العشرين .
لقد سبق عصره وتمداه وانتقل بعقريته الى العصر الذي بعده فلمن كان ثائراً
في مقدمة الثائرين فقد كان مجتهداً في طليعة المجتهدين ومصلحاً على رأس المصلحين .
يقول « اندره موروا » في فصل من كتابه : دراسات أميركية : من
الكتب كتب تنزل حين صدورها منزلة الآيات البينات ثم لا تلبث أن تموت
بعد بضع سنين وأن ينساها الناس على وجه الدهر ، ومن الكتب كتب ثبت
الشعور حين صدورها فلم ترق الناس إلا أنها احتفظت بشباب عجب ودخلت
جنات الخالدين .

فاذا صحّ هذا القول وأظنه صحيحاً فان كتابات الشدياق جرحت بعض

الشعور حين ظهورها إلا أنها على الرغم من ذلك احتفظت بشبابها وإذا لم تدخل حتى اليوم جنات الخالدين فقد آن لها أن تدخل هذه الجنات .

لقد أبدع الشدياق في كتاباته حللاً للحياة الاجتماعية في القرن التاسع عشر ولكنه أبدع هذا الحل بروح جديدة في الأدب وهي السخرية ، انا نعيش في عصر تبانت فيه العقائد وتباعدت المذاهب وتفاوتت مهاب الأفكار الحديثة وكل واحد يدافع عن عقيدته ويناضل دون مذهبه ويراي دون مهاب أفكاره ولكن كل واحد لا يستطيع أن يضبط من جماع بيانه أو لسانه وإذا فبح شيء في هذا الدفاع وهذا النضال وهذه المراماة فلا يقبح شيء مثل جماع البيان واللسان فإذا علّمنا الشدياق أمراً فقد علّمنا هذه السخرية في تقويم كل اعوجاج واصلاح كل فساد ولا شك في أنها تعمل في العقول ما لا يعمله أي جماع كانت .

شفيق هيري



العلاقات الجوهرية

بين اللغتين العربية والآرامية « السريانية »

في النواحي التاريخية والفنية واللغوية والأدبية

— ٣ —

ونحن نخالفهم جميعاً لسببين : الأول لأنهم اختلفوا جميعاً ولم تكن آراؤهم إلا من قبيل الحدس والتخمين ، ولا يمكن بناء حقيقة لغوية وتأريخية على الظن والحدس والتخمين ، والثاني لا نرى موجباً في هذه الحادثة يحمل امرأ القيس أمير العرب على أن يجعل « بنيه » فوارس « للروم أو للفرس » ، ولا سيما أن الأستاذ رودنسون درس إمكان انجياز امرئ القيس هذا الى جانب الروم والفرس ، وخرج بنتائج مبهمة متناقضة رغم تحرياته الكثيرة ، ولذلك اضطر الى سبر غور هذه الجملة (فرسولروم) في اللغة السريانية فنقول :

يحتمل النصور أن تكون كلمة « فرسو » مستمدة من كلمة (الفارس) العربية أو من كلمة (فرس) السريانية ، إلا أن (فرسو) في حالتها الحاضرة بعيدة عن هذا المعنى بالنسبة الى صيغتها الفعلية ، لأنها أي (فرسو) (فرسو) فعل ماض لجمع الغائب ومعناها بالضبط (بسطوا ، نشروا ، مدوا ، انتشروا ، سموا) . وأما الكلمة الثانية من الجملة فهي (لروم) ومعناها العلي والمعالى وما الى ذلك ، وتكون القراءة الصحيحة لهذه الجملة « فسموا الى العلى أو المعالى » ، ولا سيما أنها أردفت بالجملة العربية الفصيحة وهي « فلم يبلغ ملك مبلغه » . ونستطيع هنا الخروج بالنتيجة الأخيرة وهي أن هذه الجملة جملة آرامية توضح سمو الانتصار الذي أحرزه (امرؤ القيس) لقبيلته وبنيه ، وهي عندنا أصح من

كل المعاني التي أضفاها عليها علماء الساميات لجهلهم روح اللغة الآرامية ،
وترجمة ألفاظها بدقة .

٥ - ثبت لدينا الكلمة الأولى من السطر الخامس من هذا الرقيم الهام وهي
(عكدى) ، وقد أثبتنا الأستاذ ولفسون في « الخول » (عكدى) ،
وقرأها الأستاذ رودنسون « قط وهلك » ونحن نخالفها في ذلك ونقول إن
الكلمة هي « عكرى » لا « عكدى » كالكلمة السابقة « عكرى » ، ولكن
يختلف معناها بالآرامية عن الأولى ، فعلى أن تلك معناها « منع ، عطل » ،
أما هذه فهي مستمدة من كلمة « عكرا حذا » ومعناها « ذرية ، سلالة » ،
قبيلة « منها (ص ٤٤٠) . ونحن نميل الى إعطائها أحد هذه المعاني ، وتكون
قراءة الجملة كما أثبتناها : « وذريته أو قبيلته » ، وهلك سنة ٠٠٠ » ، وهي
معطوفة على الجملة السابقة : (فلم يبلغ ملك مبلغه وذريته أو مبلغ ذريته وقبيلته) .
تبلغ هذه الكتابة زهاء ٤٨ كلمة تتخللها إحدى عشرة كلمة آرامية وهي من
الجل البليغة بالآرامية كجملة (امر التاج مهنحنا) و (فر » حننه كهم »
سموا الى العلى) وغير ذلك من دقائق الآرامية ، وما عدا ذلك فإن وضع
كثير من الكلمات العربية يشبه الوضع الآرامي الغربي ، أي بالإمالة الى الضمة
الآخيرة كقوله : « نزارو ، معدو ، كهن - كهم أي كلمهم ، فرسو » ،
وهنا يجب أن نعلن أن في هذا الرقيم تجمعت مادة من اللغتين الشقيقتين وهو
ما يؤيد تعاونهما وسيرهما جنباً الى جنب في مختلف عصور التاريخ .

وإذا تقدمنا نحو الجنوب ، نجد هناك مدينة كاملة آرامية وعربية هي مدينة
الانباط التي ظهرت في شبه جزيرة طور سيناء على أقطاب المملكة الآدومية ،
وكانت عاصمتها (سلمع) وهذه كلمة آرامية وعبرية معناها الصخرة الناتئة ^(١) .

(١) قاموس أودر السرياني ص ١٩٨٢ وقاموس منسا السرياني العربي ص ٧٩٥ .

وسماها اليونان بـ Petra كما عرفها العرب بـ (البطراء) أخذاً عن الكلمة اليونانية ، وتوسعت مملكة الأنباط (أو النبط أو النبط) فانحدرت الى بلاد الحجاز من جهة ، ثم صعدت شمالاً حتى بلغت صحراء سورية وشمات دمشق ووصلت الى أطراف نهر الفرات .

أصبحت هذه المملكة بين القرنين الرابع والخامس ق . م ، وقرضاها الرومان سنة ١٠٦ م ولعبت أدواراً هامة في تاريخ الشرق العربي .

يعتقد علماء الساميات أن النبط خليط من أقوام آرامية وعربية^(١) ، لانتشارهم في بلاد عربية واسعة حتى عرفت مملكتهم في طور سيناء باسم بـترا العربية ، ولأن لغتهم الآرامية تخللها ألفاظ كثيرة عربية ، ولوجود أعلام كثيرة شبيهة بالعربية في تاريخهم ، وكذلك أسماء الأصنام العربية .

أما لغة حضارتها فهي الآرامية رغم تغلب العناصر العربية على العناصر الآرامية المؤسسة لهذه الدولة في أبنائها الأخيرة ، وإذا أضفنا الى كل ذلك أسماء الأعلام المستمدة من العربية كأذينة ، وعبد ، وأوس ، وأسد ، ومعن ، وجذيمة ، وأوس الله ، وعمرو ، وعمر ، وعميرة ، وبرغوث ، وبكر ، وحنضل ، ورجب ، والظم ، وكعب ، ووهب . (وقد ذكرها جميعاً الأستاذ لبثان في بحثه في الأعلام النبطية بالإضافة الى جملة أعلام مستمدة من مصادر يونانية ورومانية وفارسية)^(٢) ، نستطيع القول ان اللغة العربية سارت مع الآرامية في هذه المملكة جنباً الى جنب كل تلك المدة الطويلة ، وتأثرت كل منهما بالآخرى ، ولعمري انها لغة طويلة المدى استطاعت ان تقدم للتاريخ مدنية خاصة آرامية عربية أو عربية آرامية .

Rubens Duval

(١)

Littman : Nabatean Inscriptions

(٢) لي كتابه

وقد قرر علماء الساميات أن لغة النبط الآرامية والآرامية وانشالها بالعرب اتصالاً مباشراً أثر تأثيراً واضحاً في الحضارة العربية الوثنية القديمة ، وأفادت منه اللغة العربية فوائد عظيمة في شمال الجزيرة (١) .

ووجدت آثار اللغة النبطية (الآرامية والعربية) في جميع المناطق التي تبوأتها هذه الدولة ، وظهر بعضها في منطقة بصرى الشام ، وبعضها في منطقة البتراء نفسها ، والبعض الآخر في العلى بالحجاز ، وهي آثار متشابهة إلا أن الرقم المكتشفة في بصرى تمتاز عن بقية الرقم بظهور مسحة رومانية عليها ، وهذا لا يشوه كيانها الخاص الآرامي العربي . ونستدل من هذه الآثار على أن اللغة الآرامية ، وإن تخللتها عناصر عربية هامة ، قد حافظت على كيانها ، بل طبعت العناصر العربية بطابعها الخاص . مما أدى إلى امداد العربية بمادة آرامية غنية . وأقدم الرقم النبطية يعود تاريخه الى سنة ٣٣ ق . م ، وأحدثها بعد زوال الدولة سنة ١٠٦ م .

درس الأستاذ ليمان آثار النبط دراسة دقيقة ، وخرج بنتائج هامة تاريخية وافوية ، وأما نستمد هذه الآثار الكنعانية ، وهي آثار خريجية غالباً درسها كثير من علماء الساميات (٢) وهذا أحدها :

(١) رقم فهر وجديّة

يتكون هذا الرقم من ثلاثة أسطر قصيرة ، وقد وُجد في أم الجلال من أعمال شرقي الأردن ، وذهب الأستاذ ليمان الى أنه دون في عهد غير بعيد من العهد الذي فيه رقم النارة الآنف الذكر ، واليك ذلك كما ورد بعد قراءته :

(١) Corpus Inscript. Semitic, Pars 11 nos 157—189. وراجع أيضاً ص ٢١٥ من

. Cooknorth : Semitic Inscriptions

Monnaies Nabatiennes. Revue Numismatique 1905.

(٢)

وهذه ترجمته^(١)الأصل

- | | |
|---------------------|-------------------------------|
| (١) دنه نفشو فورو | (١) هذا قبر فورو |
| (٢) بر سلي ربو جذية | (٢) ابن المحارب العظيم جذية . |
| (٣) ملك تنوخ | (٣) ملك تنوخ |

استعرضنا هذا الرقيم في كتاب اللغات السامية للدكتور ولفسون ، فارتبنا في ترجمة السطر الثاني منه لورود كلمة (ربو وحا) بعد لفظة (سلي) . وقد أثبت معنى (ربو) ، ربي ، وهذا المعنى ليس صحيحاً لهذه الكلمة فان معناها الصحيح هو (العظيم ، الكبير وما اليهما) . فاذا وضعناها في معناها الصحيح بعد كلمة (سلي) واعتقدنا « سلي » علماً يفسد معنى السطر كله تماماً . لذلك اضطررنا الى الشك أيضاً في كون كلمة (سلي) علماً ، وعدنا الى معاجم اللغة السريانية نستقصي معنى (سلي) فوجدنا أنها لا يجب أن تقرأ (سلي) بل (شلي) بالشين . وقد توهم من قراها بالسين ، ونحن نعذره لأن حرفي السين والشين لهما رسم واحد في الأبيجدية النبطية ، والشاهد على ذلك أن الحرف ذاته وبصورته هذه قرأوه في رقيم آخر (شينا) لا (سينا) ، وعلى ذلك يكون تقديرنا بكونه (شلي) صحيحاً . ثم نعود الى كلمة (شلي) نفسها فلا نجد لها علماً بل صفة تابعة للعالم (فير) ومعناها (المحارب) أو (المقاتل) ، وهي مستمدة من كلمة (حككا شلولو) أي (معركة ، اشتباك الحرب ، الحرب)^(٢) . أما فعلها فقد ضاع في السريانية ، وبكل تأكيد كان موجوداً في الآرامية سابقاً . ونقدر أن يكون (حكا شل) فتكون كلمة (شلي) مأخوذة من

(١) ان كلمة « نفشو » بالسريانية ما عدا النفس تدني أيضاً . هرم . قبة مدفن . منا ص ٤٦٠ ، وهي كما عرفها الآراميون سابقاً تماماً .
 (٢) قاموس أودو السرياني ص ٩٨٢ استناداً على شرح المعري الآرامي بن شرويشون ، وقاموس منا السرياني المعري ص ٧٩٠ .

فعل (شل - الحرب) ومعناها بالضبط (المحارب) ؛ وإذا شفعناها بكلمة (ربو) يستقيم المعنى تماماً ، لأن (ربو) العظيم وضعت صفةً للمحارب ، فنقول (المحارب العظيم) كما أثبتناها ، ويكون الرقيم إذا « نقش فهر بن جديمة » لا « فهر بن سلي » كما أثبتنا ولفنسون^(١) .

أما ارتباطنا في عدم صحة الترجمة في السطر الثاني فهو في محله ، لأن هناك آراء مختلفة حول (سلمي) ، فذهب الأستاذ ليمان إلى أن لفظ سلي محتمل أن يكون مشتقاً من (سليم) العربية ؛ ويفضل نولدكه أن يكون هذا اللفظ (سلاه) ؛ ويؤثر الأستاذ ولفنسون أن يكون من (الأسماء الآرامية الأصلية)^(٢) ، وهو نعت (لا علم) كما أثبتناه ، وما يلاحظ أن هذا الرقيم صيغت ككلمته بحسب اللهجة الآرامية العربية أي بالإمالة نحو الضمة الخفيفة (الزفاف) .

وقد أثبت الأستاذ ولفنسون في كتابه (اللغات السامية)^(٣) رقماً أخرى من الرقم النبطية ، وهي كالرقيم السابق ضربية كلها ، ولم نر حاجة إلى إثباتها لأن جميع هذه الرقم لا تعدى أن تكون لغتها آرامية ، وفي بعضها جنوباً إلى الأسلوب العربي ، وفي البعض الآخر أسماء أصنام عربية ، وهذه الأمور تفيدنا في إثبات أن اللغتين الآرامية والعربية تفاعلتا في مدينة الأنباط ، فكوتنا هذه اللهجة الخاصة التي نراها في هذه النقوش .

وهناك لون جديد آخر في المدينة الآرامية العربية ، وهذا يظهر لنا في آثار مدينة تدمر ، وهي أحدث عهداً من المدينة النبطية ، فإن نقوشها الأثرية لا تتجاوز القرن الأول قبل الميلاد ، ويمتد تاريخها إلى القرن الثالث ، ولكنها مفيدة جداً بالنسبة إلى موضوعنا هذا .

(١) تاريخ اللغات السامية ص ١٣٩ .

(٢) اللغات السامية ص ١٤٠ .

(٣) اللغات السامية ص ١٤١ - ١٤٤ .

أن كلمة « تدمر » بمعنى « آرامية معناها « الأنجوبة » ، وهي من المدن القديمة جداً ، ذكر سفر الملوك الأول أن سليمان الملك بناها في البرية ، ومما يمكن الأمر فانها أقدم جداً من الآثار المنقوشة الباقية على أنقاض هياكلها القديمة وأساطينها التي ما زال بعضها واقفاً . واشتهرت تدمر بتجارها الواسعة فأما التجار من الهند والفرس والعراق وسورية وفلسطين ومصر وأوربة ، وكانت رومة سيادة العالم القديم تنهاب جانبيها فمنحتها حقوقاً خاصة لم تمنحها لغيرها من مدن الشرق الخاضعة لسلطانها .

وما يهننا في موضوعنا هذا لغتها وتعاون لهجتها هي واللغة العربية ، وقد كانت القبائل التدمرية من العناصر الآرامية امتزجت به بعض العناصر العربية ، وهو ما أبقى من لهجتها الآرامية آثاراً عربية بيّنة ، كما أثرت لغتها الآرامية باللغة العربية تأثيراً مهماً ، وأعظم ناحية عربية في لغة تدمر هي الأعلام العربية وما إليها بالإضافة الى تأثيرها بالفاظ يونانية ورومانية كثيرة .

ظهرت معظم الآثار التدمرية في منطقة تدمر ، ووجدت نقوش تدمرية في إفريقية ورومة وبلاد المجر وانكثرة لأن جموعاً كثيرة من التدمريين دخلوا الجيش الروماني ^(١) .

وما تجدر الإشارة اليه أن الأستاذ ولنسون ذهب الى أن لغة تدمر « تشبه اللهجات الغربية الآرامية على أن ألفاظاً كثيرة كانت في نطقها قريبة من النطق المؤلف في الآرامية الشرقية » ^(٢) ، وكنا قد علقنا على هذه النظرية في لمحتنا « تحقيقات تاريخية لغوية في حقل اللغات السامية » وقلنا إن اللهجة التدمرية هي لهجة آرامية غربية صرفة ، وسبب ظهور بعض الألفاظ بمسحة اللهجة الشرقية يرجع الى اتصالها باللغة العربية ^(٣) . والآن نؤيد رأينا نظراً لما نراه في هذه اللهجة من الصبغة الغربية الصرفة .

(١) شابو تعريب الأستاذ شكري لورنس ، نشره الأستاذ مراد سري جلي ص ٢٨ .

(٢) ولنسون ص ١٢٨ .

(٣) تحقيقات تاريخية لغوية ص ٣٦ .

ان لغة تدمر الأولى ، وإن كانت خالية من الالفاظ العربية ، بعكس اللغة النبطية ، الا أننا نعتقد أن عناصر عربية دخلتها بعد امتزاج العناصر العربية بقبائلها الآرامية ، وعلى الأخص بعد سنة ٢٧٢ م حينما انتهت سيادة المدينة بأمر ملكتها الباسلة الزباء^(١) إذ كثرت العناصر العربية رويداً رويداً ، وتحول الشيء الكثير فيها الى اللون العربي ، ومن الطبيعي أن تتأثر اللغتان الآرامية والعربية بهذا التمازج العنصري الشديد .

وقد درس علماء الساميات لغة تدمر الآرامية دراسة وافية ، واستخرجوا منها فوائد لغوية وتاريخية هامة ، وأشهر الذين درسوها ونشروها الأستاذ ليدزبارسكي^(٢) ، وكليمونفانو ، وود الذي نشر رقماً تدمرية هامة^(٣) ، ودي فوغوبه^(٤) وغيرهم . ونجد مدينة آرامية عربية أخرى في مدينة الحضر العراقية مشابهة تمام المشابهة لمدينة تدمر ومعاصرة لها ، فلغتها آرامية صرفة إلا أن الأقوام التي عمرت هذه المدينة كانوا على الأرجح خليطاً من الآراميين والعرب كما كانت الحال في تدمر وفي البتراء ، وقد ذهب المؤرخ جورج رولنسون الى أبعد من ذلك فأورد آراء المؤرخين القدماء ، وذهب الى أن سكان الحضر كانوا عرباً خالصاً . ومعنى ذلك أنهم كانوا يتكلمون العربية بطبيعة الحال لكونهم عرباً ، واكتسبوا كانوا بدوّنون أخبارهم بالآرامية ، بدليل ظهور آثار آرامية صرفة في هذه المدينة ، وقد نقل صديقنا الأستاذ فؤاد سفر في مقاله النفيس « حفريات الموسم الأول - الحضر » المنشور في مجلة « سومر » التي تصدرها مديرية الآثار القديمة العامة في بغداد ، نقل كلام المؤرخ المشار اليه ، ونحن ننقله هنا لفائدته

(١) رولنسون ص ١٣٣ .

Handbuch dere Nordsemitischen Epigraphik

(٢)

Wood : Les Ruines de Palmyre, Londres in — Fol.

(٣)

M. de Vogué : Syrie Centrale Inscriptions Sémitiques « 105 Nos. »

(٤)

الكبرى في موضوعنا هذا . قال : « الحضر عاصمة لمجتمع عربي في عصر الانباطور طريانس ، فقد استوطنت القبائل العربية مناطق من الجزيرة منذ أقدم الأزمان ، وعدة زنفون الأرضين المحصورة بين الخابور وبلاد بابل جزءاً من جزيرة العرب ، وعدتها سطرابوت قسماً من العربية الصحراوية ، وظهر العرب في الجزيرة العليا في زمن بوهي ، وذكر بلوطارخ واينان أن سكان مملكة الرها كانوا عرباً ، وذكرت الحضر في حروب طريانس لأول مرة ، وقيل عن أهلها كلما ذُكروا منذ تلك الحرب بأنهم عرب^(١) » ، وأضاف الأستاذ سفر بقوله : « وشخصهم عرباً ديوكاسيوس أشهر من كتب من الرومان عن الحروب بين الفرس والرومان » .

ثم يعود الأستاذ سفر فيعلق على هذا معاللاً سبب وجود اللغة الآرامية في آثار الحضر فيقول : « ولا يمكن أن نتخذ الكتابة الآرامية المكتشفة في الحضر دليلاً على أن الحضريين كانوا آراميين ، لأن الآرامية كانت في تلك العصور لغة المعاملات التجارية والتداول والمراسل ، بين شعوب الشرق على اختلاف ألسنتهم ، فقد كتب بها ملوك الفرس الاشكانيين (الاشكانيون) ، وكذلك ملوك الدويلات التابعة لهم ، ويحتمل جد الاحتمال أن دون بها العرب الحضر عرباً ، ونترصد في التنقيبات المقبلة في هذه المدينة الى أدلة تاريخية قد تلقى ضوءاً على هذا الموضوع »^(٢) .

ونحن لا حاجة بنا الى مناقشة هذه النظرة لعدم وجود مصادر ثابته الى الآن تؤيدها او تنفيها ، وإن كان المؤرخون القدامى قرروا ذلك ، وحاجتنا فقط الى

(١) فؤاد سفر عن المؤرخ جورج رولنسون من كتابه The sixth Great Monarchy

ص ٣٣٤ - ٥ .

(٢) مجلة سومر الجزء الأول المجلد الثامن سنة ١٩٥٢ ص ٤٦ .

التصريح بأنه سواء كان سكان الحضر مزيجاً من الآراميين والعرب شأن
سكان تدمر والبطراء ومملكتيها ، أو كانوا عرباً خالصاً ، فمن المؤكد وجود
اللغتين الآرامية والعربية في هذه المدينة جنباً الى جنب . ومن المؤكد حدوث
التقاء طويل وتفاعل كامل بينهما في هذا الصعيد الموحد ، ولا بد لهذا التفاعل
من ترك آثاره في كلتا اللغتين حسبما شاهدنا في مملكتي تدمر والبتراء .
ومع ذلك لا نرى الا أن سكان الحضر كانوا مزيجاً من العرب والآراميين ،
شأنهم شأن سكان البتراء وتدمر . وما يقوي رأينا هذا ورود اشارات تاريخية
صريحة عند بعض الكتبة وهي أن (الساطرون) كان جرمقانيا ^(١) وقومه
جرامقة ^(٢) ، والجرامقة آراميون بشهادة كثير من المؤرخين ^(٣) ، ونولده وهو
من المستشرقين يؤيد أن (الجرامقة) من أصل آرامي أو نبطي ^(٤) ، وطبعاً
لا يمكن الجزم بأن جميع السكان كانوا (جرامقة) . وقد ذكر الأصمغاني
أن العباد من قضاة ، وهم نصارى العرب ، نزلوا الحيرة ، فهزمهم شاپور ، فصار
معظمهم ومن فيه نهوض الى الحضر من الجزيرة بقودهم الضيزن بن معاوية
التنوخى ، فمضى حتى نزل الحضر ، وهنا الساطرون الجرمقاني فاقاموا به ^(٥) .
وهذا يكفي الآن للدلالة على وجود الأقوام الآرامية ، ثم على ورود موجة
عربية من قضاة وتزولهم عليهم ، مع العلم أنه أطلق على أحد الضيازن اسم
(برشما حاصلاً) ومعناه (ابن السماء) فتأمل .

(١) الاغانى الجزء ١١ ص ١٦٢ ومعجم البلدان (مادة الحضر) .

(٢) ابن خلدون الجزء الثاني ص ٢٤٩ .

(٣) احمد ابن الفقيه الهمداني مختصر كتاب البلدان ص ٧٧ و ١٣٦ .

(٤) مجلة لغة العرب السنة الثالثة (١٩١٣ - ١٩١٤) ص ١٧٢ ، التنبيه والاشراق

للسودى ص ٦٨ .

(٥) الاغانى جزء ١١ ص ١٦٢ .

الى الآن كنا نكلم عن المدنية المشتركة بين العرب والآراميين في عهد الوثنية ، وقد رأينا هاتين الأمتين الشقيقتين متلازمتين متجاورتين منذ أبعد عصور تاريخها الموحد ، كما رأينا لفتيحهما مساندتين متعاونتين منذ نشوئها الى عهد النضج والانتاج ، والآت نفثقل الى العهد المسيحي لنجد اللفتين الساميتين متماسكتين في عروة وثقى لا تنفصم .

تمّ هذا اللقاء في مدينة الحيرة العراقية ، وكانت تبعد عن الكوفة ثلاثة أميال الى جنوبها^(١) ، وعن النجف مسيرة ساعة للفراس الى جنوبية الشرقي^(٢) وفي هذه المدينة تجمعت قبائل عربية كثيرة من العنصر العربي ، وحكمتها سلالتان عربيتان هما التتوخيون واللخميون ، وورد ذكر بعض قبائلها العربية مثل مذحج وطى وكنب وتميم^(٣) ومن المؤكد أن النصرانية سادت في الحيرة قبل القرن الرابع الميلادي^(٤) . والى جانب هذه الجموع العربية العريقة في القدم كنا نرى في فجر تاريخها طوائف كثيرة من النبط^(٥) ، وهم لا شك آراميون عنصراً ولغة ، ومما يؤيد تمازج العرب وهؤلاء الآراميين ما ورد في أمالي السيد المرتضى أن خالد بن الوليد (رضي الله عنه) لما فتح الحيرة سأل عبد المسيح ابن بقبلة : أعرب أنتم أم نبط ؟ أجابه عرب استنبطنا ، ونبط استعربنا^(٦) وكان هناك أقلية فارسية^(٧) وجالية يهودية^(٨) ، إلا أن الأكثرية الساحقة

(١) معجم البلدان (مادة حيرة) .

(٢) لامنس (المعلقة الاسلامية مادة حيرة) .

(٣) معجم البلدان (مادة حيرة) .

(٤) النصرانية وآدابها لشيخو ص ٤٥٢ - ٤٥٣ .

(٥) الاغانى ١٦ : ٥١ .

(٦) امالي السيد المرتضى ١ : ١٨٨ .

(٧) كلدو اثور الجزء ٢ : ٢٦٦ .

(٨) الطبري ٨ : ٢٤٨ .

من سكانها كانوا من العرب والآراميين (النبط) . وقد أطلق المؤرخون العرب اسم (نبط العراق) على بقايا البابليين والآراميين في العراق ، وهم الذين يتكلمون الآرامية ^(١) ؛ وسماها المؤرخون النصارى (بيت أرمابا) اي ديار الآراميين ^(٢) .

من هذا كله نستنتج أن اللغتين الآرامية والعربية تصالحتا في هذه المدينة أيضاً ، وحصل امتزاج بين سكانها المنتسبين الى هاتين الأمتين العربيتين ، الأمر الذي يؤكد لنا حقيقة تأثير اللغتين أحدهما بالأخرى ، إلا أن اللغة العربية على ما يظهر كانت لغة الأدب والدوائر الرسمية وإلى جانبها اللغة الآرامية في كثير من مصافق الحياة .

ومن المؤكد ان العلم والأدب كانا زاهرين في الحيرة إبان مجدها ، وقد ورد في المزمع للسيوطي أن أول من كتب بالعربية حرب بن أمية بن عبد شمس تعلم من أهل الحيرة ^(٣) . وقد وردت نصوص تاريخية زاخرة تروي اخبار مدارس الحيرة منذ اقدم عصورها ، وحدّثنا صاحب الأغاني أن المرقش الأكبر وهو ابو عمر الشيباني ، وأخاه حرملة ، درسا الكتابة على نصراني من أهل الحيرة ^(٤) ، وقصة (صحيفة المتلمس) الشاعر الجاهلي مشهورة في الأدب العربي ولجلل الشاعر القراءة طلب الى صبي من أهل الحيرة قراءة الصحيفة المشؤومة ^(٥) وكان الحيريون يدرسون اللغة العربية لكونها لغتهم العنصرية ، ويدرسون الآرامية السريانية وهي لغة طقوسهم الدينية وبها كانوا يحبرون شعائرهم الروحية

(١) مروج الذهب للمسعودي ١ : ٨٥ .

(٢) السنيادوسات الشرقية ، طبعة شابو ص ٦٦٧ .

(٣) المزمع للسيوطي ٢ : ٢١٥ .

(٤) الأغاني ٥ : ١٨١ .

(٥) الأغاني ٢١ : ١٢٥ .

وهي أيضاً لغة قسم عظيم منهم يتكلمونها في بيوتهم ، وتخرج كثيرون من العلماء في الحيرة يتقنون اللغتين الشقيقتين أمثال حنين بن اسحاق العبادي الحيري ، مؤلف المعجم الآرامي الشهير ، ومترجم العلوم اليونانية الى الآرامية والعربية^(١) والأسقف الحيري حناني يشوع مؤلف المعجم الآرامي العربي الذي استند عليه كثيرا ابن بهلول في معجمه الشهير^(٢) .

وبما لا شك فيه ان كنائس الحيرة وديورتها^(٣) الكثيرة العدد ساهمت مساهمة فعالة في نشر العلوم والآداب العربية والآرامية جنباً الى جنب بآب واحد ، لأن المعروف عن الديورة منذ فجر وجودها أنها معاهد لشق العلوم والمعارف البشرية ، واذا استعرضنا قائمة خريجي هذه الديورة ورؤسائها على

(١) أخبار العلماء لافطلي ص ١١٧ والفهرست ص ٤٠٩ .

(٢) راجع معجم ابن بهلول ودوقال ، الآداب السريانية ص ٣٨٦ .

(٣) ذكر الشاشي في كتابه (الديارات) خمسة من ديورة الحيرة هي دير ابن مزروعق ص ١٤٨ ودير الحريق ص ١٤٨ ودير هند ص ١٥٧ وديارات الاسقف ص ١٥٢ وقبة الشقيق ص ١٥٥ (من طبعة بغداد بتحقيق الأديب الفاضل الأستاذ كوركيس عواد عضو الجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٥١) ، وأورد يافوت الحموي عشرين ديراً من أديرة الحيرة مع شيء من أخبارها بما فيها الحلة التي ذكرها الشاشي ، إلا أن الكاتبين تجنياً على حرمة الديورة وقداسة الزهادة في أخبارها ، وديورة الحيرة التي ذكرها يافوت هي : دير ابن براق ص ١٢٠ ، ودير ابن وضاح ص ١٢٠ ، ديارات الاسقف ص ١٢٢ ، دير الأسكون (الأصح : الاسكول) ص ١٢٣ ، ودير بني سريتا ص ١٢٧ ، دير الجوفة أو هو دير عبد المسيح ص ١٣٠ و ١٥٤ ، ودير الحريق ص ١٣٣ ، دير حنظلة ص ٣٥ ، دير حنة ص ١٣٥ ، دير الاكبراح ص ١٣٥ ، دير السوا ص ١٥٠ ، دير المذارى ص ١٥٧ ، دير الملف (زعم انه دير المذارى نفسه ص ١٥٨) ، دير علقمة ص ١٥٨ ، دير الحج ص ١٦٧ ، دير مارت سريم ص ١٦٨ ، دير مارفائون (الأصح بتيون) ص ١٦٩ ، دير الزهوق ص ١٧٧ ، دير هند الصغرى ص ١٨٢ ، دير هند الكبرى ص ١٨٣ . (معجم البلدان الطبعة الأولى في مصر سنة ١٩٠٦ المجلد الرابع) .

الأخص نجد من العرب والآراميين اتحدوا اتحاداً كاملاً وساروا في طريق الدراسة والانتاج الأدبي جنباً إلى جنب ، وهو ما هباً جواً ملائماً لسير اللغتين إلى هدف واحد ، ولا نرى حاجة إلى ذكر خريجي هذه الأديرة جميعهم لأن ذلك ليس من صلب موضوعنا .

هذا ما نجده من الاتصال بين اللغتين العربية والآرامية في مدينة الحيرة وضواحيها ، وهو كاف لتعاون اللغتين واستمداد إحداهما من الأخرى معنى واعظاً وأسلوباً .

وإذا ذكرنا تلاقى اللغتين العربية والآرامية في حيرة المناذرة اللخمين في العراق وفي ضواحيها ومدارسها وكنائسها وديورتها ، لا بد لنا أن نذكر إلى جانب ذلك تلاقىها في قبائل أندادهم الفسائنة ، الذين ذهبوا صعداً في معارج المعارف الروحية والأدبية ، واهتموا ببناء الكنائس والديورة أكثر من المناذرة الأمر الذي يفيدنا فوائد عظمى في موضوعنا هذا .

فالفسائنة أو الفسائيون قبائل عربية بمنية وهم بنو مازن من الأسد من خزاعة نزحت من منابتها في حادثة سيل العرم نحو سنة ١٢٠ م ، وسكنت أولاً في منطقة من حوران وبادية الشام ^(١) ، ونزلت على ماء بين زيد وزممع يقال له (غسان) ، فمن شرب منه فهو (غساني) ^(٢) ، ولذلك سموا (الفسائنة) أو (بني غسان) . وكانوا يدينون بالنصرانية ^(٣) ، وأسسوا لهم دولة عربية في هذه المنطقة ، وكانت عاصمتها (الجابية) في الجولان ^(٤) ، وامتدت دولتهم

(١) شرح مجاني الأدب م ١ ص ٥١٣ .

(٢) العقد الفريد ج ٣ ص ٣٣١ .

(٣) حزة الإصهاني في مجاني الأدب ج ٣ ص ٣١٢ .

(٤) المشرق م ٣ ص ٤٤١ .

بين دمشق وتدمر^(١) ، ثم توسعت فامتدت من دمشق الى الرصافة على شاطئ
الفرات^(٢) .

والمنطقة التي سكنها الفسائنة في أول أمرهم كانت منطقة (باسان او باشان)
المذكورة في أسفار العهد القديم^(٣) ، وكان يحدها بادية سوريا شرقاً ، وغور
الأردن غرباً ، وأراضي دمشق شمالاً ، وأرض جلعاد جنوباً^(٤) ، وحسبما تدل
المصادر الغربية أن اسمهم اشتق من اسم الماء (غسان) الذي نزلوا عليه .
و (غسان) كما هو معلوم تسمية آرامية منحذرة من فعل « Gso » بمعنى فاض
نبع ، تدفق^(٥) ، ومن الراجح أن هذه القبائل العربية امتزجت ببقايا الآراميين
الضاربين في هذه الربوع منذ أقدم العصور ، وأن منهم كانت ممالك البتراء
وتدمر والممالك الآرامية القديمة في دمشق وما جاورها من المناطق السورية المحوفة
وما يحيط بها^(٦) . ولما كانوا يدينون بالنصرانية كما علمنا ، ويتفقون هم
ونصارى هذه البلاد بالعقيدة والطقوس الكنسية ، استحوذوا بنحون متحدين مع
الآراميين سكان البلاد القدماء ويتبادلون اللغة والمذهب الديني على ما هو معلوم
لدينا ، وما لا ريب فيه أن سكان هذه المناطق من النصارى كانوا يجبرون
طقوسهم الدينية باللغة الآرامية ، سواء كانوا عرباً او آراميين ، حتى الخارجين
على الكنيسة السريانية انفسهم^(٧) . وما يزيد في تأصل العلاقات واستمرارها

(١) فيه ص ٢٧٣ .

(٢) المجلة البطريركية السريانية في القدس م . ص ٦ - ٢٦٨ سنة ١٩٣٨ .

(٣) سفر العدد . الاصحاح ٢١ العدد ٣٣ .

(٤) سفر يشوع . الاصحاح ١٣ العدد ٣٠ . وسفر المزامير ٢١ : ١٣ و ٦٧ : ١٦ .

(٥) قاموس منا السرياني العربي ص ١١٧ وقاموس اودو السرياني (الفعل نفسه) .

(٦) تاريخ لبنان للمارتن ص ٣٦٠ - ٣٦٢ .

(٧) الامة الشبية . ليوسف داود ص ٦٨ وتقرير البطريرك مكاريوس الثالث الملاكى
(١٦٤٧ - ١٦٧٢) . ودليل المخطوطات العربية في مكتبة باريس الاهلية

رقم ٢٢٤ .

بين العرب الفاسنة والسريان الآراميين وحدتهم الكنيسة واستعمالهم اللغتين العربية والآرامية السريانية جنباً الى جنب في سائر مرافق حياتهم الدينية والدنيوية وما لا ريب فيه أن هؤلاء العرب كانوا يتكلمون العربية في بيوتهم ، ويستعملون الآرامية في شعائر عبادتهم ، ولم يعدوا أقواماً منهم كانوا يتكلمون لغتهم الآرامية الأصلية في بيوتهم ، ويخاطبون اخوانهم العرب ومواطنيهم بالعربية ، وهو ما يجمع بين اللغتين في صعيد واحد . وأما ثلاثة أمور هامة تؤيد امتزاج العرب بالسريان الآراميين وهي :

اولاً — سلاسل الاساقفة الذين تولوا أمور الفساسة الروحية في مختلف عصورهم . وقد أوردنا المؤرخون السريان وعلى الأخص المؤرخ ميخائيل الكبير فأننا نجد هؤلاء الاساقفة مزيجاً من العرب في جميع الأبرشيات الفسانية ، فبيودور رفيق يعقوب البرادعي مثلاً كان عربياً خالصاً ^(١) . وقد رُسم ، بناءً على طلب الحارث بن جبلة الفساني ، مع البرادعي نفسه برعاية الملكة تيودورة ^(٢) وكانت ولايته الروحية تشمل بلاد اليمن والمغرب والأقطار العربية وفلسطين وأورشليم ^(٣) ، وكانت كرسية في مدينة بصرى ، وذكر التاريخ غيره من الاساقفة المنحدرين من معتد عربي أمثال (بطرس أسقف العرب) و (فالغ أسقف قبيلة منذر) و (توما أسقف ببرود) و (يوحنا أسقف ببرود) و (يوحنا أسقف حواريين) ^(٤) .

(١) أخبار يوحنا أسقف آسيا خبر ٤٩ ص ٦٩٠ طبعة لاند .

(٢) له خبر ٢ ص ٣٧٠ .

(٣) له ج ٢ ص ٢٥٤ و ٣٧٠ .

(٤) تاريخ ميخائيل الكبير ص ٢٧٤ - ٣١٠ وتاريخ البطارقة لابن العبري في ترجمة بطريركين سرجيس التلي وخلقه بولس .

وقد ذكر المؤرخ ميخائيل الكبير كثيرين من أساقفة هؤلاء العرب في سلاسله التاريخية في مختلف أبرشياتهم في درعا ، ومنيونيا حوران ، والرصافة ، والرقه وغيرها ^(١) . ومن تعداد أسماء هؤلاء الأساقفة ومواطن تخرجهم نتأكد أن بعضهم كانوا عرباً خلاصاً والبعض الآخر كانوا آراميين أقحاحاً . ولا نرى حاجة الى ذكر أسمائهم هنا لأن ذلك ليس من صلب موضوعنا .

ثانياً — ثبت الديورة الكثيرة التي أسسها او اعاد أيام مجدها ملوك العرب الفساسة في بواديهم وحواضرهم ؛ ومعظم أسماء هذه الديورة عربية كدير (العرب) ودير (طي) ودير (البن) ودير (عمر) ودير (هند) و (دير جفنة) و (دير العقبة) و (دير الزنقي) و (دير البرج) و (دير عقرب) و (دير اللبان) و (دير اللوز) وغيرها وغيرها ^(٢) .

وكانت هذه الديورة رباخاً للعلم والفضيلة عسوراً طوبلة احنوت بين جدرانها رهباناً وطلاباً للعلم والمعرفة من العرب والآراميين جنباً الى جنب ، ارتشفوا العلوم على مقاعد مدرسية واحدة ، ونشدوا الأدب باللغتين العربية والآرامية معاً ، وتسقف كثيرون منهم في جميع الأبرشيات العربية الآرامية التي ذكرناها وفي غيرها من الأبرشيات السريانية الواسعة النطاق في تلك العصور ، وفي ديورتها الكثيرة ، وكنائسها المنتشرة في كل مدينة وقربة من مدن سورية وبلاد العرب وما بين النهرين وغيرها .

ثالثاً — دفاع الملوك الفساسة العرب عن الايمان الأرثوذكسي العريق بكل ما أوتوا من نفوذ وسؤدد وقوة ، ونفوذهم من الذين كانوا يضطهدونهم في مملكة بيزنطية ، وقد روى المؤرخون وعلى الأخص يوحنا أسقف آسيا بطولتهم المنقطعة النظر في هذا الميدان ؛ وأهم ذلك الحملة التي جردها المنذر

(١) سلاسل الاساقفة في نهاية تاريخ ميخائيل الكبير .

(٢) فيه ص ٨ والمشرق م ١ ص ٦٣ سنة ١٨٩٨ وفيه م ١٠ ص ٥٢٣ سنة ١٩٠٧ .

م (٣)

ملك الفساسنة على بلاد الروم منتقماً منهم أعظم انتقام^(١) ، واهتمام ملوك غسان بأمر سلام الكنيسة السريانية ونجاحها^(٢) ، ورفضهم الميل الى مضطهديها^(٣) . ولم تكف الكنيسة السريانية بخدمة العرب الفساسنة المتخضرين ، بل بالفت في خدمة سائر العرب المسيحيين الرحل ، فأنشأت لهم طقوساً خاصة بالسريانية والعربية ، وترجمت لهم الانجيل الى العربية ، وأعطت أولادهم جميع التعاليم باللغتين العربية والسريانية ، مما يؤيد اتحاد العرب بأخوانهم السريان منذ أقدم عصور المسيحية ، وقد ذكر المؤرخ ميخائيل الكبير أساقفة كثيرين من كلاً منهم (أسقف العرب) ، وكان هؤلاء الأساقفة ينتقلون مع القبائل العربية النصرانية في فلولها ، ويقفون لهم الشعائر الدينية في بيوت الشعر ، وكانوا يخدمون (القديس) مترجماً الى اللغة العربية عن أصله السرياني^(٤) .

وبعد انقراض الدولة الفسانية ظل العرب الفساسنة متحدين بالكنيسة السريانية ومخلصين لها أشد الاخلاص ، وآثروا السكنى في المدن والخواصر والقرى في بلاد سورية ، ونزح بعضهم الى العراق وبلاد أنور^(٥) ، وحدثنا عنهم العلامة ابن العبري قال : « ظل الفساسنة من ذلك الحين حتى اليوم - القرن الثالث عشر - متمسكين بعقيدة الطبيعة الواحدة ولا سيما في الحديثة وفي بلاد باعرباي (المنطقة الممتدة بين الموصل ومنجار ونصيبين) وفي القريتين والنبك وسائر أطرافها »^(٦) .

(يتبع) (الموصل) غريغوريوس بولس بهنام

- (١) تاريخ مختصر الدول لابن العبري ص ١٤٨ .
- (٢) تاريخ البطارقة لابن العبري ترجمة البطريك غولا .
- (٣) تاريخ ميخائيل الكبير ص ٢٨٢ .
- (٤) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية . شيخو القسم ٢ ص ٤١٤ .
- (٥) تاريخ يوحنا اسقف آسيا م ٣ ص ١٨٢ طبعة باريس .
- (٦) ابن العبري ، تاريخ الدول السرياني ص ٨٩ .

الايلاف

أو

المعونات غير المشروطة

كان أستاذنا العلامة المرحوم سليم الجندي أول من نبه أذهان هذا الجيل قبل ثلاثين عاماً إلى أن العصر الجاهلي ، إنما سُمي كذلك ، من الجهل ضد الحلم ، لا من الجهل ضد العلم ، وكان الطلاب إلى أن يستمعوا دروس العلامة الجندي قد وقر في أذهانهم ، من كتب التاريخ الإسلامي المدرسية ، ومما تلقفوا عن أساتذتهم أن العصر الجاهلي كان عصر البداوة والفطرة ، لم تزبه آثار الحضارة ، ولا معالم المدنية ، ولم يعرف أهله من العلوم إلا ما دعت حياة الصحراء لمعرفته .

كان أستاذنا الجندي يبدأ دروسه في تاريخ الأدب العربي بالتأكيد على نظريته هذه ، لأن الكتاب الأوحى الذي كان يستعين به الطلاب يومئذ وهو « الوسيط في تاريخ الأدب العربي » قد تضمن ما يشبه هذا المذهب الذي كان يفنده ، إذ تعرض لبحث أغراض اللغة في العصر الجاهلي ، فأشار إلى أن أغراضها لم تعد ما تقتضيه حياة البداوة والفطرة .

وكان العلامة الجندي يدل على نظريته هذه بأدلة كثيرة أذكر منها :

١ - ان اشتقاق لفظ « الجاهلية » من الجهل ضد الحلم قد ورد في بيت

جاهلي شهير :

ألا لا يجهن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

٢ - أن لفظ « الجاهلية » لم يقترن على لسان أكثر الأئمة إلا بالفاظ

« الحمية » و « العصبية » الخ فقالوا : عصبية الجاهلية ، وحمية الجاهلية ^(١)
 ٣ — أن اللغة العربية ، قد بلغت أوجها من النضج والاكتمال ، حين
 نزول القرآن الكريم بها . واللغة هي العنوان الأوضح على حضارة الأمة ورفقها
 ومدنيتها ، لأنها هي وسيلة التعبير عن مظاهر الحياة العقلية والارادية والعاطفية ^(٢)
 ولغة العرب التي وعتها الدواوين والمعاجم ، والنصوص الثابتة القطعية ، تدل
 مفرداتها على أن العرب في جاهليتهم ، لم يكونوا قوما جهلاء ، وإنما كانوا
 قوما قد بلغوا من العلم والعرفان مبلغا تحسدهم عليه أكثر الأمم المعاصرة .
 واذكر ان العلامة الجندي قد مضى في التدليل على نظريته هذه ، فأورد
 من الأمثلة والشواهد ، ما لا يدع قولا لقائل :

فمنها — أنه وجد أن العرب قد وضعوا أربعين لفظة مختلفة المعاني لثمر
 « العنب » منذ أن يبدأ زهرة الى أن يصبح زيبيا . وهذا يدل على تتبع
 العلمي والاستقصاء ، ومراقبة النبات وثمره وزهره وما بينها .

ومنها — أن العرب لم يدعوا في التشریح صغيرة ولا كبيرة الا أحصوها
 ووضعوا أسماء لجميع المسحبات .

وقد كشف عن هذا الجهد العلمي الرائع أساتذة كلية الطب في جامعة

(١) ورد هذا المعنى في حديث رواه مسلم في صحيحه ، ج ٤ ، ص ٢١٣٤ ، رقم
 ٥٦ (طبعة الحلبي) إذ جاء به على لسان السيدة عائشة : « سمعت بن عباس ،
 وهو سيد الخزرج ، وكان رجلا صالحا ، ولكن أَجْتَهَلْتُهُ الحمية » أي
 استغففته وأغضبته وحملته على الجبل .

(٢) قال ابن سيده في التخصيص ، ج ١ ، ص ٦ : « حد اللغة أنها أصوات يعبر
 بها كل قوم عن أغراضهم ، وهذا حد دائره على محدودته ، يحيط به لا يلمح
 خلل ، إذ كل صوت يعبر به عن المعنى المتصور في النفس لغة . وكل لغة
 هي صوت يعبر به عن المعنى المتصور في النفس .

وقال مثله ابن جني في الخصائص ، ج ١ ، ص ٣٣ ، طبعة دار الكتب :
 « أما حد اللغة فأنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم » .

دمشق منذ انشائها حتى اليوم ، وكان لهم في ذلك فضل عظيم على اللغة العلمية في العصر الحديث .

ومنها — أنهم قد عرفوا من علم الفلك ما عرف معاصروهم ، ولا أدل على ذلك من أن أسماء أكثر السيارات ، وبعض المجموعات الفلكية قد وضع في الجاهلية .

وقل مثل ذلك في أكثر العلوم الأخرى .

هذا فضلا عن أن الحجة القاطعة هي القرآن الكريم ، ونصه ثابت ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وقد جاءت آياته المحكمات ، دليلا قاطعا على أن اللغة العربية ، التي نزل بها كتاب الله ، كانت أيام البعثة ، قادرة على التعبير عن كل مرافق الحياة :

١ — ففيها قصص التاريخ على أروع صورة ، وأبلغ أسلوب ، تحكي قصص الأمم الغابرة ، وكأنها موصيقي تندفق الى النفس ، فتعلق بها ، من عمق أثرها عليها .

٢ — وفيها تصوير للحياة العاطفية ، يعبر عن أعمق المعاني الانسانية الخالدة .

٣ — وفيها تفصيل لحياة الأسرة ، ونظامها الاجتماعي ، حتى كأنه بناء كامل للنواة الأولى للأمة .

٤ — وفيها تشريع لأنظمة الدولة في الحقوق العامة والخاصة .

٥ — وفيها ترغيب يدفع الى الخير ، في أحلى أشكاله ، وأروع صوره .

٦ — وفيها ترهيب يمنع من الشر ، ويحذر من مغابه وآثامه .

٧ — وفيها كل ما يلزم للفرد والأسرة والمجتمع والدولة والأمة في الدنيا

والآخرة (ما فرطنا في الكتاب من شيء) صدق الله العظيم .

والواقع الذي لا خلاف فيه ، أن لغة العرب ، قد أصبحت من اللغات الحية ،

في عصر النبوة ، نظمت ألفاظها وصنفت وفرتق بين المعاني اللغوية والاصطلاحية ، واكتسبت صفة الحياة الدائمة ، بمعنى أنها أصبحت قابلة للتطور ، بعيدة عن الجمود تستطيع أن تسير رقي المجتمع العربي والاسلامي ، دون أن يصيبها العجز عن مسايرة الحاجات . وبقيت اللغة العربية كذلك خلال أربعة عشر قرنا ، أعانها على البقاء والصمود ، رغم التيارات السياسية العديدة ، قدرتها على الاشتقاق والنحت والوضع والتعريب وغير ذلك مما توفر على الاشتغال به أئمة اللغة والدين خلال هذه القرون الطويلة .

ولقد كانت مصطلحات الحقوق الدولية العامة والخاصة ، في جملة ما شغل علماء القانون ، منذ أن أسست كليات الحقوق في العالم العربي . وما من شك في أن كلية دمشق أكثر هذه الكليات جهدا ، بما بذل أستاذتها ، حين تصدروا للتأليف ، في البحث عن الألفاظ العربية القديمة ، وامكان مطابقتها للمفاهيم الحديثة ، وما زالت المجالس العلمية ، والمؤلفون في كليات الحقوق ، والعلماء ، وأصحاب الاختصاص ما زال هؤلاء جميعا يبحثون ، ويدرسون ، ويبذلون الجهد الصادق في البحث عن المصطلحات الحديثة التي تبتدعها الحوادث السياسية ، في ميدان الحقوق الدولية العامة كل يوم .

من هذه المفاهيم الحديثة ، التي نسجها في كل يوم على لسان رجال السياسة تعبيرا قالوا انه : « المساعدات غير المشروطة » ويعنون بها مساعدة الدول الكبرى للصغرى ، دون أن يكون لهذه المساعدة ماس بحرية الدول الصغرى أو سيادتها واستقلالها .

وكأني بالعرب في جاهليتهم ، قبل الاسلام ، قد عرفوا هذا النوع من العقود ، فسموه « إبلافا » ونزلت به السورة الكريمة المعروفة :

لَا يَلَا فُ قَرِيشٍ إِلَّا فِيهِمْ . رَحَلَةَ الشَّتَاءِ وَالصَّيْفِ .
فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ . الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ ،
وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ .

وقد تبيعت بحث « الابلاف » في كتب التفسير ، وكتب اللغة وكتب
الأدب ، وفي السطور التالية خلاصة لهذا البحث :

١ - الابلاف في كتب التفسير

آ - في تفسير الطبري ج ٢٠ ص ١٧٠ عن مجاهد : ابلاف قريش :
نعمتي على قريش .

ب - وفي تفسير ابن كثير ج ٩ ص ٣٠٥ : عن محمد بن اسحاق
وعبد الرحمن بن زيد : أي لائلافهم واجتماعهم في بلد آمنين .
وقيل : المراد ما كانوا يألفونه من الرحلة في الشتاء الى اليمن ، وفي الصيف
الى الشام .

ج - وفي تفسير البغوي ج ٩ ص ٣٠٦ : قال عطاء عن ابن عباس :
كانت قريش في 'ضر' ومجاعة حتى جمعهم هاشم على الرحلتين ، وكانوا يقسمون
ربهم بين الفقير والغني ، حتى كان فقيرهم كغنيهم !
ولم أجد بين المفسرين المشهورين من أشار الى تفسير الابلاف بمعنى :
« الأمان من غير حلف » .

٢ - الابلاف في كتب اللغة :

آ - في القاموس : والابلاف في التنزيل العهد ، وشبه الاجازة بالخفارة .
وأول من أخذها هاشم من ملك الشام ، وقاديله أنهم كانوا سكان الحرم آمنين .

في امتيازهم وتنقلاتهم ، شئاء وصيفا ، والناس 'يتخطفون من حولهم ، فاذا عرض لهم عارض قالوا : نحن أهل حرم الله ، فلا يتعرض لهم أحد . أو اللام للتعجب أى : انجبوا لايلاف قريش . وكان هاشم يؤلف الى الشام وكان تجار قريش يتخطفون الى هذه الأمصار بحبال هذه الاخوة ، فلا يتعرض لهم ، وكان كل أخ منهم أخذ حبلا من ملك ناحية سفره أمانا له .

ب — وفي انتاج : عن ابن عرفة : الايلاف : انما هو العمود التي كانوا يأخذونها اذا خرجوا في التجارات ، فيأمنون بها .

وفيه : الايلاف : من يؤلفون ، أي يهيئون ويجهزون .

ج — وفي اللسان : الايلاف الاستجارة — العهد والدمام — الجمع بين الرحلتين .

د — وفي النهاية ج ١ ص ٤٨ الايلاف : العهد والدمام كان هاشم بن عبد مناف أخذه من الملك لقريش .

د — وفي الفائق للزمخشري ج ١ ص ٤٠ : لقد علمت قريش أن أول من أخذ لها الايلاف وأجاز لها العيرات لهاشم .

وفيه : الايلاف : الحبل . أي : العهد الذي أخذه هاشم بن عبد مناف من قبصر وأشرف أحياء العرب لقومه بأن لا يتعرض لهم في مجازاتهم ومسالكتهم في رحلتهم . وهو مصدر من آلفه ، بمعنى آلفه . لأن في العهد ألفه واجتماع كلمة . وهكذا نرى أيضا أن كتب اللغة لم تشر الى المعنى المقصود من « الايلاف »

٣ — الايلاف في كتب الأدب :

ورد حديث الايلاف في كثير من كتب الأدب والتاريخ ، وسنقتصر على مقارنة ثلاثة منها ، هي في نظرنا أهمها وأجدرها بالبحث :

أ — أبو علي القالي :

في الصفحة ١٩٩ من كتاب النوادر (طبعة دار الكتب) ١٩٢٦ لأبي علي

القالي النص التالي :

« قال أبو علي : حدثنا العتيبي ومحمد بن سلام ، كلاهما قال : كانت قريش تجارا وكانت تجارتهم لا تعدو مكة ، انما تقدم عليها الأعاجم بالسلع فيشترونها منهم ثم يتبايعونها بينهم ، ويبيعونها على من حولهم من العرب . فكانوا كذلك ، حتى ركب هاشم بن عبد مناف الى الشام ، فنزل بقبصر ، فكان يذبح كل يوم شاة ، ويصنع جفنة ثريد ، ويجمع من حوله فياكلون . وكان هاشم من أجل الناس وأتمهم ، فذكر لقيصر فقبل له : ها هنا رجل من قريش يهشم الخبز ثم يصب عليه المرق ويفرغ عليه اللحم - وانما كانت العجم تصب المرق في الصحاف ثم تأتدم بالخبز - فدعا به قيصر ، فلما رآه أعجب به فكان يبعث اليه في كل يوم ، فيدخل عليه ويحادثه فلما رأى نفسه تمكن عنده قال له : أيها الملك ! ان قومي تجار العرب ، فان رأيت لي كتابا تؤمن تجارتهم ، فيقدموا عليك بما يستطرف من أدم الحجاز وثيابه ، فتباع عندهم ، فهو أرخص عليكم . فكتب له كتاب أمان لمن يقدم منهم . فأقبل هاشم بذلك الكتاب ، فجعل كلما مرّ نبي من العرب بطريق الشام ، أخذ من أشرافهم ابلافا - والابلاف أن يأمنوا عندهم في أرضهم بغير حلف ، انما هو أمان الطريق - وعلى أن قريشا تحمل اليهم بضائع فيكفونهم حملاتها ، ويؤدون اليهم رؤوس أموالهم ورجلهم . فأصلح هاشم بذلك الابلاف بينهم وبين أهل الشام ، حتى قدم مكة ، فأتاهم بأعظم شيء أتوا به بركة ، فخرجوا بتجارة عظيمة ، وخرج هاشم معهم يمجّونهم ويوفونهم ابلافهم الذي أخذهم من العرب ، حتى أوردتهم الشام ، وأحلهم فراها ، ومات في ذلك السفر بغزة . وخرج المطلب ابن عبد مناف الى اليمن ، فأخذ من ملوكهم عهدا ؟ لمن تاجر اليهم من قريش ، وأخذ الابلاف كفعل هاشم ، وكان المطلب أكبر ولد عبد مناف ، وكان يسمى الفيض وهلك بردمان من اليمن . وخرج عبد شمس بن عبد مناف الى

الحبشة ، فأخذ ابلافا كفعل هاشم والمطلب ، وهلك عبد شمس بمكة فقبره بالحجون . وخرج نوفل بن عبد مناف ، وكان أصغر ولد أبيه ، وأخذ عهدا من كسرى لتجار قريش ، وابلافا من مر به من العرب ، ثم تقدم مكة ورجع الى العراق ، فمات بسلام . وانتعت تجارة قريش في التجارة في الجاهلية ، وكثرت أموالها »

والواضح من هذا النص أن « الابلافا » كان بين العرب أنفسهم ، لا بين العرب ومن جاورهم من الأمم . وقد فرّق صاحب الحديث - العتيبي وابن سلام - بين الاتفاقات التي جرت بين العرب بعضهم بعضاً فسماها « ابلافا » ، وبين الاتفاقات التي جرت بين العرب وقيصر وملوك اليمن والحبشة وكسرى ، فسماها « عهدا » . وأما مضمون « العهد » فلا يتعدى الأمان ، على ما في هذا الحديث ، وإن كان مفهومه اللغوي والاصطلاحي أعم وأشمل .

وأما « الابلافا » فهو الأمان بغير حلف ، وإنما يترتب على تجار قريش أن يحملوا بضائع مَنْ في طريقهم من الأحياء والقبائل ، فيتجروا بها ، وفي عودتهم يؤدّون إليهم - أي الى من في طريقهم - رؤوس أموالهم ورجلهم .

ب - ابن حبيب في المنق

نقل الأستاذ محمد حميد الله نصاً مشابهاً عن كتاب المنق لابن حبيب المخطوط^(١) وما نحن أولاء نورد الفقرة التي فيها بعض الخلاف مما يمس موضوعنا : « قال هاشم : أيها الملك ! إن لي قوماً ، وهم تجار العرب . فإن رأيت أن تكتب لهم كتاباً تؤمنهم ، وتؤمن تجارتهم ، فيقدموا عليك بما يستطرف من أدم الحجاز وثيابه ، فيكونوا يبيعونه عندكم ، فهو أرخص عليكم .

(١) راجع :

Melange Louis Massignon, P. 309

طبعة العهد الفرنسي بدمشق ١٩٥٧ .

فكتب له كتابا بأمان من أتى منهم من أشراقهم ايلافا . فايلافا (؟ فالابلاف)
ان بأمنوا عندهم في أرضهم بغير حلف عليهم . وانما هو أمان الناس . وعلى أن
قريشا تحمل لهم بضائعهم فيكفونهم حملانها ، ويردون اليهم رأس مالهم ورجلهم
فهذا الابلاف ممن بينه وبين الشام » .

« وخرج هاشم يجوزهم وبوقيتهم ايلافهم الذي أخذ لهم من العرب »
« وخرج المطلب الى اليمن . . . ثم أقبل بأخذ الابلاف ممن مر به العرب
« وخرج عبد شمس . . . ثم أخذ الابلاف ممن بينه وبين العرب . »
« وخرج نوفل . . . ثم أقبل بأخذ الابلاف ممن يمر به من العرب .
أما بقية النص ، فالخلاف فيه يسير ، والمحدث فيه ابن الكلبي .
والمفهوم من هذا النص أن « الابلاف » يشمل أمان الأعاجم والعرب
للقرشيين على السواء .

ج — ابن أبي الحديد في شرح النهج

حديث ابن أبي الحديد في الجزء الثالث ص ٤٥٨ من شرح نهج البلاغة
رواية الزبير ، عن محمد بن حسن عن محمد بن طلحة عن عثمان بن عبد الرحمن
قال : قال عبد الله بن عباس :
« والله لقد علمت قريش أن أول من أخذ الابلاف وأجاز لها العيرات
لهاشم وكان من أحسن الناس خلقا وتما ، فذكر لقيصر ، فلما رآه
سأله أن يأذن لقريش في القدوم عليه بالمتاجر ، وأن يكتب لهم كتاب الأمان
فيما بينهم وبينه ففعل . . .
هذه هي أهم النصوص الموجودة في كتب الأدب حول موضوع « الابلاف »
ومن مقارنتها يتبين :

١ - أن القالي قد جزم تقلا عن النبي ومحمد بن سلام بأن الابلاف هو الأمان بغير حلف وأنه عهد وقع بين القرشيين وقبائل العرب التي كان القرشيون يرون بها ، كان من مقتضاه أن يحمل القرشيون بضائع من يرون بهم ، وأن يتاجروا بها ، وأن يردوا اليهم رأس مالها وربحها .

ومن الضروري في بحثنا أن نعرف ماذا عني هؤلاء الرواة من لفظ «حلف» فأما المعاجم فإنها لا تقيدها في هذا الموضوع ، بل تزيد البحث تشويشاً ، إذ أن الحلف هو العهد ، أو الأمان من الغدر ، ولا يمكن أن يكون لذين المفهومين في بحثنا من موضع للتطبيق .

والذي يتبادر للذهن استنتاجاً من سياق الحديث أن المراد بلفظ «حلف» هو ما نسميه اليوم بلفظ الحقوق الدولية العامة «الالتزامات» . بمعنى أن القرشيين قد نالوا أمان الطريق ، دون أن يكون لهذا الأمان مقابل في حرباتهم أو أموالهم ، أو حقوقهم المطلق في التصرف بشؤونهم . وبكلمة جامعة : دون أن يكون هنالك ما ينقص من حقوقهم .

أما التعمد بالاتجار بأموال القبائل ، ورد رأس المال مع الأرباح ، فهو وإن كان في الواقع التزاماً ، إلا أنه يدل من جهة على الثقة بأمانة القرشيين ، كما يدل من جهة أخرى على أنه لم يكن بعد في ذلك العصر انتقاماً للحربة .

٢ - إن ابن حبيب وهو أقدم من القالي ، قد عرّف «الابلاف» تقلا عن ابن الكلبي بأنه الأمان من العرب والاعاجم ، وإن كان قد عاد فأكد أنه أمان من العرب وحدهم .

وفي رأينا أن النص الذي أورده ابن حبيب في المنق مشوش ، ولعل يد النساخ قد امتدت الى تحريفه ، أو أن ذاكرة راويه قد قصرت في حفظه ، لأنه يكاد يكون متطابقاً مع نص القالي إلا في هذا الموضع . وعجزي أن

نص القالي أكثر انسجاماً ، واصح لغة ، وأقرب لمنطق الحديث . ولهذا فائنا نرجح أنه أقرب الى الصواب من نص ابن حبيب .

٣ - اما نص ابن أبي الحديد ، فإنه أخصر من النصين السابقين ، ولم يرد فيه لفظ الابلانف « إلا في مطلعته » واقتصر في خاتمته على لفظ « الأمان » . وهو في روحه ، وكثير من ألفاظه لا يخرج عن النصين السابقين .

د - الألفاني في أسواق العرب

ان أول من تناول موضوع « الابلانف » يبحث علمي مطول على ما نعلم هو الأستاذ المحقق سعيد الألفاني في كتابه أسواق العرب (ص ١٢٣ وما بعدها) المطبوع في دمشق ١٩٣٧ .

وقد استشهد الأستاذ الألفاني بكثير من النصوص ، وأقوال أئمة اللغة ، الا أنه أهمل أقوال الأئمة من المفسرين ، وجنح الى تسمية الابلانف بلغة عصرنا (المعاهدات التجارية) .

وما من شك في أن الغرض من الابلانف تجاري ، أو أنه يؤدي الى ضمان حرية تنقل القوافل التجارية ، ولكنه لا يمكن أن يسمى (المعاهدات التجارية) ، لأن هذه تقتضي اتفاقاً على تبادل السلع ، وطريقة دفع قيمها ، أو مكوسها (جماركها) أو غير ذلك . أما أمان الطريق بغير حلف ، فلا يمكن أن يسمى بلغة العصر إلا « المساعدات غير المشروطة » Aides inconditionnés .

هـ - حميد الله في مختارات ماسينيون

الأستاذ محمد حميد الله ، عالم هندي فاضل ، له آثار معروفة . عقد فصلاً باللغة الفرنسية في الكتاب الذي نشره المعهد الفرنسي بدمشق تحت عنوان « مختارات لويس ماسينيون » عام ١٩٥٧ ج ٢ ص ٢٩٣ وما بعدها ، سماه :

الإبلافا أو العلاقات الاقتصادية - السياسية في مكة قبل الإسلام .

Les rapports économique - politiques de la Mecque pré - islamique.

تضمن هذا الفصل دراسة جيدة عن الإبلافا ، انتهى بها واضعها الى أن الوحدة الاقتصادية التي قامت قبل الإسلام بفعل التقاليد الجاهلية القديمة ، كالأشهر الحرم ، والبئسل ، والأسواق الدورية الدائمة ، والإبلافا ، قد مهدت للوحدة السياسية التي حققها الرسول الأعظم ﷺ . وفكرة الأستاذ حميد الله هذه ، وان لم تكن من الأفكار المبتكرة ، إلا أنه أحسن عرضها وتنسيقها على شكل تكاد تبدو معه على القارئ العربي جديدة . وقد اعتقد الأستاذ حميد الله بأن النص الذي نقله ابن حبيب في المنطق عن ابن الكلبي نص جديد ، ولم يسمع به أحد من قبل ، فقال : « ولما كان كتاب المنطق لابن حبيب لم يطبع حتى الآن ، ولا في متناول العلماء بسهولة ، فانا نعتقد أنه من المفيد أن تنشر منه فصاين بنصها ، أشرنا اليها سابقا (وأورد النصين) .

وقد سبق أن بينا أن أحد النصين معروف لدى جميع المشتغلين بالأدب ، لأنه ورد في أحد كتب الأربعة الشهيرة ، ونعني به أمالي القاضي ، المطبوع في عام ١٩٢٦ ، والذي لم تخل منه مكتبة عامة في القديم ولا في الحديث ، وازدانت به أكثر المكتبات الخاصة . ودراسة الأستاذ حميد الله ، بهد ، جدرة بأن تنقل الى لغة العرب ، لأنها رائعة حقاً في أسلوبها وعمقها وتفكير صاحبها وكم أتمنى أن أجد فراغاً من وقتي لأقوم بهذه الخدمة العلمية .

الخاتمة

وبعد فقد استلهمنا هذا البحث من روح أستاذنا العلامة سليم الجندي رحمه الله .
وفي بقيتنا أننا أضفنا دليلاً جديداً الى نظريته ، وبرهنا فيه أن لغتنا العربية ،
لم تكن ضيقة الآفاق في القرن الرابع والخامس الميلادي ، بل اتسعت لمعان .
لم نعرف إلا في القرن العشرين ، وفي ميدان الحقوق الدولية العامة ، وهو
من أضيق الميادين ، واستمارة اللغات الأوربية لمصطلحاته بعضها من بعض
معروف ومشهور .

ونختم هذا البحث باقتراح اطلاق لفظ الأوبلاف على المساعدات غير المشروطة
Aides inconditionnées التي أصبحت مبدئاً أساسياً تنادي به الأمم الصغيرة ،
حفاظاً على حريتها وسيادتها .

ظافر القاسمي



الزجاجي

حياته وآثاره

ومذهبه النحوي من خلال كتابه «الإيضاح»^(١)

(١)

حياة الزجاجي

نسبه :

هو أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق ، ويقف نسبه عند أبيه فلا يذكر أحد شيئاً عنه بعد ذلك على كثرة الذين ترجموا له ، ولعل لأصله الفارسي أثراً في ذلك إذ لو كان عربيّاً لما ضاع عنا نسبه نظراً لما عرف عن العرب من العناية بالأنساب ، وعلى كلِّ فان ضياع معالم النسب أمر نلاحظه عند كثير من لم يشتهر نسبهم أو ترفعهم أسرهم ، وإنما سمّوا بأنفسهم وشهّرتهم أعمالهم .
والزجاجي واحد من هؤلاء ، حتى إنه لم ينسب إلى أسرته وإنما نسب إلى أستاذه إبراهيم بن السريّ الزجاج فعُرف به .

ولد أبو القاسم بنهاوند - جنوبي ميسان - وقيل في الصيمرة ، وهي في جنوب ميسان أيضاً ، ولذلك نسبوه إلى بنهاوند ، قال ابن خلكان : « هو البغدادي داراً ونشأة ، النهاوندي اصلاً ومولداً »^(٢) . « ونسبوه إلى الصيمرة

(١) بحث مفصل في حياة أبي القاسم الزجاجي المتوفى سنة ٣٣٧ هـ ووصف مؤلفاته ، وعرض لكتابه «الإيضاح في علل النحر» ومذهبه النحوي فيه .

(٢) وفيات الأعيان ١ : ٢٤٩

كما ذكر السيوطي^(١) ، وجمع القفطي النسبين فقال « هو نهاوندي من اهل الصيخرة^(٢) » .

نشأته :

وتدل سيرة الزجاجي على أنه كان محباً للعلم بكثير السعي والرحلة في سبيله فقد غادر مسقط رأسه الى العراق ، واستقر في بغداد ونشأ فيها ، ثم غادرها إلى الشام فأقام مدة بحلب ، وانتقل بعد ذلك الى دمشق فدرس فيها وأفاد ، وقبل إنه خرج بعد ذلك الى طبرية ومات فيها .

وكانت حياة أبي القاسم حركة دائمة وعلماً متصلاً ، فهو - حيثما يقم - تليذ من طالع مستفيد أو معلم يجلس للدرس والإملاء ، وذلك ما تؤيده صلاته الشديدة المستمرة بشيوخه وتلاميذه .

وأجمع الذين تحدثوا عن الزجاجي أنه كان ورعاً تقياً ، وقالوا في تأليفه كتاب الجمل إنه ألّفه بمكة وكان لا يضع باباً منه أو مسألة من مسائله إلا وهو على طهارة ، فاذا انتهى من وضعه طاف به حول الكعبة أسبوعاً^(٣) بدعو الله أن ينفع به . . . وذكر بعضهم أنه كان متشيعاً وكان محباً للنظافة معنياً بزيافته ، حسن الشارة ملجح البزة^(٤) .

وكان ثقة يؤخذ عنه الحديث ويتردد اسمه في الأسانيد . قال الحافظ ابن عساكر « وحدّث عن جماعة واسند حديثاً كثيراً^(٥) » . وروى ابن عساكر أخباراً كثيرة كان للزجاجي في أسانيدنا نصيب كبير^(٦) .

(١) بقية الوعاة : ٢٩٧

(٢) إنباء الرواة ٢ : ١٦٠

(٣) أي سبع مرّات

(٤) مخطوطة إشارة التمين . الورقة : ٢٦

(٥) تاريخ ابن عساكر ٩ : ٤٣٣

(٦) المصدر السابق ٩ : ٤٣٢

وفاته :

وأما وفاته فكانت على الأرجح في سنة ٣٣٧ هـ في طبرية . وكان أبو بكر الزبيدي ^(١) أقدم من ذكر هذا التاريخ من ترجموا الزجاجي ، ورجعه ابن خلكان وقال هو الأصح ^(٢) وزعم ابن تغري بردي أن وفاته كانت سنة ٣٣٩ ^(٣) وتردّد ابن الأثير بين هذين التاريخين ^(٤) وجزم القفطي ^(٥) وابن العماد الحنبلي ^(٦) وابن شاكر الكشي ^(٧) والبيهقي ^(٨) أن وفاة الزجاجي كانت في سنة ٣٤٠ وأبدهم في ذلك ابن عساكر فقال « أخبرنا أبو محمد بن الألفاني : أخبرنا عبد العزيز بن أحمد قال : توفي أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي النخوي بطبرية في شهر رمضان من سنة سنة اربعين وثلاثمائة » ثم قال « ورأيت في كتاب عتيق : مات أبو القاسم الزجاجي بالشام بطبرية في رجب سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة . قال ابن الألفاني : وهو خطأ ^(٩) »

وهكذا ينحصر اختلافهم في تاريخ وفاته بين سنتي ٣٣٧ و ٣٤٠ وهو أمر يسير لا يترتب عليه شيء ذو بال وأباً كانت سنة وفاة الزجاجي فهو قد عاصر من خلفاء العباسيين المقتدر وابن المعتز والقاهر بالله والراضي والمنقفي والمستكفي ومات في خلافة المطيع حين كانت مقاليد الحكم بيد بني بويه .

(١) طبقات الفريين والنحاة : ١٢٩

(٢) وفيات الأعيان ١ : ٣٨٩

(٣) الجوامع الزاهرة ٣ : ٣٠٢

(٤) الكامل ٨ : ١٩٤

(٥) انباه الرواة ٢ : ١٦٠

(٦) شذرات الذهب ٢ : ٣٥٧

(٧) عيون التواريخ

(٨) اشارة التبيين

(٩) تاريخ ابن عساكر ٩ : ٤٣٣

اساتذته :

حب الزجاجي للعلم جعله يكثر الأخذ عن شيوخ العلم وأربابه حتى بلغ الذين اخذ عنهم عشرين أستاذاً ، وكأنه أحب ان يجمع ما يستطيع من ثقافة عصره فما نزل بلداً إلا تلقى على مشايخه واخذ عن أساتذته ولو كانوا ذوي آراء متعددة ومذاهب مختلفة ، وكان اثر هذا الاختلاف والتعدد جلياً واضحاً في ثقافته وآرائه .

في طليعة أساتذته من غير شك ذلك الأستاذ الذي لازمه ابو القاسم حتى نسب إليه وعرف به وهو أبو اسحاق ابراهيم بن السري بن سهل الزجاج المتوفى سنة ٣١١ وقد عدّه الزجاجي في مقدمة الذين ذكرهم من أساتذته وشيوخه حين تحدث عنهم فقال :

« فن العلماء الذين لقيتهم وقرأت عليهم شيخنا ابو اسحاق ابراهيم بن السري الزجاج رحمه الله . وابو جعفر محمد بن رستم الطبري غلام ابي عثمان المازني وابو الحسن بن كبسان ، وابو بكر احمد بن الحسين بن العباس المعروف بابن شقير ، وابو بكر محمد بن احمد بن منصور المعروف بابن الخياط ، وابو بكر ابن السراج ، وابو الحسن علي بن صليمان الأنخشي »

ثم قال « وابو بكر بن الأنباري ، وابو موسى المعروف بالحامض وكان الأغلب عليه علم اللغة إلا أنا قد اخذنا عنه حكايات يسيرة ، وابو الفضل الملقب بزبيل وابو محمد عبد الملك بن مالك الفريز وغير هؤلاء ممن لم يشهر من الكوفيين ^(١) . »

وذكر الذين تحدثوا عن الزجاجي أنه اخذ عن علماء آخرين وكان ممن اخذ عنهم أبو عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة المعروف بنفطويه المتوفى سنة ٣٢٣

(١) الإيضاح : باب المستعق للأعراب من الأسماء والأفعال والحروف .

وأبو بكر محمد بن الحسن بن دريد المتوفى سنة ٣٢١ وأبو عبد الله محمد بن العباس
 البزبيدي المتوفى سنة ٣١٦ وأبو بكر محمد بن يحيى الصولي المتوفى سنة ٣٣٥
 وأبو عبد الرحمن عبد الله بن هانيء النيسابوري وأبو العلاء أحمد بن عبيد الله
 ابن الحسن بن شقيب البغدادي وأبو جعفر أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قنبة
 المتوفى سنة ٣٢٢ وأبو العباس أحمد بن عبيد الله بن عثمان الثقفي المتوفى سنة
 ٣١٤ وأبو القاسم جعفر بن قدامة الكاتب المتوفى سنة ٣١٩ .

وزاد ابن عساكر على هؤلاء أسناذين آخرين ، هما أبو عبد الله الحسين بن
 محمد الرازي وأبو علي الحسن بن علي العتري ^(١) .

هؤلاء هم الأعلام الذين أخذ الزجاجي عنهم وتخرج على أيديهم ولا بد
 من الإشارة إلى أنه كان منهم البصريون كما كان منهم الكوفيون وكان
 لذلك آثار ظهرت في آراء الزجاجي ومؤلفاته كما سنرى .

تلامذته :

وأما تلامذته فمنهم من أخذ عنه مباشرة ، ومنهم من انتفع بكتبه ، وقد
 كان يجب أن ينفع الله الناس بعلمه فما يؤلف حتى يطهر ويطوف ويدعو .
 وكان ممن أخذ عنه محمد بن سابقه النخوي ، وعبد الرحمن بن محمد بن أبي نصر
 وعبد الرحمن بن عمر بن نصر ، وأحمد بن محمد بن سلامة (أو سلمة) الدهشقيون
 وأبو الحسن علي بن محمد بن اسماعيل بن محمد التميمي الأنطاكي وهو الذي
 روى عنه كتابه مختصر الزاهر ^(٢) وذكر ابن عساكر أن من حدث عن
 الزجاجي أيضاً أبا يعقوب اسحاق بن أحمد الطائي ^(٣) .

(١) تاريخ دمشق : ٩ : ٣٤٢

(٢) فهرسة ابن خير : ٣٤٣

(٣) ابن عساكر : ٢ : ٤٠٠

ونلاحظ أن أكثر تلامذة الزجاجي كانوا من دمشق ، ولعل سبب ذلك أنه أقام في دمشق أكثر مما أقام في غيرها وفيها حدث وأملى وألف . قال محقق كتاب الجمل « ثم سكن دمشق وطبرية وأيلة فأملى وحدث ولا سيما بدمشق^(١) وقال القفطي « وانتقل الى الشام فأقام بحلب مدة ثم انتقل إلى دمشق فأقام بها وصنف^(٢) وكذلك ذكر ابن عساكر^(٣) والسيوطي^(٤) . وجاء في (إشارة التبيين) أنه كان يدرس بجامع دمشق .

وأما الذين انتفعوا بتأليفه فقد شاع على الألسن أنهم كثيرون . وكان المؤلفين لما سمعوا خبر ورعه وتقاه ودعائه أن ينفع الله الناس بعلمه وقعوا تحت تأثيره وتنافلوا خبر النفع بكتبه حتى أنه ما من أحد منهم ذكر كتاب الجمل للزجاجي إلا وصفه بالبركة والنفع العظيم .

قال ابن خلكان « وكتابه الجمل من الكتب المباركة لم يشتغل به أحد إلا وانتفع به » ثم يقول - وكأنه يعمل - « ويقال إنه صنفه بمكة حرصاً على الله تعالى وكان إذا فرغ من باب طاف به أسبوعاً ودعا الله تعالى أن يغفر له وأن ينفع به قارئه »^(٥) .

وقال البيهقي : « وسكن دمشق وانتفع به الناس وانتفع بكتابه خلق لا يحصون » ثم ذكر ما ذكره ابن خلكان من أمر الطواف والدعاء ووصف كتاب الجمل بالوضوح وأنه مبارك ما اشتغل به أحد إلا انتفع وأن نفعه عم بلاد الإسلام^(٦) .

(١) مقدمة الجمل

(٢) الانباء ٢ : ١٦٠

(٣) تاريخ دمشق ٩ : ٤٣٢

(٤) البنية : ٢٩٧

(٥) إشارة التبيين و ٢٦

(٦) وفيات ١ : ٣٨٩

(٧) سيرة الجنان ٢ : ٣٣٢

وقال صاحب كشف الظنون في معرض حديثه عن كتاب الجمل « وهو كتاب نافع ومنفيد » .

وجاء في شذرات الذهب أنه « انتفع بكتابه خلق لا يحصون . . . » ^(١) .
وجاء في الانباء ما يوضح هذا الربط بين دعاء الرجل وانتفاع الناس به
إذ روى القفطي الخبر الآتي « سمعت من لفظ الشيخ أبي البقاء صالح بن عادي
الغوري الأنطاقي النحوي نزبل فقط ان الزجاجي - رحمه الله - صنف الجمل
بمكة حماها الله وكان اذا فرغ من باب طاف به أسبوعاً ودعا الله ان يغفر له
وان ينفع به قارئه ولهذا انتفع به الطلبة . . . » ^(٢)

ثقافته :

لقد كانت ثقافة الزجاجي ثقافة رجل عاش في أواخر القرن الهجري الثالث
وأدرك أربعين سنة من القرن الرابع ، هذا القرن الذي حفل بنتاج خصب
للعقيدة الإسلامية في أوج نضجها ورقبها ، فهاصر الأخفش علي بن سليمان
والزجاج وابن السراج وابن الأنباري والسيرافي وابن دريد ، وغيرهم ، وكان
واحداً منهم ، بل من أكثرهم نشاطاً في العلم والتأليف .

وتظهر لنا سعة ثقافته في مؤلفاته الكثيرة ، وما تنصف به من علق وتنوع
وكانه جمع في نفسه ما تفرق عند أساتذته من فنون العلوم ، فقد كان منهم
من اتسع أفقه في النحو كالأخفش علي بن سليمان وابن الخياط وابن شقير
وابن كيسان فكان الزجاجي مثلهم في سعة العلم بالنحو وما يتصل به من اختلاف
المذاهب وتشعب الآراء . وكان منهم من غلب عليه علم اللغة كابن دريد
وأبي مومي الحامض ، فكان الزجاجي كذلك لغوياً كما هو في أماليه .

(١) الشذرات ٢ : ٣٥٧

(٢) الانباء ٢ : ١٦١

ونرى الزجاجي اذا تعرض للنقد ناقداً بصيراً بمواطن الضعف عارفاً بمحاسن التأليف ، فهو يكره الجمع والتقليد ، ويحب الابداع والابتكار ، والوضوح والسلامة من الخطأ ، ويقدر تعب المؤلف وجهده ويتضح هذا في نقده للمفضل صاحب كتاب « الفاخر » ولابن الأنباري صاحب « الزاهر » حين أتى على ذكر هذين الكتابين في مقدمة « مختصر الزاهر »^(١) .

وقد اشتهر الزجاجي بكثرة تأليفه حتى عرف بصاحب التصانيف^(٢) ، وكانت تصانيفه متنوعة الموضوعات ففيها النحو والصرف وحروف الهجاء والمعامي والقوافي والشعر واللغة والأدب ، وسيأتي الحديث عن هذه الآثار مفصلاً فيما بعد .

ولم تكن ثقافة أبي القاسم عربية فحسب ، إذ كانت عارفاً ببعض اللغات الأخرى وقد ذكر ذلك دون أن يصريح بهذه اللغات أو يبينها فقال في معرض حديثه عن أقسام الكلام : « وكونها لا تخرج عن اسم وفعل وحرف : » « وقد اعتبرنا ذلك في عدة لغات عرفناها سوى العربية فوجدناه كذلك . »^(٣) . « وكما كنا نود لو أنه عين هذه اللغات أو لجأ خلال حديثه عن العربية إلى شيء من الموازنة بينها فكانت تكون معرفته لغير العربية أعود بالنفع والفائدة . »

ولا بد لنا ونحن بصدد تقويم ثقافة الزجاجي من وقفة قصيرة عند رأي أبي علي الفارسي الذي نقلوا عنه أنه قال : « لو سمع الزجاجي كلامنا في النحو لاستحيا أن يتكلم فيه »^(٤) .

(١) ص ٢١ من هذا البحث

(٢) شذرات الذهب ٢ : ٣٥٧

(٣) الايضاح : ٦

(٤) نزاهة الألبا : ٣٧٩ . وإليه الرواة ٢ : ١٦٠

لم ينقل هذا القول أحد من عاصر الرجلين وترجم لهما كالزبيدي وابن النديم وإنما نقله المتأخرون كابن الأنباري (٥٧٧ هـ) والقفطي (٦٤٦ هـ) ! ومع ذلك فإذا صحَّ صدور هذا القول عن الفارسي — وما أراه غريباً عنه — فيجب أن نعرف دوافعه ونقّبين مدى الحق فيه .

لقد كان الفارسي أستاذ عصره ومتقدّم أهل الصنعة في زمانه وأنحى من جاء بعد سيبويه ولم يكن الزجاجي ندّاً له على الرغم من أن ابن الأنباري بعده في طبقته . إلا أن تأخر الزجاجي عن مرتبة الفارسي لا يبرّر هذا الاذراء به والطمع عليه ، فكذب الرجل شاهدة بعله ، وأقوال العلماء فيه وإقبالهم على آثاره دليل على مكانته وفضله . وما أظن رأي الفارسي فيه إلا من قبيل عداوة الصنعة والطمع على أهلها والحرص على مكان الصدارة فيها ، وقد اعتمد الفارسي أن يطلق مثل هذا القول في زملائه ونظرائه ، وقد قال ما يشبهه في أبي الحسن الرّمّاني حين زعم أنه إن كان النحو ما عند الرّمّاني فليس عنده منه شيء ، وإن كان النحو ما عند الفارسي فليس عند الرّمّاني منه شيء . وذكرت عنه أقوال بنال بها من ابن الخياط وابن خالويه والسيرافي . . . وغيرهم^(١) وقد نستطيع أن نضيف إلى هذا العامل النفسي عاملاً آخر هو أن أبا علي كان يحب سيبويه ويمجّب به ويتعصّب له ، والزجاجي لم يكن — على إعجابه بسيبويه وانتصاره له — ليقبل كل آرائه بل لقد مال عن بعضها وقال بخلافه^(٢) أفينبغي الفارسي عينا عن هذا الرجل يتطاوّل على مقام سيبويه ؟

وقد أورد الفارسي حبه لسيبويه وتعصّبه له تلاميذه من بعده ، فكان ابن جني كثير الإعجاب بسيبويه شديد الحماسة له عنيقا في الذّود عنه ، وقد

(١) انظر رسالة الفارسي إلى سيف الدولة الحمداني في معجم الأدباء ٧ : ٢٥٧

(٢) انظر مثلاً باب الصفة المشبهة في كتاب الجمل .

ظهر هذا العنف حين ردّ على المبرد لأنّه تعقب على سيبويه فعدّه واحمداً بل جعل المغالطة في آراء سيبويه عادة سار عليها المبرد^(١) (!) على حين نجد الزجاجي في كثير من الأحيان معجباً بالمبرد ينتصر له ويفخر بابتكار الحجج لتأييده وتثبيت رأيه^(٢) . ثم إن الزجاجي تليذ الزجاج ، والزجاج تليذ المبرد المقدم وهو الذي أحبه وتعصب له وهجر شيخه ثعلباً لأجله بل ألف في الرد عليه أفلا بعقل في طباع البشر أن يكون إعجاب الزجاجي بأستاذه وانتصاره لشيخ أستاذه سبباً في سخط الساخطين على الأستاذ وشيخه ؟

مما يمكن من أمر ، وسواء كان الفارسي مخلصاً في رأيه أو غير مخلص فقد كان هذا الرأي بجانباً للحق بعيداً عن الصواب .

مذهبه النحوي :

لم يكن الزجاجي غريباً في العصر الذي عاش فيه ، ولا بعيداً عن جو البيئة التي نشأ فيها ، وإنما كان ابن عصره وبيئته . أما العصر الذي عاش فيه فقد كان يتميز بفتور حدة التعصب المذهبي في النحو . وأما بيئته فقد قامت فيها طبقة جديدة من العلماء جمعها مساجد بغداد ، وحلقات العلم فيها ، ووصل إليها علم البصرة والكوفة ، فإذا هي لا تميل الى قول إحداهما كل الميل ولكنها تأخذ من كل من القولين بطرف مع شيء من التفاديت في مقدار ما تأخذ . والزجاجي واحد من هؤلاء الذين تلقوا علم البصرة والكوفة ، وبسطوا أفعال علماء المذهبين جميعاً منتخبين منها ما يرون أنه الحق ، وكان بعد ذلك أميل الى البصريين في آرائه وأحكامه .

وليس غريباً أن يكون الزجاجي بغدادي النزعة مع ميله إلى الأخذ بأقوال

(١) انظر سر صناعة الإعراب : ٢١١

(٢) انظر باب معرفة حد الاسم والفعل والحرف في كتاب الإيضاح .

البصريين . ولا عجب في أن يحيط علماً بالمذهبيين البصري والكوفي ، وأن يعتدل بينهما فلا يتعصب لأحدهما فقد كان معظم أساتذته كذلك ؛ فأستاذه الأخفش كان قد قرأ على ثعلب كما قرأ على المبرد^(١) ، وأستاذه ابن الخياط كان يخلط المذهبين ، ويمزج نحو البصريين بنحو الكوفيين^(٢) ، وكذلك كان أستاذه ابن شقير الذي خلط علم البصريين بعلم الكوفيين^(٣) ، وابن كيسان الذي كان بصرياً كوفياً يحفظ القولين ويعرف المذهبين وقد أخذ عن ثعلب والمبرد^(٤) ، وكان قياً بمذهب البصريين والكوفيين^(٥) . وأبو بكر بن السراج الذي أخذ عن المبرد وإليه آلت رياضة النحو بعده ، ولكنه عوّل على مسائل الأخفش والكوفيين ، وخالف أصول البصريين في مسائل كثيرة^(٦) . بل ندع هؤلاء وننظر في سيرة الزجاج نفسه وهو الذي كان أبو القلام شديد الصلة به ، كثير الملازمة له ، ألم يكن من تلامذة ثعلب ثم غدا بعد ذلك بصرياً من أبرع أصحاب المبرد ؟ قال الزبيدي : « لما قتل المتوكل بسر من رأى ، رحل المبرد إلى بغداد ، فقدم بلداً لا عهد له بأهله ، فاختلف وأدركه الحاجة ، فتوخى شهود صلاة الجمعة ، فلما قضيت الصلاة أقبل على بعض من حضره وسأله أن يفتحه السؤال ، ليتسبّب له القول ، فلم يكن عند من حضره علم ، فلما رأى ذلك رفع صوته وطلق بفسر ، يوم بذلك أنه قد سئل ، فصارت حوله حائقة وأبو العباس يصل في ذلك كلامه ، فتشوف أبو العباس

(١) معجم الأدباء ١٣ : ٢٤٦

(٢) نزعة الألبا : ٣١٢ والفهرست : ١٢١

(٣) أخبار النحويين البصريين : ١٠٩

(٤) طبقات الزبيدي : ١٧٠

(٥) نزعة الألبا : ٣٠١

(٦) نزعة الألبا : ٣١٣ ، ومعجم الأدباء ٨ : ١٩٧

أحمد بن يحيى إلى الحلقة ، وكان كثيراً ما يرد الجامع قوم خراسانيون من ذوي النظر ، فيتكلمون ويجتمع الناس حولهم ، فإذا بصر بهم ثعلب أرسل من تلاميذه من بفائسهم ، فإذا انقطعوا عن الجواب انفض الناس عنهم . فلما نظر ثعلب إلى من حول أبي العباس أمر إبراهيم بن السري الزجاج وابن الحائك بالنهوض ، وقال لهما : فضا حلقة هذا الرجل . ونهض معهما من حضر من أصحابه ، فلما صارا بين يديه قال له إبراهيم بن السري : أتأذن - أعزك الله - في المفاتشة ؟ فقال له أبو العباس : سل عما أحببت . فسأله عن مسألة فأجابه فيها بجواب أفتنه ، فنظر الزجاج في وجوه أصحابه متعجباً من تجويد أبي العباس للجواب . فلما انقضى ذلك قال له أبو العباس : أفتنت بالجواب ؟ فقال : نعم . قال : فإن قال لك قائل في جوابنا هذا كذا ، ما أنت راجع إليه ؟ وجهل أبو العباس يوهي جواب المسألة وبفسده وبعتل فيه ، فبقي إبراهيم سادراً لا يغير جواباً ، ثم قال : إن رأى الشيخ - أعزاه الله - أن يقول في ذلك ؟ فقال أبو العباس فإن القول على نحو كذا . . . فصحيح الجواب الأول وأوحى ما كان أفسده به ، فبقي الزجاج مبهوتاً ، ثم قال في نفسه قد يجوز أن يتقدم له حفظ هذه المسألة واتفاق القول فيها ثم يتفق أن أسأله عنها . فأورد عليه مسألة ثانية ، ففعل أبو العباس فيها بنحو فعله في المسألة الأولى حتى والى بين أربع عشرة مسألة يجيب عن كل واحدة منها بما يقتضيه ، ثم يفسد الجواب ، ثم يعود إلى تصحيح القول الأول . فلما رأى ذلك إبراهيم بن السري قال لأصحابه : عودوا إلى الشيخ ، فلتست مفارقاً هذا الرجل ، ولا بد لي من ملازمته ، فعاتبه أصحابه وقالوا : تأخذ عن مجبول لا تعرف اسمه ، وتدع من قد شهر علمه وانتشر في الآفاق ذكره ؟ فقال لهم : لست أقول بالذكر والخمول ولكني أقول بالعلم والنظر . فلزم أبا العباس ، وسأله عن حاله ، فأعلمه برغبته

في النظر وأنه قد حبس نفسه على ذلك إلا ما يشغله من صناعة الزجاج في كل خمسة أيام من الشهر ، فينتقوت بذلك الشهر كله . ثم أجرى عليه في الشهر ثلاثين درهماً ، وأمره أبو العباس باطراح كتب الكوفيين . ولم يزل ملازمًا له . وأخذاً عنه حتى برع من بين أصحابه ^(١) .

على أن هذا لا يعني أن أساتذة الزجاجي كلهم كانوا بين البصريين والكوفيين وإنما كان بعضهم ذا مذهب أو اتجاه واضح ، كابن الأنباري الذي كان كوفيًا ، بل « أحفظ من تقدم من الكوفيين » ^(٢) ، وأعلم الناس بنحوهم ^(٣) ، وشديد الولاء لمذهبهم « حتى إنه تعصب ضد ابن كيسان ، لأن هذا خلط بين المذهبين . وكأني مومى الحامض الذي كان يتعصب على البصريين مع أنه خلط القولين ^(٤) على عكس ابن كيسان الذي كان ميله إلى مذهب البصريين أكثر ^(٥) .

فجّل أساتذة الزجاجي إذاً من خلط المذهبين ، وإن كان لبعضهم ميل إلى آراء البصريين أو الكوفيين . وهو لا يختلف عن هؤلاء الأساتذة الأحرار الذين لم تستبعدهم أقوال فئة معينة من النخبة ، وإنما كانوا يطعمون على القولين ، ويختارون من المذهبين .

لقد كان الزجاجي مستقل الشخصية حرّ الفكر لا هو بالبصري المحض ، ولا بالكوفي المحض ، يرى الرأي فلا يخشى أن يخالف فيه من سبقه كوفيًا كان أو بصريًا . وقد يذكر الرأي ثم ينعت أحدهما بما يدل على تأييده للثاني

(١) طبقات الزبيدي : ١١٨

(٢) المصدر السابق : ١٧١

(٣) معجم الأدباء ٨ : ٣٠٦

(٤) بنية الوعاة : ٢٦٢

(٥) طبقات الزبيدي : ١٧٠

كأن يقول : « وإن قلت كذا كان قبيحاً . وأهل البصرة لا يميزونه ^(١) » .
أو أن يقول بعد ذكر رأيه : « هذا هو الوجه الجيد ^(٢) » . وقد يعرض
لأكثر من رأي واحد ، فيصنف الآراء تصنيفاً يسير فيه بحسب القوة والضعف
في رأيه ، كأن يقول : « الأجود في هذا الباب كذا ، وبعد ذلك كذا
ودون ذلك كله كذا . . » ^(٣)

وأما إذا أردنا ان نتعرف الى مذهب الزجاجي النحوي من خلال استعماله
للمصطلحات ، وقد كان لكل من البصريين والكوفيين مصطلحاتهم ، فإننا نجد
العالم العدل الذي لا تهمه الأسماء ، بل يهتم أن يوضح مراده ، ويبدئي المعنى من
الفهم ، فنراه يستعمل الأسماء المختلفة للمسمى الواحد ، كقوله : « الفصل ويسميه
الكوفيون العباد » ^(٤) . ونراه يصريح بتغيير ألفاظ الدين بحكي عنهم فيقول : « وإنما
نذكر هذه الأجوبة عن الكوفيين . . . إلا أن العبارة عن ذلك بغير ألفاظهم » .
وهو لا يفعل ذلك تمصباً ضدّهم بل رغبة منه في التوضيح كما يقول : « لأنه
لو تكلفنا حكاية ألفاظهم بأعيانها ، لكان في نقل ذلك مشقة علينا من غير
زيادة في الفائدة ، بل لعل أكثر ألفاظهم لا يفهمها من لم ينظر في كتبهم » ^(٥) .

الخلاصة إذاً أن الزجاجي كان كأكثر أماندته الذين لم يكونوا بصريين
خُلصاً ولا كوفيين خُلصاً ، وإنما كانوا ذوي نزعة تجديدية تمزج بين نحوي
البصرة والكوفة ، وتأخذ من محاسنها ، تاركة العصبية المذهبية جانباً ، فلم
تكن ثقافتهم النحوية بصرية محضاً ، وإنما كانت مزاجاً من الثقافتين واتقاء

(١) الجمل : ١٥٠

(٢) الجمل : ١٦٩

(٣) الجمل : ٢١٨

(٤) الجمل : ١٥٢

(٥) الايضاح : ٧٢

من المذهبين ، وإن كان أخذها من أحدهما بتفاوت قوة وضعف ، وكثرة وقلة .
 هذا التفاوت في الميل إلى أحد المذهبين كان عند الزجاجي في جانب البصرة ؛
 فعلى الرغم من أن معظم أمانته كانوا على صلة وثيقة بنحو الكوفة ، ومذهب
 علمائها ، وأنهم أخذوا عن ثعلب ، وكان منهم ابن الأنباري والحامض الكوفيان
 فقد ظهر ميل أبي القاسم إلى البصريين حين اعتبر نفسه منهم فقال : « أصحابنا
 البصريون ^(١) » ؛ وقال : « وليست هذه المسألة مسطرة لأصحابنا في شيء من
 كتبهم البتة ، وهي مسطرة في كتب الكوفيين ^(٢) » . وظهر ميله هذا حين
 كان يؤيد رأيهم كما في قوله عن الزاهر : « ووجدت فيه أيضاً مواضع من
 النحو وعلمه ومن التصارييف على مذهب البصريين ودلت على صحة مزاعمهم دون
 مذهب الكوفيين ^(٣) » .

ولعلّ هذا الميل إلى آراء البصريين يرجع إلى تأثير الزجاج في تلقيه ،
 فمن الواضح أن نسبته إليه تدلّ على أنه كان أستاذه المفضل وشيخه الأول ،
 وقد رأينا كيف مال الزجاج عن ثعلب وهجره إلى المبرد الذي أوصاه بطرح
 كتب الكوفيين .

ومن حق الزجاجي علينا أن نبيّن أخيراً أن هذا الميل لا يعني أبداً أنه
 كان متعصباً ضد الكوفيين ، فقد كانت حدة التعصب فترت من جهة ،
 وكانت نفسه - من جهة أخرى - أسمى من أن يعميها التعصب عن الحق .
 إن « بصريّة » الزجاجي لم تقل دون استعماله مصطلحات في مصنفاته . وهو
 يبسط آراء الكوفيين ، ويذكر أحسن احتجاجاتهم ، ولا يفلظ لهم القول إن
 ردّ عليهم ، شأنه في ذلك شأن العالم المنصف المتزن ، لقد كان أبو القاسم

(٢٠١) الأشباه والنظائر ٣ : ٤٦

(٣) مختصر الزاهر : الورقة ١

« زجاجياً » حقاً ، والزجاج هو الذي قال حين عوقب على تركه ثعلباً والتزامه المبرّد : « لست أقول بالذكر والخمول ، ولكنني أقول بالعلم والنظر » . وكذلك كان تلميذه أبو القاسم لا يقول بالليل والهوى ولكنه يقول بالعلم والحق .

أسلوبه :

وكان الزجاجي ذا أسلوب رصين ، ومنطق محكم متين ، ونفس طويل ، بلغ ميادين الجدل ، بل يفتح على نفسه أبوابها ، ويختلق خصومه الحجاج ، بالنقض ، وعلى العلل بالإبطال ، صنيع علماء المنطق في إيراد أدلة خصومهم لهدمها وبناء آرائهم على أنقاضها ، كما كان يمتاز بدقة العالم وأمانته ، فهو لا ينسى إذا كان في صدد الاستشهاد بلفظ أو بيت أن يعنى بالسند العناية اللازمة كما فعل في الأمالي . وهو لا يذكر خبراً إلا بعزوه إلى مصدره وبذكر عمن أخذه ويزداد تقديرنا لهذه الصفة إذا علمنا أن جلّ مسائله التي ذكرها لم تكن مدونة في الكتب وإنما أخذها مشافهة عن شيوخه وأساتذته . قال في مقدمة الإيضاح : « ونضمّ إلى العمل بعد تقديمها ، مسائل مجموعة منشورة من سائر الحدود ، منها ما استخراجناه من كتب العلماء وبسطناه وهدّبناه وقرّبناه ، ومنها ما تلقيناه من علمائنا رضي الله عنهم تلقياً ومشافهة بما لم يودعوه كتبهم ولا يوجد فيها البتة . » وقال في آخر جوابه عن مسألة وردت عليه : « وليست هذه المسألة مسطرة لأصحابنا في شيء من كتبهم البتة وهي مسطرة في كتب الكوفيين ، ولكنني سألت عنها أبا بكر بن الخياط ، وابن شقير ، فأجاباني بما ذكرته لك ^(١) . » ومثل ذلك ما ذكره في مقدمة الإذكار بالمسائل الفقهية . « من إيضاح للمصادر التي استقى منها ^(٢) . » مما يجعلنا نقدر فيه دقة العالم وأمانة المؤلف .

(١) الأشباه والنظائر ٣ : ١٤٦

(٢) هذا البحث ص :

وخلصة القول أن أبا القاسم الزجاجي ، كان من أفاضل الأئمة في النحو واللغة والأدب . شهد له العلماء بالفضل ، وعدّوه في طبقة أبي سعيد السيرافي وأبي علي الفارسي ^(١) . وحسبه ما 'صرف عنه من شيوع مؤلفاته وعموم نفعها ، وأن كتابه « الجمل » كان عليه المأمول في مرحلة من مراحل تأريخ النحو حتى قيل فيه : هو كتاب المصريين ، وأهل المغرب ، وأهل الحجاز ، واليمن والشام ، إلى أن اشتغل الناس بالألمع ^(٢) لابن جني والإيضاح ^(٣) لأبي علي الفارسي ^(٤) . «

(يتبع)

مازله المبارك

(١) نزعة الألبا : ٣٧٩

(٢) كتاب الألمع لأبي الفتح عثمان بن جني ، وهو كتاب صغير في النحو ، منه نسخة في دار الكتب بالقاهرة رقما / ١٧١٩ نحو / كتبت سنة ٦٨٠ في بغداد عدد أوراقها / ٦٤ . ولكتاب ألمع عدة شروح .

(٣) الإيضاح كتاب شامل في النحو لأبي علي الحسن بن أحمد ابن عبد الغفار الفارسي منه نسخة في دار الكتب بالقاهرة رقما / ١٠٠٦ نحو / كتبت بخط مقرئ سنة ٥٦٦ هـ وهي في جزأين .

(٤) إنباه الرواة ٢ : ١٦١

كتاب شرح الالفات

لأبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري النحوي

توطئة :

المخطوطات القيمة التي حازتها خزانة المجمع الأسباري بـكلكتا (بنغالا - الهند) عثرت من بينها على مجموع ^(١) عتيق رقم A. 120 يحتوي على رسائل عدة ، في القراءة ووجوها ، منها أثر لطيف ، لأبي محمد بن القاسم بن محمد ابن بشار الأنباري النحوي اللغوي الشهير ، المتوفى سنة ٣٢٨/٧ (٩٣٩/٨ م) وهو كتاب شرح الالفات ، الذي استغرق نحو تسع ورفات ، من بين ثلاث وسبعين ورقة من المجموع .

أما بقية الرسائل ، فمنها كتاب نهاية الاقتان في تجويد تلاوة القرآن ، لأبي الحسن شريح ^(٢) بن محمد بن شريح الرعيبي ، المتوفى سنة ٥٣٧ (١١٤٢ م) وذلك من رواية : محمد بن مؤمن بن سعد الأنصاري ، عن مؤلفه أبي الحسن شريح المذكور ، سماعاً منه عليه ، في منزله بمدينة اشبيلية ، حماها الله ، سنة تسع عشرة وخمسمائة ^(٣) (٥١٩/١١٢٤ م) وهو في طليعة المجموع ، وقد وردت

(١) راجع : فهرس المخطوطات العربية في خزانة المجمع الأسباري (ص ٤٧ - ٤٨ ، سنة ١٩٣٩ م كلكتا) .

(٢) راجع : غاية النهاية ، ج ١ ص ٣٢٤ ، رقم ١٤١٨ .

(٣) البارة بنصها من ظهر المخطوط من كتاب نهاية الاقتان ، وقد جاءت في ، أسطر وآخر السطر الرابع مانصه : نفسه الله وإيانا بذلك - ومحمد بن مؤمن هذا لم يترجم له ابن الجوزي كما لم يذكره في من أخذ عن أبي الحسن شريح ؛

في مواضع من هوامشه ^(١) ، خطوط وتوقيعات بقلم المقرئ ابراهيم ^(٢) بن محمد ابن وثيق الاموي ، المتوفى سنة ٦٥٤ (١٢٥٦ م) بالاسكندرية ، وكان رحمه الله قرأ على حبيب ^(٣) بن محمد بن حبيب ، ابي الحسن الحميري الاشبيلي ، ضبط المقرئ ابي الحسن شريح الرعيبي المقدم الذكر .

ومنها رسالة في الحروف ، لابن وثيق الاموي الاشبيلي الآنف الذكر .
ومنها قطعة من كتاب لابي عمرو ^(٤) عثمان بن سعيد الداني الاموي ، المتوفى سنة ٤٤٤ (١٠٥٢ م) ، ومعظم المجموع عبارة عن تلك القطعة :
ومنها ، أوراق عدة ، تختلف عن جملة الرسائل المذكورة ، وهي من كتاب لا يمكن العثور على عنوانه ورسمه ، فضلا عن معرفة مؤلفه واسمه :

تلك الرسائل كلها : مبنورة ، ناقصة ، مخرومة ، أكلت منها الليالي أكلًا لما ، ما عدا كتاب شرح الالفات ، لابن الانباري ، والورقات مختلة الترتيب ، جاس بعضها خلال بعض ، فتصفحت المجموع ، وأمنت النظر فيه ورقة ورقة حتى عثرت على جملة أوراق من كتاب شرح الالفات ، وقد جاءت تسعة ، بلا نقص ولا زيادة ، على هذا الترتيب : الورقة الـ ٨ / ب - ١١ ، ٥ - ٤ ، ٣ ، ٢٥ ، ٢٢ / ظ ، ولم نفتنا شيء من هذا الأثر النفيس ، فالحمد لله على ذلك .

هذا المجموع على اختلاف ما تضمن من خروم الرسائل ، راجع إلى القرن السابع ، بحكم الفرائن الخطية والآثار الشاهدة بلسانها على القدم ، والخروم كلها

(١) الورقة الـ ٢٤ ظ ، والـ ٣٠ ب ، والـ ٣٢ ب ، والـ ٣٥ ظ .

(٢) راجع غاية النهاية ، ج ١ ص ٢٤ ، رقم ١٠١ .

(٣) المرجع السابق : ج ١ ص ٢٠٢ ، رقم ٩٣٢ .

(٤) راجع : غاية النهاية ، ج ١ ص ٥٠٣ ، رقم ٢٠٩١ .

مغربية السوس ، عتيقة اللبوس ، خطوطها متراوحة^(١) بين النسخي والمجوهري المألوف عند المغاربة ، والتشابه الخطي بين كتاب شرح الالفات وبين قطعتي الرعيبي وابن وثيق الأموي ، أشد وأقوى ، حتى يغلب على الظن ان المجموع قضى برهنة من الزمان ، في حوزة ابن وثيق هذا ، ويؤيده ما ورد في حواشي كتاب نهاية الاتقان من خطوط ، بقلم ابن وثيق موقعة بما نصه - « قال ذلك ابن وثيق » - و - « قال ذلك ابراهيم بن محمد بن وثيق » -

أما كتاب شرح الالفات : فقد سماه ابن النديم^(٢) ، في عداد مؤلفات ابن الانباري بكتاب الالفات ، وتبعه ياقوت ، في إرشاد^(٣) الأريب ، فلم يعرفاه بشرح الالفات كما لم يذكرنا عن مقداره ، وفصوله ، شيئاً نستمدُّ به ، في القطع بان كتاب الالفات ، الذي ذكرناه ، هو ليس غير هذه النسخة المرسومة ، بشرح الالفات ، على أنني لا أتمارى في عزو شرح الالفات هذا ، الى ابن الانباري ، والذي نستند اليه وثيق به ، في ذلك هو السند المزبور في طليمة النسخة ، فانه ينبيء القراء ، عن قدر هذا الأثر بين العلماء الجلة ، حيث تناقله بعضهم عن بعض منذ عصر مؤلفه ، ابن الانباري ، الى منتصف القرن السابع ، وكلهم اعلام ، معارف ، على اختلاف عصورهم ، لا ينكر فضلهم ، ولا يشق غبارهم ، وسُرد اسمائهم في موضعها من السند ؛ ويؤيده ما ورد ، في اللسان^(٤) والتاج ، من كلام ابن الانباري في ترجمة الألف ، وسيأتي التنبيه الى ذلك في غير موضع ، من نص الكتاب ؛ ثم الذي يزيدني ثقة بما اعتقدت ، ان بعض ما وصل إلينا من مؤلفات المتقدمين ، ربما لا يتجاوز بضع ورقات .

(١) راجع كتاب الفهرست : ص ١١٢ طبعة مصر .

(٢) انظر الارشاد : ج ٧ ص ٧٧ طبعة تذكراغب .

(٣) راجع اللسان : ج ٢٠ ص ٣١٣ ، وتاج العروس : ج ١٠ ص ٤٢٣ .

قد تصفحت من فهارس النسخ الخطية ، ما وصلت اليه يدي ، بحثاً عن مخطوط آخر من هذا الكتاب ، فاطلعت على نسخة ، منه ، عتيقة ، في خزانة برلين ، في ضمن مجموع^(١) ، برقم ٦٨٥٦ ، عنوانها : شرح الالفات المبتدئات في الاسماء والافعال وهي تستغرق نحو سبع أوراق من المجموع (الورقة الم - ال ٧ / ظ) وانسخها عبد الواحد بن احمد الثقفي ، في شهر شعبان ، سنة ٥٠٨ (١١١٥ م) وقد اورد منها اهلوردت عدة اسطر بنصها ، فاستدلت بها ان النسخة لا تختلف عن نسختنا الاسيوية ، في شيء . وهذه النسخة ، أغفلها برلمان الألماني ، في تأليفه الحافل ، ولكنه عرّفني بمخطوط^(٢) آخر من الكتاب رسمه « المختصر في ذكر الالفات » وهو محفوظ في خزانة لابل ، باستنبول وضمنه هناك ايضاً مجموع مسجل برقم ٣٧٤٠ ، وهو يحتوي على رسائل من تأليف مشاهير الكتّاب أمثال الزمخشري ، وابن الحاجب وهذا المختصر ، هو العاشر في الترتيب ، في نحو ست أوراق (الورقة الم ١٠٣ - ١٠٨) وهاكم عبارة ختاه كما وردت في مجلة^(٣) Le Monde Oriental : « تم الكتاب لاربع ليال خلون من شوال ، سنة اثنتين وثمانين وثمانئة (١٢٨٣ / ٦٨٢) وبغاب الظن ان هذا المخطوط ، ايضاً ، لا يختلف عن اصلنا المخطوط في شيء من البنية ، أما اختلاف النسخ المتعددة ، فيما بينها ، فهو أمر بين ، غير مدفوع بحكم البديهة :

قد رجعت النسخة الالمانية ، ووافقت أختيها ، باعتبار التاريخ ، وكذلك نسخة استنبول تطبي القلوب ، اذ جاءت مسجلة بعمرها ، فلا ريب انها بهذا الاعتبار

(١) انظر لهرسة اهلوردت : ج ٦ ص ٢٠٠ (سنة ١٨٩٤ م) .

(٢) راجع تاريخ الآداب العربية - التتمة : ج ١ ص ١٨٢ .

(٣) راجع العدد الرابع (مقال الأستاذ ريشر O. Rescher) ص ١٠٧ سنة ١٩١٣ م .

تفوقان نسخة المجمع الاسيوي بكنا ، واكتها نسخة لا تتأخر عن القرن السابع وليست دونها في القيمة بل هي تزداد ثمتا ، بما تضمنت من سلسلة إسنادها الى المؤلف ، وذلك يدل على صلة الكتاب بطبقة العلماء الأفاضل ، فقد رواه عن ابن الانباري ابو عمرو الرزاز ، المتوفى سنة ٣٦٧ ورواه عنه ، ابو الحسن الحماني ، المقرئ المتوفى سنة ٤١٧ ، ورواه عنه أبو الحسن العلاف ، المتوفى سنة ٥٠٥ ، ورواه عنه ، الحافظ ، السلفي ، المتوفى سنة ٥٧٦ ، ورواه عنه ، ابن رواج القرشي الاسكندراني ، المتوفى سنة ٦٤٨ .

وتلك مزية ، حرمتها كلتا النسختين فيما يظهر ، ولا يخفى ان النص الذي انتقل اليها عن الرواة الثقات ، لا يساويه ، ما انتسخه الوراقون ، في مصنف غير مروية ، وان كانوا ذوي روية ؟

ثم يجب الانتباه الى أمور ، أولا ، ان موضوع الكتاب ، ليس يبدع ولا غامض . ولكنه أثر عتيق يستحق التنويه لما تضمن من طريقة البحث للمتقدمين في ذلك ، وقد ألف في موضوع الألفات وغيرها من الحروف ، رجال القرون المتقدمة ، على اختلاف طبقاتهم ومناحيهم في مسائل التصريف والإعراب ، منهم المازني ابو عثمان بكر بن محمد البصري ، المتوفى سنة ٢٤٩/٨ (٢/٨٦٣ م) له كتاب ^(١) الألف واللام وكان الرماني شرحه ^(٢) ، والسيرافي ابو سعيد الحسن بن عبد الله ، المتوفى سنة ٣٦٨ (٩٧٨ م) ، صاحب كتاب الفات الوصل ^(٣) والقطيع ، والجمد ابو بكر ، صاحب ابن كيسان ، له كتاب

(١) انظر كتاب الفهرست : ص ٨٥ ، والوفيات ، لابن خلكان : رقم ١١٧ (طبعة غوتنجن) .

(٢) راجع الفهرست : ص ٩٥ .

(٣) الفهرست : ص ٩٣ ، وابن خلكان : رقم ١٦١ .

الألفات ^(١) ، وابن خالويه اللغوي ، المتوفى سنة ٣٧٠ (٩٨ م) له كتاب
الألفات ^(٢) وهو من اصحاب ابي بكر بن الانباري ، والرماني ابو الحسن
علي بن عيسى ، المتوفى سنة ٣٨٢ (٩٩٢ م) له كتاب الألفات ^(٣) في القرآن
وأمثالهم .

فانحصر ابن الانباري - في كتابه هذا - من الألفات على اصولها التي
تأتي في أوائل الافعال ، والاسماء ، والادوات ، مع إلمامه ببعض التوابع ،
وخصّ اسكل صنّفه ، باباً فتمّ الكتاب في ثلاثة ابواب قصيرة ، والذين حاولوا
التوسع في الموضوع ، واستفاضوا في البحث عن التوابع ، ذكروا للالف وجوهاً ،
وأحصوا لها ، ضرورياً ، مع زيادة بعضهم على بعض ، وتجدها مشروحة ، موجهة
في كتاب منازل ^(٤) الحروف ، المنسوب الى الرماني ابي الحسن علي بن عيسى
(المتوفى سنة ٣٨٢) وفي رسالة ^(٥) الحروف ، المنسوبة الى النضر بن شميل
المتوفى سنة ٣٠٤/٣ (٨١٩/٨ م) وفي كتاب سرّ العربية للثعالبي ، المتوفى
سنة ٤٢٩ (١٠٣٧ م) وفي غير ذلك من كتبهم في الباب .

والثاني أن المؤلف ، يلقب المحرزة بالالف . وليس ذلك توهماً منه بل انهم
جميعاً ، يتجوزون في تسمية المحرزة بالالف وقد أتى كلامهم في المعنى على
أقوى واحد .

والثالث انهم اختلفوا في بيان التقسيم الاوّل للالف ، فذهبت طائفة الى ان

(١) الفهرست : ص ١٢٢ .

(٢) الفهرست : ص ١٢٤ ، والوفيات : رقم ١٩٣ وقد أحال على كتاب الألفات
هذا ، في كتابه : اعراب ثلاثين سورة .

(٣) راجع الفهرست : ص ٩٤ - ٩٥ .

(٤) هذا الكتاب ، نشره ، الفاضل غلام مصطفى ، بحجة كلية الآلحة الشرقية بمدينة
لاهور ، المجلد ٢ المجلد ٧ : ص ١٨ - ٤٢ .

(٥) راجع البلفة في شذور اللغة : ص ١٦٠ طبعة بيروت سنة ١٩١٤ م .

الالف على ضربين ، الف القطع والف الوصل ، ومنهم السيرافي أبو سعيد ، كما يظهر من ترجمة كتابه فيما تقدم ، والجوهري ^(١) ، صاحب الصحاح ، وهؤلاء يعتبرون القطعية أنها قد تكون زائدة وقد تكون أصلية ، ومنهم من زعم القطعية ، أصلية فلقبها الف الأصل وقد ذهب إلى ذلك أبو جعفر بن سعدان ، وخلف بن هشام البزار ، ورد عليها ابن الأنباري في كتابه هذا . وطائفة أخرى تقول ، أن الالفات ثلاث ، أصلية ، وقطعية ، ووصلية وهو مذهب أبي العباس أحمد بن يحيى ، ومحمد بن يزيد ، فيما روى عنها ^(٢) الأزهرى واختاره ابن الأنباري فهؤلاء يحسبون الأصلية ضرباً برأسها .

وإذا كانت النسختان - الألمانية ، والاستنبولية - من الكتاب ، تقطعت دونها الأسباب والوسائل ، عوّلت على النسخة الاسياوية ، وحدها ، وهي في حد ذاتها ، نسخة جيدة ، مضبوطة ، مصححة ، وفورات مع نسخة أخرى لا أعرفها ، وقد نبه صاحب أصلنا المخطوط ، على اختلاف ما بينها وسيرد ما حكي عنها في موضعه من التعليقات .

في حاشية الأصل ، أيضاً ، زيادات ، أثبتتها الناصخ بخطه ، لا يتم الكلام ، بدونها ، فأدبجتها ، في سياق المتن ، حيثما يقتضيا سداد نظم الكلام ، وجعلتها بين القوسين .

وجاءت في موضع من الكتاب ، عبارة طويلة ، تستغرق هوامش الورقتين الـ ١٠ / ب - الورقة الـ ١١ / ظ ، علقها الناصخ من كتاب الوقف والابتداء ، لابن الأنباري أيضاً ، حولتها ، عن موضعها من الهامش ، وقيدتها في آخر نسختنا ، لكونها فائدة برأسها .

(١) انظر صحاح اللغة - ج ٢ ص ٥٧١ .

(٢) انظر تلج العروس - ج ١٠ ص ٤٢٢ .

وقد عاث العث ، في غير موضع من المخطوط ، فشوش حروفاً ، وأذهب
التقليد والترقيع ، طائفة منها ، فوضعت كل ما رأيت ، صواباً ، في تلك
المواضع ، بين المربعين وقد زدت ، في أكثر من موضع ، لفظاً أو لفظين ،
بمقتضى السياق والسباق ، فما جاء على هذا المثال ، يحيط به المكفان .

وطول المخطوط ١٢ سنتحترأ ونصف في عرض ١٣ سنتحترأ والقسم المكتوب
من كل صفحة طوله ١٢ سنتحترأ في عرض ٩ س . وفي كل صفحة ١٧
سطراً وفي الصفحة الأخيرة ٨ سطراً فقط .

(الهند)

أبو محفوظ الكريم معصومي

كتاب شرح الألفات

[درة الـ ٨ / ب] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صلى الله على محمد ،

قال ، ثنا ، الشيخ ، الفقيه ، الراوية ^(١) ، أبو محمد عبد الوهاب بن ظافر القرشي ، عرف والده ، برواج ^(٢) ،

قال ، ثنا ، الشيخ الفقيه ، الحافظ ، أبو الطاهر أحمد ^(٣) بن محمد

(١) الاصل : الرواية .

(٢) المحدث ابن رواج ، رشيد الدين ، أبو محمد ، عبد الوهاب بن ظافر بن علي ابن نتوج الاسكندراني المالكي ، ولد سنة ٥٥٤ هـ (١١٥٩ م) وتوفي سنة ٦٤٨ / ١٢٥٠ م .

له ترجمة في تذكرة الحفاظ ، فذهبي (ج ٤ ص ٩٢) وفي حـن الحاضرة للسيوطي (ج ١ ص ١٥٩ - ١٦٠ ، طبعة الشرقية ، ١٣٣٧ هـ) وفي شذرات الذهب (ج ٥ ص ٢٤٢) ومن أخذ عنه محمد بن يوسف المقدسي ، المتوفى سنة ٧٠٣ / ١٣٠٣ م (غابة النهاية ج ٢ ص ٢٨٨) والشيخ بديع الدين المصري علي بن محمد المتوفى سنة ٦٨٦ / ١٢٨٧ م (بنية الوعاة : ص ٣٥١) وفي بعض المطابع : ابن رواج بجاء ، مصحفاً : وابن رواج هذا ، يروي عن الحافظ السيلفي ، كتاب المحدث الفاضل بين الراوي والواعي ، تأليف القاضي ، أبي محمد الحسن ابن محمد بن خلاد الرامهرمزي - بسماعه عليه في شهر رمضان ، سنة ٥٧٤ / ١١٧٨ م (انظر فهرس النسخ الخطية باسكوريال ، تأليف هـ . ديرن بورغ : ج ٣ رقم ١٦٠٨) .

(٣) هو من جلة الحفاظ ، توفي يوم الجمعة ، خامس عشر ، ربيع الآخر سنة ست وسبعين وخمسمائة (٥٧٦ / ١١٨٠ م) له ترجمة في الباب السعاني (الورقة ، الـ ٣٠٢) والوفيات (رقم ٤٣ - طبعة غوتنجن) وتذكرة الحفاظ (ج ٤ ص ٩٠) وطبقات الشافعية ، لسبكي (ج ٤ ص ٤٣) وغاية النهاية (ج ١ ص ١٠٢ رقم ٤٧٢) وشذرات الذهب ، (ج ٤ ص ٢٥٥) وقج المروس (ج ٦ ص ١٤٤) .

السلفي^(١) ، رضي الله عنه .

قال ، أنا ، الحاجب ، ابو الحسن علي^(٢) بن محمد بن علي بن يوسف
ابن العلاف ، المقرئ ، ببغداد ، قراءة عليه ، بها ، سنة أربع^(٣) وتسعين
وأربع مائة ،

قال ، أنا ، ابو الحسن [علي]^(٤) بن احمد بن عمرو بن حفص ، المقرئ ، الحماني
< قال > ثنا ، ابو عمرو^(٥) عثمان بن احمد بن سمعان ،

(١) شكاه في الأصل أيضاً ، بكسر الهمزة مع علامة الالهام تحتها ، وبفتح اللام
وكتب فوقه صح وكذا ضبطه ابن الجوزي بكسر فتح ويؤيده ما وجد بخط يوسف
ابن شاهين ، وهذه النسبة الى سلفه تعريب سلفه بالفارسية أي ذو ثلاث
شاه ، وهو جده ، وكان مشقوق الشفة وفي قول الزركشي ، شافه بالشين معجمة ،
أو النسبة الى قرية باصفهان وهو غلط وقيل الى بني السلف من حمير ذكره
ابن الجوزي ومال اليه الزبيدي (راجع قاج العروس والمراجع السابقة) .
(٢) هو آخر من روى عن الحماني . ولد سنة ٤٠٦ / ١١٠٥ م وتوفي عن مائة
إلا سنة ، في المحرم سنة ٥٠٥ / ١١١١ م . له ترجمة في شذرات الذهب
(ج ٤ ص ١٠) .

(٣) ٤٩٤ / ١١٠٠ م وكانت رحلة السلفي الى بغداد في رمضان سنة ٤٩٣ / ١٠٩٩ م ،
ثم حج وعاد اليها ، فتفقه ، واعتقل بالعربية (راجع طبقات الشافعية) .
(٤) الحماني بفتح الحاء المهملة ، وتشديد الميم روى عنه الخطيب والبيهقي وأبو الحسن
ابن العلاف ، توفي سنة ٤١٧ / ١٠٢٦ م وقال السمعاني في حدود سنة ٤٢٠ /
١٠٢٩ م وهو متفرد بهذا .

له ترجمة في تاريخ بغداد (ج ١١ ص ٣٢٩ رقم ٦١٥٦) وأنساب السمعاني
(الورقة ال ١٧٤ ب) وغاية النهاية (ج ١ ص ٥٢١ رقم ٢١٥٧) وشذرات
الذهب (ج ٣ ص ٢٠٨) وقاج العروس (ج ٨ ص ٢٦٠) .

(٥) هو الرزاز ، البغدادي ، ويعرف بالمجاشي بفتح الميم والجيم وبعدها الألف وفي
آخرها الشين المعجمة ، وفي أنساب السمعاني « البرار » وفي غاية النهاية « النجاشي »
بالنون ، مصنفين ، توفي سنة ٣٦٧ (٩٧٧ م) راجع له تاريخ بغداد
(ج ١١ ص ٣٠٦ رقم ٦١٠١) والأنساب (الورقة ال ٥٠٨) وغاية النهاية
(ج ١ ص ٥٠١ رقم ٢٠٨٣) .

قال ، قال ، أبو بكر محمد ^(١) بن القاسم بن بشار الانباري النحوي

باب ^(٢) ذكر الألفات التي يُبتدأ بها في أوائل الأفعال

وانما قدمناها ، على ألفات الأسماء ، والأدوات ، لقرب اصولها ، على المستفيدين وسهولة التفريع منها ، وقلة التباس العمل فيها ، عليهم ؛ اعلم ، ان الألفات المبتدأ بها ، في أوائل الأفعال ، ست :
الف اصل ، والف قطع ، والف وصل ، والف ^(٣) الاستفهام ، والف الخبر عن نفسه ، والف ما لم يُسم فاعله ،

فأما الف الاصل ، فانها تعرف ، بان ترى فاء من الفعل ^(٤) ، فاجبة في المستقبل ، كقوله تعالى ، أتى امرؤ الله فلا تستعجلوه ^(٥) ،
الف أتى ، الف الاصل ، لان وزن أتى ، من الفعل ، فَعَلَ ^(٦) ، فالحمزة ، فاء الفعل ، والمستقبل يأتي ، فالالف موجودة فيه ، ومثل أتى ، أمروا ^(٧) وأدى ، وأذن ، وأبقى ، وأسن ، وما أشبهين ؛

(١) هو مؤلف الكتاب ، يضرب به المثل في حضور البديهة وسرعة الجواب وصفوه بنهاية الذكاء والفتنة ، وجودة الفريجة وسرعة الحفظ وأكثر ما كان عليه من غير دفتر ولا كتاب ، مات عن دون الخمسين وتوفي سنة ٣٢٨/٧ (٩٣٩/٨ م) .
له ترجمة في الفهرست (ص ١١٢) وقاربخ بغداد (ج ٣ ص ١٨١ رقم ١٢٢٤) ومجمع الادباء (ج ٧ ص ٧٣) ونزهة الالباء (ص ٣٣٠ - طبعة مصر ، سنة ١٢٩٤) والوفيات (رقم ٦٥٣) وتذكرة الحفاظ (ج ٣ ص ٥٧٦) وطبقات الخابطة لابن أبي يلى (ص ٣٢٧) والأنساب (الورقة ٤٩ ب) وبغية الوعاة (ص ٩١ - ٩٢) وشذرات الذهب (ج ٢ ص ٣١٥) .

(٢) مخطوط برلين : « ذكر الألفات » [فهرسة اهلوردت] .

(٣) المرجع المذكور : « الف استفهام » .

(٤) يني الماضي .

(٥) س ١٦ ، الآية ١ .

(٦) الأصل : « فعلى » .

(٧) كذا بصفة الجمع في الأصل ، ولو كان « امر » لكان أليط بسياق الكلام .

والف القطع ، تفتح في الماضي ، والامر ، وتكسر ^(١) في المصدر ، تعرف [الورقة ال ٩ / ظ] بضم اول المستقبل ، كقوله عز وجل ، أهاكم ^(٢) التكاثر ، ألف أهاكم ، الف قطع ، لان (اول المستقبل) مضموم ، وهي الياء ، في 'يلهي' ، وألهمي ^(٣) ، فعل ماض ، ومثله ، أحسن ، وأعطى ، وأقال ، وأنعم ، وأغلق ، وأقفل ،

وتبتدى ، قوله عز وجل ، وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه ^(٤) ، أكرمي بالفتح ، لأنها الف قطع ، معروفة بضم اول المستقبل ، وهو 'بكرم' ، وأكرمني ، وكذلك ، أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق ^(٥) ، ويا سماء أفلمي ^(٦) ،

وتبتدى ، قوله عز وجل ، ويخرجكم إخراجاً ^(٧) ، بكسر الالف ، لأنها الف قطع ، في المصدر ، اول مستقبلها مضموم ، وهو 'يخرج' ، وكذلك ، إعطاء ، وإحسان ، وإنعام ،

وأما اختاروا لها ، الكسر ، وعدلوا فيها ، عن النتح ، كراهية ان يلتبس المصدر ، بالجمع ، اذ إخراج ^(٨) ، جمع 'خرج' ، وأحسان ^(٩) جمع 'حسن' ،

(١) موضع خرم في الأصل .

(٢) س ١٠٢ ، الآية ال ١ .

(٣) رسمه في الأصل : ألهم .

(٤) س ١٢ ، ع ٣ ، الآية ال ١ .

(٥) س ١٧ ، ع ٩ ، الآية ال ٣ .

(٦) س ١١ ، ع ٤ ، الآية ال ٩ .

(٧) س ٧١ ، ع ١ ، الآية ال ١٩ .

(٨) ابن خالويه : فان قيل ، لم كسرت الالف ، في المصدر (الإخراج) قل : لتلا يلتبس بالف الجمع مثل إخراج ، جمع خريج ، (اعراب ثلاثين سورة : ص ١٥٢) .

(٩) أغفله أصحاب المعجم . والمعروف في الجمع محاسن ، وهو جمع لا واحد له عند جمهور أهل اللغة والنحو .

وأعطاء (١) جمع 'عطو' ، وأنعام جمع 'نعم' (٢) ،

وكان أبو جعفر ، محمد (٣) بن سعدان ، وخلف (٤) بن هشام ، البزار (٥) ،
يلقبان ، الف القطع ، الف الأصل ، وليس ذلك بصحيح عندنا ، من قبل
أن الف الوصل (٦) ، هي التي تكون فاءً من الفعل والف القطع ، ليست فاءً
من الفعل ، ولا عيناً ، ولا لاماً ، وما هذا صفته ، فهو زائدة ، غير أصلي ،
والف الوصل ، تعرف ، بسقوطها من الدرَج ، وبفتح ادل المستقبل ،

(١) هذا الحرف مثلثٌ وكَدَوْرٌ ، وظيُّه عطو : يتناول الى الشجر ، لينناول
منه (عن القاموس) .

(٢) كذا يسكون العين ، في الأصل ، وقال الجدي : وقد يسكن عينه .

(٣) هو من النحاة الكوفيين ، ولد سنة ١٦١ / ٧٧٧ م ببغداد وتوفي سنة ٢٣١ /
٨٤٥ م . له ترجمة ، في الفهرست (ص : ١٠٤) وغاية النهاية (ج ٣ ص ١٤٣)
رقم ٣٠١٩) وبنية الوعاة (ص : ٤٥) .

(٤) أبو محمد ، البزار ، بغدادي ، أصله من لم الصليح ، ولد سنة ١٥٠ / ٧٦٧ م ،
وتوفي ، سنة ٢٢٩ / ٨٤٣ م ، وهو مختلف من الجهمية ؛

له ترجمة ، في تاريخ بغداد (ج ٨ ، ص ٣٢٢ ، رقم ٤٤١٧) وغاية النهاية
(ج ١ ، ص ٢٧٢ ، رقم ١٢٣٥) وتاريخ الخبابة لابن أبي يعل (اختصار
النابلسي ، ص : ١١٢) ومفتاح السادة (ج ١ ص ٣٧٩) .

(٥) عبارة الأصل هكذا : « . . . وخلف بن هشام ، يلعبان ، الثوار ، الف القطع
الف الأصل » ، والثوار ، مصحَّفٌ عن البزار ، ثم هو مدرجٌ في غير موضعه ،
والصواب ما قرَّره ، أن شاء الله .

(٦) كذا في الأصل ، وهو غلط ، وجاء في الحاشية ، الأصل صح ، وهذا هو
الصواب بلا امتراء ، وهذا الخطأ فيه قديمٌ جداً ، فقد ورد في ما حكاه ،
ابن منظور ، عن ابن الأباري ، مانعه : والفرق ، بين الف القطع ،
والف الوصل ، أن الف الوصل ، فاء من الفعل ، وألف القطع ، ليست
فاءً ، ولا عيناً ، ولا لاماً (اطلب المسان ، ج ٢٠ ص ٣١٣) وكذا ،
عند المرتضى الزبيدي ، ولفظه ، والفرق ، بين الف القطع ، والوصل ، أن
الف الوصل ، فاء من الفعل النخ (انظر تلح العروس ، ج ١٠ ، ص ٤٢٣)
والصواب الظاهر ، أن الكلام ، هنا ، في الفرق بين الف القطع والف الأصل .

وهي مبنية على ثالث المستقبل ، ان كان الثالث مكسوراً ، او مفتوحاً ، كُسرَت
وان كان مضموماً ، ضُمَّتْ ،

فتبتديءُ ، قوله عن وجل ، ان اضرب بعصاك ^(١) ، بكسر الف اضرب
لانها مبنية (على الراء ، في يضرب ، وهي) [الورقة الـ ٩ / ب] الف
وصل ، اذ كانت ساكنة ، في الوصل ، مفتوحاً اول مستقبلها ، يضرب ،
وانما بنيت ، على ثالث المستقبل ، ولم تُبنَ ، على الاول ، منه ولا الثاني ،
ولا الرابع ، لان الاول زائد ، والزائد لا يُبنى عليه ، والثاني ساكن
والساكن ^(٢) يبدأ به ، والرابع لا يثبت على اعرابه واحد ، اذ كان مضموماً ،
في الرفع ، او مكنى في الجزم ، مفتوحاً في النصب ، فبنيت من اجل ذلك ،
على الذي اعرابه لازم ، غير منتقل ، وهو الثالث ، مثل اضرب ، نستمين ^(٣)
اهدنا ، تبتديء به ^(٤) اهدنا ، لانها ، الف وصل ، مبنية على كسرة الدال ،
في يهدي ، والضمة الموجودة في الوصل ، هي ضمة نون نستمين ، والف اهدنا ،
معدومة ، من اللفظ ، عند الوصل ، ومثله ، ارجعوا ^(٥) الى ايكم ، ابن لي
صريحاً ^(٦) ، امضوا ، ابتوا ^(٧) صفاً ،

فان قال ، قائل ، التاء في ابتوا ، مضمومة ، ومثلها الضاد ، من امضوا ،
قيل له ، التاء على تاء يأتي ، و < الضاد ، على > ضاد يخفي ^(٨) ، والاصل

(١) س ٢٦ ، ع ٤ ، الآية الـ ١١

(٢) للّ الأصل : لا يبدأ به ، وهو الصواب

(٣) الفاعلة - الآية الـ ٤ - ٥

(٤) يعني بالكسر

(٥) س ١٢ ، ع ١٠ ، الآية الـ ٢

(٦) س ٤٠ ، ع ٤ ، الآية الـ ٩

(٧) س ٢٠ ، ع ٣ ، الآية الـ ٦٤

(٨) الاصل ، ينفى

في امضوا^(١) وايقوا ، امضيو^(٢) ، وايقوا^(٣) ، فاستثقلوا الضحة ، على الياء ، فاقوها
على الضاد ، والياء ، بمد ان أزالوا ، عنها الكسرة ، واسقطوا الياء لسكونها ،
وسكون الواو ؛

وتبتدى ، قوله عز وجل ، اشكر^(٤) لي ، أشكر > بضم الالف < لانها ،
الف وصل ، مبنية على كاف يشكر ، ومثله أعبدوا^(٥) ، أدخل ، أخرج ،
اقتل ، اكتب ، و ما أشبههن ،

وتبتدى ، قوله تعالى ، ان اصنع^(٦) الفلك ، اصنع ، بكسر الالف ،
لأنها مبنية على الثالث ، وهو النون ، في يصنع ؛

فان قال ، قائل ، هلا^(٧) فتحها ، اذا كان الثالث مفتوحاً ، كما تكسرهما ،
اذا كان الثالث^(٨) ، مكسوراً^(٩) ، [الورقة الـ ١٠ / ظ] أو نضمها ،
اذا كان الثالث مضموماً ؛ فقل ، كرهت ان افتحها ، فلبس (الامر بالخبر ،
ألا ترى) انك لو قلت ، في الامر ، اذهب يا رجل ، اصنع^(١٠) يا رجل ،
لالبس بقولي في الخبر ، انا اذهب ، انا اصنع ،
فكسرناها ، لما بطل فيها الفتح ، لان الكسر ، اخو الفتح ، وذلك ان

(١) الاصل ، امضوا

(٢) الاصل ، امضيو

(٣) الاصل ، ائنيوا

(٤) س ٣١ ، ع ٢ ، الآية الـ ١٤

(٥) لو كان أعبد ، لكان أليط بالنق ، له : أليق

(٦) س ٢٣ ، ع ٢ ، الآية الـ ٢٧

(٧) الاصل : هل لا

(٨) اكلته الارضة

(٩) جاء بالهامش : بانث المقابلة

(١٠) في حاشية الاصل ، ما نصه ، وفي نسخة اخرى ، الا ترى انك لو قلت ،
اصنع ، بفتح الالف ، لالبس ، بالاخبار عن النفس ، كفواك ، انا اصنع ،
صح في اخرى .

الحركات ، ثلاث فتحة ، وكسرة ، وضمة ، فالفتحة ، اخف الحركات ، ثم الكسرة تليها ، والضمة اثقل الحركات ، فحركات الالف بالكسر ، لما كانت الكسرة تقرب من الفتحة ؛

ومثله ، ائذن ^(١) لي ، اذهبوا ^(٢) بقميصي ، اقرأ باسم ^(٣) ربك ، ابلعي ^(٤) ماءك ، اعلم ان الله ،

وتبتدي ، قوله عز وجل ، اذا السماء ^(٥) انقطرت ، > انقطرت < بكسر الالف ، لانها الف وصل ، مبنية على الطاء ، في ينطر ؛

فان قال ، قائل ، بنيتها على الطاء ، والطاء رابعة ، لان ينطر ، وزنه ينفعل ، فالنون زائدة ، لا يلتفت إليها ، والبناء على عين الفعل ، أين كانت وتبتدي ، ايضا ، قوله عز وجل ، الكاذبون ^(٦) استخوذ ، استخوذ [بكسر] الالف لانها مبنية ، على عين الفعل ، وهي الواو ، في يستخوذ ، يستعمل والتاء والسين زائدة ، لا يلتفت إليها ؛

وتبتدي ، قوله ، اذا السماء ^(٧) انشقت ، انشقت ، بكسر الالف ، لانها الف وصل ، مبنية ، على عين الفعل ، وهي القاف المدغمة ، في تنشقي ، تنشقي على وزن تنفعل فاستثقل الجمع ، بين حرفين متحركين من جنس واحد ، واسكنت القاف الأولى ، وادغمت في التي بعدها (فصارنا ، قافا مشددة) [الورقة الـ ١٠ / ب] والنون ، في تنشقي ، زائدة ، لا يقبل عليها ؛

(١) س ٩ ، ع ٧ ، الآية الـ ٦

(٢) س ١٢ ، ع ١٠ ، الآية الـ ١٣

(٣) س ٩٦ ، الآية الـ ١

(٤) س ١١ ، ع ٤ ، الآية الـ ٤٤

(٥) س ٨٢ ، الآية الـ ١

(٦) س ٥٨ ، ع ٣ ، الآية ١٨ - ١٩

(٧) س ٨٤ ، الآية الـ ١

وتبتدي ، قوله عز وجل ، [الماء] اهتزت ^(١) ، اهتزت ، بكسر
الالف ، لانها ، الف وصل مبنية على عين الفعل « وهي الزاي المدغمة في
تهتز ، من قبل ان اصل تهتز ، تهتزز ، على مثل تفعل ، فاستثقل الجمع بين
زايين ، متحركين ^(٢) ، فاستكنت الزاي الأولى ، وأدغمت ، في التي بعدها ،
والباء التي في تهتز ، زائدة ، لا يعمل عليها ؛

والف وصل ، في الماضي ، على مثال ما هي عليه في الامر ، تبنى على العين ،
لا غير ، والمحمزة الموجودة عند وصل الكلام ، في قوله ، الماء اهتزت صافطة .
وتبتدي ، قوله ، عز وجل ، آمنوا [استعينوا] ^(٣) ، < استعينوا >
بالكسر ، لانها الف وصل ، مبنية على عين الفعل ، وهي الواو ، في نستعين ،
قبل ان تقلب ياء ، والاصل في نستعين ، نستعون ، على مثال نستخرج ،
فاستثقلت الكسرة في الواو ، فألحيت على العين ، وجعلت [الواو] ياء
لانكسار الالف ؛

وتبتدي ، قوله عز وجل ، وانا اخترتك ^(٤) ، (اخترتك) ^(٥) < بالكسر >
لانها الف وصل مبنية على عين الفعل ، وهي الياء في يختار ، قبل ان تقلب
ألفا ، لان اصله يختير على مثال يكتب ، فصارت الياء ، ألفا ، لتحركها ،
وانفتاح ما قبلها ،

وان سأل ، سائل ، عن قوله عز وجل ، لقائنا ائت ، بقرآن غير هذا ^(٦)

(١) س ٢٢ ، ع ١ ، الآية الـ ٥ ، س ٤١ ، ع ٥ ، الآية الـ ٣٩

(٢) الاصل : متحركين

(٣) س ٢ ، ع ١٩ ، الآية الـ ١٥٣

(٤) س ٤٥ ، ع ١ ، الآية الـ ١٣

(٥) جاء فوقه « صح »

(٦) س ١٠ ، ع ٢ ، الآية الـ ١٥

م (٦)

فقال كيف الابتداء [به] ، فقل ، إئت ، بكسر الالف ، لأنها الف وصل ، مبنية على تاء يأتي ، فان [الورقة ال ١١ / ظ] قال ^(١) ، قد وجدنا الألفات ، ثابتة في المستقبل ، وهي إحدى علامتي الف (الاصل ، فيقال له) الف الوصل ، داخله على الف الاصل ، في هذا الحرف واصله اذا اردت الابتداء به ، إبتوا ^(٢) ، بالكسر ، فصارت المحمزة الساكنة ، ياء ، لانكسار الف الوصل ، واذا وصلت ، فقلت ، لقاءنا إئت ، سقطت الف الوصل ، الموجودة في الابتداء مكسورة ، ورجعت المحمزة التي توجد في الابتداء مكسورة ساكنة ،

وتبتدى ، قوله عز وجل ، إطيرنا ^(٣) ، بالكسر ، لأنها الف وصل ، مبنية على عين الفعل ، المفتوحة ، وهي الياء ، في يطير ، واصله تطيرنا ، فابدلوا من التاء ، طاء ، لأنها أشبه بالطاء التي بعدها ، ثم اسكنوها ، وأدغموها ، في الطاء الثانية ، فلم يصلح الابتداء بساكن ، فادخلوا ألفاً ، يقع بها الابتداء ، ومثله اذآركوا ^(٤) ،

وتبتدى ، قوله عز وجل ، إني اصطفيتك ^(٥) ، < اصطفيتك > بالكسر لأنها الف وصل مبنية على عين الفعل ، وهي الفاء في يصطفي ، ولا تلتفت الى وقوع الفاء رابعة ، لان الطاء لا يعمل عليها ، من اجل ان اصل الحرف ، يصتفي ، يفتعل من الصفوة ، فابدلت الطاء من التاء ، لأنها أشبه بالصاد ، واخف على اللسان بعدها ، وتاء الافعال غير معمول عليها ،

(يتبع)

(١) مخروم

(٢) لو كان « إئت » لكان أولي بالسباق ، وهنا وردت تعليل من كتاب الوتف والابتداء ، استغرقت حاشية للورقة ال ١١ / ظ ثم وردت بقيتها بهامش الورقة ال ١٠ / ب ، وستأتي في آخر الكتاب

(٣) س ٢٧ ، ع ٤ ، الآية ال ٤٧

(٤) س ٧ ، ع ٤ ، الآية ال ٣٨

(٥) س ٧ ، ع ١٦ ، الآية ال ١٤٤

رسالة ابن حزم

في أمهات الخلفاء.

محمّد

ألف ابن حزم القرطبي^(١) (المتوفى سنة ٤٥٦ / ١٠٦٤ م) في التاريخ
كما صنف في الفلاسفة والشريعة وعلوم الدين . فما ألفه في التاريخ « جمهرة أنساب

(١) انظر عن ابن حزم ما يلي :

T - من المصادر الأندلسية

الحمدي ، جذوة المقتبس ، ص ٢٩٠ ، رقم ٧٠٨ (نشرة محمد بن ثابت الطنجي)
ابن بشكوال ، الصلة (مدريد ١٨٨٢) رقم ٨٨٨
ابن خاقان ، مطمح الأنفس ، ص ٦٣ (مطبعة السادة)
ابن بشار ، الذخيرة ، القسم الأول من المجلد الأول ، ص ١٤٠
ابن صاعد ، طبقات الأمم (المطبعة الكاثوليكية ، ١٩١٢) ص ٧٥
ابن سعيد ، المغرب ١ : ٤٤ و ٤٥ (دار المعارف بمصر)

ب - من المصادر المشرقية

ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٣ : ١٣ (ط . محي الدين)
الذهبي ، سير أعلام النبلاء (مخطوطة أحد الثالث)
الصفدي ، الوافي بالوفيات (مخطوطة أحد الثالث)
ابن المهاد ، شذرات الذهب ٣ : ٢٩٩

ج - من المصادر الأجنبية

Brockelman, GAL

Asin Palacios, *Aben Hazem de Cordoba y su historia de las Ideas Religiosas*. Madrid, 1927—1932, 5 vol.

A. Gonzalez Palencia, *Historia de la Litteratura Arabigo — Espanola*.

ترجم بالعربية باسم تاريخ الفكر الأندلسي . انظر ص ٢٢٠ خاصة .

العرب « ، و « بيان فضل الأندلس وذكر علمائه » ، و « نقط العروس في تواريخ الخلفاء » . وقد نشرت هذه الكتب الثلاثة .
 لكن كتابه الكبير في التاريخ هو « الإمامة والخلافة وصرانها » ^(١) ، وهو كتاب لم نثر عليه . وكانت نشر لابن حزم منذ عامين كتاب باسم « جوامع السيرة » ^(٢) . وهذا الاسم اخترعه المحققان اللذان حققا الكتاب . وقد أثبت على النسخة المخطوطة التي كنا عثرنا عليها في جامع الزيتونة بتونس « المرتبة الرابعة في نسب رسول الله وسيره ومغازيه وجل من التاريخ » . وكنا ذكرنا في تقدنا هذه الفشرة أن الكتاب هو جزء من كتاب آخر . ونحن نميل الآن الى اعتباره جزءاً من الإمامة والخلافة وصرانها .

هذا ما نعرفه الى الآن عن توالييف ابن حزم في التاريخ .
 وقد عثرنا في معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية على رسالة مخطوطة لابن حزم كتب عليها « الأمهات » ^(٣) . وتقع في ورقين كانتا ملحقتين بمخطوطة كتاب نقط العروس . ومصدرها مكتبة بايزيد عمومية في استانبول . وهما بخط قديم لعلها من أواخر القرن الخامس .

ولم نستطع أن نعلم هل كانت هاتان الورقتان رسالة خاصة أم باباً من أبواب كتاب آخر ؟ وكيف كانت الأمر ، فإنها تقدمان لنا نصاً جديداً من النصوص التي تركها ابن حزم في التاريخ .

ويدور الموضوع فيها حول أسماء أمهات الخلفاء الراشدين ، والامويين في

(١) انظر بلانثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ص ٢٢٠

(٢) انظر تقدنا هذا الكتاب في مجلة معهد المخطوطات العربية . المجلد الثاني (١٩٥٦) ،

ص ١٨٩ - ١٩٣

(٣) انظر فهرس المخطوطات المصورة ، (الجزء الثاني ، الاسم الثاني من التاريخ) ،

رقم ٦٨٢ ، ف ٨٥٣

الشرق ، وبعض الأمويين في الغرب ، وبعض الخلفاء العباسيين ^(١) .
ونلاحظ أنه وقف عند الطائع في الخلفاء العباسيين . وكان توفي سنة
٤٠٠ هـ . أما الخلفاء الأمويون في الأندلس فلا يذكرهم على الترتيب ، ويقف
عند المستنكفي .

وتفيدنا هذه الرسالة أن أمهات الخلفاء الراشدين ، والأمويين في المشرق
كن حرار ، عدا أم يزيد وإبراهيم ابني الوليد . أما العباسيون فأماهم أمهات
أولاد ، حاشا السفاح والمهدي والأمين . أما أمويو الأندلس فما ولي الخلافة
منهم من أمه حرة أصلاً وكان ابن حزم قد ذكر هذه النتيجة في كتابه
نقط العروس ^(٢) .

ونحن تقدم هذه الرسالة بعد أن قابلنا الأسماء الواردة فيها بما ورد في
المصادر . وجعلنا بين عضادتين [] ما أضفناه منها ، وبيننا في الهامش سني
تولية الخلفاء ، ووفياتهم ، لأن وفيات أمهاتهم .

وهاكم الرسالة :

(١) ألّف في القديم ابن حبيب (المتوفى سنة ٢٤٥ هـ) رسالة في « أمهات النبي »
لشرها حين علي مخلوط . بغداد ١٣٧٢ هـ .
(٢) انظر نقط العروس لابن حزم . (مجلة كلية الآداب بالقاهرة ، المجلد ١٣
« ١٩٥١ » ص ٨٨)

الأمهات

قال أبو محمد بن حزم :

أم النبي ^(١) ﷺ آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب
ابن مرة .

وأم أبي بكر ^(٢) ، رضي الله عنه ، أم الخير ، مسلمة فاضلة ، سلمى
بنت صخر بن عمر بن عامر بن كعب بن سعد بن قيس بن مرة .

أم عمر ^(٣) ، رضي الله عنه ، حنينة بنت هاشم بن المازيرة بن عبد الله
ابن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة . كافرة .

وأم عثمان ^(٤) ، رضي الله عنه ، أروى بنت كرز ^(٥) بن ربيعة بن
حبیب بن عبد شمس بن عبد مناف .

وأم علي ^(٦) ، رضي الله عنه ، فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف .
مسلمة فاضلة مهاجرة .

أم الحسن ^(٧) ، رضي الله عنه ، فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي عنها .

(١) توفي سنة ١١ للهجرة

(٢) (١١ - ١٣ / ١٣ هـ)

(٣) (١٣ - ٢٣ / ٢٣ هـ)

(٤) (٢٣ - ٣٥ / ٣٥ هـ)

(٥) في جوامع السيرة « كرز »

(٦) (٣٥ - ٤٠ / ٤٠ هـ)

(٧) (٤٠ - ٤١ / ٤٨ هـ)

أم معاوية ^(١) ، رضي الله عنه ، هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس
ابن عبد مناف . مسلمة مبيعة .

أم يزيد ^(٢) ميسون بنت جندل الكلبية .

أم عبد الله بن الزبير ^(٣) أسماء بنت أبي بكر الصديق .

أم معاوية بن يزيد ^(٤) أم خالد بنت هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس .

أم مروان بن الحكم ^(٥) الزرقاء الكنانية .

أم عبد الملك ^(٦) عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاصي بن أمية .

أم [الوليد ^(٧) و] سليمان ^(٨) ولادة بنت العباس بن جزء بن الحارث

ابن زهير بن جذيمة العبسي .

أم عمر بن ^(٩) عبد العزيز ، رضي الله عنه ، أم عاصم بنت عاصم بن عمر

ابن الخطاب .

[أم يزيد بن عبد الملك ^(١٠)] عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان .

أم هشام ^(١١) أم هشام بنت هشام بن اسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة

ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

(١) (٤١ - ٦٠ / ٦٠ هـ)

(٢) (٦٠ - ٦٤ / ٦٤ هـ)

(٣) (٦٤ - ٧٣ / ٧٣ هـ)

(٤) (٦٤ هـ / ٦٤ هـ)

(٥) (٦٤ - ٦٥ / ٦٥ هـ)

(٦) (٦٥ - ٨٦ / ٨٦ هـ)

(٧) (٨٦ - ٩٥ / ٩٥ هـ)

(٨) (٩٥ - ٩٩ / ٩٩ هـ)

(٩) (٩٩ - ١٠١ / ١٠١ هـ)

(١٠) (١٠١ - ١٠٥ / ١٠٥ هـ)

(١١) (١٠٥ - ١٢٥ / ١٢٥ هـ)

- [أم الوليد بن يزيد ^(١)] بنت محمد بن يوسف اخي الحجاج بن يوسف الثقفي .
 [أم يزيد بن الوليد ^(٢)] شاهنريد بنت خسرو بن فيروز بن يزيد جرد
 ابن شهر يار بن كسرى ابريز .
 [أم ابراهيم بن الوليد ^(٣)] أم ولد لا أفأ الآن على اسمها .
 وأم مروان ^(٤) اختلف فيها . فقيل أم ولد اسمها ربا . وقيل بنت جمدة
 ابن كلب من بني عامر بن صعصعة .
 أم السفاح ^(٥) رائطة ^(٦) بنت زياد بن عبد الله الحارثي ، من بني الحارث
 ابن كعب .
 أم المنصور ^(٧) سلامة البهرية من نقرة . وقيل من [صنهاجة] .
 أم المهدي ^(٨) أم مومي بنت منصور الحميري .
 أم الهادي ^(٩) وهارون ^(١٠) الخبزان ، مولدة كوفية .
 وأم الأمين ^(١١) أم جعفر زائدة بنت جعفر الأكبر بن أبي جعفر المنصور
 وأم ابراهيم بن المهدي ^(١٢) شكاة ، ظفربة .

(١) (١٢٥ - ١٢٦ / ١٢٦ •)

(٢) (١٢٦ - ١٢٦ / ١٢٦ •)

(٣) (١٢٦ - ١٢٦ / ١٢٦ •)

(٤) (١٢٧ - ١٣٢ / ١٣٢ •)

(٥) (١٣٢ - ١٣٦ / ١٣٦ •)

(٦) في سروج الذهب : بنت عبيد الله بن عبد المدان الحارثية .

(٧) (١٣٦ - ١٥٨ / ١٥٨ •)

(٨) (١٥٨ - ١٦٩ / ١٦٩ •)

(٩) (١٦٩ - ١٧٠ / ١٧٠ •)

(١٠) (١٧٠ - ١٩٣ / ١٩٣ •)

(١١) (١٩٣ - ١٩٨ / ١٩٨ •)

(١٢) (٢٠٢ - ٢٠٣ / ٢٢٤ •)

- وأمّ المأمون ^(١) «مرّاجل» ، رومية .
- وأمّ المعتصم ^(٢) «ماردة» ، مؤدّة كوفية .
- وأمّ الواثق ^(٣) «قراطيس» ، رومية .
- وأمّ المتوكل ^(٤) «شجاع» ، تركية .
- وأمّ المنتصر ^(٥) «اسمها حبشية» ، رومية .
- وأمّ المستعين ^(٦) «مخارق» ، رومية أم ولد . وقيل إنها بنت «عبيد» من أهل دؤلمر ^(٧) قرية بالموصل .
- وأمّ المعتز ^(٨) «اسمها قبيحة» ، صقلية .
- وأمّ المهدي ^(٩) «قرب» ، رومية .
- وأمّ المعتز ^(١٠) «فتيان» ، أم ولد .
- وأمّ المعتز ^(١١) «خزار» من دار محمد بن عبد الله بن طاهر .
- وأمّ المكني ^(١٢) «خاضع» ^(١٣) .

(١) (١٩٨ - ٢١٨ / ٢١٨ •)

(٢) (٢١٨ - ٢٢٧ / ٢٢٧ •)

(٣) (٢٢٧ - ٢٣٢ / ٢٣٢ •)

(٤) (٢٣٢ - ٢٤٧ / ٢٤٧ •)

(٥) (٢٤٧ - ٢٤٨ / ٢٤٨ •)

(٦) (٢٤٨ - / ٢٥٢ •)

(٧) قال ياقوت : قرية قرب صفين على الفرات . وذكر لي من أعتمد على رأيه أنها قلعة جبر نفسها أو ريفها (معجم البلدان)

(٨) (٢٥٢ - ٢٥٥ / ٢٥٥ •)

(٩) (٢٥٥ - ٢٥٦ / ٢٥٦ •)

(١٠) (٢٥٦ - ٢٧٩ / ٢٧٩ •)

(١١) (٢٧٩ - ٢٨٩ / ٢٨٩ •)

(١٢) (٢٨٩ - ٢٩٤ / ٢٩٤ •)

(١٣) كذا في الاصل . وفي الطبري ١١ : ٤٠٤ « جيبك »

- وأمّ المقنن (١) شغب ، أمّ ولد .
- وأمّ القاهر (٢) قَتُول ، أمّ ولد .
- وأمّ الراعي (٣) ظَلُوم ، أمّ ولد .
- وأمّ المتقي (٤) خلوب .
- وأمّ المستكني (٥) غُصْن ، أمّ ولد .
- وأمّ المطيع (٦) شُعْلَة ، من دار العباس بن الحسن .
- ولا أدري اسم أم الطائع (٧) .

• أول أمراء بني أمية بالأندلس

- وأم عبد الرحمن بن معاوية (٨) راح ، نَزْبَة .
- وأم هشام (٩) [بن عبد الرحمن] حوراء .
- وأم الحكم (١٠) [بن هشام] زخرف .
- وأم محمد (١١) [بن عبد الرحمن] تهتز .

-
- (١) (٢٩٤ - ٣٢٠ / ٣٢٠ •)
 - (٢) (٣٢٠ - ٣٢٣ / ٣٢٣ •)
 - (٣) (٣٢٣ - ٣٢٩ / ٣٢٩ •)
 - (٤) (٢٢٩ - ٣٣٣ / ٣٣٣ •)
 - (٥) (٣٣٣ - ٣٣٤ / ٣٣٩ •)
 - (٦) (٣٣٤ - ٣٦٣ / ٣٦٣ •)
 - (٧) (٣٦٣ - ٤٠٠ / ٣٨٠ •)
 - (٨) (١٣٨ - ١٧٢ / ١٧٢ •)
 - (٩) (١٧٢ - ١٨٠ / ١٨٠ •)
 - (١٠) (١٨٠ - ٢٠٦ / ٢٠٦ •)
 - (١١) (٢٣٨ - ٢٧٣ / ٢٧٣ •)

- وأم المنذر ^(١) [بن محمد] أنل .
 وأم الناصر ^(٢) [عبد الرحمن بن محمد] حزم .
 وأم الحكم ^(٣) [بن عبد الرحمن] مرجان .
 وأم المهدي ^(٤) مزننة .
 وأم سليمان ^(٥) [بن الحكم] ظبيّة .
 وأم المستظهر ^(٦) [عبد الرحمن بن هشام] غابة .
 وأم المستكفي ^(٧) [محمد بن عبد الرحمن] حور .

آخره : لله الحمد والمنة

والصلاة على محمد وآله والسلام.

الدكتور صلاح الدين المنجد



-
- (١) (٢٧٣ - ٢٧٥ / ٢٧٥ هـ)
 (٢) (٣٠٠ - ٣٥٠ / ٣٥٠ هـ)
 (٣) (٣٥٠ - ٣٦٦ / ٣٦٦ هـ)
 (٤) هو محمد بن هشام (٣٦٦ - ٤٠٠ / ٤٠٠ هـ)
 (٥) (٤٠٠ و ٤٠٣ - ٤٠٧ هـ) وهو المستنير
 (٦) (٤١٤ - ٤١٤ / ٤١٤ هـ)
 (٧) (٤١٤ - ٤١٥ / ٤١٨ هـ)

نظرة في معجم المصطلحات الطبية

الكثير اللغات

الدكتور ا. ل. كليفيل

تتله الى العربية الاساتذة مرشد خاطر وأحمد حمدي الحباط

ومحمد صلاح الدين الكواكي

(لجنة المصطلحات الطبية في كلية الطب من جامعة دمشق)

- ٢ -

وأما المَرَّعُ فقد وافقت اللجنة على استعمال هذه اللفظة للعملة النفسية المعروفة بالهستيريا (Hystérie) بينما المَرَّع لغة الإصراع^(١) في جانب المعاني الأخرى الكثيرة التي تختلف عن مدلول الهستيريا ، وهي العلة العديدة المظاهر والتي مردها إلى شواش نفسي ، مما يجعلها بعيدة كل البعد عن مدلول المَرَّع اللغوي ، فضلاً عن أن لفظة هستيريا قد أصبحت أممية دارجة في معظم اللغات الحية .

إن ما تقدم من الملاحظات لا ينقص أبداً من قيمة هذا السفر الجليل إذ لا تزال في مضمار المصطلحات العلمية في طور البحث والتنقيب واختيار الأفضل ، ولكل مشتغل باحث فيه ذوقه إلى جانب اجتهاده ، وما سآتي على ذكره فيما يلي

(١) في اللسان : المَرَّعُ والمَرَّاع والإمراع شدة الدوق وسرعة المدو ، وأمرع الرجلُ خف وأرعد من سرعة وخوف أو حرص أو غضب أو حمى ، الى أن قال أمرع الرجلُ إمراعاً إذا أنك وهو يوعد من البرد ، وقد يكون مُهرَّعاً من الحمى والغضب ، وقوله تعالى : « وم على آثارهم يُهرَّعون » أي يستنون عجالاً . ورجل هَرَّعٌ سريع المتى وهَرَّعٌ أيضاً سريع البكاء ، والمهروع المجنون الذي يصرع يقال وهو مَهْرُوعٌ مَخْفُوعٌ مَمْسُوسٌ والنح .

من المستدركات بعضها شجني سبق لي أن استعملته في كتيبي ودرومي وبعضها الآخر مما توصلت اليه مؤخراً وإن لم يتع لي بعد اثباته .
وقد أحسنت اللجنة صنفاً باستدراكها تصويب بعض الأخطاء الواردة في المعجم فأثبتت الصواب في جدول قدمته على متن المعجم ، وعلى الباحث عن إحدى الكلمات أن ينتبه الى ذلك إبان بحثه عن ترجمتها .

رأبي في مصطلحات المعجم

أدرج فيما يلي رأبي الخاص في مفردات المعجم حسب ما جاء في أرقام المصطلحات وترتيبها على الحروف الفرنسية .

حرف A

رقم المصطلح	رقم المصطلح
5	محفظة الشدق ؛ خد مدلى
Abajoue; Bajoue;	
joue pendante	

جاء في الترجمة الانكليزية لكلمة (Abajoue) وما يليها (Cheek pouch) (جيب الخد) وفي الألمانية (Backentasche) (جيب الخد) و (Hange-backe) (الخد المعلق أو المدلى) وفي اللاتينية (Sacculus buccalis) جريب الفم .

وما يقصد من (Abajoue) و (Bajoue) كما جاء في معجم لاروس للقرن العشرين : جيب يتكون من أثناء الغشاء المخاطي من جانبي الفم في بعض الحيوانات (القردة ومجنّحات الأيدي^(١)) . الخد الضخم والمدلى . وذكر

(١) معجم المصطلحات الزراعية ترجمة (Chiloptères) .

أن هذه الجيوب تتخذ مداخر للأغذية قبل أكلها وأنها في الخفافيش تهوت الطيران بسماعها بدخول الهواء في النسيج الخلوي تحت الجلد .

هذا والشِدْق جانب الفم ، والكتمان الأولى والثانية يقصد منها جوف الخد أو جُرَيْب الفم وبجاءاً الخد المدلى (Joue pendante) والأفضل المتجّع فقد جاء في المخصص المتجّع استرخاء الشدقين نحو ما يمرض للشبخ اذا هرم .

٧ أبين (عدم القدرة على المشي) قُعاد Abasie 7

ان المدلول اللغوي للفظ الفرنسي هو فقد المشي . أما المدلول العلمي فتطلق اللفظة على حالة مرضية تصاحب في الغالب بعض الاضطرابات النفسانية ، ولا يشترط فيها أن يكون المصاب مشلولاً أو ذا زمانة أو علة عضوية . وما يلاحظ آنذاك أن العليل باستطاعته أن يحرك طرفيه السفليين تحريكاً صحيحاً إلا أنه ليس بوسعه أن يخطو بها وهو مع ذلك يستطيع الوقوف . وإذا ترافقت الحال بعدم الوقوف دُعيت (Astasie - abasie) .

الأبْن لغة الإعياء والتعب ، والقُعَاد الداء الذي 'يقعد' ورجل 'مقعد' اذا ازمنه داء في جسده حتى لا يحرك به . مما يبعد هذين اللفظين الأبن والقُعَاد عن مدلول الكلمة المذكورة ، وعدم القدرة على المشي (وقد جاء بين هلالين) تعبير صحيح إلا أنه يتألف من أربع كلمات ، وأفضل منه ما وضعه مجمع اللغة العربية وهو امتناع الخطو ، وليس ما يمنع أن نختصر أكثر من ذلك لنقول : لا خطو .

٨ سُلابة (عفاشة الأحشاء) Abats 8

لم أعثر على كلمة 'سُلابة' في المعجمات التي توصلت الى مراجعتها ، وما أجمعت عليه المراجع التي فشت فيها عن هذه الكلمة ما جاء في لسان العرب والقاموس : سَلَبُ الديعة إهابها وأكراعها وبطنها . واللفظ الفرنسي (Abats) لا يشمل

الإهاب (الجلد) ويضم الكوارع والأكبَاد والأطحلة والأدمغة والقلوب والرئات . وقد سبق للرازي أن أطلق على هذه الأجزاء أعضاء الحيوان ^(١) ، والمجتمعي صاحب كامل الصناعة أحشاء الموائمي ، وكلاهما مفضل على سلب غير الدارجة ، فضلاً عن أن هذه الكلمة القاموسية لا تدل على المعنى المذكور تماماً . أما عفاشة الأحشاء فلم أعثر عليها في المعجمات ^(٢) .

١٠ خامد ضعيف Abattu, ue 10

وفي الترجمة الانكليزية للمعجم الأصلي (dejected; depressed low-spirited) والأفضل أت يقال خائر فقد جاء في اللسان الخور الضعف وخار الرجل فهو خائر .

تَحَمَدَت النار تَحْمَدُ خموداً سكن لهما ولم يُطفأ جمرها ، وَتَحَمَدَت مُموداً إذا أطفئ جمرها البتة . وأخذ فلان ناره ، وقوم خامدون لا تسمع لهم حساً ومن ذلك في التنزيل العزيز : « إن كانت إلا صيحة واحدة فاذا هم خامدون » ، قال الزجاج : فاذا هم ساكتون قد ماتوا وصاروا بمنزلة الرماد ، والخامد الهامد . وقال أيضاً وَتَحَمَدَ المريض أُغْمِيَ عليه أو مات .

١١ بعيد عن المحور Aboxial, ale 11

أو بجانب المحور وصوابه (Abaxial) غلط مطبعي لم يصوب .

١٢ تقصع Abcéder 12

(١) الصفحة ٢٦ من منافع الأغذية ودفع مضارها لابي بكر محمد بن زكريا الرازي ، طبع المطبعة الخيرية سنة ١٣٠٥ من الهجرة ، وشمل أعضاء الحيوان : الرؤوس والأكارع والبطن والأكبَاد والأطحة والكلَى والرئات والقلوب والأدمغة والهاخ والشحوم والاعوم .

(٢) ولعلها (عفاجة) بالجمع المعجمة ، وهي من العفج ، قال اليت : العفج من أسماء البطن لكل ما لا يجتر ، والجمع اعفاج . (لجنة اللغة)

ومدلول الكلمة الفرنسية هو التحول الى خراج . وتقصع الدم بالصدید اذا امتلاً منه ، وقصع مثله (اللسان) ، وعندي أن لسنا بحاجة الى هذه الكلمة القاموسية الجديدة والاكتفاء بتقيح أو أصدأ^(١) اذا درجنا على استعمال الصدید .

١٦ خراج عظمي المنشأ
16 Abscès par congestion ou ossifluent

والترجمة يجب أن تكون خراج بالاحتقان أو من منشأ عظمي .

١٧ خراج في ظاهر الأذنية
17 Abscès extradural
وأرى أن تبقى الأم الجافية ولا حاجة هنا الى الدغم .

١٩ خراج بارد ، لاطئة
19 Abscès froid
قد تدل اللاطئة على الخراج البارد ولا أرى حاجة الى هذه الكلمة الجديدة القاموسية لأنه جاء في اللسان اللاطئة خراج يخرج بالانسان لا يكاد يبرأ منه ويزعمون أنه من لسع الشظاة (الضكبت) .

٣٥ منحرف انظر حائد
35 Aberrant, te; v. dévié
المشهور عن (Aberrant) تائه و (dévié) حائد .

٥٥ إفسنت
55 Absinthe
كذا جاءت اللفظة بشكها الكامل وأكبر الظن أنه خطأ مطبعي لم ينتبه الى تصويبه لأن المعروف هو أفسنت بالفتح ، وجاء ضبطها في معجم المصطلحات الزراعية أفسنت .

٥٩ انقطاع ، انكفاف
59 Abstinence
والأفضل الامتناع .

(١) جاء في اللغة : أصدأ جله صدأ ، وأصد الجرح قبح أو سال صديده لذل الهزة الأخيرة زائدة .
(لجنة المجلة)

٦٢ نقص تفحصن الدم Acapnie 62

ويقصد منه نقص حمض الكربون من الدم ، وأرى الفهم غير الكربون ، هذا ما ذهب إليه مجمع اللغة العربية أيضاً .

٦٩ اشتداد أصوات القلب Accentuation des bruits cardiaques 69

والأفضل أن يقال (اشتداد دقتي القلب) ، وذلك لأن للقلب دقتين لا ثلاث دقات كما يفهم من صيغة الجمع الواردة في أصوات . ودقة القلب خير من صوته .

٧٣ نوبة اضطرابية صرعية Accès émotif épileptique 73

أرى الأفضل أن يقال : (نوبة انفعالية صرعية) فلفظة (Emotion) يقابلها الاتفعال وهي كلمة مؤأدة ودارجة في المصطلحات الفلسفية ، وينبغي أن يقتصر في كلمة اضطراب على (Trouble) شأن ما فعلته اللجنة في ترجمة الكلمة الفرنجية المذكورة (المصطلح ذو الرقم ١٣٧٦٠)

٧٤ نوبة حنق Accès de fureur 74

أرجح أن يقال (صورة الغضب) أو (التهيج) حسب اختلاف دلالة كلمة (fureur) إذ الكلمة الأخيرة بغلب استعمالها في الحيوان . وكذلك يمكن أن يقال حمياً الغضب وصورة التهيج (في الحيوان) ولستأملزمين بترجمة (Accès) بنوبة دوماً .

٧٥ نوبة جنون شديد ، هذيان عرّض Accée de folie furieuse, frénésie 75

وأرجح هنا أن يقال (ثورة جنون سبعي) ، ولم أعتد الى مدلول هذيان عرّض ولم أرَ تصويها لهذه اللفظة في الجدول . والجنون السبعي مصطلح استعمله أطباء العرب في معظم كتبهم . م (٧)

- ٨٦ طارىء العمل 86 Accident du travail
وأرجح أن يقال إصابة العمل .
- ٩٩ ولادة توأم 99 Accouchement gémellaire
والأفضل أن تستعمل كلمة واحدة وهي (إنّام) ، ففي اللسان أنامت المرأة
إذا ولدت اثنين في بطن واحد .
- ١٠٧ ولادة بالميعاد 107 Accouchement à terme
أرجح أن يقال (ولادة لتّام وتّمام) .
وأنمت المرأة وهي متم دنّا ولادها ، وأنمت الحبل فعي متم اذا تم أيام حملها ،
وبقال امرأة متم للحامل اذا شارفت الوَضْع وولّد المولود لتّام وتّمام (اللسان) .
- ١٠٨ ولادة بعد الميعاد 108 Accouchement après terme
ويُعرف هذا النوع من الولادة بـ (الجرّ) ، فقد جاء في اللسان : وجرت
المرأة ولدها جرّاً وجرت به وهو أن يجوز ولادها عن نسمة أشهر فيجاذها
بأربعة أيام أو ثلاثة فينضج ويتم في الرحم . والجرُّ أن تجر الناقة ولدها
بعد تمام السنة شهراً أو شهرين أو أربعين يوماً فقط . والجرور من الحوامل
وفي المحكم من الإبل التي تجر ولدها الى أقصى الغاية أو تتجاوزها .
- ١١٩ مذخّرة 119 Accumulateur
- ١٢٠ ادخار ، خزن ، جمع 120 Accumulation
Stockage, emmagasinage
- ١٢١ ادخّر ، جمع ، خزن 121 Accumuler
لقد أقر مجمع اللغة العربية (المرّكم) لـ (Accumulateur) وكذلك
أرّكم ورّكم .
فقد جاء في اللسان أرّكم جمعك شيئاً فرق شيء حتى تجعله رُكاماً مركوماً

كر كام الرمل والسحاب ونحو ذلك من الشيء المرتكك بعضه على بعض ،
ركم الشيء بركمه اذا جمعه وألقى بعضه على بعض وهو مركوم بعضه من بعض
وارتكك الشيء وتراكك اذا اجتمع .

فالأفضل أن تستعمل كلمة (المركم) وهي أخف من المذخرة التي سبق
للمرحوم الأستاذ جميل الخاني أن استعملها .

117 انعدام الصفراء Acholie 137

وأرجح أن يقال عدم الصفراء أو فقدها .

سبق للأستاذ خاطر أن نبه كاتب هذه السطور سنة ١٩٣٥ عندما استعمل
كلمة انعدام في الجزء الأول من علم الأمراض الباطنة ، نبه إلى خطأ استعمالها
بأن ليس بمصدر عدم مطاوع انعدام ، وقد شكرته على هذا التنبيه ولم أستعملها
منذ ذاك الحين ، ولا أظن الأمر قد تغير الآن .

151 تخمضين Acide aminé 151

والأفضل أن يقال حمض أميني .

167 حمض الفحم Acide carbonique 167

وأرجح حمض الكربون .

173 حمض السنامكي Acide chrysophanique 173

وأرجح حمض كريزوفان أو الحمض الكريزوفاني باعتباره من الحموض
التركيبية ، وليس سنامكي وحده يحويه بل ان عدة نباتات تشاطره في ذلك
ولا سيما الراوند الذي يحتوي عليه أكثر من سنامكي .

180 حمض الصفراء المخفّسج Acide déhydrocholique 180

(المخسوف الهيدروجين) dycholium

وأفضل منه أن يقال حمض ديهيدروكولي لاسيما وقد تقدم في اللفظة

ذات الرقم ١٧١ استعمال حمض كولا لي (Acide cholalique) وحمض كوليك وكولا ليك كلاهما حمض الصفراء .

١٨٤ حمض الفولي (حمض ورق الاسفاناخ) Acide folique 184

بتيروئيل غلوتاميك Pteroylglutamique

والأفضل في هذا الحمض وأضرابه أن تعرب باللفظ الأفرننجي فيقال حمض الفوليك لأن الفولي قد يلتبس بالفاظ عربية تشابهه . وهذا الحمض وان بدا في الورق من أكثر النباتات فليس خاصاً بها إذ يبدو في الكبد وفي خميرة الجمرة بكمية وافرة .

١٨٥ حمض النمل^(١) Acide formique 185

وأرى تعريبه بقولنا حمض الفورميك وهذا ما جنح اليه مجمع اللغة العربية .

٢٠٠ حمض التبغ، طليعة ألحيمين ب ب Acide nicotinique 200
Provitamine P P

وأرى التعريب بالنسبة للحمض فيقال حمض النيكوتينيك أما ألحيمين فما لا شك فيه أن كلمة الفيتامين الأسمية و P P أفضل من ب ب في هذا المجال ، فيقال (طليعة الفيتامين P P) .

٢١٦ حمض الحِضْرَم الناري Acide pyruvique 216

ان هذا الحمض من الحموض التي تحضر بطريقة التركيب ، وتتراكم في البدن من جراء عَوَز الفيتامين B ولا أظن أن له أي حلة بالحِضْرَم ولا بالنار ، وأرى تعريبه فيقال حمض بيروفيك .

٢١٧ حمض الوَرْدِي Acide rosolique 217

الأرجح اذا لم يعرب (والتعريب أفضل) أن يدعى بالحمض الوردي أو

(١) (حمض النمل) أول ، لأن لفظة Formique منخوبة الى Fourmi النملة ، فنكون في (حمض النمل) حذونا حذو اللغة الفرنسية . (لجنة المجلة)

المرجاني أو الذهبي وذلك لأن لونه أصفر ضارب الى الحمرة مع لمعان أخضر
لذا يعرف بـ (Aurin) و (Corallin)^(١) أيضاً .

٢٤٢ أوج ، اشتداد المرض Acmé, Fastigium 242

دور الصولة Période d'état

في اللسان (البرحاء) الشدة والمشقة وخص بعضهم به شدة الحمى وُبرحاء
في هذا المعنى ، وُبرحاء الحمى وخيرها شدة الاذى ويقال للمحموم الشديد
الحمى أصابته البرحاء .

وقد درجت في مؤلفاتي^(٢) على إطلاق بُرحاء الحمى لـ (Acmé)
(thermique) ، كما درجت على إطلاق طور التوقف على (Période d'état)
وطور الصولة على (Période d'invasion) .

٢٦٤ كَلْثَمَة ، ضخامة الأطراف ، عَبلٌ Acromégalie 264

وأقر بجمع اللغة (فرواحية) . كبير الأطراف .
وُبقصد من هذا اللفظ الحالة المرضية الناجمة عن آفة في الغدة النخامية
والبادية بغلظ نهايات الأطراف والأنف والدقن وما الى ذلك من الأجزاء
الناتئة فهي حرّبة بأن تدعى (ضخامة النهايات) لا الأطراف .
أما الكَلْثَمَة فقد جاء في اللسان اجتماع لحم الوجه ، وجارية مكثمة حسنة
دوائر الوجه ، ذات وجنتين فاتتھا سهولة الخدين ولم تلزمها جُهومة القبح ، ووجه
مُكَلَّم مستدير كثير اللحم وفيه كالجوز من اللحم .

وأما العَبل ففي اللسان أيضاً الورق السافط والمَدَبُ وكل ورق مفتول
غير منبسط . كما أن العَبل في اللسان : الضخم من كل شيء . والآنثى عَبلَة

(١) معجم بلاكتون Blakiston's في مادة (Rosolic acid) .

(٢) المصفتان ٨٥ و ٦٥٩ من الجزء الثاني لعم الأمراض الباطنة طبع سنة ١٩٣٦ .

إلى أن قال وامرأة عُبَّلة أي تامة الخلق ، مما يبعد العَبْل والعَبْل عن المعنى المقصود (Acromégalie) .
وأما القرواحية فلم أعتد إلى اشتقاقها ولا إلى معناها ، وكَبَّر الأطراف لا يعني الضخامة .

٣٠٨ كَحْضِيل (جذر) Acyle (radical) 308
وأرجح التعريب فأقول أُصِيل .

٣١٠ تَوْفِيق ، تَوَافُق Adaptation, ajustement 310
Accomodation

التوافق لغة الاتفاق والتظاهر ، وَفَّق الشيء ما لا زمه ، وقد وافقه موافقة ووفاقاً ، واتفق معه وتوافقاً . إلا أنه مما جد في استعمال (Adaptation) ما يدل على التكيف والتطبيع^(١) شأن ما يكون في تناذر التطبيع (Syndrome d'adaptation) الذي نبه إليه سَلِي (Sely) والذي يمتاز بحدوث ظواهر جديدة في البدن من شأنها أن تدفع كفاحه حيال ما أصابه من مصيبة (Stress) ميكانيكية كانت أو نفسانية .

٣١١ استرقاق العلاج Addiction, Asservissement 311
à l'usage d'une drogue

استحواذ العلاج

وأرجح تيم العلاج ، في اللسان التيم أن يستعبده الموى وذهاب العقل من الموى ، ورجل متيم ، وقيل التيم ذهاب العقل وفساده . والمعنى الأصلي للفظ يساعد على نقله إلى معنى الاسترقاق في المصطلح المذكور .

٣١٨ تظاهرات نظيرة الغدة Adénoïdisme 318
وقد دعاها مجمع اللغة (الغُدانية) وهذه أفضل .

(١) في القاموس تطبيع بطباعه لخلق باخلاقه وفي الأساس وهو متطبيع بكذا .

- ٣٢٤ تام ، مُعَادِل Adéquat, te 324
وتأتي بمعنى مطابق وموافق أيضاً .
- ٣٦٥ انحراف للهواء Aérotopisme 365
أرجع ترجمة الكاسعة (Tropisme) يميل تاركاً انحراف إلى (déviation)
فأقول (الميل الى الهواء) .
- ٣٦٦ بلاحمي ، إقلاعي Afébrile 366
والأفضل أن يقال لا حمري أما (الإقلاع) فهو طور أخذ الحمى بالهبوط
ويخصص له (Défervescence) وقد فعلت اللجنة كذلك في هذه اللفظة
ذات الرقم ٣٨٥٢ .
- ٣٦٧ مُضَعَف ، مضعوف Affaibli, e 367
وكذلك منهوك فانها تفي بالمقصود أيضاً .
- ٣٧٠ ضَعَف السمع . Affaiblissement de l'ouïe 370
وهو (الوفر) . ففي هذه اللغة ذكر الثعالي في ترتيب الصمم : يقال بأذنه
وَفَر فاذا زاد فهو صمّم . وفي اللسان الوفر ثقل في الأذن .
- ٣٧٤ آفة تجاوزية المنشأ Affection d'origine allergique 374
وأرجح أن يقال آفة آليرجائية المنشأ وسأعود الى الشرح في لفظة
(Allergie) ذات الرقم ٥٢٨ .
- ٣٧٦ انفعالية ، إحساس Affectivité, sensibilité 376
عاطفة وعاطفية (مجمع اللغة) ، وانفعالية يرجح أن تكون ترجمة
لـ (Emotivité) شأن ما فعلته اللجنة في هذه اللفظة ذات الرقم ٤٨١٢ .
- ٣٧٧ وارد ، جَبَذَان Afférent, ente; centripète 377

ان (وارد) لفظة أقرها مجمع اللغة أما جبذان ففي اللسان جبذ لغة في جذب ، وأقر المجمع للنظ (Centripète) جاذبة الى المركز .

٣٧٩ فيض ، وافر Affluence, Afflux 379

أرجح أن يقال الحشد والاحتشاد ثم البَيْغ لكلمة (Afflux) فقد جاء في اللسان البَيْغ توقد الدم حتى يظهر في العروق وهو ما يفيد معنى هذه اللفظة تماماً .

٣٨٠ ورود الى القطب السلي Afflux cathodique 380

وُرجح هنا النوجه أو الاتجاه الى القطب السلي .

٣٨١ ورود الدم ، هجوم الدم Afflux sanguin 381

وهو البَيْغ على نحو ما تقدم في ٣٧٩ .

٣٩٠ عَنَانَة ، نقص أعضاء الجنين Agénésie ou atrophie 390

ولادة congénitale

المقصود من (Agénésie) هو عدم التكوين أو النمو أو فقدهما و (Atrophie congénitale) أي الضحور الولادي أو الخلقي وهو أن يضر أحد الأعضاء في الحياة الجنينية فيأتي الوليد والعضو ضامراً . وقد أفر مجمع اللغة عدم النمو أو قصوره في ترجمة كلمة (Agénésie) .

أما العِنَانَة فإذا كانت بالكسر كما جاءت بالرسم المبين أعلاه فهي سير اللجام الذي تملك به الدابة وإذا كانت بالفتح فهي السحابة أو العُنَّة اسم من العنّين . وكلتاها لا تفيد المعنى المطلوب والضحور الولادي أو الخلقي أراه أفضل من نقص أعضاء الجنين ولادة .

٤١٤ خوف من الفضاء Agoraphobie 414

وقد أقر مجمع اللغة العربية رُهبَة الخلاء وهذه أفضل .

- ٤١٦ غيبة الكريات المحببة Agranulocytose , aneutrophilie 416
غيبة المعتدلات ، نقص الكريات granulocytopenie
الخيث .

وقد أفر جمع اللغة انعدام مشكلة النوى وأفضل أن يقال في ترجمة هذه المصطلحات فقد الكريات المحببة ، فقد المعتدلات ، نقص الكريات المحببة .

- ٤٢١ تسبيخ هذيانى Agrypnose 421

إن معنى (Agrypnose) هو المؤرق وكذلك (Agrypnose) لأن (Agrypnie) هو الأرق .

أما التسبيخ فقد قال عنه صاحب فقه اللغة أشد النوم ، وفي اللسان التسبيخ النوم الشديد ، أما الهذيانى فلا أظنه إلا زائداً .

- ٤٣٤ أجنحة الحرقفة Ailes iliaques 434

والأصح أن يقال جناحا الحرقفة لأنها اثنان لا ثالث لهما .

- ٤٣٥ أجنحة الأنف ، خنابها Ailes du nez 435

وأفر جمع اللغة غرضاً الأنف^(١) ، وإذا جاز استعمال جناح في هذا المعنى فهما جناحان ، أما الخنابان فالأحسن تخصيصها بالحرقين ، أي الفوهتين كما جاء في اللسان .

- ٤٣٦ أجنحة العظم الوتدي Ailes de l'os sphénoïde 436

(الكبيرة) (Grandes)

وهما جناحان لا ثلاثة .

(١) في اللسان : والفرضان من الفرس ما انحدر من قسبة الأنف من جانبيها وفيها عرق البهر . وقال أبو عبيدة في الأنف غرضان وهما ما انحدر من قسبة الأنف من جانبيه جيأ .

- ٤٣٧ جنبات العظام الوندي Ailes de l'os sphénoïde
(Petite)

ومما جُنَّبَحان أيضاً .

- ٤٤٥ فضاء ، سطح ، محيط Aire, région, zone
وأرجح أن يقال بقعة ، ناحية ، منطقة .
- ٤٤٦ سطح الصَّمم Aire de matité
بقعة الصَّمم أو باحته (مجمع اللفة) .

- ٤٨٢ غولي Alcoolique
٤٨٣ إسمام غولي، أنيلية، ادمان Alcoolisme, éthylisme
السكر ، عله ivrognérie

أرجح لكلمة غولي (Alcoolique) وهي نسبة الى الفول وقد تستعمل بهذا المعنى كما انه يعنى بها السكر أو خمر وهو شرّيب الخمر دائماً (اللسان) أما الانسمام الغولي فمن الجائز أن ندعوه بالفولية نظير الانيلية ، وأما إدمان السكر والعهه فقد جاء في اللسان الخمار بقية السكر نقول منه رجل خمر أي في عقب خمار ورجل مخور به خمار ، أما العله فكما جاء في اللسان أيضاً خبت النفس وضعفها وهو أيضاً أذى الخمار . لذا أرجح الخمار لـ (Ivrognérie) .

- ٤٨٩ حَصَر ، عمى نُطْقِي ، عي Alexie, cécité verbale
لم تكن كلمة حَصَر في أصل المتن من المعجم بل أضيفت مع ما أضافته اللجنة في كلمات جدول تصويب الأخطاء الواردة في المعجم .

والحَصَر كما جاء في اللسان خرب من العي حَصِر الرجل حَصراً فهو حَصِر عي في منطقه وقيل حَصِر لم يقدر على الكلام .

أقول إن معنى (Alexie) هو عدم امكان فهم الكلمات والآراء المرسومة

كتابة ، لذا ترجمتها بفقد القراءة^(١) و (Cécité verbale) هو عمى الكلام لا النطق ، ويراد من هذا ان العليل المصاب بهذه العاهة يكون صحيح البصر إلا أنه لا يفقه ولا يفهم مدلول الكلمات المكتوبة ، لآفة في الدماغ أصابت المركز الموكل باليه إدراك معنى الكلمات المكتوبة أو المطبوعة .

وأقر بجمع اللغة مقابل كلمة (Alexia) (عمه المكتوبات) وأراه تعبيراً حسناً لأن العمه لغة التخير والتردد ، وقبل العمه في البصيرة كالعمى في البصر . وأنا أطلق العمه على ما يقابل (Agnosie) (وقد أفرها بجمع اللغة) مرجحاً لـ (Alexie) فقد القراءة . ولم يأت ذكر كلمة (Agnosie) بين ألفاظ معجم مصطلحاتنا الطبية الكثير اللغات .

٤٩٦ انجذاب ، انجذاب نفسي Aliénation 496

Aliénation mentale

لم أعتز على استعمال الانجذاب في هذا المعنى في كتب الطب القديمة التي اطلعت عليها ولا في كتب اللغة ، وأغلب الظن أنها من الكلمات المولدة أو العامية ، وربما رجعت في الأصل الى تأويل وهمي . وأرى الأفضل أن نترجم بالأس أو الجنون أو خلل العقل لاسيما اننا بحاجة الى كلمة انجذاب في مواطن أخرى وأفضل أن تكون النسبة الى (Mentale) : عقلي أو ذهني .

٤٩٨ انجذاب هومي معي Aliénation maniaque 498
dépressive

في اللسان الهوس طرف من الجنون . وفي القانون وغيره من كتب الطب العربية القديمة تعريب لكلمة (Manie) بـ : المانيا ويرادفها الجنون السيمي . والاعياء التعب الشديد و (Dépression) الحمود . والمراد من هذا المصطلح

(١) الصفحة ٨٢ من الجزء الأول من علم الأمراض الباطنة طبع سنة ١٩٣٥ .

حالة مرضية تنسبة بتراوح الأمر في المصاب بها بين الطيش والحمود ،
وتتناوب في هاتين الحالتين ، لذا أرجح أن يقال فيها (الجنون السبعي الحمودي)
(أو الخبلي) أو مانبا همودية .

٤٩٩ مجذوب Alniée 499

لقد تقدم تفضيلي كلمة مجنوت .

٥٠٦ تغذية عن غير طريق الهضم Alimentation parentérale 506
وأرجح أن يقال بجانب الهضم . ففي القاموس جانب متعقبا وجانب بجانب
وجانبا صار الى جنبه وباعده ، ضد . وعليه فلفظة بجانب تفيد المعنى المطلوب
سواء عني بها في جنب الهضم أو بعيدا عنه ، ولا أظن إلا أن كلمة واحدة
درجة خير من ثلاث .

٥١٣ أغذية صخمة Aliments de lest 513

وأرجح أن يقال أغذية الماء . إذ المقصود من كلمة (lest) هي المواد
الثقيلة التي بلقي بها في أسفل البواخر والسفن^(١) والمناطيد لحفظ التوازن فيها
(Larousse) . والمقصود هنا من هذا النوع من الاغذية هي التي تؤكل
لكي تشغل حيزا في المعدة أو الأمعاء من شأنه أن يبطل حس الجوع من
المعدة أو يحرّض حركة التحوّلي في الأمعاء ومنه نهوبته إفراغ ما فيها ، هذا
ما يدعى بالانكليزية (Bulkage)^(٢) شأن الحال في بعض المواد الغرائية التي
تذقخ ويصبح حجمها أضعاف ما كان عليه إثر تماسها الماء أو عصارة المعدة والمعني .
وفي القاموس الماء الكظة من كثرة الأكل .

(١) وهذه الأنفال تسمى في العربية (الصابورة) فقد جاء في تعريفها : ما يوضع في باطن
المركب من النمل لينقل ولا يميل الى جانبيه . (لجنة المجلة)

(٢) تراجع هذه الكلمة في (Dorland, The American illustrated medical dictionary)

514	Aliments énergétiques	أغذية مولدة للقُدرة ، أغذية أبدية	٥١٤
		أو مولدة للطاقة وأرجح أن تخصص أبدية لمقوية (Tonique)	
515	Aliments d'épargne	أغذية ادخارية	٥١٥
	Antiderpeditors	مواد ادخارية	
	dynamophores, substances d'épargne		

وهذان اللفظان لأجل المصطلحين الأول والآخر ، وأملت اللجنة ترجمة اللفظين الثاني والثالث .

إن المقصود من هذه الأغذية هي بعض المواد (كالقهوة والشاي والكولة والكوكة والماتة Maté والفول ومرق اللحم) عندما توهم بعض الباحثين أن احتساء قليل منها من شأنه أن يساعد البدن في الإتيان^(١) ببعض العمل ، ولو كان بحالة الحرمان دون أي غذاء آخر ، ذاهبين الى أن من خواص هذه المواد أن تبعث النشاط في العمل العضلي ، وفي الطاقة عامة ، منقصة ما تصرف العضلة من طاقة . إلا أن الأثر المزعوم لما ثبت في معظم تلك المواد ، ماعدا الفول الذي يبدو له بعض الأثر الغذائي لاحتراقه في البدن بنسبة (٩٠ — ٩٥ ٪) وان ما يفتشأ من الطاقة إبان هذا الاحتراق يحول دون استهلاك الأغذية وصرفها ، ومنه العمل الاقتصادي لهذا الاحتراق لتجنب البدن الرجوع الى ما يحويه من مواد غذائية ، وذلك بنسبة ما يوازي ما نشره الفول من حرارة . وأرى لو جاز لنا استعمال الكلمة المؤداة (توفير) لكان أفضل ما ندعو به هذه المواد هو (أغذية التوفير) ، وإلا فمن الجائز أن نقول أغذية الاقتصاد أما (الأغذية الادخارية) فأخشى أن يفهم منها الأغذية التي تدخر في البدن ، وأغذية الدخر تكون أقل التباساً من الأغذية الادخارية .

(١) لفظة الطب لكاتب هذه السطور الصفحة ٢٣٤ من الطبعة الثانية ١٩٤٥ .

أما (Antidéperditeurs) فترجمتها مضادات الضياع (باعتبار ان هذا النوع من المواد يحول دون ضياع الأغذية الحقيقية المدخرة في البدن) وأما (dynamophores) فمعناها الباعثة على النشاط أو المنشطة أو المحرّضة للديناميكية (بعد أن عرّب مجمع اللغة كلمة ديناميك) .

٥٢٢ وشيقة ، مَضِيْدَة Allantoïde 522

(Allantoïde) أحد أغشية الجنين ، وقد جاء في مصطلحات علم التشريح التي أقرها مجمع اللغة الغشاء اللاقائي مقابل (Allantoic membrane) واقترح المرحوم الأب أنستاس الكرملّي تسميته باللفائفي (الجزء الثالث من مجلة مجمع اللغة العربية) . أما الوشيقة فقد جاء في اللسان : الوشيق والوشيقة لحم 'بغلي في ماء ملح ثم يرفع وقيل 'بقْد' ويحمل في الأصفار وهي أبقى قدبد يكون . وأما المَضِيْدَة ^(١) فلم أعثر عليها في المعاجم التي راجعتها . وعليه فاني أفضل كلمة اللفائفي في ترجمة (Allantoïde) ولا أظنها إلا مولدة .

٥٢٧ باعثة التجاوب ، مُكَوِّنَة الضد Allergène, corps antigénique 527

٥٢٨ تجاوب غذائي Allergie alimentaire 528

الآليرجيا : حالة خاصة تبدو في بعض الناس وأقر مجمع اللغة كلمة تحساس ترجمة لها ، وأنا أفضل تعريب هذه اللفظة بقولي آليرجيا والنسبة اليها آليرجياي وإذا شئت آليرجياوي ، وظهورها في بعض الناس إنما يكون بسائق التأهب السابق والاعتماد ، أما التجاوب فخريٌّ به أن يكون شاملاً للجميع لاعتباره ارتكاساً لكل مؤثر ، وليس الأمر كذلك في الآليرجيا . وأما (التحساس) فأفضل أن تخصص لـ (Hypersensibilité) عوضاً عن فرط الاحساس .

(١) ان ما جاء في اللسان والتاج : المَضِيْدَة في ضميد الرأس بجاية ، نَضَد ومَضَد اذا جمع .

٥٣٩ سَهْفٌ؛ صَادِرٌ ، صَدِرٌ Altéré, ée qui a soif 539
 (Altéré) في الفرنسية و (Thirsty) في الانكليزية و (Durstig) في
 الألمانية معنى كل ذلك عَطَشَانٌ أو عَطِشٌ . أما السَهْفُ فهو شدة العطش
 كما جاء في المخصص وفي اللسان السَهْفُ والسُهافُ شدة العطش سَهْفٌ سَهْفًا
 ورجل ساهفٌ ومسهور عطشان ولم أعثر على استعمال السَهْفِ . وأنا مع اللجنة
 في تخصيص كلمة سُهاف وسَهْفُ ترجمة لكلمة (Polydipsie) شأنها في رقم
 المصطلح ١٠٦١٨ وأن يقتصر هنا على عطشان أو عَطِش . وأما الصدى فقد
 جاء في المخصص شدة العطش صَدِيٌّ كَتَمِعَبٌ فهو صَدِرٌ وصَادِرٌ وصَدْبَاتٌ ،
 فلا مجال اذن لاستعمالها هنا .

٥٤٩ دُرْدُرِي ، نُخْرُوبِي Alvéolaire 549
 ٥٥٠ نُخْرُوب Alvéole 550
 ٥٥١ دُرْدُر Alvéole dentaire 551
 ٥٥٢ نُخْرُوب رُثْوِي Alvéole pulmonaire 552

وأقرت لجنة مجمع اللغة الدُرْدُر^(١) لـ (Alvéole dentaire) واستعملت
 السِنْخُ في مواطن مماثلة كالقناة السِنْخِيَّة (Alveolar canal) وأما في
 الرئة فقد دعتها الأستناخ تارة (Pulmonum alveoli) والحجيرات الرئوية
 (Pulmonum alveoli) أخرى . والنخروب واحد النخارب وجاء في اللسان خروق
 كبيوت الزنابير ، وقيل هي الثقب المهيأة من الشمع وهي التي تنجُ النحلُ العسلَ

(١) في اللسان : الدُرْدُرُ منبثبات الأسنان عامة وقيل منبثبات قبل نباتها وبعد سقوطها ، وقيل
 هي منافزها من الصبي والجمع الدرداء . والسِنْخُ الأصل من كل شيء والجمع أسناخ
 وسنوخ وسينخ كل شيء أصله . أقول وهذه تدعى الجذور وقد دعاها ابن سينا
 في قانونه الرؤوس .

فيها ، وكذلك الثقب في كل شيء مخروب ، ونخرب القادح الشجرة ثقبها وهي شقوق الحبر وشجرة مخربة اذا بليت وصارت فيها نخاريب .
لذا أرجع لكلمة (Alvéole) في الأسنان دُرْدُر وفي الرئة حجيرات .
أما الاسناخ فهي الجذور .

٥٥٣ مَشَائِي ، إِسْهَالِي Alvin, ine 553

(Alvin) نسبة إلى (Alvus) وهو أسفل البطن^(١) ويقصد منه ما يعود إلى الجزء النهائي من الأمعاء ولا سيما المفرغات . أما المشاء فقد جاء في القاموس هو الدواء المسهل . وجاء في الترجمة الألمانية (zum Unterleibe gehörend) أي ما يعود إلى الجذر السفلي من البطن .
لذا أرجح أن يقال 'سَرْجِي' والسرم مخرج الثفل وهو طرف المعى المستقيم .
هذا ولا يشترط في المفرغ أن يكون اسهالاً .

الدكتور حسني سبيع

(للبحث صلة)

—•••••—

(١) ينظر في كلمة (Alvin) في معجم (M. Garnier et V. J. Delamare Dictionnaire des termes techniques de Médecine .)

مختارات مما لم يُنشر من شعر البحتري

- ٢ -

قال البحتري ^(١) يمدح المتوكل على الله ^(٢) :
نَصَبَ ^(٣) إِلَى طَيْبِ الْعِرَاقِ وَحُسْنِهَا ^(٤) وَيَمْنَعُ مِنْهَا قَيْظُهَا وَحَرُّودُهَا ^(٥)

(١) القصيدة من الطويل ، عدد أبياتها ١٢ ، نقلناها من مخطوطة ديوان البحتري
بالمكتبة الوطنية بباريس (رقم ٣٠٦٨ من القسم العربي) الورقة : ١٧٧ ظ ،
ومما يؤكد صحة نسبتها إلى البحتري أن ياقوت أورد الأبيات (١ - ٨) منها وقدم
لها بقوله : وقال البحتري بفضل الشام على العراق (معجم البلدان ، بيروت :
٣ / ٣١٤ - ٣١٥) .

(٢) هو جعفر بن المعتصم ، عاشر الخلفاء العباسيين ، امتدت خلافته خمس عشرة سنة
(٢٣٢ - ٢٤٧ هـ) قضاها في نضال دائم للقضاء على استبداد الأتراك وتفوزهم ،
وكان عهده المرحلة الذهبية في حياة البحتري ، وشعر البحتري مجل حافل بكل ما جرى
في خلافة المتوكل من أحداث ، ومنها هذه الرحلة التي قام بها المتوكل إلى دمشق ،
وكان البحتري في موكب حاشيته .

(٣) صَبَبْنَا - نَصَبَ : من الصبابة ، وهي الشوق ورقة الهوى .

(٤) ياقوت : . . . أرض العراق وحسنه . . . ويمنع عنها . . .

(٥) الحرور : الريح الحارة بالليل ، وقد تكون بالنهار ، والحرور : الحرارة وهي هنا
لبست بشيء لأن في ذكر القَيْظِ غنى عنها ؛ أما شكوى الشاعر من قَيْظِ العراق
فهو يعلمها منذ خروج المتوكل من سامراء :

قد رحلنا عن العراق وعن قَيْظِها النكد

(الديوان ، الجواب : ٩ / ١ ، والقصيدة من مجزوء الخفيف ، وفي الديوان
«قطيها النكد» وهو تصحيف) .

م (٨)

هي الأرضُ نهواها إذا طابَ فضاءُها ونهرُبُ منها حينَ يَحْشَى هَجِيرُها
عَشِيقَتُنَا الأولى وَخُلَّتْنَا التي نُحِبُّ وَإِنْ أَضَحَّتْ دِمَشْقُ تُغَيِّرُها^(١)
عُنَيْتُ بِشَرْقِ الْأَرْضِ قَدْ مَكَوْغَرِها أَجَوِّبُ فِي آفَاقِها^(٢) وَأَسِيرُها
فَلَمْ أَرْ مِثْلَ الشَّامِ دَارَ إِقَامَةٍ^(٣) لِرَاحِ مُغَادِيها وَكَأْسِ مُنْدِيرِها^(٤)
مَصَحَّةُ أَبْدَانٍ وَزَهَّةُ أَعْيُنٍ وَلَهُوَ نَفْسٍ دَائِمٌ وَسُرُورُها
مَقْدَسَةٌ جَادَ الرِّيحُ بِلَادِها قَمِي كُلِّ دَارٍ رَوْضَةٌ وَغَدِيرُها

(١) في مخطوطة الديوان : (تَغيرها) : من عاره إذا عابه ، وليست بشيء ، وقد آثرنا رواية ياقوت (تَغيرها) وهي بمعنى تثير غيرتها ، لأنها من أثار أهله إذا تزوج عليها فغارت ، وبذلك يتم ربط عجز البيت بمعنى صدره .

(٢) أكثر البحتري من التطواف في أرجاء الامبراطورية العباسية المترامية الأطراف ، برتها وبحرها (انظر ما كتبناه في مقدمة أخبار البحتري للصولي ص : ٥) .

(٣) يزبن الشاعر للمتوكل أن يتخذ من دمشق دار إقامة ، وكثيراً ما كان البحتري يُطاري للخليفة محاسن دمشق ، ويدعوه إلى أن يؤثرها بهواه :

وكيف لا تُؤثرُها بالهوى وصيفُها مثلُ شتاء العراق

(الديوان ، الجواب : ١/ ١٢٣ والقصيدة من السربيع) ويبدو أن المتوكل استجاب لشاعره فعزم على «نقل دواوين الملك إلى دمشق» (انظر الطبري وابن الأثير : حوادث سنة ٢٤٤) لولا أن الجند شغبوا عليه (انظر المسعودي : مروج الذهب :

البيهة بمصر ١٣٤٦ : ٢ / ٣٨٩ — ٣٩٠) .

(٤) ياقوت : لراح أغاديا وكأس أديرها

تَبَاشَرَ قُطْرَاهَا وَأَضْمَفَ حَسْنَهَا بَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَزُودُهَا
تَوَجَّهَتْ مَصْحُوبًا إِلَيْهَا بِعَزْمَةٍ مَضَى بِسَدَادٍ بَدْوُهَا وَأَخِيرُهَا
وَفِي سَنَةٍ ^(١) قَدْ طَالَعْتَكَ سُعُودُهَا وَقَابَلَكَ النَّيْرُوزُ ^(٢) وَهُوَ بِشِيرُهَا
فَصَلَّيْنَا بِأَعْوَامٍ تَوَالِي ^(٣) وَلَا تَرَلْ مِتَّةً سِتَّةَ أَيَّامِهَا وَشُهورُهَا
وَعِشْرَ أَبَدٍ لِلْمَكْرُمَاتِ وَلِلْعُلَا فَأَنْتَ ضِيَاءُ الْمَكْرُمَاتِ وَنُورُهَا

* * *

(١) غادر المتوكل سامرا لعشر بقين من ذي القعدة من عام ٢٤٣ هـ إلى دمشق عن طريق الموصل ، ووصل إلى دمشق لثمان بقين من صفر عام ٢٤٤ هـ وأقام فيها ثمانية وثلاثين يوما (انظر تاريخ اليعقوبي ، ليدن ١٨٨٣ : ٢ / ٦٠٠) .

(٢) النيروز والنوروز اسم فارسي معرب معناه اليوم الجديد ، وهو أعظم أعياد الفرس ، وزمانه اليوم الأول من السنة الفارسية التي تبدئ بالانقلاب الصيفي ، وقد شهد المتوكل في دمشق مقدم الصيف ، لأن إقامته فيها من صفر إلى أول ربيع الثاني من عام ٢٤٤ هـ أي من أيار إلى تموز من عام ٨٥٨ م .

(٣) أصلها (تتوالى) فحذف الناء ، والبحري يكرر هنا ثانية دعوة الخليفة إلى إطالة البقاء في دمشق .

ملاحظات ونظرات

١ - هذه القصيدة واحدة من خمس ، نظمها الجعري كلها أثناء رحلة المتوكل إلى دمشق ، وفي هذه القصائد يتغنى شاعر المتوكل بطيب العيش في دمشق وباعتدال اقليمها ، وبفضلها لذلك على العراق وقيظها ، وديوان الجعري يحوي القصائد الأربع الأخرى (الديوان ، الجوائب : ٩ / ١ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢) أما هذه الرائية فنشر كاملة لأول مرة .

٢ - تحديد تاريخ نظم القصيدة إذاً ممكن ، ذلك أن المؤرخين القدامى عُنوا بالكلام على رحلة المتوكل إلى الشام ، وهي الرحلة الوحيدة التي قام بها هذا الخليفة العباسي إلى خارج العراق طوال مدة خلافته ، ولهذا نستطيع أن نؤكد بالدقة أن الجعري نظم القصيدة سنة ٢٤٤ هـ ، وفي الربع الأول منها ، عندما كان المتوكل في دمشق .

٣ - لهذه الرحلة شأن بعيد المدى في سياسة المتوكل ، ولكن مؤرخينا القدامى لم يبدقوا في هذا الحدث الخطير ، واكتفوا عند الحديث عن عودة الخليفة إلى العراق بإيراد بعض الأسباب الاقليمية والغذائية ، فالطبري يذكر أن المتوكل استوباً دمشق لأن الهواء بها بارد ندي ، والماء ثقیل ، والريح تهب فيها مع العصر فلا تزال تشتد حتى يمضي عامة الليل ، وهي كثيرة البراغيث . . ويتحدث الطبري عن غلاء الأسعار في الشام وعن حيلولة الحاج دون السابلة والميرة ، ويتابع ابن الأثير الطبري دون تحقيق ، والتحقيق أن المتوكل لم ينزل دمشق ليستولي مسكنها ، وإنما نزل في قصر المأمون بداريا ، على بعد ساعة من دمشق ، وهذا الموضع في أعلى الأرض - كما يقول المسعودي - يشرف على دمشق وأكثر الغوطه (مروج الذهب : ٢ / ٣٨٩) ، والتحقيق أيضاً أن المتوكل كان في دمشق في وسط الصيف ، بين أيار وتموز - كما قدمنا -

فمن أين تتراكم الثلوج وتحول دون وصول الميرة ! المؤرخون المحدثون استطاعوا أن يدركوا أن وراء عودة المتوكل المفاجئة إلى العراق ، بعد عزيمته على نقل دواوين الخلافة إلى دمشق ، سرّاً لم يكشف عنه أسلافهم ، فهذه الرحلة مظهر من مظاهر النزاع بين المتوكل والأتراك ، وقد حاول الخليفة بها أن يتخلص من النفوذ التركي الخائى في سامرا بنقل مركز الخلافة إلى منطقة نفوذ عربية ، إلى دمشق ، ولكن الأتراك انهبوا إلى هذه الخطة وخطرهما ، فشغبوا على المتوكل ، وحاولوا اغتياله ، وأجبروه على العودة . (انظر دراسات في العصور العباسية المتأخرة لعبد العزيز الدوري ، بغداد ١٩٤٥ : ص ٤٥ وما بعدها) .

٤ - وبعثت بعض الباحثين أن البحري قد أسهم في دعم سياسة المتوكل للخلاص من نفوذ الأتراك ، فهو منذ بعيد يُطري للخليفة محاسن الشام ، ويشير شوقه إلى فتنة طبيعتها ، إلى أن عزم المتوكل على الرحلة إليها ، ولهذا يقول له البحري في إحدى قصائد الرحلة : (الديوان ، الجواب : ١ / ١١) :
أما دمشق فقد أبدت محاسنها وقد وفى لك مطربها بما وعدا

وقد بذل البحري جهده ليحب دمشق إلى المتوكل ، ويدفعه إلى إظهارها على العراق ، وليس بعيداً أن يكون البحري هو الذي حمل المتوكل على المقام بالشام ونقل دواوين الملك إلى دمشق . (انظر : في الأدب العباسي للدكتور محمد مهدي البصير ، بغداد ١٩٤٩ : ص ٢٣٤) .

٥ - أبيات القصيدة تنبض بحب الشاعر الشامي لوطنه ، فهو يفضل الشام على العراق ، ولا يعدل بدمشق داراً أخرى لسكنه ، ولا يرى في الأرض كلها ، شرقها وغربها ، مثيلاً لها في إفادة اللهو والسرور ، فهي صحة البدن ونزهة العين وهو يتمنى أن ينقل المتوكل سرير ملكه إليها ، ولهذا نجده يحث الخليفة على إطالة البقاء فيها ، وبلغته إلى مميزاتا ، فهي أرض

مقدسة ، أهدى الربيع كل دار من دورها روضةً وغديرًا ، وستزداد محاسنها اشراقًا بهذه الزبارة لها ، وتطيب أبنامها وشهورها كلما طال مكث المتوكل فيها ، وهذه القصيدة أرادها البحتري في مدح المتوكل ، فغالبه حبه للشام على إرادته فجاءت قصيدته تحية إعجاب وحب لدمشق ومفانن الطبيعة فيها .

٦ - تمتاز القصيدة إذاً بوحدة موضوعها ، فالأبيات كلها تتحدث عن جمال الطبيعة في دمشق ، وتمجيدها وتفضيلها على العراق وحث الخليفة على البقاء فيها ، وهي من جيد شعر البحتري في المتوكل ، وشمره في المتوكل أجود شعره وأصفاه .

- ٣ -

وقال البحتري "مدح محمد بن حميد الطوسي" (١) :

(١) القصيدة من الخفيف ، عدد أبياتها ٢٣ ، نقلناها من مخطوطة الديوان بالمكتبة الوطنية بباريس ، الورقة ١٢٣ و - ظ ، إلا البيت الخامس منها فقد نقلناه من (المختار من دواوين المتني والبحتري وأبي تمام لعبد الفاهر الجرجاني ، بتحقيق السيد عبد العزيز الميني : الطرائف الأدبية مصر ١٩٣٧ : ص ٢٤٣) وقد وجدنا في هذا (المختار) البيتين الرابع والخامس ، وذلك يؤكد صحة نسبة القصيدة إلى البحتري .

(٢) هو أبو نوح الطائي ، محمد بن حميد بن عبد الحميد الطوسي ، مدوح أبي تمام والبحتري ، وقد مدحه البحتري بشعر كثير ، وآل حميد بيت شجاعة وفروسية وأدب ومجد ، منع الخلافة العباسية عدداً من كبار قادة جيوشها ، وقد مدحهم شعراء عصرهم ورثوا مصارع الأبطال منهم عند الثغور ، وأخبارهم منشورة في كتب التاريخ (وانظر معجم الشعراء لمرزباني ص : ٤٢٢ والأغاني ، بولاق :

بعض^(١) هذا الملام والتفنيد^(٢) ليس هجر النوى كحجر الصدود
 زعم العاذلون أن الذي يصيبه^(٣) تجل العيون غير وشيد
 كذب العاذلون قد يحسن الحب بمن ليس قلبه من حديد
 ياربوع الديار إني على ما قد أراه منكن غير جليد
 [أخلق الدهر عهداً كن ولله سر صروف يخافن كل جديد^(٤)]
 فرقت شملنا النوى بعد ما كنا جميعاً في ظل عيش حميد
 لو^(٥) ترانا عند الوداع وقد لو^(م) ن سكب الدموع ورد الحدود
 حين ساروا بغانيات وسام^(٦) آنسات حور المدامع غيد
 يتلفتن من بيد وينظر ن أستراليا إلى الحب العميد^(٧)

(١) للبحري قصيدة يمدح بها الوزير محمد بن عبد الملك الزيات ، ومطامها مماثل لهذا

المطامع : (الديوان ، الجواب : ١٩٣ / ٢) :

بعض هذا العتاب والتفنيد ليس ذم الوفاء بالمحمود

(٢) التفنيد : التكذيب وتخطئة الرأي وتضعيف القول .

(٣) أصابه : شاقه وفتنه ودعاه إلى الصبا .

(٤) البيت زيادة من (المختار . .) للبرجاني .

(٥) لو : هنا ليست للشرط ، فلا جواب لها ، وتحمّل التمني والعرض .

(٦) وسام : جمع وسيمة ، والوسامة أثر الحسن .

(٧) العميد والمعمود والمعمد : الذي هداه العشق وأضناه .

يتبادَينَ حولَ مُحْوَرةِ العَيْنِ مَصْفُرةِ التَّراثِبِ^(١) رُودِ^(٢)
 أَعْجَلَتْهَا النُّوى فَمَا نَلَتْ مِنْهَا طَائِلًا غَيْرَ نَظَرَةٍ مِنْ بَعِيدِ
 صَوَفٍ أُعْطِيَ السُّلُوَ وَالصَّبْرَ مَا أُمْنَعُ^(٣) مِنْ طَارِفِ الهَوَى وَتَلِيدِ
 بِالْمَهَارَى^(٤) يَلْبَسُنَ ثَوْبًا جَدِيدًا مُسْتَفَادًا فِي كُلِّ وَقْتٍ جَدِيدِ
 وَهِيَ طَوَلُ النَّهَارِ يَضُّ وَطَوَلُ^(٥) اللَّيْلِ فِي أَقْصَى مِنَ اللَّيْلِ سُودِ
 طَالِبَاتٍ فِي الْغَوْثِ غَوَا سَكُوبًا وَحَمِيدًا فِي آلِ عَبْدِ الْحَمِيدِ^(٦)
 جَادَ حَتَّى لَوْ أَسْتَزِيدَ مِنَ الْجُودِ لَمَّا كَانَ عِنْدَهُ مِنْ مَزِيدِ
 خُلُقٍ يَا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ حُزْنَهُ عَنْ أَبَوَةٍ وَجَدُودِ

(١) التَّراثِب : موضع القِلادة من الجسم أو ما بين الثديين ، ويريد الشاعر من اصفرار
 التَّراثِب أنها مصبوغة بالزعفران ، وهو من الطَّيِّب ، وقيل : أهلك النساء الأصفران :
 الذهب والزعفران .

(٢) رُود مسهلة من رُود وهي الفناء الحسنه الشباب ، تشبيها لها بالفصن الرطب الرخص .

(٣) في الأصل : ما ، ولا يستقيم بها معنى البيت وإعرابه ، و (ما أُمْنَع) مامصدرية
 ظرفية ، ومعنى البيت أنني سأسلو عن فارقوني ، مدة ما يجتمع عني جديدُ الهوى
 وقديمه ، برحلة إلى الممدوح ، أركب المهاري . . إلخ . .

(٤) المهاري الأبل المَهْرَبَة ، وهي المنسوبة إلى قبيلة مَهْرَة .

(٥) في الأصل : طوال ، وهو خطأ ، ولا يستقيم الوزن به .

(٦) الممدوح اسمه محمد بن حميد بن عبد الحميد .

يَشْهَدُ الْحَرْبَ مِنْكَ لَيْثُ عَرِينٍ غَيْرُ هَيَابَةٍ وَلَا رَعْدِيدٍ
 أَسَدٌ يَرْكَبُ السَّيْفَ إِذَا مَا قُلَّ تَحْتَ السَّيْفِ صَبْرُ الْأَسَدِ
 يَتَخَطَّى فِيهَا رِقَابَ الْمَنَايَا غَيْرَ مَا نَاكِلٍ وَلَا مَزْوُودٍ^(١)
 فِي نَهَارٍ مِنَ السَّيْفِ مُضِيٍّ تَحْتَ لَيْلٍ مِنْ مُسْتَنَارِ الصَّيْدِ^(٢)
 وَعَوَانٍ^(٣) تُحْمَلُ تَحْتَ وَغَاهَا مُقَدَّةُ الْفَارِسِ الشَّجَاعِ النَّجِيدِ^(٤)
 يَخْرُسُ الدَّارِعُونَ فِيهَا فَمَا يُسْمَعُ فِيهَا إِلَّا كَلَامُ الْحَدِيدِ

* * *

(١) المَزْوُودُ : المَذْعُورُ ، مِنْ زَادَهُ : أَفْزَعَهُ .

(٢) الصَّيْدُ : التَّرَابُ ، وَالتَّرَابُ الْمَثَارُ كِتَابَةً عَنِ الْمَعْرَكَةِ .

(٣) الْعَوَانُ مِنَ الْحُرُوبِ ، الْحَرْبُ الَّتِي قُوتِلَ فِيهَا مَرَّةً بَعْدَ الْأُخْرَى ، كَأَنَّهُمْ جَعَلُوا
 الْأَوَّلَى بِكْرًا ، لِأَنَّ الْعَوَانَ مِنَ النِّسَاءِ هِيَ التَّيِّبُ .

(٤) النَّجِيدُ وَالنَّجْدُ وَالنَّجْدُ : الشَّجَاعُ الْمَاضِي فِيمَا يُعْجَزُ غَيْرَهُ .

ملاحظات ونظرات

١ - ممدوح البحتري في هذه القصيدة محمد بن حميد ، القائد العبامي ، شخصية كبرى من شخصيات شعر البحتري ، وهو شاعر مقل (الفهرست ، الرحمانية بمصر ١٣٤٨ هـ : ص ٢٣٥) يروي صاحب الأغاني بعض أخباره (ج ٩ / ١٠٢ - ١٠٣) ، وقد مدحه البحتري بقصائد كثيرة ، منها ١٥ قصيدة في ديوانه المطبوع ، وقصائد أخرى لم تنزل إلى اليوم مخطوطة ، ومنها هذه القصيدة .

٢ - ليس سهلاً تحديد تاريخ نظم القصيدة ، ذلك أن البحتري اتصل بآل حميد في بغداد ، في حياة أستاذه أبي تمام الذي كان يستجيد شعر البحتري فيهم (أخبار البحتري : ٦٩) ، وفي خلافة المتوكل أيضاً ؛ وليس في القصيدة ما يُبين على تأريخها ، ولعلّ في حرارة أبيات الغزل وما يذكر الشاعر فيها من تعلق الغائبات به وتلفتنهن إليه عند الرحيل ما يسمح لنا بأن نرجح أن تكون القصيدة من نتاج مرحلة الشباب .

٣ - يمكن أن نلاحظ في القصيدة أقساماً ثلاثة :

أ - النسب : ويشغل الأبيات (١ - ١١) وقد أغناه الشاعر بالحلمة على المذال ، وبالحنين إلى ديار المحبوبة ، وبتصوير بعض الذكريات الباكية لساعة الفراق والرحيل ، وبوصف خاطف لبعض مفاتن المحبوبة ذات العينين الحورادوين ، والترائب الفواحة بطيب الزعفران ، والقامة المتأودة كالنصن الرخص .

ب - وصف الإبل : ويشغل الأبيات (١٢ - ١٤) وهي الركائب التي حملت الشاعر إلى الممدوح ، وهي إبل مَهْرِيَّةٌ تُغِذُّ السير ، وتطوي الليل والنهار ، لتبلغ ديار الممدوح .

ج - المديح : ويشغل الأبيات الباقية (١٥ - ٢٣) وهو الغرض الرئيسي من القصيدة ، والبحثري 'يقدم فيه للممدوح صورة تقليدية لا تكاد تبدو فيها ملامح خاصة تميز محمد بن حميد الطوسي من غيره من ممدوحى البحتري ، على أنه جمع فيها أقانيم المديح الثلاثة (الكرم وشرف النسب والشجاعة) فالممدوح غوث مكروب ، يهود بكل ماله ، وهو شريف في بيته ، ورث الكرم عن أبوته وجدوده ، وهو في الحرب ليث مقدم ، يخوض المعارك الطاحنة ، ويتخطى فيها رقاب المنايا ، غير هيأب ولا ناكل ، وكل من في المعركة هادي صامت أخرس ، فلا يسمع غير قفقهة السلاح و صليل السيوف .

د - يلاحظ أن النسب قد امتأثر بأكثر الأبيات وطفى على حصة المديح ، وهو الغرض الرئيسي ، كما نلاحظ أن البحتري قد أحسن التخلص هذه المرة من النسب إلى المديح ، فلم يكن انتقاله إليه مفاجئاً كما عودنا أن يفعل ، وهكذا كان وصفه للابل التي حملته إلى الممدوح وسيلة لغرض فني ، هو ما يسميه البلاغيون بحسن التخلص ، وعلى الرغم من أن هذه الوسيلة تقليدية معروفة في الشعر القديم ، فإن عرض البحتري الحي السريع المحكم لها خفف من ابتذالها .

هـ - استوفى البحتري في أبيات المديح جزئيات الصورة التقليدية للممدوح ، وعرضها عرضاً خاطفاً سريعاً ، ولكنه ألح على تصوير شجاعة ممدوحه وثباته في المعارك ، حتى شغل بذلك الأبيات الستة الأخيرة ، ولم يترك للكرم وشرف النسب مجتمعين غير أبيات ثلاثة ! ومثل هذا الإلحاح على تصوير شجاعة الممدوح أمر طبيعي بصورة محمد بن حميد القائد العبّاسي لا بد لها من أن تطفئ - في عيني شاعر معوز كالبحتري - على مزاياه الأخرى .

٦ - القصيدة من جيد شعر البحتري ، اجتمع لها رقة اللفظ وسهولته ، وبساطة التركيب وقوته ، وموسيقى الصياغة وعفويتها ، وجمال الصورة ووضوحها ، ولو توفر لها غنى المنصر الفكري وطول النفس لكانت من مختار الشعر العبّاسي ومستجاده .

كتاب النفس

لابن باجة الأندلسي

- ٦ -

الفصل الرابع

القول في البصر

وقد تبين فيما قد تقدم^(١) ان النفس هي الاستكمال الأول الذي هيولاه المازاج .
وأعني بقولي « الأول »^(٢) كما يقال في المهندس حينما لا يستعمل عمله بالهندسة ،
والموسيقار^(٣) < حينما لا يستعمل صناعة الموسيقى . > والأخير مثل ما يقال
في الموسيقار حين يستعمل اللحن . فإن الصنف < الأول > من الاستكمال
أبدأ هو كالمهولي للكمال الأخير ، ولذلك يحتاج ضرورة إلى شيء آخر يخرج به
إلى الفعل وهو المحرك ، لأن كل متحرك فله محرك ، غير أن المحرك^(٤) في
هذه يخفى والمحرك في الحس ظاهر أمره كالذي يعرض في الإمارة الصعبة .
(ورقة ١٥٥ ب) فإن الصقالة هي الكمال الأول فلذلك متى حضر المرئي
ارتسمت فيها الصورة من غير أن تتغير هي إلى وجود آخر تكون به أقرب
كالذي يعرض في الحديد وهو حديد^(٥) أنه استكمال أول . والاستكمال

(١) راجع النص ، آخر ورقة ١٣٩ ب واول ورقة ١٤٠ ألف : والنفس هي
الاستكمال الاول .

(٢) لقد صرح ارسطو ان الشيء يقال له باسمه اولا من حيث صورته وثانيا من حيث
المادة ، انظر 13 - 9 a 414 De An II, 2 : والتعليق ٣٨ ، الاصل الاول .

(٣) المخطوطة : الموسيقى .

(٤) المخطوطة : المتحرك .

(٥) فان الحديد بذاته ليس بصعب ، وانما يصير مرهقا بعد الصقل .

الأول بالجملة هو ما كان الجسم مستعداً لقبول شيء ما غير أن يتغير بالذات لا بالعرض ، فإن المرءة قد تتغير مثل أن تنتقل الى مقابلة المرئي .

فقدرة البصر هي استكمال أول للعين وهي النفس الباصرة . وإذا أبصرت صارت بصرًا وهذا هو اسمها من حيث هي ^(١) بالكمال الأخير . وكذلك سايرها . فإنها اذا اتقوت وكانت قوة فقط كانت نفساً . ولذلك يقال في الجنين ذو نفس ^(٢) وفي النائم ، واذا فعلت أفعالها كانت حساً . فالقوة التي يكون بها البصر هي بالقوة المبصرات .

والمحسوسات كما قيل ^(٣) « أول » وهي الخاصة بخاصة حاسة - ومنها مشتركة ومنها بالعرض .

والمحسوس الأول للبصر هو اللون ، ولذلك لا يدركه إلا البصر . ولذلك ما وجد فيه إدراك اللون فذلك العضو فيه بصر حيث كان وأي صورة كان ، فإن الجسم يحيد بغايته ، ولذلك لا يكون الصنم إنساناً ، ولا ما انحد من السمع سكيناً اذا لم يفعل أفعال الأنواع المشاركة لها في الاسم ^(٤) . ولذلك قيل ان العين يقال على عين الحي وعين الميث باشتراك لا بجواظ .

فالنفس الباصرة هي القوة الموجودة في العين التي تدرك بها اللون . وهي

(١) المخطوطة : هو ، وبالهامش : هي .

(٢) ان الجنين له نفس نباتية كما يظهر من اقوال ابن باجة الآلية : ورقة ٢١٦

ب (رسالة الاتصال ، الاندلس ، ميدرد ، ج ٧ ، ١٩٤٢ م ، ص ١٢) .
وذلك في الزمان الذي يحتوي عليه الرحم ، فانه يتخلق اولاً فاذا اكمل تخلقه اغتذى ونمى (= نما) .

(٣) راجع النص ورقة ١٥٥ الف : « منها خاصة ومنها مشتركة » .

(٤) المخطوطة : الجسم ، وبالهامش : الاسم . قسارن ارسطو : Arist. : Meteo

IV. 12. 390 a 10; De An. ii. I. 412 b 12 — 21; 8. 420 b 1; De Gen.

Anim. ii. I. 735 a 8

في الرطوبة الجليدية^(١) . وذلك بين من الموارض التي تعرض لمن ينزل الماء في عينيه . فلذلك يجب أن تفحص عن اللون ما هو ؟

فنقول : إن اللون لا يمكن إدراكه إلا بتوسط الهواء . ولذلك لو وضع اللون على البصر لما أدركه^(٢) . ولا يمكن للهواء أن يخدم البصر في إدراكه إلا مع الضوء^(٣) ، إما لأن الألوان في الظلام بالقوة ولا وجود لها ، أو لأن الهواء إنما يقبل الألوان بالبصر الذي تكون فيه .

أما إن اللون في الظلام فذلك بين عند تأمل الألوان في الظل ، وفي الشمس ، وفي الحال التي تعرض للنبات عند مرور السحاب عليه حائلة بينه وبين الشمس ، فإن ألوانها تختلف اختلافاً شديداً . وقد تلخص ذلك في الحس والمحسوس^(٤) ، فالواجب أن نتقدم^(٥) فنلخص أي شيء هو ؟

(١) لعل الحق مع ابن باجة حين يقول : إن القوة الباصرة في الرطوبة الجليدية التي هي آلة البصر عند اليونانيين (مايروف ، Mayerhof ، المقالات المشرقة في العين لحسين بن اسحاق ، ص ١٢٠ : وأما آلة البصر وهي الرطوبة الجليدية .) أما ابن سينا فانه يقول إن هذه القوة هي في المصبة المجوفة (انظر ، فضل الرحمن Avicenna's Psychology ، ص ٢٦ . والشفاء بخطوط نبودليانا ، بوكك Poc ١٢٥ ، ورنه ١٦٠ ب : فنها البصر وهي قوة سرية في المصبة المجوفة تدرك صورة ما يتطبع في الرطوبة الجليدية من اشباح الاجسام .) . ولقد صرح حسين إن قوة البصر تثبت من الدماغ في المصبة المجوفة ، المقالات المشرقة في العين المنسوب لحسين ، ص ١٢٠ .

(٢) قارن أرسطو : Arist. ; De An. : II. 7. 419 a 13; II. 423 b 20

(٣) ما قال أرسطو قط إن الهواء نخدم البصر ، ولكنه بين أن الماء والهواء شفافان يحتويان على جوهر مضيء كأن الضوء هو لون الشفاف ، راجع De An. : II. 7. 418 b 1 - 12

(٤) يصف أرسطو أن أنواعا من الألوان تعرض لمن يرى الشمس منطاة بالضباب أو الدخان ، فترى كأنها بيضاء قد اختلطت بالحمرة ، راجع

Arist. : De Sensu : 3. 440 a 7 . وابن رشد قريب من ابن باجة في البيان ،

انظر تلخيص كتاب النفس ، الامرواني : ص ٣٣ ، وحيدر اباد ، ص ٢٩ .

(٥) المخطوطة : عى ان لتقدم .

والمضيء هو منبذ للضوء ، والمستضيء هو الذي فيه الضوء - والضوء هو كمال المستضيء من جهة ما هو مستضيء .
 والمضيء يقال على نحوين ^(١) : تقديم (ورقة ١٥٦ الف) وتأخير . فالأول هو المعنى الذي نظن أن الشمس تشترك فيه مع النار . والمقول بتأخير ^(٢) هو الذي يضيء بأن يستضيء . وذلك بأن ينعكس الضوء عنه ، كما يعرض في القمر وفي الأجسام الصلبة . وهذه أصناف . أما أن يكون ذلك بحيث < لا > بقدر أن يجعل غيره مرئياً ^(٣) فهذه ^(٤) أصناف الأرضيات كالمرئي في الماء عند وقوع المجاديف بالليل ، وفي قشر بعض السمك ، ونار الجباب ، وهذه ليست ألواناً ^(٥) ولكنها انفعالات في العين ، وقد تلخص أمرها في غير هذا الموضع .

(١) والظاهر أن ابن رشد اتبع ابن باجة في قوله « أن المضيء على نحوين : تقديم وتأخير » . أما أرسطو فإنه لم يصرح بهذا التقسيم ، ولكنه ذكر في كتاب النفس (٤٢٨ و - ١٠ ، راجع تلخيص كتاب النفس ، تحقيق الاهواني ص ٣١) « أن الأجسام المضيئة تخرج من القوة إلى الفعل بتأثير النار ، أو شيء شبيه بالأجسام الملوية ، ولعل اصطلاح « شيء شبيه بالأجسام الملوية » ظهر في قول ابن رشد « بالجسم الإلهي » ، وفي شرح القديس توماس الأكويني « بالأجسام الملوية » . وقد صرح ابن باجة بهذا الجسم حين ذكر الشمس . راجع أرسطو : De An. ii. 7. 418 b 12

- (٢) المخطوطة : متأخر .
 (٣) المخطوطة : قريبا . راجع أرسطو : De An. ii. 7. 419 a 3 . وابن رشد قريب من ابن باجة جدا في البيان ، انظر تلخيص كتاب النفس تحقيق الاهواني ، ص ٣١ ، حيدرآباد ص ٢٢ .
 (٤) المخطوطة : وهذه .
 (٥) انظر أرسطو : De An. ii. 7. 419 a 1-5 : ابن رشد : تلخيص كتاب النفس تحقيق الاهواني ص ٣٢ ، حيدرآباد ص ٢٧ .

فالقوة إذن هو الذي يكون في الهواء عند حضور جسم له هذه الحال في المستضيء .

فأما هل الشمس هي تلك بعينها أم أثرها في المحيط بالحيوان ففي ذلك موضع فحص ، وعويص شديد حقاً . فإن الكائن في الماء يرى الشمس في بسيط الماء ويراهما قريباً حتى يظن أنها في بسيط الماء . وكذلك بعرض لمن في شاطئ البحر عند الطلوع والغروب إذا اتفق كون بخار غليظ مرتفع من موضع قريب من الناظر أن يظن أن الشمس في سطح ذلك البحار ، ولذلك يراها كبيرة ويراهما حمراء وصفراء . وأيضاً إذا نظرنا في النار وأحوالها التي بها تكون مضيئة وجدنا فيها أن ذلك يكون بتوسط في الغلظ والرقّة . وذلك بين فيما قيل^(١) في النيازك وأذئاب الكواكب . لكن الأمر على ما يقوله أرسطو في سابعة عشر الحيوان^(٢) أن صورة النار مرئية^(٣) حين وعدنا بالفحص عنها - فليترك إلى ذلك الموضع الذي يليق به أن يفحص عنه عن أمثال هذه الأمور .

والمقبول بلحقه دائماً لواحق في القابل ، ولذلك قيل : « كأنه ناظر في السيف بالطول »^(٤) ، وكما يعرض في الأطوال ، وقد تلخص هذا في كتاب المناظر والظلال التعليلية^(٥) ، وأعطيت أسبابها .

(١) وذكر أرسطو أسباب الشهاب الثاقب ، ومنظر الاحتراق وحقيقة المذئب والحجرة

في كتاب الآثار العلوية : Meteor. I, 5-6. 342 b 22 .

(٢) انظر أرسطو : De Gen. An. III II. 791 b 20 .

(٣) المخطوطة : قربه .

(٤) وقامه « ذاك الوزم الذي طالت علاوته كأنه ناظر في السيف بالطول » والبيت من قصيدة لأي نواس نظاما في مدح جعفر بن يحيى البرمكي ، وما وجدته في الديوان . راجع كتاب الوزراء والكتّاب لأي عبد الله محمد بن عبدروس الجهباري تحقيق مصطفى السقا ، إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شامي ،

١٩٣٨ م ، مصر ص ٢١٥ .

(٥) لله تصنيف لابن باجة في الهندسة ، وقد فقد .

وظاهر بين أن الذي يقبله الهواء من النار هو بسيطها إما أولاً أو بتوسط معنى فيه . وذلك المعنى ، إن قيل له « كون » فباشتراك .
ولما كان المتقابلان لا يوجدان معاً في موضوع واحد كالحر والبرد فمن هذه ما لا يوجدان في موضوع واحد بالاطلاق كالزوج والفرد فإن الخمسة لا تكون زوجاً أصلاً . ومنها ما لا يوجدان ^(١) في موضوع واحد في وقت واحد مثل الحار والبارد والعمى والبصر . ومنها ما يوجدان في موضوع واحد في وقت واحد وذلك في كثير من أنواع الإضافة ، منها أصناف الوضع المضاف كالتيمان والتماسر ، ولذلك لا يكون حدوث في موضوعاتها تغييراً (ورقة ١٥٧ ب) بل تابعاً لتغير ^(٢) . ويوجد في الآن ^(٣) ولا يكون في زمان أصلاً ، وقد تبين كيف ذلك في السماع .

والوضع فالمضاف منه بالذات وهو الذي بالطبيعة . والذي بالطبع كوضع بعض أعضاء الحيوان من بعض ، فلذلك تجد الطبيعة قد حصلت في كل واحد منها أو في أحدهما أمراً ^(٤) يتم بذلك الوضع . وما بالمرض ليس كذلك كوضع زبد من عمرو . والوضع على ما تلخص في السماع ، ليس من القوى الشائعة في الجسم ^(٥) ، فإن وضع آمن آجب كوضعه من آحد ، وأي

(١) المخطوطة : ومنها فلا يوجدان .

(٢) وابن باجة يثبت معنى « تابع لتغير » بالفاظه في السماع ، ورقة ٢٩ ب : « ويكون للنسب تغير تابع لتغير فلذلك يكون في الآن وكذلك فسادها » .
(٣) ولفظ « الآن » عند ابن باجة معناه « متبهي الحركة » ، ورقة ٢٩ الف : « فلي الآن الذي هو متبهي الحركة » . ولكنّه أيضاً صرح بمبنى آخر فقال : ورقة ٢٩ ب : « الآن الذي هو نهاية السكون ومبدأ الحركة أو نهاية الحركة ومبدأ السكون » .

(٤) المخطوطة : أمر .

(٥) هذا مبني على ما قال أرسطو من أن أوضاع الحيوان وأوصاف حركته ليست

م (٩)

بمادية ، راجع : Phys VIII 4 254 b 23

جزء أخذ من \bar{A} \bar{B} كانت وضع آمنه ضرورة^(١) ذلك الوضع بعينه .
 والمضيء من المستضيء صورة ذو مضاف . والأجسام إنما تكون ذات وضع
 بالاطلاق ببساطتها المطيعة بها الخارجة . فلذلك تكون ذات وضع بهذه البسائط .
 والمضافات قد لا يوجد بين موضوعين منها شخصان من نوع واحد من
 الإضافة كالتوليد فإن المولّد لا يكون مولّدًا للمولّد له . وقد يكون
 بينهما شخصان من ذلك النوع كالتضارب والتصادق . والذي لا يوجد بينهما
 شخصان قد يكون نوع الإضافة التي^(٢) بينهما فصلها^(٣) من كليهما كتيامن
 حيوان من حيوان . فإن \bar{H} إذا كان متيامنًا عن \bar{B} كان \bar{B} متيامرًا^(٤)
 عن \bar{H} . لأن لكليهما اليمين واليسار . وأما ما ليس بحيوان فليس^(٥)
 كذلك ، فإن التيامن للجبل فليس بمتيامر عن الجبل ، إذ ليس للجبل يمين ولا
 يسار إلاّ بالاعتياس .

والمضيء له إلى المستضيء وضع مضاف^٦ ولذلك إذا حضر وجب أن يكون
 ذلك له ، وقبوله ذلك الوضع منه بالطبع هو إضافة . والمنير ماله مثل
 هذه الطبيعة .

والإضافة من حيث هي إضافة فلا تنقسم بأقسام الجسم ، لأن الإضافة
 طبيعة عامة لما هو جسم ولما \langle هو \rangle ليس بجسم . فلذلك قد لا تنقسم بأقسام
 الجسم بذاتها .

(١) المخطوطة : ضرورة .

(٢) المخطوطة : الذي .

(٣) المخطوطة : فصلها .

(٤) المخطوطة : متيامر .

(٥) المخطوطة : د .

(٦) المخطوطة : وليس .

ولما كانت الإثارة مضافة بين جسمين من طريق ما هي تلك للأجسام ، فإن لكل جزء من المنير عند جزء من المستنير تلك الإضافة — أمكن أو لا أمكن . ولذلك لا يضيء كل مستضيء فأي قدر ، كان قدراً واحداً من الإضافة ، بل قد لا يضيئه كله لكن يضيء ضرورة ما يجاوره . وقد لخص كيف ذلك في القول في انعكاس الأضواء ^(١) . فقد قلنا ما الضوء ، وما المستضيء ، وما المضيء .

وتبين بذلك كيف يوجد في الهواء الضوء من غير أن يوجد زمان ، وكيف يستضيء الهواء عن الشمس والسراج في قدر واحد من الزمان — إن قيل لذلك زمان — وتفاصيل الأبعاد على ما هي عليه . وكيف يوجد الهواء الواحد يستضيء عن نورين ولا يبين أثره إذا تخالفا في الوصف . مثل أن يكون كل واحد (ورقة ١٥٧ الف) منها على طرف ضلع المربع ويكون بينهما حاجز عن مستضيء ، فإن المركز وحده يستضيء بالضوءين معاً ، فإن لم ينعكس الشعاع لم يكن على استقامة قطر حال المضيء الذي على القطر الآخر . وكذلك لا يتبين لمن كان على وسط ضلع المربع حال واحد من المضيئين . ولما كان اللون إنما هو على ما تبين في الحس والمحسوس ^(٢) باختلاط المستضيء بالجسم ذي اللون على الجهة سمت هنالك كان اللون أيضاً مضباً بوجه ومحركاً للهواء ^(٣) . فاللون محرك للمستضيء لكن من جهة ما هو مستضيء ، لأن المستضيء هو المحرك لذلك اللون .

فأما كيف قيل إن اللون يحرك المشف بالفعل فذلك من جهة أن قبول اللون إنما هو من جهة ما هو مستضيء وقبول المضيء هو إضافة إضاءة . فتحرّكه

(١) لعل ابن باجة يشير إلى كتاب صفته في انعكاس الضوء ، وقد مرّ .

(٢) راجع أرسطو : Arist : De Sensu iii. 440 b 1—18; 439 b II; De An. ii. 7.

419 a 14

(٣) المخطوطة : الهوى .

اياء إضاءة وإشفاق . وهناك استبان خطأ من رأى ^(١) أن الابصار كانت بالخلاء ^(٢) ، أمكن لما يظهر الحس في الماء والهواء ، بل الأمر على عكس ما ظنه ديمقراطيس ، فإن الهواء لو ارتفع لارتفع الابصار جملة .
وكما أن اللون لا يدرك دون ضوء ^(٣) ، فكذلك الضوء لا يدرك إلا مقترناً بلون . وذلك بين بما قلناه قبل ^(٤) .

فاللون هو البسيط ، والبسيط هو ذو شكل ضرورة ، فلذلك يدرك البصر الشكل والطول ، وبالجملة فكل ما يوجد في قوام اللون أو قوام ما يكون به قوام اللون . فلذلك يدرك البصر الجواهر الموضوعة للألوان .
ولما كانت الأسباب منها قريبة ، وهي التي تخص الذاتية ، ومنها بعيدة وتمدد فيها بالعرض ، وكان المبصرات كذلك مثل الأطوال أو ما يجري مجراها ، انها للبصر بالذات ، والجواهر أنها بالعرض .

وأما ^(٥) ما بالعرض على الخصوص فما يدركه بتوسط قوة أخرى ، مثال ذلك أن الأبيض اثر عندنا ^(٦) فليس للبصر لا قريباً ولا بعيداً .

وقد يظن أن كثيراً ما < ما > بالذات يوجد في المرايا ^(٧) ، فإن الشكل والحركة قد تظهر فيها وأشياء أخرى من أحوال الملون ، لكن ليس ذلك فيها من جهة واحدة ، وقد تلخص أمرها في غير هذا الموضع ، والحركة الظاهرة

(١) وقد ذكر أرسطو رأى ديمقراطيس في كتابه في النفس : De An. ii. 7. 419 a 15

(٢) المخطوطة : بلون بالخلاء .

(٣) أيضاً : 419 a 9 .

(٤) أيضاً : 419 a 21 . وراجع النص بنفسه : ما وجد فيه إدراك اللون النح

(ورقة ١٥٥ ب) .

(٥) المخطوطة : وكان المبصرات كذلك مثل الأطوال وما جرى مجراها انها للبصر

بالذات وأما النح .

(٦) المخطوطة : عندما .

(٧) المرايا جمع المبراةة .

ففيها ليست حركة حدثت بل أشياء شاعية^(١) ، لأن الجزء الظاهر عند آ
ليس هو بعينه الذي ظهر عند ب . فيكون ذلك حركة . وإنما ذلك كظل
المتحرك فإنه عدم لضوء لا لحركة ، فإن الظل لا حركة له .
والحسن لما كان هبولي تقبل معنى المحسوس على ما قيل^(٢) لذلك ارتسم في
الحسن ما به قوام ذلك المعنى ، كيف كان . وأما المرآة فليست تقبل المعنى
لكن تقبل أمثال بعض لواحق ذي المعنى^(٣) .

* * *

الفصل الخامس

(ورقة ١٥٢ ب) القول في السمع

والقوة السامعة هي استكمال حاسة السمع ، وفعلها^(٤) ادراك الأثر الحادث
في الهواء عن تصادم جسمين متقاومين . وهذه الحال هي التي يكون بها
الشيء مسموعا وإحساسها هو سماع . وذلك أن كل الأجسام المحدث للصوت
إما صلبة وإما رطبة . فإن كانت صلبة فاذا قرعها^(٥) قارع حدث عنها^(٦)

(١) المخطوطة : شائعة .

(٢) راجع النص : فبول الادراك مطبوعة على قبول معاني المدركات : (ورقة
ورقة ١٥٤ الف ، آخرها) .

(٣) المخطوطة : « هذا مضي » ، لعله من زيادة ابن الامام او الكاتب .

(٤) الصوت ، كما بينه أرسطو ، بالفعل وبالقوة . والأول يحدث من التصادم ،
فلا بد له من جسم قارغ وجسم مقروع ، والصوت لا يكون إلا بحركة من

الضارب والمضروب ، راجع : De An. ii. 8. 419 b 5-13 .

(٥) المخطوطة : قرعه .

(٦) المخطوطة : منه .

صوت . وأما إن كان رطباً^(١) فإنه لا يحدث عنه صوت إلا بأن تكون حركة القارع الى المقروع أسرع^(٢) من انخراق ذلك الرطب فتقاومه . فينتحرك الذي فيه تلك الحركة وينبوع عنها ، وتندفع منه الى جميع الجهات التي تلي المكان الذي التقى فيه القارع والمقروع . والهواء مع أنه يندفع عن القارع يقبل^(٣) عن القارع أثراً خاصاً به ، كما يظهر ذلك من الأجسام المهتزة . وبين أثر ذلك الحس في أوتار العود ، فانا نجد متى حركنا اليهم في تسوية المطلق تحرك < ما > على المثني فلم يتحرك ما على الزير ، ولا ما على المثلث . وكذلك اذا اهتز المثلث لم يهتز الزير . وإن وضعنا الاصبع على سبابة الزير تحرك ما عليه ؛ وكذلك يعرض في المساوية الطبقة ، لأنها متشابهة . وكذلك عرض الأضرب بعينه فيما بالكل < و > الذي بالكل متشابه وليس متساوي^(٤) . والمحسوس الأول هو ذلك الأثر^(٥) الذي في الهواء والماء الحادث عن القرع ؛ لكنه مقرون بحركة ولا يمكن أن يحس دون تحرك ذلك الهواء . فلذلك هو أثر مقترن به تحركه في الأثر^(٦) ، فلذلك يلحقه عن ما يرجع عن جسم ان يرجع بعينه ولكن لا على تلك الحالة . فلذلك يلزم للضدين^(٧) تغيير ما ، لكن يبقى الأثر واحداً بعينه .

(١) اللفظ المقابل للرطب في هذا المعنى غير موجود في كتب أرسطو ولكنه بين « ليس كل أجسام تحدث الصوت بالمقارعة ، فالقرب على اللطيف مثلاً لا يحدث صوتاً ولكن النحاس والأجسام المجوفة والمنساء تحدث » ، راجع : De An. ii. 8. 419 b 14-15

(٢) انظر أرسطو : De An. ii. 419 b 23 ؛ ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، تحقيق الاهراني ، ص ٣٥ .

(٣) المخطوطة : ويقبل .

(٤) (متساوياً) خير ليس . (لجنة المجلة)

(٥) راجع أرسطو : De An. ii. 8. 419 b 18-20 .

(٦) أي الصوت أثر متحرك بالهواء الذي حدث الأثر فيه .

(٧) المخطوطة : للضدان .

وكذلك في أذن الإنسان خاصة ، لما كانت كثيرة التقارع ، عرض للهواء هنالك أصناف من الرجوع ^(١) ، وبقي الصوت ، كما يعرض في الآلات المصوتة ، كالعود . وبذلك يكون الصوت نغمة . فإن النغمة صوت يبقى زماناً محسوساً ؛ ولذلك لم يكن كل صوت نغمة ، فلذلك متى يردفه صوت آخر امتزج الهواءان وهما بأحوال مختلفة ، فحدثت نغمة ممزجة ، إما ملائمة وإما منافرة . وهذا هو السبب الذي كانت الإيقاعات تصير به ^(٢) الملائمة منافرة والمنافرة ملائمة . وهذا هو < في > عود أنينها ^(٣) النغم . وقد فصل ذلك كله في مواضع آخر . ولما كان الموضع الأول للسمع هو الهواء ، لأنه القابل الأول للصوت ، لذلك كان المتقارعان ^(٤) محسوسين بالعرض ، ولذلك يقع الغلط للسمع فيهما ، كما يقع للبصر فيما لموضوعه بالعرض ، وقد تلخص ذلك قبل ^(٥) . فلذلك قد تعرض أصوات كثيرة لأجسام متباينة (ورقة ١٥٨ الف) يظن بها أنها واحدة ، كمثل وقوع الماء في جسم أجوف صلد أن يكون الصوت المدرك منه وصوت وتر العود واحداً ^(٦) بعينه حتى يظن من سمعه ولم يشاهده أن عوداً بقرع بعض أوتاره . وبهذا يقندر المشعبدون على تخيل رعود ، والمحاكوت على اسماع أصوات أجسام مختلفة فنظن بذلك وجود تلك الأجسام من غير أن توجد .

ومن شأن ما هو لحاسة ما بالعرض أن يتعاون عليها الحواس ، وعند ذلك يحصل ذلك المحسوس . وسنبين بعد هذا كيف ذلك ولائي قوة هو .

(١) راجع أرسطو : De An. ii. 8. 419 b 26; 420 a 4 .

(٢) المخطوطة : بعمره .

(٣) الصواب (انينه النغم) (لجنة المجلة)

(٤) المخطوطة : المتقارعين .

(٥) لا يذكر ابن باجة في كتاب النفس واضحاً أنه يقع للبصر غلط .

(٦) المخطوطة : واحد .

والأجسام منها مصوتة ومنها غير مصوتة . فالمصوتة هي التي لها آلة توجد الصوت ، ومحركها هو الانفعال الحادث في أنفسها . ومثل هذه فهي ذوات الأنفس^(١) ومن ذوات الأنفس ماله ربة^(٢) ، وهو ما يتنفس^(٣) .

فأما الحيوان المعروف بالصرار والليل فليس مصوتاً^(٤) على هذه الجهة ، بل هو مصوت^(٥) بالعرض . لأن الهواء يخرج من بين خروق جوفه^(٦) فيحدث له صوت .

وأما ما هو غير متنفس فليس يحدث صوتاً لو بقرعه قارع . هذا وجود الصوت . ولما كان الحس يلحق معنى المحسوس ، كما قلنا ، كان السمع يلحق هذا المعنى الكائن في الهواء وما به وجوده ، فلذلك يلحق الجهة التي منها كانت الصوت وصائر ما يلحقه . ولا يلحق الشكل ولا غير ذلك مما يلحقه البصر إذ^(٧) لم يكن في قوام الصوت .

(يتبع)

محمد صغير حسن المصومي

~~~~~

(١) راجع أرسطو : De An. ii. 8. 420 b 5 .

(٢) المخطوطة : ربه .

(٣) المخطوطة : ما يتقى .

(٤) ذكر أرسطو الصوت الحادث انقائاً فائلاً : « الصوت الذي هو للسك وما أشبهه

انما يحدثه بجذوه أو بعض آخر له : De An. ii. 8. 420 b II . يظهر أن ابن باجة

خالف أرسطو حين قال إن الصوت من صرار الليل مثلاً يحدث بالعرض ، فإن الهواء

يخرج من بين خروق جوفه ، ولكنه يوافق أرسطو حين يذكر التنفس ،

فاخراج الهواء يحتاج الى الاستنشاق أولاً : De An. ii. 8. 420 b 15 .

Hist. An. IV. 9. 535 a 27-536 b 24 ، وفي هذه المواضع ذكر أرسطو الحيوان

المصوت ، صرار الليل . وابن رشد ينبع ابن باجة ، راجع : تلخيص كتاب

النفس ، الالهواني ، ص ٣٨ .

(٥) المخطوطة : هي مصوتة .

(٦) المخطوطة : جوفها .

(٧) المخطوطة : إذا .

# التعريف والنقد

الحياة الجنسية عند العرب

الدكتور صلاح الدين المنجد

كلما تصفحت معجماً من معجمات لغتنا دهشت من كثرة هذه الألفاظ الدالة على مانسيه في عصرنا هذا : الحياة الجنسية ، فلا أشأ أن أعرف وضعاً من أوضاع المرأة أو الرجل في هذا الباب إلا عرفت ولا أشأ أن أعتدي الى لفظ يدل عليه إلا اعتدبت ، وكنت أسأل نفسي هذا السؤال : هل نجد في لغة من لغات العالم ، قديمها وحديثها ما نجده في لغتنا في هذا المعنى ، وهل عنت أمة من أمم هذا العالم بمثل ما عبتنا به في الحياة الجنسية ، ولست أعرف السر في هذا الأمر ، هل هذا كله راجع الى طبيعة البيئة التي نشأ فيها العرب في ماضي الدهر ، واذا نظرنا في الأخبار التي تنهأى إلينا عن بعض المترفين في هذه البيئة يومنا هذا أدركنا انسجاماً غريباً في هذه العناية بالحياة الجنسية في مواضي الأيام وبواقها .

فهل من بدعة في جمع أخبار هذه الحياة التي ملئت بها كتب أدبنا القديم ، أفلا تؤولف هذا الأخبار جزءاً عظيماً من هذا الأدب ، في منظوم القول ومنتشوره ، أفلا يجب علينا أن نهتم بكل جزء من أجزاء هذا الأدب حتى نعرف خصائص طبائعنا وأمزجتنا .

هذا ما فعله الدكتور صلاح الدين المنجد مدير معهد المخطوطات في جامعة الدول العربية ، في كتابه : الحياة الجنسية عند العرب ، فقد استقصى في أخبار هذه الحياة من أيام الجاهلية المتأخرة الى منتهى قرن الهجرة الرابع ، وما أظن أن أحداً جمع ما جمعه في هذا المجال ، فقد تكلم على الحياة الجنسية في العصر الجاهلي والإسلام وأيام بني أمية وبني العباس وانحدر الى طبقات الشعب

فنتبع قصص هذه الطبقات في هذا الموضوع ، ثم أشار الى لغتنا الجنسية وقد أعانه مركزه في معهد المخطوطات على الاطلاع على ما لم يطلع عليه إلا القليل مما يتصل بوصف الحياة الجنسية .

لم تعوز الدكتور صلاح الدين المنجد المرأة على هذا التأليف كما لم تعوزه من قبل المرأة على تأليف كتابه : جمال المرأة عند العرب ، وقد تولى الدفاع عن عمله بقوة عجيبة من الحجة والمنطق حتى كاد يقطع السبيل على كل من تحدّثه نفسه بشيء من التنطس أو التوقر ، فقد دافع في مقدمة كتابه عن طبيعة تأليفه دفاعاً لا أكاد أجد فيه مفعزاً من المغامر وأبد دفاعه بطائفة من الاستشهادات واسعة الآفاق لا أرى فيها مجازاً الى الاعتراض .

ولست أرى حاجة الى أن أذكر أنه وصف أخباره رسفاً سالت فيه لغته وسهلت تراكيبه بحيث خلا من كل غمضة أو جمجمة ، أنا نعيش في عصر أصبحت فيه مواجهة الحياة الواقعة أمراً لا مندوحة عنه وأظن أن الحرب من هذه الحياة الواقعة إنما هو من خطأ الأمور ، فلماذا نهرب من أمر نجعله أحاديثنا في مجالسنا وخلواتنا ، ولا صبا اذا خلت هذه المجالس من كل كافة أو تصنع ، لماذا نهرب من أمر عليه مدار الحياة كلها ، ولست أعني بهذا أنه يلزمنا أن نقصر كل همنا وفكرنا على الحياة الجنسية فلا نهتم بآفاق الحياة الباقية ولا نفكر فيها ، وإنما أعني بكل ما قلته أنه لا ينبغي لنا أن نتظاهر بالعفة في أمر من أمورنا ونحن نحلم بهذا الأمر في اليقظة والمنام .

وهل عليّ من حرج اذا قذفت برأي خاص في هذه السبيل ، فاني أعتقد أن أدبنا في القديم اذا كثرت مؤلفاتهم الأدبية هذه الكثرة مما لا نكاد نجد له شبيهاً في العالم ، فالسبب في وفرة إنتاجهم أو من أسباب هذه الوفرة نشاطهم ولولا كانوا يعانون ما نسميه كبت الفريزة لعصيت قلوبهم وصدت خواطرهم ولما نعم ميراثنا الأدبي اليوم بما ينعم به من مؤلفات منقطعة النظير .

## محاضرات عن الأمير شكيب أرسلان ألقاها الدكتور سامي الدهان

من محاسن هذا العصر أن 'بنشأ فيه معهد للدراسات العربية العالية بتولى إحياء عصرنا الحديث من مجامع نواحيه ولا سبباً من ناحيته الأدبية ، فإن المعهد يكلف كل سنة أساندة أكثرهم من الطراز الأول أن يحاضروا بالموضوعات التي 'يخصون فيها .

في جملة هؤلاء الأساندة الدكتور سامي الدهان عضو مجتمنا العلمي العربي وعضو المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، فقد ألقى في السنة الماضية على طلبة قسم الدراسات الأدبية في المعهد محاضرات تتصل بالأمير شكيب أرسلان .

وقبل أن أشير الى موضوعات هذه المحاضرات لا أجد لي مندوحة عن الإشارة الى عبارة وردت في التصدير ، فقد قال المحاضر حفظه الله : «من الخير أن يتلفت الجيل العربي الصاعد الى سير أعلامه وآثاره ليقببس من أنوارها الهدى» .

ما أظن أن كلمة القومية رزقت في لغتنا من الشبوع ما رزقته في عصرنا هذا فهي على لسان كل خطيب وكل كاتب وكل شاعر ، فاذا كان هذا العصر إنما هو عصر القومية بالنسبة الى العرب فلا ريب في أن إحياء آثار رجال الأدب والفكر في القديم والحديث إنما هو في مقدمة الأعمال التي تزيد في قوة هذه القومية ، فلا أكاد أفهم كيف نتغنى بالقومية ونحن لا نتغنى بآثار رجالنا في الماضي والحاضر ، فالقومية ليست غرس هذه الأيام وإنما هي غرس الماضي فهو الذي خلقها وهو الذي تعهد بها حتى زكا غرسها واستطال — وحتى أتى أكله



في أيامنا وإذا كان لهذا العصر فضل فإن فضله في الحرص عليها والفناء في سبيلها .  
ولا نستطيع أن نهتم بالقومية العربية دون أن نهتم بالأمير شكيب أرسلان .  
فالأدب واللغة من أعظم عناصر هذه القومية والأمير شكيب نصر الله عظامه  
إمام من أجل أئمة هذا الأدب وهذه اللغة ونحن نحمد الله تعالى إذ يسر لهذا  
الإمام أستاذنا يهتدي إلى خصائص عبقريته فيبحث هذه العبقرية من مدافنها  
ويلمع إلى كل مرة من أسرارها حتى يكاد الإنسان يحيط بها من كل أطرافها .  
لقد تكلم الدكتور سامي الدمان على عصر الأمير شكيب ثم فصل هذا  
الكلام نخاض في نواحي حياته وشعره وشره وأدبه ودفاعه عن العرب والإسلام  
ومؤلفاته وثقافته بحيث لا يفرغ القارئ من هذه الفصول إلا وهو يحس بأن  
الأمير أرسلان ملء سمعه وبصره .

قال المحاضر في تصديره :

« وهذه المحاضرات التي ألقىت لدراسة الرجل الأديب والكاظم المصلح  
لا تستنفد القول في أدبه وجهده لأنها واسعة أشد السعة ولكنها تهدف إلى  
إثارة الدارسين في العناية بهذا السامي العالم والمعروف عليه والرجوع إلى مصادر  
أخرى كثيرة لم نذكرها في هذه الفصول ٠٠ »

إذا كان المحاضر يرى أن هذه المحاضرات لا تنفي بالغرض الذي يتصور  
أفقه الواسع فنحن نرى أنها محاضرات مكثفة يستطيع القارئ أن يجد فيها  
ما ينتفع به على أوجز وجه وأقربه وأظن أن المعهد ما لجأ إلى أمثال هذه المحاضرات  
إلا لأنها خالية من كل حشو يتعب الذهن ، مشتملة على كل زبدة وهذا هو  
فضل كثير من المحاضرات التي تلقى في معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة .

## كتاب الشرح والإبانة ، على أصول السنة والديانة

لابن بطة العكبري

إن أقوى ما يلتمسه المسلمون من الوسائل لاستعادة مجدهم الباهر ، ومدنيتهم الزاهرة ، هو العود إلى العمل بالكتاب والسنة ، والاقتباس من نورهما في عصر غلبت فيه الأثرة ، وركب الناس في سبيل شهواتهم وأطماعهم من عمياء « ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور » ألا وإن الأصلين الكريمين هما مستقر الحياة الطيبة للمسلمين ، وهما سبيل النجاة من آفات المدنية الحديثة وغوائلها . وهذا كتاب الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ، للشيخ الإمام أبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان بن بطة العكبري رحمه الله ، وهو كتاب جليل في نحو مئة صفحة ، فيه الدعوة الصادقة التي لا هَوادة فيها إلى لزوم الجماعة ، والمباينة لأهل التفريط والإفضاع ، والتزام هدي السلف الصالح ، والتحذير من مخالطة أهل البدع ، والبعد عن كل قول مبتدع ، ورأي مخترع ، وهوى متبّع . ثم بيان حقيقة السنة وأقوال الأئمة الثقات في مبناها ومعناها . وفي الجملة : إن هذا الكتاب عبارة عن عقائد وعبادات ومعاملات وأخلاق ، معزّاة بالشواهد من القرآن الكريم ، والحديث النبوي وأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة . ولكنه يأتي بالأحاديث معرّاة من الأسانيد ، غير معزّوة إلى كتب الضحاح أو السنن والمسانيد ، وقال ( ص ٦ ) تركت أسانيداً روماً للاختصار ، ولينه عرضها إلى محرّجها لبحث عن درجتها من الصحة والضعف . وقد ذكر الفرق الإسلامية ورؤساءها ، وطقن وأمن ، وكفر ونقر منهم ، ثم قال ( ص ٦٣ ) : « وقد أجمعت العلماء - لا خلاف بينهم - أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة » . وقال ص ٩١ : « وكل العلماء يقولون في من سميناه : إنهم أئمة الكفر ، ورؤساء الضلالة » .

وإنما يعرف ما في هذا الكتاب من خطأ وصواب ، من كان واسع الاطلاع على النصوص ، ومناشئ الفرق ومذاهبها ، وقربها من الحق أو بعدها عنه ، « وما يذكر إلا أولو الألباب » .

وهذه شذرة بقلم المؤلف في وصف كتابه :

« وقد أجمعت العلماء من أهل الفقه والعلم والنسك والعباد والزهاد منذ أول هذه الأمة الى وقتنا هذا ، أن صلاة الجمعة والعيدين ومنى وعرفات ، والغزو ، والحج ، والهدي ، مع كل أمير برّ وفاجر ، وإعطاءهم الخراج والمدقات والأشعار جائز ، والصلاة في المساجد العظام التي بنوها ، والمشي على القناطر والجسور التي عقدوها ، والبيع والشراء وسائر التجارة والزراعة والصنائع كلها ، في كل عصر ، ومع كل أمير ، جائز على حكم الكتاب والسنة ، لا يفسر المخنط لدينه ، والتمسك بسنة نبيه ( ﷺ ) ظلم ظالم ، ولا جور جور جائر ، إذا كان ما بآتيه هو على حكم الكتاب والسنة ، كما أنه لو باع واشترى في زمن الإمام العادل بيعاً يخالف الكتاب والسنة ، لم ينفعه عدل الإمام . والمحكمة إلى قضائهم ، ورفع الحدود ، والقصاص ، وانتزاع الحقوق من أيدي الظلمة بأمرائهم وشرطهم ، والسمع والطاعة لمن ولّوه وإن كان عبداً حبشياً ، إلا في معصية الله عز وجل ، فليس لمخلوق فيها طاعة . اهـ .

وقد طبعت معه ترجمته بالفرنسية مع مقدمته بها البالغة عشرات الصفحات ، وتحقيقاته وتعليقاته وفهارسه المفصلة ، وقد بلغ كله نحو مائتي صفحة ( أي ضمني الأصل ) . وكل ذلك بقلم محققه وطابعه الأستاذ هنري لاوست الكاتب المنشرق وأحد أعضاء مجلنا العلمي بدمشق ، واني أدع وصفه المفصل لمن يكتب عنه بدقة وعناية . وقد أشار الأستاذ لاوست في ذيل الصفحات الى الاختلاف البسير الواقع بين النسختين اللتين طبع عنهما ، والى ما زاد أو نقص في إحداهما عن الثانية ، ولكن الإيضاح بالفرنسية دون العربية ، ومثاله

( ص ٨٣ ) كلمات ، [ أدب ، ونظافة ، ووقاية . ] فقد كتب في ذيل الصفحة ما يأتي :

D) Membre de phrase effacé dans D; donné par R.

ومثلها اسم الكتاب فقد كتب على أحد الوجهين من كل ورقة بالفرنسية ، وكان الأولى أن يكتب بالعربية .

والآيات الكريمة مشكولة كلها شكلاً صحيحاً ، ولكن منها النظر عن حروف يسيرة تشير إليها : ( ص ١٢ س ١ ) وإن هذا صوابه « وأن » . ( ص ١٩ / ١٣ ) وعمل : « وعمل » . ( ص ١٥ / ٦٢ ) ليغفر : « ليغفر » . وجاء في ( ص ٥ / ٣٠ ) إذا خرجت : إذا الخ . وفي الختام نشكر الأستاذ لادوت على ما يخرج من كتبنا السلفية ، وبمعنى به عناية بالغة .

—••••—

### ( الأئمة الاثنا عشر )

لمؤرخ دمشق شمس الدين محمد بن طولون ٩٣٥ هـ ١٥٤٦ م ( ص ١٤٣ )

تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد

بيروت ١٣٧٧ هـ = ١٩٥٨ م

يسرنا جداً أن يظهر في عالم الطباعة والنشر مثل هذا الكتاب لمفخرة الشام والإسلام شمس الدين محمد بن طولون الدمشقي ( م ٩٣٥ هـ ) الذي أحصيت مؤلفاته فبلغت ( ٧٤٦ ) كتاباً ، وعدّها منها ما ألفه في التاريخ والتراجم وأسماء الرجال فبلغ ( ٦٠ ) مؤلفاً . وهذا الكتاب في تراجم الأئمة الاثني عشر ، وهو المسمى بـ « الشذرات الذهبية » في تراجم الأئمة الاثني عشر عند الإمامية ( وم : الإمام علي بن أبي طالب ، وولده الحسن والحسين ، وعلي زين العابدين ،

ومحمد الباقر ، وجعفر الصادق ، ، وموسى الكاظم ، وعلي الرضا ، ومحمد الجواد ،  
وعلي الهادي ، والحسن العسكري ، والحجة المهدي عليهم السلام والرضوان ،  
وهم الذين يسميهم الشيعة الإمامية : الحُجَج ، ويعتقدون أنهم معصومون .  
وقد قام بتحقيق هذا الكتاب الدكتور صلاح الدين المنجد . فبدأه بمقدمة  
عَدَّ فيها مصادر ترجمة ابن طولون ، المخطوطة والمطبوعة فبلغت عشرة ، اثنان  
منها أجنبيان . ثم أخذ بترجم له منذ حداثة سنه ، الى أن نضج عقله ، وكل  
علمه ، واتسعت دائرته في العلوم العقلية والنقلية ، الدينية والطبيعية والرياضية ،  
وذكر ما عهد اليه به من الأعمال الكثيرة من أيام الصبا إلى أن جاوز السبعين  
من عمره ، مرتبة على سني حياته . وقد وصف كتابه هذا في التراجم ، وأنه  
ناقل غير فائق ، وذكر المراجع التي جمع المصنف « الشذرات » منها ، وصوّر  
الورقة الأولى من المخطوطة التي طبع عنها ، ونهج تحقيقه فيها ، وأردف النص  
بفهارس للأعلام ، والأماكن والمصادر التي استند إليها .  
وقد استهل ابن طولون ذكر الأئمة الاثني عشر بقصيدة سبى وصفهم ،  
وذكر أسمائهم ، والشوق إلى لقاءهم ، من نظم أبي الفضل يحيى بن سلامة الحصكفي  
( م ٥٥١ أو ٥٥٣ ) وهو مثل ابن طولون من علماء السنة . ومن قصيدته  
هذه قوله :

ومصرع السبط فلا أذكره      وفي الحشا منه لطيبٌ بقَدُ  
يرى الفرات ابن الرسول ظامئاً      يلقى الرّدي وابن الرّدى يَرِدُ  
حسبك من هذا وحسب من بغى      عليهم يومَ المعاد الصّمدُ

ومن ( ص ٤٦ ) بدت تراجم الأئمة ، وفي أول كل ترجمة ذكر المراجع  
التي استند إليها الأستاذ الدكتور المنجد في تحقيقاته ، وختم ابن طولون  
مصنّفه هذا بذكر أسانيد وروايته المتصلة بهؤلاء الأئمة الأعلام ، أئمة آل البيت  
عليهم التحية والسلام .



وكنتي في الختام : هي أن السنة والشيعة هما أكبر مظهر للإسلام ، وهم  
المرجؤون لوراثة تلك الوحدة الدينية ، وتجديد ذلك المجد الدارس علمًا ودينًا  
وأخلاقًا ، وإن أضر شيء علينا هو هذه العصبية الموروثة ، والعداوة الممقوتة ،  
والفرق الديني القديم ، « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا لست منهم في  
شيء » وبمثل هذا الكتاب والقصيدة في تراجم هؤلاء الأئمة ، من جانب علماء  
السنة ، ووصف مفاخرهم وما آثرهم ، يرجي زوال تلك الإحسان ، وتوحيد الكلمة ،  
والتعاون على إنشاء دور للعلم مشتركة ، وإحياء ذكرى أئمة البيت عليهم السلام ،  
بتجديد هديهم وإصلاحهم ، إن شاء الله تعالى .

وقد بلغ التحقيق والطبع الغاية في الإتيان والإبداع ، فلاستاذ المحقق  
الدكتور صلاح الدين أطيب الثناء وأخلص الدعاء ، ولداري صادر وبيروت  
أعطر الشكر .



### تفسير القرآن الكريم .

التحرير والتنوير . المقدمات ، وتفسير سورة الفاتحة وجزء عم

تأليف المولى الإمام ، الأستاذ الأكبر ، فضيلة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور

شيخ الجامع الأعظم ومروعه . منشورات دار الكتب الشرقية . تونس

لأن خير عمل يقوم به رجال الدين والعلم والإصلاح في هذا العصر ، هو  
هداية الأمة إلى ما فيه إسعادها ، في مآشها ومعادها ، هداية مقتبسة من نور  
الحنيفية السمحة والقرآن المجيد ، الذي « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من  
خافه » تنزيل من حكيم حميد » وتفهيم أصول الإسلام الراسخة ، وعقائده  
الصحيحة ، على وجه يشرب قلوبهم حبه والعمل به ، وإن جميع ما شرعه الله

للناس فهو خير مجتمعهم الإنساني ، ولدفع الشرور والفوائل عنهم . وناهيك  
بمصرنا الذي كثر فيه اختلاط الأمم بعضها ببعض ، وتنوعت فيه مطالب  
الحياة ، واقتبس الشرق من الغرب مزايا ورزايا ، وفتحت أبواب العلوم والفضائل ،  
كما فتحت أبواب الفجور والمنكرات .

وهذا التفسير الجليل ، لهذا الإمام الكبير ، هو مدد قوي لأولي العلم  
والعرفان ، والبر والاحسان ، فيما يرجون من خير الأمة في هذا الزمان .  
استهله مؤلفه بمقدمات عشر ، هي من أصول التفسير ومقتضياته ، ( فالأولى )  
في التفسير والتأويل ، وكون التفسير علماً . ( والثانية ) في استمداد علم التفسير .  
( والثالثة ) في صحة التفسير بغير المأثور ، ومعنى التفسير بالرأي وغيره .  
( والرابعة ) في غرض المفسر . ( والخامسة ) في أسباب النزول . ( والسادسة )  
في القراءات . ( والسابعة ) في نصوص القرآن . ( والثامنة ) في آي القرآن  
وسوره وترتيبها . ( والتاسعة ) في أن المعاني التي تصلح 'جمل' القرآن لحمل عليها  
ينبغي أن تعدّ مرادة . ( والمقدمة العاشرة ) في إعجاز القرآن ومبتكراته .  
وقد بلغت هذه المقدمات نحو مائة صفحة . وجاء في المقدمة التاسعة ( ص ٧١ ) :  
« إن المعاني التي تصلح 'جمل' القرآن أن تحمل عليها ، ينبغي أن تستبر مرادة ،  
وضرر لذلك الأمثال ، منها ( ص ٧٥ و ٧٦ ) قوله تعالى : « استجبوا لله  
والرسل إذا دعاكم لما يحييكم » ومثله : « استجبوا لله وللرسل » والمراد في  
الآيتين الامثال والهداية ، وقد حمل النبي ﷺ الاستجابة على المعنى الحقيقي ،  
وهو إجابة النداء في حديث أبي سعيد بن الملعأ الذي ناداه الرسول وهو في  
الصلاة ، فلم 'يحييه' حتى فرغ من صلاته اه باختصار . ومن هذا القيل قوله  
( ﷺ ) لأم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط حين جاءت مسلمة مهاجرة إلى  
المدينة ، وأبت أن ترجع إلى المشركين . قرأ النبي قوله تعالى : « يخرج  
الحى من الميت » .

ويقول كاتب هذه السطور - بناءً على ما تقدم - : إن ما يأتي هو مما يصلح أن تحمل 'جمل' القرآن عليه ، وبعتبر مراداً ، وهو سيف قوله تعالى : وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ « ولا يخفى أن ( ما ) من ألفاظ العموم عند علماء العربية والأصول ، فقوله ( وأعدوا ) هو أمر عام موجب على الأمة والدولة بذل أقصى المستطاع في إعداد القوة والدفاع عن الملة والحوزة ، وقد جاء اللفظ منكراً « من قوة » ليشمل كل قوة ، وهي تختلف باختلاف الزمان والمكان . وفي عصرنا نعم بعموم اللفظين ، - ( ما ) استطعتم من ( قوة ) - القوى البرية والبحرية والجوية . ومن معناها قوله تعالى « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » فهي أسرة بصد كل عدوان يصدر من المجرمين ، أو الأعداء المحاربين ، وباعداد سلاح من جنس سلاحهم مما اختلف أنواعه ، وتعددت أسماؤه ، وفي صحيح مسلم من حديث عقبة بن عامر أنه سمع النبي ( ﷺ ) - وقد تلا هذه الآية - يقول : ألا إن القوة الرمي ، قالها ثلاثاً ، ولفظ الرمي - كما يدل على قذيفة السهم والمنجنيق ، فهو يشمل القذائف النارية التي تقذف من المدافع والطائرات وغيرها .

ونحن لا نقول إن النصوص دلت على هذه القوى والأسلحة بأعيانها ، أو سميتها بأسمائها ، بل نقول : لأنها شملتها بعمومها لأنها من أفراد هذا العموم . وفي سورة ( يس ) : « وآية لهم أنا حملنا ذرّبتهم في الفأك المشحون ، وخلقنا لهم من مثله ما يركبون » وهذه الآية كما تدل على ( سفائن يور - والرّابُ بجارها ) تدل بعمومها على القطر الحديدية ، والسيارات البرية ، والسفن الهوائية ، وغيرها مما ظهر وسيظهر في عالم الوجود . ومثلها آية « ويخلق ما لا تعلمون » . أفما يصح أن يكون هذا الإيجاز الشامل طريقاً من طرق

الاعجاز ؟ بلى ! وإلا فما معنى كون القرآن لكل زمان ومكان ،  
وكونه لا تنهاى عجائبه <sup>(١)</sup> ؟ .

وإني مورد شذرة من أسلوب الأستاذ في تفسيره ، قال حفظه الله في تفسير :  
« إياك نعبد وإياك نستعين » : تهيأ لأصحاب هذه المناجاة أن يسموا لتحصيل  
حظوظهم الشريفة من طلب الهداية ، فانهم لما حمدوا الله وصفوه بصفات الجلال ،  
ثم أتبعوا ذلك بقولهم : « إياك نعبد ، وإياك نستعين » الذي ظاهره خبر ،  
وفيه تعريض بالطلب ، لأن الحمد ، الحظ فيه للعابد ، بخلاف قولهم :  
إياك نعبد ، وإياك نستعين ، ففيه ثناء على الله تعالى بأنه المخصوص بالعبادة ،  
والاستعانة ، وفيه حظ للعبد بأنه عابد ومستعين ، وأنه قاصر على الله تعالى ،  
فكان ذلك واسطة بين الثناء وبين الطلب ، - انتقلوا به من ثناء إلى واسطة ،  
حتى إذا ظنوا ببرهم الإقبال عليهم ، ورجوا ذلك من فضله ، أفضوا إلى  
سؤالهم ، فلذلك قالوا « اهدنا الصراط المستقيم » وهذا الوجه هو المناسب لكون  
الفاتحة ديباجة القرآن الذي جاء ليهدي الطالبين للهدى والرحمة ، فقوله : « اهدنا  
الصراط المستقيم » هو حظ الطالب خاصة ، وشروع في طلب ما ينفعه عاجلاً  
وآجلاً .

كتب شيخ الجامع الأعظم الزيتوني في تفسير هذه السورة ما يقرب من  
ثلاثين صفحة ، ولا يستكثر هذا على سعة علمه ، وفي التفسير القيم للإمام  
ابن القيم ( م ٥٧٥١ ) استغرق الكلام على « إياك نعبد » ما يقرب من خمسين  
صفحة ، وهل يعجب القارئ من هذا من بعد أن يعلم أن هذا الإمام يرى  
أن سر الخلق والأمر والشرائع والثواب والعقاب انتهى إلى « إياك نعبد ،  
وإياك نستعين » وأنه قد شرح « منازل السائرين إلى الله » لأبي اسماعيل الهروي

(١) من مقال لنا في إعجاز القرآن ، نشرناه في مجلة المجمع العلمي ( م ٣٠ / ٥٦٠ -



بثلاثة مجلدات كبار ، وصمى شرحه : ( مدارج السالكين ، بين منازل :  
إياك نعبد وإياك نستعين ) ومن وقف على هذه المنازل ، ذكر قول القائل :  
( لك يا منازل في القلوب منازل ) .

وقد بلغ هذا التفسير ، المسحى بالتحريير والتنوير ، ( ٣٧٨ صفحة ) .  
وذكر الأستاذ في مقدمته أهم كذب التفسير المطبوعة ، وقال : ولقصد الاختصار  
أعرض عن العزو إليها ، وقد ميزت ما يفتح الله لي من فهم في معاني كتابه ،  
وما أجليه من المسائل العلية ، وأقوال العلماء ، مما لم يذكره المفسرون - بعلامة  
نجم في ابتدائه ، ونقطة غليظة في انتهائه اه .

قلت : لم يحجز الأستاذ الأكبر بحمد الله أن يكون مصداق المثل السائر :  
( كم ترك الأول للآخر ) مد الله في حياته ، وبارك في أوقاته . وكنا نود  
أن تكون الآيات الكريمة المفسرة مشكولة شكلاً تاماً ، ومثلها آيات الشواهد ،  
مرفقة بأرقامها وأسماء سورها ، ليسهل الرجوع إليها ، وأن تُعزى الأحاديث  
النسبية إلى مخرجيها أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد ، وأن يُضاف إلى إصلاح  
الأغلاط في الكتاب ما يأتي : ( ص ٨٥ س ٢١ ) بقصاحته : بفصاحته .  
( ١٢ / ٩٦ ) لو كان فيهم : فيها . ( ٢٠ / ٢٦٣ ) إخوانه الصغار وأخواته : إخوانه  
وأخواته . ( ١ / ٣٤٥ ) صحيفات مال : صحيفات ( ٢٣ / ٣٤٥ ) طرقة :  
طرفة ( ٣٥ / ٣٥٧ ) المانعون : الماعوث .

ولعلّ صديقنا الأستاذ « الفاضل » نجل أستاذنا الأكبر يتولى ذلك كله  
في طبعة ثانية برعاية والده الإمام وعنايته ، إن شاء الله تعالى .



## أنا والشعر

للاستاذ شفيق جبري

وهو يشتمل على عشر محاضرات ألقاها المؤلف على طلبة قسم الدراسات  
الأدبية والفنية في معهد الدراسات العربية العالية . طبع في القاهرة  
سنة ١٩٥٩ ، عدد صفحاته ١٣٥ من القطع الوسط

لم أرَ أحداً من شعراء العرب في القديم والحديث كان أذكر لتجاربه الشعرية  
من صديقي الأستاذ شفيق جبري . فقد ذكر في هذا الكتاب تجاربه الشعرية  
بمنتهى الإخلاص والصراحة ، فتكلم على أول عهده بنظم الشعر ، وعلى تجربته  
الشخصية في الشعر الوطني والشعر الضائي والمرثي ، وعلى مذهبه في النظم من  
حيث وحدة القصيدة وصيغتها والفكر الرياضي في أدبنا ، وختم محاضراته هذه  
بالكلام على سحر العبقرية الفنية بوجه عام ، وعلى مستقبل الشعر بوجه خاص .  
أما أول عهده بالشعر فيرجع الى سنة ١٩١٣ وهي السنة التي ترك فيها المدرسة  
الثانوية وانصرف الى مطالعته الخاصة ، لحفظ شعر المتنبي وطائفة من شعر المعلقات ،  
وقرأ شعر الجعفي والشريف الرضي ، وعاشر فربقاً من الأسماء الذين تنفاوت  
أذواقهم في فهم الشعر النقي الخالص كخير الدين الزركلي ، والشيخ فؤاد الخطيب  
والشيخ رضا الشببي وغيرهم ، وتدرج في ذلك حتى أكسبه الحفظ ملكة شعرية  
راسخة ، فنشر أولى قصائده وهو دون العشرين من سنه ، وهي قصيدة في الرثاء  
قلد فيها رثاء الشريف الرضي لأبي اسحق الصابي . ولا عيب في ذلك فإن  
المتنبي والجعفي كانا بقلدان أبا تمام . والتقليد كثيراً ما يقع في أول نشأة  
الشاعر ، ثم يأتي بعده الاستقلال والانفراد . ثم انه لما فرغ من هذه القصيدة  
بحث عن مصدر آخر يستلهمه الشعر فرأى أن يستعين بنظرات المتفلوطي لعله  
يجد فيها ما يلهمه شعراً ، فوقع على أول نظرة من نظراته وعنوانها ( الغد )

فنظم قصيدته (خيال الغد) ضمنها بعض معاني المتفلاطية ولكنه لم ينتقد فيها بكل ما جاء في نظارته . ثم بحث عن مصدر آخر يقتبس منه فكرة جديدة فوجد في مختارات من الأدب الفرنسي قطعة لـ (ماسيون) عنوانها الزمان فألمسته موضوع قصيدة لم يأت فيها بشيء مما جاء في تلك القطعة ، ولكنه وصف فيها الزمان على النحو الذي ألفه شعراؤنا في الماضي . وهكذا كان شفيق جبيري في أول عهده بالشعر يقتبس أفكاره من الكتاب والشعراء ويصوغها في قالب شخصي يبتكر صورته كما يشاء بحسب ذوقه وفنه ، وبفرغها في ألفاظ موسيقية جميلة بمعنى يرصفها عناية بالغة ، ولا غرو فان حكم المعاني كما يقول الجاحظ «خلاف حكم الألفاظ» لأن المعاني مبسطة الى غير غاية وممتدة الى غير نهاية ، وأسماء المعاني مقصورة معدودة ومحصلة محدودة» وإنما تحيا تلك المعاني في الألفاظ ، فهي التي تجعل المجهول معروفاً والوحشي مألوفاً ، وعلى قدر وضوح الألفاظ يكون إظهار المعنى .

هذا ما ذهب اليه شفيق جبيري في شعره الوطني وشعره الغنائي وفي صرايئه . لقد كان شعره الوطني في أول عهده تحريضاً على الأجنبي ، وحثاً على الثورة ، ودعوة الى القومية العربية ، فانقلب بعد ذلك الى شعر غنائي يتغنى فيه الشاعر بجمال بلاده تارة ، وبلتجي الى أحضان الطبيعة تارة ، وينفس بذلك كله عن النار المتأججة في قلبه بشعر هادي في ظاهره حماسي في باطنه موسيقي في ألفاظه . فلم يكن التجاؤء الى الطبيعة إلا أسلوباً في التعبير عن ألم البلاد ، والا سبيلاً الى التوحد والتغنى بأشجان الوطن وآماله . انظر الى قصيدته التي قالها في نوح العندليب على أثر أزمة عاطفية :

دع العندليب على غصنه يردد على الفصن أحزانه

فان هذه القصيدة التي صور بها شعوره وعاطفته وآلامه الشخصية انقلبت في نهايتها الى شعور وطني يكي فيه الشاعر وطنه فختحمها بقوله :

أتبكي العنادل أوطانها ولا يندب المرء أوطانه

لقد غلبت هذه النزعة الوطنية على نفس الشاعر فكان كما أتبع له الإفصاح عن شعوره الوطني في حفلة من حفلات التكريم أو التأبين تغني بوحدة العرب وقوميتهم ، فكان غايته الأولى من شعره التعبير عن آلام بلاده لا عن آلام نفسه ، ومع أنه ليس من الضروري أن يجس الشاعر نفسه على التغني بالوطن ، ولا أن يتكلم على نزاعاته الخاصة ويصور أفراحه وأحزانه الخاصة دون أن يصور آلام بلاده ، فإنَّ الفرص التي أتبع لشقيق جبري فيها الإفصاح عن حبه وخوارج نفسه كانت قليلة جداً في حياته . لقد أحب الطبيعة حتى ملكت عليه مشاعره ، ولكنه لم يمتط هذه الطبيعة التي أحبها ما نستحقه من العناية ، بل كان إذا صور جبالها وسهولها وأنهارها وبحارها وأوديتها وغاباتها لا يصور إلا حالة وطنه النفسية والاجتماعية ، فلم يستطع أن ينظر الى الطبيعة نظرة مجردة ، وإنما كانت الطبيعة سبيلاً الى تصوير شعوره الوطني .

وكما أحب شاعرنا الطبيعة فكذلك أولع بالمرأة ووقع في أزمات عاطفية عنيفة ، ولكن أثر ذلك في شعره قليل جداً . لقد نظم في المرأة عدة قصائد ، ولكن المرأة التي تخيلها في هذه القصائد لم تكن إلا ذلك المخلوق الضعيف الذي حرمه المجتمع أبسط حقوقه الطبيعية ، فكان يرمز بمقام المرأة في المجتمع الى مقامها في قلبه ، وبكثني بهذا الأسلوب الرمزي للتنفيس عما يشعر به . ولعل ذلك ان يكون من تأثير الحياة الاجتماعية في نفسه ، أو من فرط حسه ، أو من شدة شعوره الوطني . لم يحب أحد أمه مقدار حبه لأمه فشغل حبا كل ناحية من نواحي قلبه فلما توفاه الله لم يقل فيها إلا أربعة أبيات ، ومن أغرق في الحزن غرقت نفسه فيه فلم يجد في اللغة ألفاظاً يعبر بها عنه ولا في الشعر صوراً تسكن لواعج قلبه . أما القصائد التي رثى بها شقيق جبري طائفة من رجال الأدب والشعر والسياسة فقد حاول أن يبرز فيها خصائص كل رجل على حدة بحيث تكون هذه الخصائص عبرة للناس . فجاءت كل قصيدة من هذه القصائد مشتملة على صور لا تنطبق إلا على الرجل الذي قبلت فيه ، ومشتملة في الوقت نفسه على

أطوار متصلة بالصورة الأصلية . فاذا رثى شاعراً كولي الدين يكن اغتنم الفرصة للتغني بمنزلة الشعر في الأمم ، وإذا رثى فوزي الغزي تكلم على ثورة الشام وبطولاتها ، وإذا رثى ( سعد زغلول ) تكلم على الزعامة وأثرها في توحيد كلمة الشعب . وأنت اذا قرأت قصيدته في رثاء حافظ ابراهيم رأيت أنت الصفة البارزة التي صورها في رثائه هي بؤس حافظ ، واذا قرأت قصائده في المتنبي والمعري وشوقي رأيت محاول أن يصور حياة كل واحد منهم من جميع نواحيها . فالمتنبي في نظره شاعر مفترط الحس شديد القلق والاضطراب ، همه ادراك المعالي والابتعاد عن اللذات الخسيسة ، والمعري شبيه بالمتنبي في فرط حسه ، ولكنه متقشف في حياته زاهد في الدنيا الخ .

ولم يكن شفيق جبري شرط خاص في نظم الشعر ، فقد نظم الشعر في أمكنة مختلفة وشروط مختلفة ، ولكن المهم كما يقول ان يهتدي الشاعر الى مطلع جديد ، فاذا جاء المطلع على النحو الذي يرضيه هانت عليه القصيدة . فالمطلع في نظره هو مفتاح القصيدة ، ولكنه لا يكفي للايجاء بجميع المعاني التي يحتاج اليها الموضوع ، فلا بد إذن من الفكر لتصور بنية القصيدة تصوراً كاملاً . لقد كانت قصائد شفيق جبري الأولى بالرغم من تماسك الأجزاء في مقاطعها خالية من التخطيط والتنسيق ، لأنها كانت تعبر عن الثورة المتأججة في قلبه ، فكانت نفسه تشور فتأتي القصيدة بحسب هذه الثورة . أما قصائده الأخيرة فقد تخيل فيها أجزاء الموضوع ورتبها ترتيباً منطقياً فجاءت مشتملة على وحدة نامة لا تجد فيها بيتاً يحسن تقديمه أو تأخيرها ، وهذا لمعري فتح جديد في الشعر العربي ، لأن أكثر شعرائنا في الماضي لم يعتنوا بوحدة القصيدة ، ولا خطر يبالهم تنسيق أجزاءها ، مع أن التنسيق ضروري لتحديد أجزاء الموضوع واستيعاب جميع أقسامه . ومتى رتب الشاعر هذه الأجزاء استطاع أن يلم في كل جزء منها بالصورة اللازمة له ، ولا يزال ينتقل من جزء الى جزء حتى تظهر وحدة القصيدة في أكمل وجه .



أما مذهبه في صيغة القصيدة فيقوم على تصور الموضوع وجمع الصور وتخخير الأفكار وانتقاء الألفاظ ، فإذا تم له ذلك بحث عن البحر المناسب لمعاني القصيدة ، فإذا اهتدى الى هذا البحر فتنش عن القافية المناسبة ، ثم اذا اجتمع له البحر والقافية بحث عن المطلع المناسب ، وفي هذا البحث كما ترى جهد فكري ، نعم ان الشاعر قد يبلغ هذه الأمور عفراً كما حدث ذلك لشفيق جبري في أول عهده بالشعر ، ولكنه لا يبلغ الكمال الا بهذا الجهد الفكري المبذوع . لا يعرف هذا الجهد إلا من يعانيه ، فهو الذي يخمر الأفكار ، وهو الذي يفجر بنايع الصور ، ويكشف عن تناسقها العميق وانسجامها اللطيف . نعم ان الشاعر في أول عهده لا يفكر في التنقيح والتنسيق ، ولكنه اذا أدرك سر الإبداع فطن لما بين الأفكار من تناسب هندسي ، ولا يزال يفكر في هذا التناسب حتى يجذف المنافر والمناق . أما العناية بالألفاظ فهي ضرورة للشاعر في كل مرحلة من مراحل شعره ، لأن الألفاظ كما يقول شفيق جبري هي سر الشعر وروحه . فهي التي تبرز صورته وتظهر محاسنها . ان بينها وبين الصور صلة روحية عميقة ، وهما تكن الصورة جميلة فاذا لم ترزق لفظاً جميلاً يشاكها فيضحا ويلها فقدت الشيء الكثير من جمالها .

وسهولة اللغة في نظر صديقنا الشاعر أساس البلاغة ، قال : « لقد شبهوا هذه السهولة بضياء الشمس ، فقد يبدو شعاع الشمس للعيون أبيض صافياً ، ولكننا اذا حللنا عناصره وكشفنا عن الطيف الشمسي وصلنا الى ألوانه الزاهية العجيبة ، ألا أنت هذه الألوان قد اختفت وراء يباض الشعاع الناصع ، وكذلك سهولة اللغة فانها تخفي وراءها عناصر البلاغة التي أنشأت هذه السهولة ومهدت السبيل اليها » ، ( ص ٩٨ ) فورا الألفاظ اذن عدد لا نهاية له من الصور ، والإبداع الفني انما هو إظهار الصور المخزونة في الذهن بواسطة الألفاظ المتخيرة . كأن اللفظ الموسيقي هو الذي يقدح بالذهن فتخرج منه النار ،



ولولا ذلك لما ظهرت الصور ، ولما رأينا ألوانها المتسقة العجيبة . وهذا طبيعي في الشعر ، لأن الشاعر لا ينتقل من المجرد الى المحسوس ، بل ينتقل من المحسوس الى المحسوس ، حتى اذا تجلّى له المحسوس بجميع صورته وألوانه ارتقى منه الى فكرة عامة مجردة تحيط بذلك المحسوس احاطة نامة . وجمال اللفظ في الشعر انما يكون باقتراحه بلفظ آخر يناسبه ، فلا تدب فيه الحياة الا اذا انتزع من موضعه في المعجم وقرن في الشعر أو في النثر بلفظ بمثله .

ولكن كيف يهتدي الشاعر الى الصورة ، فهل تهيئه الصورة ثم يهيئه اللفظ أم اللفظ هو الذي يوحى اليه بالصورة . يقول شفيق جبري في الجواب على هذا السؤال إن الألفاظ هي التي تستدعي الصور ، وهذا أمر مجرب يعرفه علماء النفس كما يعرفه الشعراء ، ولكن كثيراً ما تجيء الصور والألفاظ معاً دون أن يفصل بينهما زمان ، وسبب ذلك ارتباط الصورة باللفظ ارتباطاً محكمًا . وما قيمة الصورة التي لا نستطيع أن تدل عليها بلفظ يناسبها ، إنها لا تثبت في الذهن بل تبقى غامضة كالليل متوجة كالسحاب .

فأنت ترى أن كتاب ( أنا والشعر ) الذي أنحفنا به صديقنا الشاعر يشتمل على تجارب جميلة واعترافات صادقة وملاحظات نفسية عميقة . وهو أول كتاب نجد فيه شاعراً عربياً يحلل تجاربه الشعرية ، ويكشف عن أصرارائه بمنتهى الصدق والصراحة ، ومن حسن ذوق المؤلف انه مثل لنا تجاربه الشعرية بأشعار مختيرة ، فجاءت هذه الأشعار معبرة عن فنه أحسن تعبير . بيد أن تجارب شفيق جبري كثيرة لم ينسج كتابه لذكرها كلها ، وقد رزقه الله من قوة الخيال وحسن التعبير وصدق العاطفة ودقة التصوير ما جعله مصوراً حاذقاً يقف من تجاربه الشخصية موقف العالم من حوادث الطبيعة ، فنرجو أن تتاح له الفرصة لتأليف كتاب جديد يضمه تجاربه في النثر ، ولا شك أننا سنجد في قراءة هذا الكتاب الجديد ما وجدناه في مطالعة الكتاب الأول من لذة ومنتعة وفائدة .

## تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك

تأليف عارف العارف

طبع الكتاب بمطبعة دار الأيتام الإسلامية الصناعية بالقدس ،  
في ( ٢٤٨ ) صفحة من القطع الوسط

نشر الأستاذ المؤلف قبل سنين كتاب ( تاريخ الحرم القدسي ) ثم ظهر له فيما بعد نواح جديدة لا بد من استجلاء غوامضها ، والتوسع في دراستها ، على ضوء ما انتهى اليه تحقيقه ، وما توصل اليه في هذا البحث غيره من المؤلفين والباحثين ، فأعاد طبعه بامم جديد وهو ( تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك ) ، وأضاف اليه نسخة من تاريخ بيت المقدس أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .

يحتوي الكتاب على خمسة فصول ، تناول في الأول تاريخ القدس ، وبحث في الثاني عن قبة الصخرة المشرفة ، وخص الفصل الثالث بالمسجد الأقصى المبارك ، ووصف في الرابع الحرم القدسي في يومه وأمه ، وذكر في الخامس المعتقدات التي نشأت في تكريم هذه الأماكن المقدسة والأساطير التي نسجت حولها ، وما قيل في استنكار رجال الدين لاكثرها .

وقد دعم أبحاثه بنصوص نقلها عن السلف أو بما عثر عليه منقوشاً على جدران الحرم ، كما اعتمد على آراء أهل المعرفة وذوي الاختصاص .

وقد جاء هذا الكتاب على أكل وجه بدقة أبحاثه وسعة محتوياته . جمع فيه المؤلف زبدة الأقوال والأبحاث والدراسات ، ودون معلوماته الشخصية التي رافقها وشارك الرأي فيها ، بحكم منصبه آنذاك في رئاسة بلدية مدينة القدس . ومن الملاحظات البسيطة التي عثرت عليها في ضبط بعض الأعلام وبحسن

التنبيه اليها وإن كانت لا تختفي على القارئ ، منها : في ( ص ٢٥ ) المرقال بن هشام وصوابها المرقال هشام بن عتبة ، والرقال هو لقبه . وعمرو بن مهمل بن زيد الخيل ، صوابها عمرو بن زيد الخيل بن مهمل ، ومسبب الفزاري صوابها مسيب الفزاري .

تشهد أبحاث الكتاب عن تمكن المؤلف من موضوعه ، فذاشكر له جهده وعنايته .



## ٥٥ ألف كيلومتر على دراجة نارية

للرحالة العربي عدنان حسني تملو

كتاب في ( ٢٨٩ ) صفحة من قطع الوسط منهدان بالصور والمخططات

طبع في مطبعة الإنشاء بدمشق

إن حب الأسفار للاستطلاع أو الكسب هو خلق أصيل في نفوس العرب ، نجده عند حضرم وبدوم على حد سواء . وأكثر ما تنجلي هذه النزعة عند عربان البادية ، فهم أبدأ على سفر ، لا يستقر لهم قرار ، لا صيفاً ولا شتاء ، فقد آثروا هذه الحياة المشردة بقرها وحرها وشظف عيشها ، على حياة الحضر وسكونها يسر معاشها . وقد فرض الله تعالى على من له قدرة من عباده أن يسير في الأرض لينظر ويعتبر ، ويعلم غيره بما علم . وأطنب شعراء العرب بمدح الخلفاء والملوك والأمراء بالسير في البلاد ومعرفة الأمصار ، وتنافس بذلك رواد السلف ، كابن فضلان ، وابن جبير ، والبكري ، والحمداني ، وابن بطوطة ، وياقوت ، فخلقوا آثاراً خالدة بما شاهدوه في رحلاتهم وحصيلة تطوافهم .

وجاء حين من الزمن خمدت فيه الحمم ، وزهد الناس بالرحلات العلمية على

يسرها في عصرنا ، واستعاضوا عنها بأسفار المتعة والترويح عن النفس ، كأن  
ليس لهم قلوب تعقل ولا عيون تبصر ، يستأثرون بمشاهداتهم ، ولا ينفع  
بها أحد .

وأراد صاحب هذه الرحلة الشاب الجريء السيد عدنان تلاو أن يصل ما انقطع  
من سيرة السلف ، وأن يكون من الرواد العاملين ، فضرب بقدرح معلى  
بأقدامه وصمو غايته ، وحزم أمره على مغامرة ، وهو لا يملك من أسبابها إلا  
عزيمة الشباب وقوة الإيمان ، فطاف بوسائله الخاصة على دراجته النارية بلاد  
الأردن ، والعراق ، وإيران ، وباكستان ، والهند ، وأفغانستان ، والاتحاد  
السوفياتي ، وفنلندة ، والسويد ، والنرويج ، والدانمرك ، وألمانية ، وبولونية ،  
وتشيكوسلوفاكية ، وهنغارية ، والنمسا ، وهولندة ، وبالجيك ، وسويسرة ،  
وايطالية ، وأسبانية ، والبرتغال ، والمغرب العربي ، وتونس ، وليبيا . وكان  
حيث حل ، خير رسول ، وأفضل ممثل للشباب العربي الوثاب ، ورجع الى  
بلده مزوداً بأطراف الأخبار عن رحلته ، أودع حوادثها هذا الكتاب ، وقد  
وصف فيه طبيعة البلاد التي زارها ، وحدثنا عن تقاليد سكانها ، وروى  
ما لاقاه من ترحيب واعراض ، وما كابده من عسر وعناء . وقد وجدناه  
بعد عودته من هذه المشاق أمضى عزيمة ، وأقوى شكيمته ، عما كان عليه  
قبل هذه الرحلة ، وهو مصمم على مواصلة رسالته لتعريف العالم بالبعث  
العربي الوثاب .

مهفر الحسني

## الإمام الصادق ملهم الكيمياء الدكتور محمد يحيى الهاشمي

تفضل المجمع العلمي الموقر وكلفني بالتعريف بهذا الكتاب الذي سبق لي أن اطلعت على بعض محتوياته حين أهداني مؤلفه نسخة من الطبعة الأولى .  
ولما كنت قد قرأت النسخة الأولى بإمعان وتلا ذلك سفرات الى مناهل العلم في القاهرة تمت خلالها مناقشات في هذا الموضوع بيني وبين المرحوم الدكتور عبد الحميد أحمد عضو جمعية تاريخ العلوم عند العرب فقد تكونت لدي فكرة جيدة عن هذا الكتاب خرجت منها بأن كل ما ذكر عن علاقة الإمام جعفر الصادق بالكيمياء وم لا صحة له وأن الكتب التي نسبت اليه ألفت بعد وقت طويل من وفاة الإمام .

وان جابر بن حيان نفسه لم يصرح بوضوح أنه ألهم الكيمياء من الإمام الصادق بل كل ما هنالك ، ان صبح وجود علاقة بينهما ، إلهامات روحية ودينية لا تمت للكيمياء بصلة ما .

والطبعة الثانية من الكتاب حوت مقدمة كبيرة استعرضت تقدم العلوم عند العرب وتناولت أبحاثاً يشكر عليها المؤلف كعرضه لنظرية روسكا وتدقيق هويارد . ولا أظن المؤلف إلا مشاركي في الرأي بأن التعرض لتشيع أبي العلاء وتصوف جابر كلها بعيدة كل البعد عن الغرض من وضع الكتاب وموضوعه .  
وعلى كل فلامؤلف الشكر على الجهود التي صرفها لنشر هذا الكتاب ولعل من يثله ينتفع ببعض ما به .

حسن السقا



# آراء وأبناء

الدكتور عبد الوهاب عزام

١٨٩٤ - ١٩٥٩

اغتنات المنية علماً من أجل أعلامنا ، هو الزميل الراحل الدكتور عبد الوهاب عزام ، جزعت له نفوس عارفي فضله وأخلاقه ، وعم الأمي الأوساط العلمية في دنيا العرب ، فقد ترك المرحوم بموته في الثقافة العربية صدعاً قد يطول جبره ، انفراد بين العرب المعاصرين باختصاص زهد به غيره ، وقد دأب على دراسة الثقافة التركية والفارسية والاردية فتبحر في آدابها وتاريخها ، وتقل الى العربية روائع آثارها .

وكان رحمه الله فضلاً عن علمه الغزير ، يتغلى بالشمائل الطيبة ، والأخلاق الحميدة ، والمرودة الصادقة ، وكان وفياً لزملائه ، أميناً لعلمه ومترفعاً عن استنثاره . وهو عضو بالمجمع اللغوي المصري والمجمع العلمية في سورية والعراق وإيران . ولد المرحوم سنة ١٨٩٤ في شوبك الغربي في الاقليم المصري وأمرته ليلية الأصل وتخرج بمدرسة القضاء الشرعي ، وعين مدرساً بها سنة ١٩٢٠ ، ثم عهد اليه الإمامة في السفارة المصرية في لندن ، ونال سنة ١٩٢٣ إجازته في الآداب من الجامعة المصرية ، والتحق سنة ١٩٢٤ بجامعة لندن ودرس اللغة الفارسية ، فنال شهادتها بدرجة أستاذ في الآداب سنة ١٩٢٧ . ثم عين مدرساً في جامعة فؤاد الأول ، وتولى فيها تدريس الأدب العربي واللغة الفارسية والتركية ، ونال شهادة الدكتوراه برسالة عن الشاهنامة . ولما أنشئ معهد اللغات

الشرقية في جامعة فؤاد الأول تولى رياسته ، ثم صار عميداً لكلية الآداب  
سنة ١٩٤٥ .

ثم انتقل من أمرة التعليم الى السلك السامي الخارجي فعين سفير مصر في  
المملكة السعودية وباكستان ، ولما تقاعد من مناصبه الحكومية استدعته حكومة  
المملكة السعودية لأجل تأسيس جامعة في الرياض حيث توفاه الله وهو على  
رأس عمله وبأتم نشاطه .

كان رحمه الله يجيد اللغة الفرنسية والانكليزية والفارسية والاردية والتركية ،  
وزار بلاد فرنسا وبريطانية وإيطالية وسويسرة وبلجيكا وتركيا وباكستان  
وايران وجميع الأنطار العربية . وله زهاء عشرين كتاباً في التاريخ والآداب  
العربية والفارسية والتركية والاردية ، بعضها مترجم من الفارسية والاردية منها :

- ١ — ترجمة كتاب الشاهنامة الى العربية .
- ٢ — كتاب التصديق وفريد الدين المطار .
- ٣ — كتاب فصول المتنوي .
- ٤ — خلاصة تاريخ الأدب الفارسي .
- ٥ — ترجمة جهارمقالة الى العربية .
- ٦ — ذكرى أبي الطيب المتنبي بعد ألف عام .
- ٧ — نشر ديوان المتنبي مع مقدمة وافية .
- ٨ — نشر كتاب كليلة ودمنة مع تعليق ومقدمة وافية .
- ٩ — كتاب الرحلات .
- ١٠ — مقالات أدبية ومنظومات .
- ١١ — نشر رسائل صاحب بن عباد .
- ١٢ — الشوارد .

- 
- ١٣ - المثاني .
  - ١٤ - مجالس السلطان الغوري .
  - ١٥ - محمد اقبال .
  - ١٦ - مذكرات في تاريخ الأمة العربية .
  - ١٧ - مهد العرب .
  - ١٨ - موقع عكاظ .
- وغير ذلك من المؤلفات والمحاضرات والمقالات في المجلات ، وعزائونا بالفقيد  
الراحل ما خلفه لأئمة من آثار خالدة تحيي ذكره رحمه الله رحمة واسعة  
وضاعف حسناته .

## علاوة خامسة في فوائد تاريخية وعلمية

## من حياة : شيخ الإسلام ابن تيمية

كنت نشرت فصولاً في مجلدات مجعنا العلمي بدمشق في حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ، ثم طبعت تلك الفصول مستقلة في الجزء الثاني من محاضرات المجمع العلمي الذي طبع ( سنة ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م ) ص ٦١ - ١٢٩ من بعد أن حاضرت فيها في قاعة المجمع ؛ وهذه الفصول والعلاوات أولها : تاريخي علمي تضمن دفع الفرية التي وردت في رحلة ابن بطوطة ، عن حديث نزول الرب كل ليلة إلى سماء الدنيا ، وأنه قال - وهو يخطب الجمعة على منبر دمشق - كنزولي هذا ، ورددناها بثلاثة أمور : الأول أن ابن تيمية لم يكن خطيب المسجد ، بل كان واعظاً ومدرساً . والثاني أن ابن بطوطة لم يره ولم يجتمع به ، إذ كان وصول ابن بطوطة إلى دمشق في أواخر شهر رمضان سنة ٧٢٦ هـ وابن تيمية دخل قلعة دمشق في أوائل شعبان ( سنة ٧٢٦ هـ ) ولبت فيها إلى أن توفاه الله تعالى سنة ٧٢٨ هـ . والثالث أنه ذكر حديث النزول في مواضع من كتبه ولم يقل فيها كنزولي هذا .

العلاوة الثانية : في اختياراته ومنها قضية الطلاق في الإسلام .

(٣) ترجيحه لمذهب السلف في أمر المعتقد .

(٤) تحقيقه لوحدة الأديان ، وأخوة الرسل الكرام ، عليهم السلام .

ثم رأيت لبعض مؤرخي عصرنا المحققين كتاباً مستقلاً في حياة الشيخ ، وفيه مباحث تاريخية علمية دينية ، تتعلق بسيرته رحمه الله وفيها وهم واشتباه ، فكان عليّ أن أنه إلى ذلك ، لتكون حياته الطيبة خالية من الشوائب التي علق بها ، وإن لم يكن معصوماً ، ولتكون (علاوة خامسة) على العلاوات الأربع التي نشرت مع المحاضرة

(ص ٦١ - ١٢٩ ج ٢ من محاضرات المجمع العلمي) فمنها دعوى منه زيارة القبور ، لا سيما قبور الصالحين ، وأعظمها قبور الأنبياء والمرسلين ، لا سيما خاتم النبيين ، عليهم جميعاً أفضل الصلاة والتسليم . وقد أجاب عن هذا بقلمه ، ودفع القرية بنفسه ، فقال : «إن السفر إلى مسجده ، وزيارة قبره - كما يذكره أئمة المسلمين في مناسك الحج ، - عمل صالح مستحب . . بل هذا من أفضل الأعمال الصالحة ، ولا في شيء من كلامي وكلام غيري نهي عن ذلك ، ولا نهي عن المشروع في زيارة قبور الأنبياء والصالحين ، ولا عن المشروع في زيارة سائر القبور ، بل قد ذكرت في غير موضع استحباب زيارة القبور كما كان النبي ﷺ يزور سكّات البقيع وشهداء أحد ، وإذا كانت زيارة قبور عموم المؤمنين مشروعة ، فزيارة قبور الأنبياء والصالحين أولى» (١) .

وقد ذكر في كتاب التوصل والوسيلة كيفية الزيارة وأدبها ، وكذا في كثير من رسائله ، وإنما منع أمرين اثنين : الزيارة الشركية المبتدعة ، وشدة الرحل لجرد الزيارة (أي بلا نية شدة الرحل إلى المسجد النبوي والصلاة فيه) .

وقد وهم بعض المؤرخين فظن أن الروضة هي بيت السيدة عائشة الذي دفن فيه النبي (ﷺ) أو هو جزء منها ، والصواب أنها بين منبره وبيته كما هو نص الحديث الصحيح : «ما بين منبري وبيتي روضة من رياض الجنة» والصلاة فيها مطلوبة ، ولا دخل للقبر الشريف في مكان الصلاة أصلاً ، ولم يكن بيت أم المؤمنين مصلى للناس في عهده (ﷺ) فكيف بعد أن دفن فيه ، وقد قال : «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» .

أنهم شيخ الإسلام بنسبه الله تعالى بخلقه أو التجسيم ، على كثرة ردوده

(١) ص ١٤ و ١٥ من الجواب الباهر في زوار المقابر لابن تيمية .



على المشبهة والمجسمة ، كما كان يردّ على القدرية والجهمية والمعتزلة وغيرهم من المؤولة والمعطلة ، وهو لا يزيد على ما وصف تعالى به نفسه ، في مثل قوله : « ليس كمثل شيء وهو السميع البصير » فقد أثبت في هذه الآية لنفسه ذاتاً وصفات ، وفيها التنزيه عن المماثلة :

لا ذاته تشبهها الذوات ولا حكمت صفاته الصفات

وهو سبحانه كما وصف نفسه بقوله : « رفيع الدرجات ذو العرش » أي إنه سبحانه أرفع المخلوقات ذاتاً وصفات ، وأعظمها شأنًا ، وأعزها سلطانًا ، وكل شيء محتاج إليه ، وهو مستغن عما عداه ، وهو مالك العرش ومدبره ، فهو مستول على عالم الأجسام ، وأعظمها العرش ، كما هو مستول على عالم الروحانيات وهي مسخرة له .

ألا وإنّ هذا العصر الذي نميش فيه ، هو عصر الصعود والارتفاع ، عصر الأقمار الصناعية والصواريخ ، يتبارى الشرق والغرب في إطلاق هذه الكواكب المصطنعة في الفضاء ، فترتفع في الساعة الواحدة ألوفاً كثيرة من الأميال ، ولكنهما هما علت فإن تبلغ السموات العلى ، لأنّ بيتنا وبينها ملايين الأميال ، فأين سرعة هذه الأقمار الأرضية والصواريخ من سرعة هذا الضوء . أو النور الإلهي « الله نور السموات والأرض » .

وقد صرّح بعض أقطاب الفلك بأن سرعة الضوء ، قد قدرت بثلاثمائة ألف كيلومتر في الثانية ، وأن الضوء في سرعته هذه يطوف المحيط الأرضي الاستوائي - وهو أطول محيط من الأرض - يطوفه سبع مرات ونصف مرة في ثانية واحدة ، وضوء الشمس يصل إلى الأرض بثماني دقائق واثنى عشرة ثانية ، على بعدها الشاسع عنا البالغ ( ١٤٩ ) مليون كيلومتر ، على أن هذه المسافة بيننا وبين الشمس لا يقطعها قطار سرعته ( ٩٠ ) كيلومتراً في الساعة إلا بمدة ( ١٧٢ ) سنة . والله تعالى عال فوق سمواته ومخلوقاته ، لا يحل فيهم ،

ولا يمتزج بهم ، وعلمه وسمعه وبصره وقدرته مدركة لكل شيء ، وذلك معنى قوله : « وهو معكم أبنا كنتم » .

قال عبد الرحمن بن أبي حاتم : سألت أبي وأبازرعة رحمهما الله تعالى عن مذهب أهل السنة في أصول الدين ، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار ، وما يعتقدان من ذلك ، فقالا : أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازاً وعراقاً ومصر وشاماً ويمناً ، فكان من مذهبهم أن الله تبارك وتعالى على عرشه بائن من خلقه بلا كيف ، أحاط بكل شيء علماً .

قال ذلك العالم المؤرخ الذي أشرنا إليه في صدر هذا الحديث : هل العبارات المروية عن أولئك الأئمة الأعلام صريحة في إثبات جهة العلو والاستواء بمعنى من جنس معنى الجلوس ؟ إن العبارات المروية عنهم إلى التفويض أقرب منها إلى التفسير وإبداء الرأي في معنى معين .

والجواب أنا قدمنا بعض العبارات الصريحة لأولئك الأئمة الأعلام في إثبات صفة العلو المطلق ( لا النسبي ) لله تعالى على خلقه ، وأنه عال على عرشه ومستغن عنه كاستغنائه عن سائر المخلوقات ، فلا جلوس ولا إماسة ولا استقرار . وأما التفويض ففي الكيفية ، لا في أصل المعنى ، كما اشتهر عن الإمام مالك قوله : « الاستواء معلوم والكيف مجهول » أي أن معنى ( الاستواء ) معلوم وهو العروج والصعود والارتفاع ، ولكن الكيفية مجهولة .

وحسبنا في ذلك قصة المعراج وهي متواترة ، وفيها تجاوز النبي ( ﷺ ) السموات سماء سماء ، حتى انتهى إلى ربه تعالى ، فقربه وأدناه ، وفرض عليه الصلوات . وقد اعتذر هذا المؤرخ عن دراسة كتاب ( الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ) لكيلا يشغله عما هو فيه من دراسة فقه الإمام .

وأقول : إني قد درست هذا الكتاب دراسة مفصلة ، وكتبت عنه في مجلة مجعنا العلمي فصلاً مطوّلاً ، في مجلة الفصول التي نشرتها عنه في المجلة في بضع سنين .

وأما الاستغاثة بالحضرة المحمدية بعد الموت فقد أجاب عنها الإمام ابن تيمية في كتاب التوسل والوسيلة بقوله :

ولو كانت الاستغاثة بعد الموت ثابتة ثبوتها في الحياة ، لطلب من النبي ( ﷺ ) أن يقوم بالإمامة في الصلاة والإمامة في الفزء ، وإرسال البعوت وعقد الألوية ، والشماثر في الحرب ، وإقامة الحدود ، وإيصال الحقوق ، وقسم الموارث والغنائم ، والفيء ، والصدقات الخ (١) .

وأقول - تأييداً لما ذكره شيخ الإسلام : إن الصحابة الكرام قد تناظروا بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام ، في أمر الخلافة ، وفي جمع القرآن ، وفي الممارك الدامية كوقعة الجمل وصفين والنهروان ، وتناظر الشيخان في قتال مانعي الزكاة ، وفي إرسال جيش أسامة ، ولم يستفيثوا به في هذه الشدائد ، ولم يستفتوه في شيء منها ، وكل هذا معلوم من الدين والتاريخ بالضرورة ، ومن العقل والحس والوجدان بالبداهة ، فيجب رد ما يتجدد من الوقائع والحوادث إلى الوحي المنزل ، وما عرف من سنن الصدر الأول للإسلام .

تصحيح : جاء في أواخر الكتاب الذي نوّهنا به في هذا المقال - في ابن تيمية - استطراد ، ذكر فيه أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب تزوج بنت الأمير محمد آل سعود ، والصواب أنه ( رحمه الله ) قد تزوج ببجوهرية بنت عثمان بن معتر ، كما ترى في الكتب التي ترجمت له .

محمد بهجة البيطار

—•••••—

## أسرار العربية لكمال الدين الأنباري

تمتاز كتب كمال الدين الأنباري بأسلوبها المبسوط وعباراتها الواضحة .  
لا يقصد في كتابته إلى الإيجاز والإلغاز ولا يكثف باللمعة الدالة والإشارة المفهمة  
فلا عجب في أن كان أسلوب كمال الدين نسيجاً وحده بين الأساليب العلمية .  
وقد عرف المستشرقون من علماء أوربة فضل كتب الأنباري فسبقونا إلى  
طبعتها ونشرها .

فكتاباه الإصناف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين طبع أول  
ما طبع في ألمانيا وقد صنع له فائده مقدمة طويلة باللغة الألمانية وهي تعتبر  
كتاباً مستقلاً جديراً بالنشر - ولما تعذر الظفر بنسخة من الإصناف قام أستاذنا  
الشيخ محمد محيي الدين بطبعه مرات في سنوات فبسر النفع به كما جعل اقتناءه  
على طرف الثام وحبل الذراع وبقيت مقدمته الألمانية بعيدة منا مطوية عنا  
وما أشد حاجتنا إلى أن نعرف ما اشتملت عليه من البحوث وما عاجلته من المسائل .  
وقد علق بظني بعد أن قرأت الإصناف أن هوى كمال الدين مع البصريين  
إذ لم ينتصر للكوفيين إلا في سبع مسائل من ١٢٠ مسألة وقلت إن مذهب  
الكوفيين وصل إلينا عن طريق كتب هواها بصري ولو وصل إلينا بأقلام  
كوفية لتغير تقديرنا له ونظرتنا إليه .

ولكني بعد أن قرأت في معاني القرآن للفراء ومجالس ثعلب ورأيت كيف  
يعبر الكوفيون عن آرائهم وبدافعون عنها ويحتجون لها - أيقنت أن صاحب  
الإصناف أفصح بياناً وأوضح برهاناً .

يمثل لنا ثعلب لحذف المضاف بقوله الفقه أبو حنيفة والتجو الكسائي ولكنه

لا يعرض علينا أنماطاً رائعة وصوراً بارعة لهذا النحو الكسائي حتى يحملنا على أن نؤمن له بأنه لا نحو إلا نحو الكسائي .  
كذلك طبع كتاب أمرار العربية في أوربة سنة ١٨٨٦ م وهو مقدمة باللغة الألمانية أيضاً .

ولما تفدت نسخه قام المجمع العلمي العربي بدمشق بطبعه ونشره ولقد كان المجمع أرحمياً في إخراجه لهذا الكتاب أخرجه في أبهى حلة وأجمل صورة طباعة أنيقة وورق غابة في الجودة .

موضوع الكتاب : عالج ٦٧ باباً من أبواب النحو والصرف .

اختار من كل باب طرفاً من مسائله وعال لها بعبارة مبسطة كل البسط ووضحة كل الوضوح .

والتعليل لقواعد النحو صاحب وضع قواعده وقد أثر عن الخليل بن أحمد حديث طريف أرى من الخير أن أسوقه هنا .

سأل سائل الخليل فقال له أعن العرب أخذت هذه التعليلات أم اخترعتها من نفسك فقال : إن العرب نطقت على سجيتهما وطباعها وعرفت مواقع كلامها وقامت في عقولها علله وإن لم ينقل ذلك عنها وعلمت أنا بما عندي أنه علة لما علته به فإن أكن أصبت العلة فهو الذي التمت وإن تكن هناك علة غير ما ذكرت فالذي ذكرته محتمل أن يكون علة له ومثلي في ذلك مثل حكيم دخل داراً محكمة البناء عجيبة النظم والأقسام وقد صحت عنده حكمة بانيتها بالخبر الصادق والبراهين الواضحة فكما وقف هذا الرجل الداخل الدار على شيء منها قال إنما فعل هذا هكذا لعله هي كذا ، لعله سنجت له وخطرت ، فحائز أن يكون الحكميم الباني للدار فعل ذلك للعلة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار وجائز



أن يكون فعله لغير تلك العلة إلا أن ما ذكره هذا الرجل محتمل أن يكون علة ؛ ثم قال فإن صحت لغيري علة لما علمته من النحو هي أليق مما ذكرته بالمعلول فليأت بها .

وقد عرض سيبويه والذين جاءوا من بعده لكثير من التعليقات ولكن الأتباري يمتاز بالأسلوب المبسوط والعبارة الواضحة .

العلة بين الإصناف وأسرار العربية : كتاب الإصناف أسبق بالتأليف وقد أحال كمال الدين في أسرار العربية على الإصناف في خمسة مواضع وكان يعبر عنه بمسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين وأحياناً بالمسائل الخلافية . وقد أحصيت المسائل المشتركة بين الكتابين فبلغت نحو أربعين مسألة لم يختلف الحديث عنها في الكتابين لأسلوباً ولا عرضاً ، ولولا خوف الإطالة لأشرت إلى الصفحات والأوراق المشتركة بينهما .

عهد المجمع العلمي إلى أحد أعضائه وهو الأستاذ محمد بهجة البيطار بتحقيق كتاب أسرار العربية فقام الأستاذ بما عهد إليه خير قيام ، فأخرج لنا نسخة صحيحة من بين نسختين مخطوطتين وثلاثة مطبوعة ؛ كما عني بتفسير اللغة وشرح الشواهد وعزوها إلى قائلها ، وصنع للكتاب فهرس مفصلة وترجم لكثير من أعلامه .

ويميل بي أن أسجل هنا بعض الخواطر التي بدت لي أثناء قراءة أسرار العربية استكمالاً للفائدة :

يذكر النحويون أن اسم لا النافية للجنس لا بد أن يكون نكرة متصلاً بها فإن فصل عنها بفصل أو وقعت المعرفة بعدها أهملت لا ووجب تكرارها . وقد جاءت المعرفة بعد لا من غير تكرير للا في قولهم لا نولك أن تفعل فاعتذر النحويون بأن عدم تكرير لا في هذا الأسلوب إنما يرجع إلى أن

المصدر هنا بمعنى الفعل المضارع بمعنى لا نولك أن تفعل لا ينبغي لك أن تفعل وهذه هي نصوص النحويين في كتاب سيبويه ج ١ ص ٣٥٧ - وقالوا لا نولك أن تفعل لأنهم جعلوه معاقباً لقوله لا ينبغي لك أن تفعل كذا وكذا وصار بدلاً منه فدخل فيه ما دخل في ينبغي .

ثم قال أيضاً في الجزء الثاني ص ٣١١ - وأما نول فتقول نولك أن تفعل كذا وكذا أي ينبغي لك فعل كذا وكذا وأصله من التناول كأنه يقول تناولك كذا وكذا .

وإذا قال لا نولك فكأنه قال أقصر ولكنه صار معنى لا ينبغي لك . وفي أمالي الشجري ٢٣٧/١ - ونولك في قولهم لا نولك أن تفعل كذا مأخوذ من تناول الشيء وهم يريدون به الاختيار فإذا قالوا نولك أن تفعل فمعناه ينبغي لك أن تفعل والاختيار لك أن تفعل ، ويقولون لا نولك أن تفعل كذا ومعناه لا ينبغي لك أن تفعل ولم يلزم تكريره وإن كان معرفة لأنه بمعنى لا ينبغي لك فلم يلزم تكريره كما لا يلزم تكرير الفعل إذا دخل عليه لا . وقد أعاد هذا الحديث في الجزء الثاني ص ٢٢٥ .

وفي المفصل للزمخشري ١١١/٢ - وقولهم لا نولك أن تفعل كذا موضوع موضع لا ينبغي لك أن تفعل كذا .

ومثل هذا في شرح الكافية للرضي ٢٣٧/١ وفي التصريح على التوضيح وفي لسان العرب وغير ذلك من كتب النحو واللغة .

وفي أسرار العربية أخذ كمال الدين بملل لوجوب تكرير لا إن وقعت المعرفة بعدها ثم أخذ يبين العلة التي من أجلها لم تكرر ( لا ) في قولهم لا نولك أن تفعل فقال وإنما لم تكرر ( لا ) لأنه بمنزلة لا ينبغي لك .

وقد أثبت الأستاذ البيطار مكان لا نولك أنت تفعل لفظاً مصحفاً هو لا بد لك أن تفعل ثم قطع بأن النص المثبت في النسخة الأخرى وهو لا نولك أن تفعل سهو والنصوص التي ذكرناها والمقام الذي تحدث فيه الأنباري كل ذلك بقطع بأن لا نولك أن تفعل هي العبارة الصحيحة المتعينة في هذا المقام وليست من قبيل السهو كما يقول الأستاذ البيطار ثم ما صلة لا بد لك أنت تفعل بهذا المعنى لا ينبغي لك أن تفعل فضلاً عن المقام وموضوع الحديث وهو تكرير لا، يراجع ص ٢٥٠ — ٢٥١ .

نسب الأستاذ البيطار الشعر إلى قائله وفي أبيات كثيرة قال الأستاذ عنها لم أعرف قائلها .

ولما كان بعض هذه الأبيات معروف القائل رأيت من الخير أن أنسبها لقائلها مبيتاً مصادرها .

١ — في ص ٩٧ في باب نعم وبش قال عن البيت :

أنت بنعم الجار يولف بيته أخا فلة أو معدم المال مصرما  
لم أعثر على هذا البيت ولا على قائله . وقد نسب الأنباري في الإيضاف في باب نعم وبش أيضاً هذا البيت إلى حسان بن ثابت ٦٧ ونسبه أيضاً الشجري في أماليه إلى حسان ١٤٧/٢ .

والبيت في ديوان حسان ١٩٨ برواية :

أنت بنعم الجار يولف بيته لذي العرف ذا مال كثير ومعدما

٢ — في ص ٢٩٩ قال عن البيت :

لقد كان في حول ثواء ثوبته تقضى لبانات ويسأم سائم

لم أقف على قائله - وهذا البيت من شواهد مقفي اللبيب ونسبه ابن هشام للأعشى في باب الأشياء التي تحتاج إلى رابط ١٢٦/٢ وهو بديوان الأعشى الكبير

ميمون بن قيس ص ٧٧ من شرح الدكتور محمد حسين في هجاء يزيد الشيباني  
من قصيدة مطلعها :

هريرة ودعها وإن لام لائم غداة غد أم أنت للبين ساجم

٣ - في ص ١٠٣ قال عن البيت :

كأنني بفتخاء الجناحين لقوة على عجل مني أطأطي شماللي

لم أعلم قائله - وهذا البيت لامرئ القيس من قصيدته المشهورة التي مطلعها :

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي وهل يعمن<sup>(١)</sup> كان في العصر الخالي

ورواية الديوان :

كأنني بفتخاء الجناحين لقوة صبور من العقبان طأطأت شماللي

الديوان ١١٢ وشرحه للوزير أبي بكر عاصم ٦٣ .

٤ - في ص ٤٢٩ قال عن البيت :

غداة طفت علماء بكر بن وائل وعجنا صدور الخيل شطر تميم

لم أف على قائله - وقد نسب الشجري في أماليه ٤ / ٢ هذا البيت إلى قطري

ابن الفجاءة وأورده المبرد في الكامل في قصيدة لقطري مطلعها :

لعمرك إني من الحياء لزاهد وفي العيش مالم ألق أم حكيم

وهو أيضاً من شواهد الشافية وقد تكلم البغدادي في شرح شواهدا على قائله

ص ٤٩٨ .

٥ - في ص ٣٨٥ قال عن البيت :

سائل فوارس يربوع بشدتنا أهل رأونا بسفع القاع ذي الأكم

(١) والصواب : « وهل يعمن ( من ) كان في العصر الخالي » كما ورد في

( البيطار )

الديوان ( ص ٢٧ ) .

لم أعرف قائله - والبيت من شواهد المفتي في حديثه عن هل ٢٨/٢  
ونسبه شراحه إلى زيد الخيل الطائي .

وذكره أبو الفتح بن جني في الخصائص ٤٦٣/٢ وقد نسبه إلى قائله .  
وذكر قصة أياته ومواطنها محقق الخصائص ومجلتها أستاذنا الشيخ التجار .

٦ - قال عن البيت :

لكنه شاقه أن قيل ذا رجب ياليت عدة حول كله رجب  
لم أقف على قائله - واللائباري يذكر في الأمرار أن القصيدة منصوبة القوافي  
وكذلك ذكرها نعلب في مجالسه ٤٧٤/٢ - ٤٧٥ ومطامها :

بالرجال ليوم الأربعاء أما ينفك يبعث<sup>(١)</sup> لي بعد النهي طربا

ونسبها لعبد الله بن مسلم بن جندب وروى بيت الشاهد هكذا :

لكنه شاقه أن قيل ذا رجب ياليت عدة دهرى كله رجب  
وقد ذكر مطلع هذه القصيدة المبرد في الكامل أيضاً . وصاق القصيدة بأكلها  
ونسبها الشيخ الموصفي في رغبة الأمل ٢١٤/٢ .

٧ - قال الأستاذ البيطار في ص ١٤٤ لم أقف على ترجمة عبد بن الحساس ،

وهي في صدر ديوانه المطبوع .

هذا وأعود مرة أخرى إلى الإشادة بجهد الأستاذ البيطار وبأريحية الجمع  
العلمي العربي بدمشق .

وأسأل الله الكريم أن يهيئ لسائر الدخائر والأعلاق المخطوطة من يقوم  
بنشرها وتيسير النفع بها .

محمد عبد الحالى عفيف

—

(١) الرواية في مجالس نعلب : ( يحدث ) بدلاً من ( يبعث ) . « البيطار »



## تعليق على المقال لمحمد بهجة البيطار

كان كتب الأستاذ الجليل الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة المدرس في كلية اللغة العربية - في مجلة الحج التي تصدر بمكة المكرمة - تعريفاً وتقديراً لكتاب «الموفي في النحو الكوفي» وشرحه ، جاء فيه : «وعرض لنا نصوصاً مخوبة من كتب مختلفة ، شرحت غوامضه ، وأغنت قاري الكتاب عن أن يتطلبها في مظانها» وقد وصف (الموسيفي وشرحه) بذلك أحسن وصف . واكتفى - على ما يظهر - بمراجعته دون غيره في تعليقاته عليه ، وأجبتنا على منتقاداته من نفس الكتاب ، ثم قلت في الختام : «والظاهر أن الأستاذ قد أملى ما أملاه من ذاكرته وحفظه ، إذ لم نر له عزواً إلى صفحة أو جزء من كتاب بعينه ، وعلى كل فله منا أعطر الشكر» ، ( مجلة المجمع العلمي م ٢٧ / ٦٢٣ ) .

والآن ورد على المجمع العلمي العربي بدمشق هذا المقال الجليل ، ذو الفوائد الجمة والمباحث المهمة ، في اللغة والنحو والأدب ، وفي آخره مستدركات على كاتب هذه السطور ، في تعليقاته على «الأمرار» مع الدلالة على أماكنها ونقل عني في (ص ١٤٤) قولي : لم أقف على ترجمة عبد بني الحساس ، وهذا صحيح ، لكنني استدركت في (ص ٤٣٤) فأثبت ترجمته تحت الرقم (١٤) فلتراجع .

وإني أعلن شكري الخالص للأستاذ عضيمة ، جزاء المولى عن أخيه وعن القراء أفضل الجزاء ، وزاده إحساناً وتوفيقاً .

محمد بهجة البيطار

## فهرس الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين

### صفحة

- ٢٠٩ سخرية الشدياق . . . . . للأستاذ شفيق جبري . . .
- ٢٢٥ العلاقات الجوهرية بين اللتين العربية والآرامية } للطران غريغوريوس بولس بهنام  
« المردنية » (٣) . . . . .
- ٢٤٣ الإيلاف أو الموفات غير المشروطة . . . . . للأستاذ ظافر القاسمي . . .
- ٢٥٦ الزجاجي : حياته وآثاره (١) . . . . . للأستاذ مازن المبارك . . .
- ٢٧٣ كتاب شرح الألفات (١) . . . . . للأستاذ أبو محفوظ الكريم مصومي . . .
- ٢٩١ رسالة ابن حزم في أمهات الخلفاء . . . . . للدكتور صلاح الدين المنجد . . .
- ٣٠٠ نظرة في معجم المصطلحات الطبية الكثيرة (٢) . . . . . للدكتور حني سنج . . .
- ٣٢١ مختارات مما لم ينشر من شعر البحتري (٢) . . . . . للدكتور صالح الأخر . . .
- ٣٣٢ كتاب النفس لابن باجة الأندلسي (٦) . . . . . للدكتور محمد صغير حسن المصومي . . .

### التعريف والتقد

- ٣٤٥ الحياة الجنسية عند العرب . . . . . للأستاذ شفيق جبري . . .
- ٣٤٧ محاضرات عن الأمير شكيب أرسلان . . . . .
- ٣٤٩ كتاب الشرح والإبانة على أصول السنة والعبادة } للأستاذ محمد بهجة البيطار . . .
- ٣٥١ الأئمة الاثنا عشر . . . . .
- ٣٥٣ تفسير القرآن الكريم . . . . .
- ٣٥٨ أنا والشعر . . . . . للدكتور جميل صليبا . . .
- ٣٦٤ تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك } للأمير جعفر الحني . . .
- ٣٦٥ (٥٥) ألف كيلومتر على دراجة نارية . . . . .
- ٣٦٧ الإمام الصادق ملهم الكيمياء . . . . . للأستاذ حسن السقا . . .

### آراء وأنباء

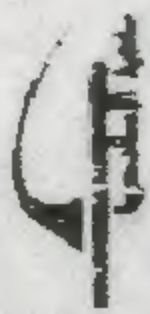
- ٣٦٨ الدكتور عبد الوهاب عزام ( وفاته ) . . . . .
- ٣٧١ علاوة خاصة من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية . . . . . للأستاذ محمد بهجة البيطار . . .
- ٣٧٦ أراء العربية لكمال الدين الألباري . . . . . للأستاذ محمد عبد الحالق عضية . . .
- ٣٨٣ تعليق على مقال الأستاذ محمد عبد الحالق عضية . . . . . للأستاذ محمد بهجة البيطار . . .











Bibliotheca Alexandrina



0652723